

أحاديث

في الدين والثقافة والاجتماع

حسن موسى الصفار

أحاديث

في الدين والثقافة والاجتماع

المجلد السابع

حقوق الطبع محفوظة

٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

[سورة النحل: الآية ١٢٥]

الحمد لله ربّ العالمين اللهم صل على محمد
خاتم الأنبياء وتمام عدة المرسلين وعلى آله
الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين

تقديم

بقلم: الدكتور الشيخ محمود المظفر^(١)

أتيح لي أن أحظى بقراءة فصول عديدة من الأمالي والأحاديث والبحوث التي احتواها هذا الكتاب، بما فيها فصلها أو جزؤها السابع، الذي آثرني مؤلفه الأخ العلامة الشيخ حسن الصفار بالاطلاع عليه، وبيان انطباعاتي الخاصة حوله..

والحقيقة أن هذه الفصول أو المجموعة الرحبة من الأمالي والأحاديث والبحوث قد شدَّ انتباهي إليها ما تضمنته من جوانب مميزة عديدة..

فقد تميزت هذه المجموعة من جانب بسعة آفاقها، وتنوع موضوعاتها، التي يدور أغلبها حول العقيدة وشؤون السياسة والثقافة العامة والاجتماع، والتي قيلت في نطاق مؤتمر أو ندوة أو حوار، أو على صعيد قناة من قنوات الاتصال الحديثة، كالإذاعة والتلفاز والانترنت وسواها من وسائل الاتصال.

وهذه الميزة الملحوظة في هذا الكتاب القيّم تعيد إلى الأذهان ما كان يجري عليه نهج أعلام الفكر والمعرفة، ممن دأبوا على التأليف بـ «طريقة الكتابة المنوعة على صعيد كتاب أو سفر واحد» ليتيحوا للقارئ المتبحر أن يحيط من كل قسم بطرف.. كالأصفهاني في كتابه الأغاني، وابن عبدربه في كتابه العقد الفريد، وابن أبي الحديد المعتزلي في كتابه المعروف بشرح نهج البلاغة.. ونظرائهم من أصحاب الأمالي والمجالس والتقارير..

(١) أستاذ القانون المدني المشارك بكلية الاقتصاد والإدارة في جامعة الملك عبدالعزيز. وبالجماعة المستنصرية ببغداد سابقاً ومحاضر غير متفرغ في كلية القانون والفقهاء المقارن بلندن، من عائلة المظفر العلمية العريقة في النجف الأشرف، جمع بين الدراستين الحوزوية والأكاديمية، له دراسات وبحوث علمية مطبوعة ومخطوطة.

أمثال القالي في أماليه والشيخ الصدوق في مجالسه المعروفة، وابن سينا في بعض تصانيفه وتقاريره المنوعة، وكاشف الغطاء في حصونه المنيعه.

كما تميزت من جانب آخر هذه المجموعة الرحبة، باهتمامها وتصديها لمعالجة بعض القضايا العامة المطروحة على الساحة الإسلامية، بل الدولية، كقضية الطائفية المذهبية والعرقية، التي أثّرت على طبيعة ومدى العلاقة السارية بين الجماعات والأفراد والدول، والتي استغلّها بعض المارقين لنشر الفتنة، وبث روح الخلاف والفرقة، بين أتباع البلد أو الدين الواحد.. وبخاصة في ظل الأوضاع التي تسود حالياً في كثير من الدول الإسلامية والعربية، كالعراق ولبنان واليمن وأفغانستان..

وما يجب أن نحمده لشيخنا الصقار صاحب هذه المجموعة الوسيعة، موقفه الحازم والواضح من هذه القضية التي تصدّى لها، وأعطاهها مزيداً من الاهتمام.. ليس فقط على صعيد الكلمة والخطبة والكتابة المجردة، وإنما على صعيد الكلمة المقرونة بالعمل الدؤوب، والنشاط المتمثل بالمشاركة الفعلية في إقامة المؤتمرات، وعقد الندوات واللقاءات، في نطاق دول عديدة، وبخاصة في نطاق المملكة العربية السعودية، بحضور لفيف من أرباب الفكر وطلاب المعرفة فيها.

ومن المستهجن أن يلجأ في هذه الأثناء بعض أصحاب الاتجاهات المتشددة إلى رفض فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية، بحجة عدم شرعية وصدقية بعض هذه المذاهب.. وذلك في الوقت الذي بادرت فيه المملكة نفسها، ودول ومؤسسات دولية أخرى، إلى دعم فكرة الانفتاح على الآخرين، وإجراء الحوار مع أتباع الديانات والحضارات المدنية الأخرى.. فضلاً عن مبادرتها إلى دعم فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية المنبثقة عن دين وكتاب ومعتقد واحد.

هذا، ويمكن أن نعدّ ما ورد في هذا الكتاب، من الدعوة إلى فتح باب الحوار مع الآخرين: ميزة أخرى من مزايا هذا الكتاب، وسابقة محمودة.

وذلك بموجب ما نص عليه القرآن الكريم، من الدعوة إلى الحوار مع الآخرين بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل: الآية ١٢٥]، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٥٦].

وكذلك بموجب ما قضت به الشريعة الإسلامية من امتداد واعتبار (شريعة من قبلنا كشرية لنا) كما هي المقررة في القواعد الأصولية.

بل بموجب ما اعترفت به شريعتنا الغراء، من شرعية الوجود للعقائد والأديان السماوية الأخرى، وبما توفره من احترام لأصحاب هذه العقائد (انظر كتاب التعددية والحرية للشيخ الصفار، مقدمة محمد مهدي شمس الدين ص ١٢).

وكل ذلك جاء تطبيقاً وتوثيقاً للعمل بمبدأ سلطان الإرادة، الذي هو مبدأ أساس وعام يقوم على اعتقاد واثق بوجود حرية طبيعية للإنسان لا يصح المساس بها، كما تفيده بعض الدساتير والقوانين المدنية في البلاد المتحضرة، وكما نصّت عليه بعض المواثيق الدولية كميثاق عصبة الأمم، وميثاق هيئة الأمم المتحدة الذي وسمته بإعلان حقوق الإنسان والمواطن.

ويعتبر الشيخ الصفار في نطاق كتاب آخر له وهو المسمى بـ (التعددية والحرية): «حقوق الإنسان وحرية من نعم الله الكبرى وركناً ركيناً في الإسلام» (انظر مقدمة هذا الكتاب لمحمد فتحي عثمان ص ٢٣).

بل اعتبر الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله من جانبه أن الإسلام قد أعطى شرعية الوجود للعقائد والمذاهب وللاتجاهات الفكرية المخالفة كما أسلفنا (انظر مقدمة

الكتاب المذكور ص ١٢).

هذا، ويجب أن لا يغرب عن بالنا أننا نعيش اليوم عصرًا تذوب فيه المسافات.. وتتقارب فيه الرؤى، وتتوازن فيه الأفكار والمنطلقات العامة.. الأمر الذي يجدونا إلى التلاقي والتعامل مع الآخرين، ولكن في نطاق الحقوق والالتزامات العامة.

وإذا كان هذا الكتاب الذي بين أيدينا بأجزائه وأبعاده السبعة المذكورة قد ميّزته ميزات معرفية عديدة.. أتينا على ذكر بعضها آنفًا باستطراد.. فإن صاحب هذا الكتاب نفسه يمكن اعتباره متميزاً في أدائه عن الآخرين بميزة إضافية أخرى، تتمثل بنزوعه إلى العمل الدؤوب، وإلى الحركة والنشاط المتجدد.. بحيث لم يؤثر الراحة أو العافية كما آثرها الآخرون من نظرائه، وبحيث لم يعط لنفسه وشخصه الفرصة المثلى للشأن الخاص والانكفاء على الذات، كما أعطاه الآخرون لأنفسهم.

فالصفار إذا جرّدناه من عناوين الألقاب: شخص ينوء بأعباء عدة أشخاص، ومتخصص ينهل من معين أكثر من اختصاص..

فهو إلى جانب كونه باحثاً متخصصاً في حقل معين من حقول المعرفة، فهو باحث موسوعي يميل إلى البحث في معارف وموضوعات شتى.

وهو إلى جانب كونه إمام مسجد يقوم بتعليم الأحكام الشرعية بأدلتها وتفصيلها، فهو خطيب منبري حسيني واعظ يقوم بتجسيد الثورة الحسينية الخالدة وتحديد أهدافها.

وهو إلى جانب كونه يحمل هموم مجتمعه وبلدته فهو يحمل هموم وطنه وأمته.
وهو إلى جانب كونه يدير عملية الحوار في مجلسه ومحفله الأسبوعي، فهو يدير عملية الحوار في نطاق المؤتمرات و اللقاءات العامة .. مما يعطيه مدىً أوسع من ميادين العمل..

وعليه يمكن إعادة القول بأن الشيخ الصفار ما زال يؤثر -دون الآخرين- النشاط والحركة الدؤوب ويتمتع بطاقات واسعة رصدها للخدمة العامة..

د. محمود الشيخ محمد حسن المظفر

جدة/ السعودية

١٤٢٩/٧/٢٥ هـ

أول الحديث

كان التحديّ الأكبر أمام الخطاب الإسلامي في حقبة ماضية هو مواجهة التيارات المناوئة للإسلام.

ففي بدايات القرن التاسع الميلادي أدرك دعاة الإسلام خطر حملات التبشير التنصيري التي واكبت الاحتلال الأوربي للبلاد الإسلامية، وكان إلى جانبها نشاط استشراقي مكثّف يهدف إلى تشكيك المسلمين في دينهم، وإثارة الشبهات حول القرآن الكريم، وسيرة النبي ﷺ، والمفاهيم والتشريعات الإسلامية، طفحت به كتب كثير من المستشرقين ودراساتهم.

فانبرى المخلصون الواعون من علماء الأمة بألسنتهم وأقلامهم وأرواحهم لردّ هذه الهجمات العاتية، وبذلوا قصارى جهدهم للوقوف أمام تلك الموجات العارمة، رغم محدودية إمكاناتهم قياساً بقدرات الغزاة الذين يستندون إلى ميزانيات ضخمة، وهيمنة عسكرية سياسية، ومراكز أبحاث وتخطيط.

وفي العقود الأولى من القرن العشرين للميلاد، كانت هناك معركة أخرى تنتظر دعاة الإسلام، هي أشد شراسة من حملات التبشير وشبهات الاستشراق، وهي مواجهة المدّ الشيوعي والتيارات العلمانية المناوئة للدين. ذلك أن معظم التيارات العلمانية التي ظهرت في البلاد الإسلامية، أخذت منحى المحاربة والمناوأة للدين، بخلاف معظم تيارات العلمانية في الغرب التي التزمت الحياد تجاه الدين.

فقد استثمرت هذه التيارات المناوئة أرضية السخط والرفض للواقع السيئ المتخلف لدى جماهير الأمة، وتبنّت شعارات الثورة والنهوض، داعية إلى التنكر للدين والتخلص منه، لأنه يتحمل مسؤولية تخلف الأمة وانحطاطها.

وتمكنت هذه التيارات من استقطاب شرائح من أبناء الأمة، ووصلت إلى مواقع السلطة والحكم في عدد من البلدان العربية والإسلامية، عبر الانقلابات العسكرية، والتنظيمات الحزبية.

فكانت المعركة عنيفة قاسية في بعدها الفكري والسياسي، حيث عانى دعاة الإسلام من قمع الأنظمة التي انبثقت من هذه التيارات المناوئة.

وما كاد ينتهي القرن العشرون حتى انحسر مدّ تلك التيارات، وظهرت طلائع الصحوة الإسلامية، وارتفعت رايات الإسلام في كل مكان، إذ استعادت جماهير الأمة ثقتها بدينها، بعد أن وجدت تلك التيارات ﴿كَسْرَابٍ بَقِيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ [سورة النور: الآية ٣٩]، وهكذا بدأ عصر الإسلام من جديد.

ومع أن هناك تحديات خارجية لا تزال قائمة أمام الخطاب الإسلامي، وفي طليعتها الحرب الإعلامية الثقافية الطاحنة على الإسلام، بوصفه دين إرهاب وعنف، التي تجاوزت كل أعراف وتقاليد العلاقات بين الأديان والحضارات والأمم، كما تمثل ذلك في الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، التي نشرتها صحيفة دنهاركية ثم أعادت نشرها هذا العام عدد من الصحف في الدول الأوروبية، في تحدّ سافر لمشاعر المسلمين، وإساءة صارخة لدينهم وهويتهم.

لكن مثل هذه التحديات الخارجية ليست على درجة كبيرة من الخطورة تستلزم وضعها على رأس التحديات وأولويات المهام أمام الخطاب الإسلامي.

إنني اعتقد أن الخطاب الإسلامي يواجه الآن تحديات داخلية هي الأهم والأخطر على مستقبل الإسلام والأمة. فلا بد من الاستجابة لها والارتقاء إلى مستوى مواجهتها. ولعل من أبرز وجوه هذه التحديات ما يلي:

أولاً: إنتاج ثقافة التنمية والبناء

فقد برع الخطاب الإسلامي في تعبئة جماهير الأمة ضد الأعداء، وضد واقع الفساد والانحراف، وتلك مهمة هدم وتقويض.

ولكن ما هو البديل الذي يجب أن تتجه الأمة لبنائه على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي؟ وكيف يقود الإسلام معركة التنمية والبناء؟

هذا ما يحتاج إلى إجابة معمّقة تتضمن برامج عمل، وآليات تنفيذ، وثقافة حركة وإدارة.

ثانياً: العلاقة الإيجابية مع الآخر

المصالح في عالم اليوم متشابكة، والصراع والنزاع ليس هدفاً ولا إستراتيجية دائمة، وإنما هو ضرورة بمقدار مواجهة العدوان. كما أن الإسلام رسالة خير ورحمة للبشرية جمعاء.

من هذا المنطلق لا بد من إنتاج خطاب يساعد على الانفتاح والحوار مع الآخر، ولا بد من نشر ثقافة دافعة لصنع العلاقات الإيجابية مع الغير، ولتجاوز آثار مراحل الصراع والنزاع.

صحيح أن هناك اعتداءات لا تزال قائمة ضد الإسلام والأمة، لكن المطلوب حصر المواجهة والصراع مع الجهات المباشرة للعدوان دون استعداد للعالم كله، وتعميم الصراع على مستوى الأديان والحضارات.

والأشد إلحاحاً حاجة الأمة إلى ثقافة العلاقة الإيجابية مع الآخر الداخلي، حيث لا تزال نعيش آثار الصراعات القديمة التي حصلت بين الأسلاف في القرون الأولى لتاريخ الأمة، والتي تتفجر اليوم على شكل فتن ونزاعات طائفية. كما لا يزال التنوع القومي والقبلي عائقاً أمام الوحدة الوطنية، والاستقرار السياسي، في عدد من البلدان

العربية والإسلامية.

ثالثاً: ترشيد التوجهات والممارسات الدينية

فالإقبال على الدين، وارتفاع المعنويات في أوساط المتدينين، قد يدفع باتجاه الغلو والمبالغة في التوجهات والممارسات الدينية، خاصة وأن في تراث الأمة بمختلف مذاهبها ما يغذي مثل هذه الاتجاهات.

كما أن بعض القوى الدينية التقليدية التي لا تمتلك مشاريع للتنمية والنهوض، قد تسعى لدغدغة مشاعر العامة، وعواطفهم الدينية، لتعزيز نفوذها ومواقعها، في مقابل صعود قوى الإصلاح والتطوير.

وليس مستبعداً أن تدخل على الخط بعض الجهات الخارجية، أو بعض القوى المصلحية في الداخل لتشجيع اتجاهات المبالغة والغلو في الأوساط الدينية.

إن خطر توجهات الغلو كبير على مستقبل الإسلام والأمة، ولذلك حذر الله تعالى الأمم السابقة من الغلو في الدين، يقول تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [سورة النساء: الآية ١٧١].

وتتمثل أهم مظاهر خطر الغلو في النقاط التالية:

١. تحريف المفاهيم، وإفراغ الأحكام الشرعية من مضامينها، والابتعاد عن مقاصد الدين وأهدافه، وإشغال الأمة بحالة طقوسية فارغة، تستنزف الجهود، وتصنع حالة من الإشباع الكاذب، والشعور الزائف بأداء الواجب نحو الدين.

٢. الاستغراق في الجوانب الغيبية على حساب العقل ومراعاة السنن الإلهية للطبيعة والحياة، مما عزز حالة التواكل والكسل، وعدم البحث الموضوعي والمعالجة الواقعية لمشكلات الحياة، وفتح المجال أمام أسواق الشعوذة والدجل، التي تدعي القدرة على تقديم مختلف العلاجات للأمراض الجسمية، والمشكلات

النفسية، والقضايا الاجتماعية.

٣. تشجيع التطرف والتشدد تجاه الآخر الخارجي والداخلي، انطلاقاً من تفاصيل الخلافات العقدية والتاريخية، وإغفال مساحات الالتقاء والاشترك، لقد أصبح لدينا خطباء متمرسون في إذكاء الخلافات الطائفية، ومحترفون لإثارة الكراهية والبغضاء بين أبناء الأمة، وقد منحتهم القنوات الفضائية أفضل الفرص لرفع أصواتهم وبث سمومهم في مختلف الأرجاء.

٤. ممارسة الإرهاب الفكري تجاه أي رأي مخالف واتهامه بالمروق والابتداع، مما يوقف حركة الاجتهاد، ومسيرة التطوير والتجديد.

إن هذه التحديات الداخلية توجب على العلماء والدعاة المدركين لها أن يوجهوا خطابهم واهتمامهم نحو مواجهتها، وتبصير جماهير الأمة بما يخدم مصلحتها، ويصون رسالتها الإسلامية العظيمة عن عبث الغالين والمتزمتين.

ولا شك أنها مهمة شاقة تكتنفها صعوبات بالغة، لأن دعاة التشدد والغلو يستثيرون عواطف ومشاعر العامة الدينية، ويستندون إلى آراء وتبريرات لها جذورها في التراث المذهبي لمختلف الطوائف والمذاهب، ويظهرون أنفسهم حماة للعقيدة وحرّاساً لشعائرها، ولا يتورعون عن التشكيك في دين من يختلف معهم ولو في أدنى التفاصيل.

الدعوة على بصيرة:

لقد تحدث النبي ﷺ بأمر الله تعالى له، عن أهم سمة لمنهج في الدعوة إلى الله، وهي امتلاك البصيرة، يقول تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف: الآية ١٠٨].

والبصيرة من البصر والإبصار، فكما يحتاج الإنسان إلى حاسة البصر ليرى الأشياء المادية في هذه الحياة، ول يتمكن من السير في طرقها متلافياً الضياع والوقوع في الحفر والمزالق، كذلك يحتاج إلى المعرفة والوعي لتقويم الآراء والأفكار، والتمييز بين مسالك

الخير ومهاوي الشر والفساد. وتلك هي البصيرة.

وكون الداعي على بصيرة في دعوته يعني أمرين:

الأول: اطمئنانه للفكرة ووضوحها عنده، حيث لا يصلح للداعي أن يطرح فكرة لم يجتهد في بحثها، ولم يتأكد من صحتها، ولا ينبغي له أن يجترّ في خطابه طرحة ما هو سائد ومتناقل دون تحقيق وتمحيص.

ومن المؤسف جداً أن تجد بعض العلماء والدعاة ينقلون للناس روايات تاريخية، وآراء عقدية، ومسائل ذات تأثير في أذهان الناس وسلوكهم، قبل أن يكلفوا أنفسهم عناء التأكد من صحة تلك النقولات، اتكالاً على ما سمعوه من خطباء آخرين، أو أخذاً من مصادر غير معتمدة، أو استجابة لرغبة المستمعين.

إن وسائل البحث وأدوات المعرفة أصبحت متوفرة ومبذولة، فلا عذر للمقصرين والمتقاعسين.

الآخر: معرفة الواقع الخارجي الذي تلامسه الفكرة المطروحة، فليست كل فكرة صحيحة صالحة للعرض في كل زمان ومكان، ولعل المقصود بالحكمة في الدعوة في نص الآية الكريمة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾ [سورة النحل: الآية ١٢٥] هو اختيار القول المناسب للموقع المناسب.

من هنا، يحتاج الدعاة في كل مجتمع إلى تقويم ظروف مجتمعهم، ودراسة أوضاع البيئة التي يتحركون فيها، لينطلق خطابهم الديني من خطة مدروسة، وليركزوا على الأولويات.

وقد تحدث العلامة الشيخ عبدالله العَلَمي الغزّي دمشقي أستاذ دروس التفسير في الجامع الأموي بدمشق المتوفي سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م حول هذه الآية الكريمة: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [سورة يوسف: الآية ١٠٨] في كتابه القيم (مؤتمر تفسير سورة يوسف) فقال تحت عنوان (أكثر دعاة أهل اليوم هم على غير بصيرة):

«النبى عليه الصلاة والسلام، كان يدعو إلى الله على بصيرة، وهكذا خلفاؤه وعلماء السلف والأئمة المجتهدون وسائر العلماء الصالحين، ولكن من المؤسف، أن أكثر دعاة أهل اليوم، هم على غير بصيرة، لأنهم مزجوا الدخائل بعقائد الدين، وأدخلوا البدع والأخلاق الرديئة في العوائد الإسلامية، وعلموا الجهال تعاليم خادعة، لبست الغي بالرشاد، كما علموهم التأويلات الباطلة، التي شبّهت الحق بالباطل، حتى صار الجبر (توحيداً)، وإنكار الأسباب (إيماناً) وترك الأعمال المفيدة (توكلاً) ومعرفة الحقائق (كفراً وإلحاداً) وإيذاء المخالف في المذهب (دينياً) والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات (صلاًحاً). واختبال العقل وسفاهة الرأي (ولاية وعرفاناً) والذلة والمهانة (تواضعاً) والخنوع وقبول الضيم (رضى وتسليماً) والتقليد الأعمى لكل متقدم (علمياً وإيقاناً).»^(١)

هذا ما كتبه الشيخ الجليل قبل ثمانية عقود من الزمن عن دعاة عصره، فهل دعاة اليوم أفضل حالاً من أولئك؟ هذا ما نأمله ونرجوه.

نسأل الله تعالى أن يوفق دعاة الإسلام لتحمل مسؤولياتهم الكبيرة في هذه المرحلة الخطيرة، وأن يكمل جهودهم بالنجاح لتجاوز هذه التحديات القائمة.

وبين يدي القاري الكريم هذا الجزء الجديد، الجزء السابع من كتاب (أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع) الذي يضم معظم مشاركاتي الثقافية خلال سنة ١٤٢٦ هـ من كتابات ومحاضرات وندوات ومقابلات إعلامية.

وسيجد القارئ الكريم تمحور هذه الخطابات والمشاركات حول الهموم المعاصرة للخطاب الإسلامي. أرجو أن تكون مساهمة في معركة البناء والوعي التي تخوضها مجتمعات الأمة، وأن يجد فيها أخواني الدعاة ما يضيف إلى تجاربهم شيئاً من الفائدة.

ولا يفوتني أخيراً إلا تجديد الشكر والامتنان لجميع الإخوة الأعزاء العاملين معي

(١) الغزي: عبدالله العلمي/ مؤتمر تفسير سورة يوسف ﷺ ج ٢ ص ١٤٢٩، الطبعة الأولى، مطابع دار الفكر، ١٣٨١هـ، ١٩٦١م - دمشق.

في مكتبي، فبتعاونهم الجادّ والمخلص وفق الله تعالى لإنجاز هذا الجهد وأمثاله، جزاهم الله خيراً، وأخصّ بالذكر هنا: الأخ عبدالباري الدخيل لمساعدته في التوثيق والأستاذ علي أحمد علي الأصيل لتحمله عناء التدقيق والمراجعة، والأخ محمد حريز لقيامه بالإخراج والتنسيق، والأخ ميثم الفردان لمتابعة شؤون الطباعة والنشر. أخذ الله بأيدينا جميعاً إلى ما فيه الخير والصلاح ووفقنا لخدمة الإسلام والأمة.
والحمد لله ربّ العالمين.

حسن الصفار

٢٦ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ

٣ أبريل ٢٠٠٨ م

شخصية السيد المسيح ﷺ استثنائية

كلمة الجمعة بتاريخ ١٩ ذو القعدة ١٤٢٥ هـ

أكد سماحة الشيخ حسن الصفار أن شخصية السيد المسيح، نبي الله عيسى بن مريم، استثنائية بكل المقاييس، فبداية حياته ونهايتها والمعجز التي جاء بها كانت استثنائية. ودعا إلى ضرورة الاهتمام بشخصية هذا النبي العظيم، وأعزى السبب في كون الاهتمام بهذه الشخصية خاصاً بالمسيحيين إلى الصراع الذي بين المسيحيين والمسلمين.

وأكد أن الاحتفاء بميلاد السيد المسيح أمرٌ مطلوب ومهم، فهذا يُكرّس حضوراً لشخصيته في حياتنا وتخليداً لمواقفه.

جاء ذلك في الخطاب الأسبوعي الذي ألقاه الشيخ الصفار ظهر الجمعة ١٩ ذو القعدة ١٤٢٥هـ (٣١ ديسمبر ٢٠٠٤م).

تحدث الشيخ الصفار في بداية خطابه حول الاحتفاء بذكر ميلاد السيد المسيح نبي الله عيسى بن مريم، مبتعداً عن الاختلاف الحاصل في تحديد يوم ميلاده، ومؤكداً أن هذا الاختلاف نراه واضحاً حتى مع أعظم شخصية في تاريخ البشرية وهو رسول الله. وأشار إلى أن أغلب المسلمين لا يُعارضون الاحتفاء بهذه الأيام ما عدا الاتجاه السلفي الذي يرى بدعية هذا الاحتفاء وحرمته.

وحول السبب في كون هذا الاحتفاء خاصاً بالمسيحيين، قال الشيخ الصفار: بسبب الصراع بين المسيحيين والمسلمين أصبح الاهتمام بالسيد المسيح خاصة مسيحية، مشيراً أن هذا الأمر متمثلٌ عند المسلمين حيث إن الاهتمام بأهل البيت ﷺ أصبح خاصاً بطائفة معينة، وهم أتباع المذهب الإمامي، مع أن موقعية أهل البيت ﷺ لا يُناقش فيها أحد، وهم محل تقدير واحترام جميع المسلمين، ولكن الصراعات المذهبية أدّت إلى هذه الحالة.

وأكد الشيخ الصفار أن الاحتفاء بشخصيات الأنبياء والأولياء مهم جداً، فهذا يُكرّس حضوراً لشخصياتهم في حياتنا ويُخلّد مواقفهم التاريخية.

وأضاف الشيخ الصفار: إن السيد المسيح شخصية استثنائية بكل المقاييس، مع إيماننا بأفضلية الرسول الأعظم، مشيراً إلى أن تميز السيد المسيح والخصائص الاستثنائية في شخصيته جعلت هناك أرضية لتأليهه والعياذ بالله، وهذا ما نفاه القرآن الحكيم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة المائدة: الآية ١٧].

ومن أبرز الخصائص الاستثنائية التي أشار إليها الشيخ الصفار:

أولاً: بداية حياة السيد المسيح الاستثنائية.

أكد الشيخ الصفار أن حياة السيد المسيح من بدايتها إلى نهايتها مملوءة بالخصائص الاستثنائية، فقد ولد من غير أب، وتحدث في المهد صبياً، وهذا ما تحدثت عنه آيات القرآن الحكيم في سورة مريم، وأشار الشيخ إلى مفردات تلك الآيات الكريمة. يقول تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيّاً * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيّاً * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيّاً * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ بِعِيّاً * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيٌّ هَيْنَ وَنَجَعَلُهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمراً مَفْضِيّاً * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيّاً مَنْسِيّاً * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً * وَهَزِيْ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حَنِيّاً * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً * يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امراً

سَوْءٌ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ
 إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
 وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ
 وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿سورة

مريم: الآيات ١٦ - ٣٤﴾.

ثانياً: نهاية حياة السيد المسيح استثنائية أيضاً.

كما أن بداية حياة السيد المسيح كانت استثنائية كذلك نهايتها، وهذا ما تشير إليه
 الآيات القرآنية: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ
 وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا
 قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء: الآيات ١٥٧ - ١٥٨].
 وكذلك ما هو ثابتٌ عند المسلمين من عودة السيد المسيح آخر الزمان وصلاته
 خلف الإمام المهدي المنتظر ﷺ، حيث لم يرد مثل ذلك لسائر الأنبياء.

ثالثاً: المعجزات التي جاء بها السيد المسيح استثنائية.

وهذا ما تشير إليه الآيات القرآنية: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي
 عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
 الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأُذُنِي فَتَنْفُخُ
 فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأُذُنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِأُذُنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِأُذُنِي وَإِذْ
 كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
 مُبِينٌ﴾ [سورة المائدة: الآية ١١٠].

وأكد الشيخ الصفار أنه إذا لم تكن هناك بصيرة إيمانية فإن الغلو قد يتسرّب إلى
 نفوس الناس، وهذا ما حصل فعلاً مع نبي الله عيسى بن مريم، وأشار إلى مقال للكاتب
 محمد المحمود في جريدة الرياض (الخميس: ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٣م) تحت عنوان: تأملات

في شخصية المسيح، يقول فيه: «ولو أخذنا من داخل المنظومة الإسلامية مثلاً على ذلك، لكان المثال الواضح في موضوعنا: شخصية أمير المؤمنين الإمام علي ﷺ وكيف التف الناس حول هذه الشخصية، مبهورين بعظمتها، إلى درجة أنهم لم يستطيعوا التحكم بعاطفة الإعجاب هذه، فغلوا فيها حتى بلغوا بها درجة الألوهية. إن هذا الانبهار الغالي - على بطلانه في غلوه، وليس في انبهاره - لم يأت من فراغ، ولم تكن الشخصية نمطية، ولا ذات صفات يسهل اجتماعها في شخص واحد، وبهذا لم يكن عبثاً، ولا مصادفة إن كان علي بن أبي طالب ﷺ من بين جميع الصحابة، بمن فيهم آل البيت ﷺ هو الشخصية التي انبهر بها الناس من ناحية، ومن ناحية أخرى انقسموا إزاءها فرقاً، فكانت شخصية يتمايز بها الحق من الباطل».

واختتم الشيخ الصفار خطابه بالدعوة إلى دراسة شخصية السيد المسيح في جميع أبعادها التي تحدثت عنها الآيات القرآنية تفصيلاً، مؤكداً أن المكتبة الإسلامية تشكو من ضعف كبير في هذا الجانب، فالكتب والأبحاث والخطابات حول شخصية هذا النبي العظيم قليلة جداً، مؤكداً أن شخصية كهذه الشخصية الاستثنائية ينبغي أن تحظى باهتمام كبير لا أن يقتصر الاهتمام بها بحدود المسيحيين، مما قد يُسبب خسارةً كبرى للأمة.

الشيخ الصفار ينتقد التصريحات السياسية الطائفية

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٦ ذو القعدة ١٤٢٥ هـ

انتقد سماحة الشيخ حسن الصفار التصريحات السياسية الطائفية التي صدرت من كل من: الرئيس اليمني بمنعه الكتب الجعفرية لأنها تمثل خطراً على الوحدة الوطنية، وملك الأردن حول الهلال الشيعي، وأكد أن هذه التصريحات تصبّ في خدمة الأعداء والمصالح الشخصية لهؤلاء الحكام.

وأضاف الشيخ الصفار: إن المذهب الجعفري يكفي في أصالته وعراقته هو انتفاء أتباعه لأهل البيت ﷺ وهم فضلاً عن مكانتهم التي لا يُدانيتها أحد، ولا يناقش فيها أحد، هم أساتذة أصحاب المذاهب الإسلامية الأخرى. وأن هذه المواقف تجاه المذهب الجعفري هو الذي سيجعل فكر ومعارف هذا المذهب تنتشر أكثر بين الناس. جاء ذلك في الخطاب الأسبوعي الذي ألقاه الشيخ الصفار ظهر الجمعة ٢٦ ذو القعدة ١٤٢٥ هـ (٧ يناير ٢٠٠٥ م).

قارب الشيخ الصفار في بداية خطابه بين عضلات الإنسان الجسدية وبين العقل الذي منحه الله إياه، فقال: كما منح الله الإنسان عضلات يتحرك بها ويتعامل مع الأمور المادية الحسيّة، كذلك منحه عقلاً يتحرك به للتعامل مع الأمور المعنوية والعلمية والفكرية.

وأضاف: بالعقل يُحاول الإنسان أن يكتشف الحقائق، ولكنه في كثير من الأحيان يُخطئ ويضل السبيل، فيعتقد بعض الأفكار والمعلومات ظناً منه بصحتها. وأكد أن البعض قد يتظاهر باعتناق بعض الأفكار مع عدم اقتناعه بصحتها، معتبراً السبب في ذلك إما لتكيف مع المحيط، أو لمصلحة يجتنيها من وراء اعتناقه هذه الفكرة أو تلك.

وضمن هذه التموجات يقول الشيخ الصفار: يحدث هناك صراعٌ فكري، حيث تسعى كل جهةٍ تؤمن بفكرةٍ أو رأيٍ معين لنشر هذه الفكرة أو ذلك الرأي بشتى الوسائل، وذلك للأسباب ذاتها لا عتناق الإنسان بعض الأفكار مع عدم اقتناعه بصحتها.

والسؤال المهم الذي أجاب عنه الشيخ الصفار في خطابه هو: ما الموقف تجاه الصراعات الفكرية؟ هل بالقمع والإرهاب واجتثاث الآراء والأفكار المخالفة؟ أم أن هناك موقفاً حكيماً تجاهها؟

يقول الشيخ الصفار: لقد أثبتت التجارب البشرية فشل أسلوب القمع والإرهاب في اجتثاث الآراء والأفكار، بل قد يزيد في ترسيخها وتعميقها عند الناس، مضيفاً: إن التعذيب والإرهاب يُصيب الجسد، والأفكار موطنها العقل، وبذلك لن تتأثر الأفكار مهما طال الإرهاب والتعذيب.

وأشار إلى أن الأنبياء والأئمة عليهم السلام لم يواجهوا الأفكار والآراء المخالفة والضالة بالقمع والإرهاب، وإنما كان لهم أسلوبهم الخاص. فما هو ذلك الأسلوب؟

يقول الشيخ الصفار: إن الأسلوب الأنجع في مواجهة الأفكار والآراء هو مناقشتها وتبليط الأضواء على نقاط الضعف والخطأ فيها. والقرآن الحكيم رائدٌ في هذا الأسلوب، يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تُخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الأنعام: الآيتان: ١٤٨-١٤٩].

وأكد أن من مصلحة البشرية في أن يكون هناك اعتصارٌ للأذهان، بحيث يعتصر كل صاحب فكرةٍ ذهنه لإبراز رأيه وطرحه كما يُريد، مضيفاً أن هذه الحالة ينبغي أن تنعكس على مختلف المجالات الحياتية: الطب، الصناعة، الاقتصاد، السياسة، وغيرها. وأكد الشيخ الصفار أن الإنسان إنما يخاف من الرأي الآخر إذا لم تكن عنده ثقة تامة برأيه وفكره.

وأضاف: إن المجتمعات المتقدمة تعتمد الآن هذا الأسلوب في مواجهة الأفكار والآراء والطروحات الجديدة. أما المجتمعات الإسلامية والعربية فما زالت تعيش حالة الإرهاب الفكري، ومصادرة الآراء.

وانتقد الشيخ الصفار الوضع القائم في بعض الدول العربية حيث تعالت بعض التصريحات من رؤسا بعض الدول كشفت الستار عن نيات متجذرة في استمرار حالة النزاعات الطائفية، وهذا يُجلب بوضوح الوضع المأساوي الذي تعيشه الشعوب العربية والإسلامية.

وسلّط الشيخ الصفار الضوء على تصريح الرئيس اليمني الذي صرّح بوجوب منع الكتب الجعفرية لأنها تشكل خطراً على الوحدة الوطنية، وكذلك تصريح ملك الأردن حول الهلال الشيعي. وأدان الشيخ الصفار هذه التصريحات معتبراً إياها تصبّ في خدمة الأعداء وخدمة المصالح السياسية.

ومن ناحية أخرى، يقول الشيخ الصفار: إن مذهب التشيع يكفيه ليثبت أصالته وعراقته انتفاء أتباعه لأهل البيت عليهم السلام وهم فضلاً عن مكانتهم التي لا يُدانيها أحد، ولا يناقش فيها أحد، هم أساتذة أصحاب المذاهب الإسلامية الأخرى.

ويُضيف: إن الرأي العام العالمي هو الحكم أمام هذه الأوضاع، فهو يرى بوضوح ما يجري، فهناك مذهب يُريد أن يطرح رأيه من خلال الكتب ويُريد أبنائه الحصول على حقوقهم من خلال الانتخابات كما في العراق، وفي مقابله من يُريد أن يفرض نفسه بالقمع والإرهاب. فلندع الإنسانية تحكم، وليدلي الرأي العام برأيه تجاه ما يجري.

وأكد الشيخ الصفار أن هذه المواقف تجاه المذهب الجعفري هو الذي سيجعل فكر ومعارف هذا المذهب تنتشر أكثر بين الناس.

وأضاف: كنا نتمنى أن يكون إصلاح الشعوب العربية والإسلامية من داخلها، ولكن ما نصنع إذا كانت هناك قوى سياسية تشبث بمواقعها مصرّة على أسلوب

الإرهاب والقمع. مؤكداً أن مجتمعاتنا إن قبلت بهذا الوضع فإن العالم لن يقبل بذلك وسيدخل الآخرون لردع هذه الديكتاتوريات.

واختتم الشيخ الصفار خطابه بأهمية الثقة بوعي أبناء الأمة وبالرأي العام العالمي، وأن المواقف التي تتخذها القوى السياسية لا تعبّر عن رأي الناس، فالفكر الإنساني قد تطور وأصبحت الشعوب لا تتكلم بلسان حكامها.

التيسير في الحج

كلمة الجمعة بتاريخ ٣ ذو الحجة ١٤٢٥ هـ

تحدث سماحة الشيخ حسن الصفار في يوم الجمعة ٣/١٢/١٤٢٥هـ في مسجد الشيخ علي المرهون عن التيسير في الحج، وطلب سماحته من المسؤولين عن هذه الشعيرة المقدسة العمل على أن يكون الحج أكثر يسراً وسهولة. افتتح سماحة الشيخ كلمته بالآية المباركة ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٥٨]، ثم قال: التكليف الشرعية إنما جاءت من أجل مصلحة الإنسان وسعادته وهذه التكليف وضعها رب الإنسان وهو العالم بظروفه ونقاط قوته وضعفه.

وأوضح سماحته: أن جميع الأحكام الشرعية فيها يسر وسهولة على الإنسان ولا يوجد في التشريع الإسلامي ما يوجب للإنسان المشقة والخرج، ولو وجد يتحول التكليف إلى ما يرفع المشقة عنه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج: الآية ٧٨]، والشواهد على ذلك كثيرة، فمثلاً: إذا كان استخدام الماء يسبب للمصلي المشقة أو الحرج ينتقل التكليف إلى التيمم، بل قال بعض الفقهاء في شرائط الوضوء: أن لا يكون مانع من استخدام الماء من مرض أو خوف عطش مما يجرم إيقاع النفس فيه أو نحو ذلك وإلا فهو مأمور بالتيمم ولو توضأ والحال هذه بطل وضوؤه.

وكذا في الصلاة، فالواجب على المصلي القيام، لكن لو تعذر ذلك صلى من جلوس، ومع تعذره صلى مضطجاً على الجانب الأيمن كهيئة المدفون، فإذا تعذر فعلى الأيسر، فإذا تعذر صلى مستلقياً كالمحتضر، ومع عدم إمكانه بالانحناء يومئ برأسه، ومع تعذره فبالعينين بتغميضهما، فإن تعذر يصلي كيفما قدر.

وكذا الصيام الواجب، فلو خافت المرأة الحامل على جنينها أو المرضع على طفلها

جاز لها أن تفطر ثم تقضي الصيام.

كذلك الحال في رمي الجمرات، فقد أصبح من المعروف أن المسلمين لا بد لهم كل عام من تقديم الأضاحي في يوم رمي الجمرات، وكل ذلك يسبب التزاحم والتدافع الذي يجري فيه.

إن رمي الجمرات يعتبر واحداً من أهم مشكلات الحجاج، سيما في عيد الأضحى واليوم الثاني عشر، حيث يندفعون لرمي جمرة العقبة، وفي أكثر السنين تحدث خسائر كبيرة في الأرواح، وهذا ما يعرف، أما من يجرحوا أو تتعرض رؤوسهم أو وجوههم أو عيونهم لأضرار بالغة، فهذه لا تعد، ومع كل التدابير المتخذة للحد من هذه الأضرار إلا أن المشكلة لا تزال قائمة.

ثم تساءل سماحته: إذا كان هذا هو التشريع، فماذا عن التطبيق؟

وأجاب حفظه الله: للأسف الشديد، نجد أن بعض الناس يتشددون على أنفسهم حتى ولو كان في الحكم فسحة، فيحدثون لهم كأفراد أو كجماعات المشقة والتعب، ولعل ذلك طلباً لتطبيق الحكم في أرفع درجاته وكامل مستحباته، وذلك نراه واضحاً في الحج، فمن المعروف أن تقبيل الحجر من المستحبات بعد الطواف، لذلك نرى من الحجاج من يشق على نفسه ويدخل في صراع من أجل عمل مستحب قد يسبب له أو للآخرين الضرر والمشقة.

ثم طالب سماحته من الفقهاء أن يأخذوا قصب السبق والمبادرة لوضع الفتاوى المناسبة لتسهيل عملية الحج، والحاصل اليوم أن الفقهاء ينتظرون حدوث التغيير ثم يبدون رأيهم فيه، لماذا لا يبادر الفقهاء بتكوين لجان لدراسة هذا الموضوع ثم وضع الحلول له.

وقد قام سماحة الإمام الشيرازي رحمته الله بكتابة بعض الاقتراحات التي تسهل على الحجاج أداء مناسكهم في كتاب مستقل تحت عنوان: [لكي يستوعب الحج

عشرة ملايين].

كما طالب الحكومات، سواءً في المملكة أو حكومات الحجاج أن تيسر عليهم، وأن تسهل لهم إتمام هذه الشعيرة وإن تطور مناطق المشاعر بما يخدم الحجاج ويسهل مهمتهم.

كما طالب الجهات المعنية في المملكة، بأن تبذل قصارى جهدها لتيسير شؤون الحج وتسهيل أداء المناسك على الحجاج، وأشاد بما حصل هذا العام من توسعة في موقع رمي الجمار.

كما طالب المرشدين في الحملات، أن يوضحوا المسائل التي فيها مشقة وأن يطرحوا المسائل البديلة التي لا تخرج العمل عن هيئته الصحيحة.

وكذا طلب من الحجاج أنفسهم أن يكون توجههم للتسهيل على أنفسهم وعلى من حولهم، وأن لا يشقوا على أنفسهم وعلى الآخرين، فالشدة تنفر النفس عن الطاعة، وأن يؤدوا مناسكهم في يسر وسهولة، وهذا يتناسب مع قواعد الدين وقيمه.

ودعا لهم بقبول الأعمال والعودة إلى ديارهم سالمين غانمين إن شاء الله تعالى.

سياسة الإمام علي عليه السلام الالتزام بالمبادئ والقيم

كلمة الجمعة بتاريخ ١٧ ذو الحجة ١٤٢٥ هـ

أكد سماحة الشيخ حسن موسى الصفار أن سياسة الإمام علي عليه السلام سياسة الالتزام بالمبادئ والقيم، وقد جسد الإمام علي في خلافته أرقى الصور لما يجب أن يكون عليه الحاكم، مشيراً إلى العديد من الكلمات النورانية والمواقف الخالدة، التي يُقدمها الإمام علي للأمة يُبرز فيها الصورة التي ينبغي أن يكون عليها الحاكم. وتحدث عن يوم الغدير المبارك، وعن خطبة الرسول الأعظم في ذلك اليوم، وتطرق إلى بعض مفردات الخطبة. وأشاد بالمواقف الواعية المخلصة للقيادات الدينية من الشعب العراقي، مؤكداً أنها تُعتبر انعكاساً لسيرة الإمام علي في حياة هؤلاء القادة. كان ذلك في الخطاب الأسبوعي للشيخ الصفار الذي ألقاه بمناسبة ذكرى عيد الغدير المبارك، ظهر الجمعة ١٧ ذو الحجة ١٤٢٥ هـ (٢٨ يناير ٢٠٠٥ م).

بدأ الشيخ الصفار حديثه بتقديم التهاني والتبريكات بمناسبة ذكرى عيد الغدير المبارك، مؤكداً أنه يوم مهم في تاريخ الإسلام، وأن المسلمين اتفقوا على ثبوت الحدث الكبير بالاجتماع الذي عقده رسول الله بعد رجوعه من حجة الوداع وعند مفترق الطرق وفي منطقة يقال لها (غدير خم) وكان معه -حسب اختلاف الروايات- ما بين (٩٠ - ١٤٠) ألف حاج.

واستطرد الشيخ الصفار في ذكر بعض تفاصيل هذا الحدث، حتى وصل إلى ذكر الخطبة التي خطبها الرسول الأعظم في ذلك الموقف المهيب، حيث جاء فيها: «ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: اللهم بلى يكررها ثلاثاً، ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيثما دار».

وتطرق الشيخ الصفار إلى بعض مفردات هذه الخطبة، فقال: السؤال الذي بدأ به الرسول خطبته: (أأست أولى بكم من أنفسكم؟) يعني: أن سيطرتي عليكم مقدمة على سيطرتكم على أنفسكم، وفيها إشارة إلى ولاية الرسول على الناس. والفقرة التي تلت هذا التساؤل: (من كنت مولاه فعلي مولاه)، يؤكد فيها الرسول أن ولاية الإمام علي على الناس بعد الرسول هي بنفس درجة ولاية الرسول على الناس في حياته.

وذكر الشيخ الصفار أن الشيخ الألباني (محدث المدرسة السلفية في هذا العصر) دافع عن صحة هذا الحديث في كتابه: (سلسلة الأحاديث الصحيحة) في المجلد الرابع، حديث رقم (١٧٥٠) حيث أثبت روايته عن عشرة من الصحابة، بثلاثة وعشرين طريقاً، واستغرق تعداده لتلك الطرق أربع عشرة صفحة من ٣٣٠ إلى ٣٤٤، ويقول المحدث الألباني: وللحديث طرق أخرى كثيرة منها الهيثمي في (المجمع) (١٠٣/٩-١٠٨) وقد ذكرت وخرجت ما تيسر لي منها، مما يقطع الواقف عليها، بعد تحقيق الكلام على أسانيدها بصحة الحديث يقيناً، وإلا فهي كثيرة جداً وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، قال الحافظ بن حجر: منها صحاح ومنها حسان.

وأشار الشيخ الصفار إلى الخلاف الذي حصل بين المسلمين في فهم هذا الحديث، فالشيعة، وهم أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام يفهمون أن هذا نص صريح في تنصيب الإمام علي بعد رسول الله، أما غيرهم من المسلمين فيفهمون أن هذا الأمر لا يعدو عن كونه بيان لمكانة الإمام علي وفضله، ووجوب محبته ومودته.

وأضاف الشيخ الصفار: الإنسان الموضوعي في قراءته لهذا الحدث، مع دمج الأحاديث الأخرى التي تبين مرجعية أهل البيت عليهم السلام كحديث الثقلين، وبدراسة ظروف الواقعة، وكذلك ما تناقل عن الأصحاب من تهنتهم للإمام علي حتى قال الخليفة عمر: بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، من خلال هذا كله يتضح بجلاء النص على ولاية الإمام علي وأحقيته بالإمامة، وأما ما يفهمه الآخرون فهم أحراراً

في فهمهم وحسابهم على الله، فليس من حق أي أحد أن يُحاسب الآخرين على أفكارهم ومعتقداتهم.

وتحدث الشيخ الصفار عن موقعية الخلافة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مؤكداً أن الإمام لا ينظر إلى مسألة الخلافة إلا من خلال المصلحة العامة للدين والأمة. وأضاف الشيخ الصفار: وحيث إن الدنيا لا قيمة لها عند الإمام علي، فإن الخلافة والمنصب، التي هي متعة من متع الدنيا، لا تمثل شيئاً عند الإمام علي، كيف لا وهو القائل: «والله لو أُعْطِيتُ الأقاليمَ السَّبْعَةَ بما تَحْتُ أَفلاكِها عَلَيَّ أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمَلَةٍ أَسْلُبُها جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَما فَعَلْتُهُ وَإِنَّ دُنْيائِكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرادَةٍ تَقْضُمُها مَما لِعَلِيٍّ وَلنَعِيمٍ يَفْنَى وَلذَّةٍ لا تَبْقَى»، وأكد أن الإمام علياً يريد بقوله هذا أن يُعطي قاعدةً للطامحين للمناصب والسلطة بأن الوصول إلى المنصب يجب أن يكون عن الطريق الشرعي الصحيح، مؤكداً أن سيرة الإمام علي ونهجه خير شاهد على ذلك، فلو أراد الإمام استخدام منطوق القوة والعنف للوصول للحكم لحقق ذلك، وهو القائل: «لو اجتمعت عليّ العرب والعجم ما وليت منهم فراراً»، ولكنه أبى إلا أن يكون النموذج الأمثل في تكريس المبادئ والقيم، وإن كان ذلك على حساب فوات فرص الوصول إلى الخلافة والحكم. وهذا ما حصل بالفعل فقد استغنى الإمام علي عن الخلافة بعد مقتل الخليفة عمر، حيث رفض شرط الالتزام بسيرة الشيخين حين عرض عليه في الشورى: إنا نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين فقال: على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي. وحتى بعد مقتل الخليفة عثمان أعلنها صريحةً بقوله: «دَعُونِي وَالتَّمَسُّوا عَيرِي».

وقد جسّد الإمام علي في خلافته أرقى الصور لما يجب أن يكون عليه الحاكم المبدئي، وللإمام العديد من الكلمات النورانية التي ينبغي أن يتمعن فيها كل أصحاب المواقع والسلطة. يقول: «والله ما معاوية بأذهي مني ولكِنَّه يَعدِرُ وَيَفْجِرُ وَلَوْ لا كَرَاهِيَةُ

الغدْرَ لَكُنْتُ مِنْ أَذْهَى النَّاسِ»، ويقول: «يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، أَتَرُونِي لَا أَعْلَمُ مَا يُصْلِحُكُمْ؟ بَلَى، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُصْلِحَكُمْ بِفَسَادِ نَفْسِي»، ويقول: «قَدْ يَرَى الْحَوْلُ الْقَلْبَ وَجَهَ الْحِيلَةَ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ فَيَدْعُهَا رَأْيِي عَيْنٌ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَيَنْتَهَزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ».

وتحدث الشيخ الصفار عن بعض الصور والمشاهد من حياة أمير المؤمنين التي تبرز هذه القناعة عنده، معقباً حديثه بقوله: نحن حينما نصرّ على ولاية الإمام علي وندفع ضريبة على ذلك ما نُقاسيه على مر التاريخ، لأننا نؤمن بأنه ليس هناك شخصية كشخصية الإمام علي بعد رسول الله، وليس هناك صفاء ونقاء في الشخصية كما هو الحال في شخصية الإمام علي، فهل يحقّ لأحد بعد هذا أن يلومنا على ولايتنا لأمر المؤمنين.

وأضاف الشيخ الصفار: إن ولاية أمير المؤمنين تعني الالتزام بسيرته ومنهجه، مستنكراً ما يقوم به البعض من ظلم واضطهاد لمن هم أضعف منهم، ومع ذلك يُعلنون أنهم ينتمون إلى مدرسة الإمام علي، في حين أن مدرسة الإمام علي بريئة من كل أساليب الظلم والاضطهاد.

وأشاد الشيخ الصفار بالمواقف الإيمانية المبدئية الواعية للقيادة المرجعية في العراق، هذه المواقف التي تُعتبر انعكاساً لسيرة الإمام علي في حياة هؤلاء القادة. وفي المقابل هناك من يشهر سلاح الإرهاب والبطش، ومع الأسف يُعلنون أنهم مسلمون، والإسلام بريء من كل هذه التصرفات.

الانتخابات البلدية والثقافة الجديدة

كلمة الجمعة بتاريخ ١٦ محرم ١٤٢٦ هـ

يعيش مجتمعنا السعودي مع بدء حملات الترشيح للانتخابات الجزئية لأعضاء المجالس البلدية، أجواء جديدة طيبة، يتأهل من خلالها للدخول إلى مرحلة المشاركة الشعبية في القرار بشكل تدريجي، وفق ما رأته القيادة السياسية للبلاد. ومع أن معظم المجتمعات المجاورة قد سبقتنا إلى هذه المرحلة لكن متابعة أخبار الآخرين لا تعطي آثار الممارسة والمعايشة للتجربة.

فبعد أن تعاطى كثير من المواطنين مع موضوع الانتخابات البلدية بنوع من قلة المبالاة والاهتمام أثناء مرحلة قيد الناخبين، وبذلت جهود كبيرة من قبل جهات أهلية وجهات رسمية لتشجيع المواطنين على التفاعل والذهاب إلى مراكز التسجيل التي شكى أكثرها من ضعف الإقبال إلا في الأيام الأخيرة. لكن ما إن بدأت حملات المرشحين حتى ساد الاهتمام بالانتخابات كل أجواء المجتمع، وأصبح الحديث الشاغل لكل المجالس واللقاءات ومواقع الإنترنت والصفحات المحلية للجرائد.

ثقافة جديدة

إن من أهم فوائد وآثار هذه الانتخابات البلدية تدشينها لعهد ثقافة جديدة لم تكن متداولة في أوساط المجتمع بهذا الشكل الواسع العام. ومن مفردات هذه الثقافة الجديدة انتشار المفاهيم والمصطلحات التي تشكل مفاتيح للوعي السياسي، كالانتخاب والترشيح والتصويت والتمثيل والمشاركة الشعبية في القرار.

إن كل مصطلح من هذه المصطلحات المتداولة من خلال العملية الانتخابية يحمل

مفهوماً ثقافياً سياسياً.

من جانب آخر، فإن طرح البرامج الانتخابية من قبل المرشحين بما تضمنته من نقد لواقع الخدمات البلدية، وتطلع إلى تطويرها وتقديم مشاريع لخدمة مصالح المواطنين والارتقاء بمستوى مناطقهم، إن طرح هذه البرامج ومناقشتها أمام الجمهور يفتح عين المواطن على واقعه، ويعزز طموحات المواطنين للإصلاح والتغيير، ويطلع حالة النقد والاعتراض التي كان بعض المواطنين يتهيبونها، وكانت بعض الجهات الرسمية تتحسس منها.

كما أن عملية الترشيح وتقديم كل مرشح لسيرته الذاتية، وطرحه لآرائه وأفكاره وسياق برنامجه الانتخابي، أتاح الفرصة لظهور وبروز كثير من الطاقات والكفاءات ذات الاهتمام بالشأن العام، في مجتمع محافظ يُستعاب فيه طرح الإنسان لشخصيته، في حين تتسلط فيه الأضواء على الشخصيات الرسمية، أو من تُبرزهم الجهات الرسمية.

أخلاقيات التنافس الإيجابي

لقد فاق عدد المرشحين كلّ التوقعات، حيث يتنافس في كل منطقة عشرات الأشخاص على بضعة مقاعد لا تزيد على السبعة، وقد تقل عنها، وفق قرارات الوزارة. ومن الطبيعي أن تتفاوت مستويات المرشحين وكفاءاتهم، وأن يكون لكل مرشح مريدوه ومؤيدوه، ومن حقّ كل مرشح أن يجتهد في تقديم نفسه، وإقناع الجمهور بشخصيته وبرنامجه، كما أن من حقّ جماعة كل مرشح أن يسعوا لاكتساب أكبر رقعة ممكنة من الساحة الانتخابية لمرشحهم، لكن ذلك ينبغي أن يكون في إطار أخلاقيات التنافس الشريف، فلا يصح الإساءة للمنافسين أو النيل منهم، ولا استخدام الأساليب الملتوية لكسب الأصوات، ولا إثارة النعرات الطائفية أو المناطقية أو الفئوية أو خلافات التنوع المرجعي الديني، وتحويل تلك التصنيفات كمقاييس لاختيار المرشحين أو حواجز لمنع التفاعل مع سائر المرشحين.

إن على المواطن أن يختار المرشحين الأكفاء الذين يثق بهم، ويطمئن إلى إخلاصهم وقدرتهم على خدمة مصالحه ومصالح الوطن، دون أخذ الانتمايات المختلفة بعين الاعتبار، فالكفاء الثقة هو الذي ينبغي انتخابه، وليس مجرد كونه من قبيلتي أو طائفتي أو من الفئة التي أنتمي إليها.

إن علينا أن نوصل الأكفاء المخلصين إلى مقاعد المجلس البلدي ليمكنوا من خدمتنا، وليصبح المجلس البلدي فاعلاً جدياً وليس مجلساً شكلياً.

ونشير هنا إلى ضرورة تجنب حالة التحسس من إعلان الرأي أو اتخاذ قرار الاختيار، فمن حق كل ناخب أن يختار حسب اطمئنانه وقناعته، ولا ينبغي أن يسبب ذلك انزعاجاً للآخرين، ولا أن يترك شرخاً وأثراً سيئاً في علاقاته المستقبلية معهم. بل يجب أن يتعامل الجميع بروح رياضية وأخلاق حضارية، لنستفيد من إيجابيات هذه المرحلة الجديدة، ونتلافى السلبيات التي قد ترافق تنوع الاختيارات، وتعدد المرشحين.

إن بعض الأتباع والمؤيدين لهذا المرشح أو ذاك قد يصدر منهم كلام غير مسؤول، فيسبب ذلك رد فعل عند الطرف الآخر، وقد تحصل مشكلة لم يقصدها الطرفان المعنيان، كما قد تندس بعض العناصر لإثارة البلبلة أو الخلاف، وهنا لا بد من اليقظة والتروي لمعالجة أي إشكال بالحكمة والتعقل إنجاحاً للتجربة وحفاظاً على روح الإخاء والتآلف بين أبناء المجتمع.

أهمية كل صوت

لأن عملية الانتخاب تتم في يوم واحد فقط، وهو في المنطقة الشرقية يوم الخميس ٢٢ محرم - ٣ مارس، فمن الضروري جداً تعبئة كل القاعدة الانتخابية، وجميع المؤهلين للتصويت، لإعطاء أصواتهم والمبادرة للذهاب إلى مراكز الاقتراع، وتعريفهم بطريقة التصويت.

لقد رأينا ضعف المبادرة للتسجيل في قيد الناخبين، لكن الفسحة الزمنية أتاحت

الفرصة للتعبيّة والتحميد، لكن الفرصة محدودة في عملية التصويت ليوم واحد فقط، فلا بد من التعبيّة المسبقة. وهذا هو دور المخيمات والمواقع والنشاط الانتخابي للمرشحين لتشجيع الناخبين على المبادرة والحضور في مراكز الاقتراع، وشرح الأنظمة لهم ليكون الناخب على بصيرة من أمره.

كما أن على العلماء والخطباء والجهات الواعية في المجتمع أن تقوم بدورها المطلوب في حث المواطنين وتشجيعهم على الذهاب إلى مراكز الاقتراع والإدلاء بأصواتهم في اليوم المحدد.

إن كل صوت له أهميته فلنحرص على كل صوت حتى لا نفقد ولا صوتاً واحداً. إن التصويت والانتخاب واجب وطني، وإن تفاعل المواطنين مع هذا الاستحقاق، يؤكد حقهم وتطلعهم إلى توسيع رقعة المشاركة الشعبية في مستوياتها المتقدمة.

وقد تابعنا جميعاً كيف تفاعل أكثرية أبناء الشعب العراقي مع الاستحقاق الانتخابي، وتقاطروا على مراكز الاقتراع رغم المخاطر والتهديدات الإرهابية، طبعاً القياس مع الفارق، ولكن المقصود الإشارة إلى الإصرار على ممارسة حق الانتخاب، وتجاوز كل العوائق لأداء واجب التصويت.

نرجو أن تنجح هذه التجربة، وأن يستفيد منها شعبنا بالمستوى المطلوب، وأن تتواصل خطوات الإصلاح والتطوير في البلاد.

ونأمل في تشكيل مجالس بلدية فاعلة تخدم مصالح المواطنين، وتحقق تطلعاتهم في خدمات أفضل إن شاء الله.

والله ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

الفائزون بانتخابات المجالس البلدية

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٣ محرم ١٤٢٦ هـ

هنا سماحة الشيخ حسن الصفار المرشحين الفائزين في انتخابات المجالس البلدية التي انتهت يوم الخميس ٢٣ محرم ١٤٢٦ هـ، داعياً جميع المرشحين الآخرين إلى تبني مشاريع اجتماعية جديدة لخدمة المجتمع.

وأكد الشيخ الصفار ضرورة الاستفادة من هذه التجربة من أجل تحقيق إنجازات واستحقاقات أخرى في المستقبل، موجهاً خطابه إلى المرشحين الفائزين محملاً إياهم مسؤولية تحقيق ما طرحوه في حملاتهم الانتخابية، كما أكد للمرشحين الذين لم يفهموا الحظ إلى ضرورة التحلي بالروح الرياضية ودراسة هذه التجربة للنجاح في تجارب أخرى قادمة، وأكد للجمهور بأن لا ينساقوا خلف المهاترات التي قد تنشأ من هنا وهناك حتى لا تحدث هذه التجربة شروخاً في المجتمع والمجتمع، في غنى عنها.

جاء ذلك في الخطاب الأسبوعي للشيخ الصفار الذي ألقاه ظهر الجمعة ٢٣ محرم ١٤٢٦ هـ (٤ مارس ٢٠٠٥ م).

بدأ الشيخ الصفار حديثه بالتأمل في عظمة الله وحكمته بأن أوجد هذا الكون وجعله في حالة من النظام الدقيق مع كل ما فيه من أجرام هائلة وموجودات كثيرة، يقول تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة يس: الآية ٤٠]، وأكد أن الله تعالى أراد للمجتمع البشري أن يستوحي من النظام الذي يحكم هذا الكون فكرة التنظيم لأموار وشؤون الحياة، فاستطاع الإنسان منذ القدم أن يضع موازين ومقاييس تحكم علاقته ومعاملاته مع بني جنسه، مشيراً أن الإنسان اهتدى لهذه الموازين من خلال العقل ومن خلال تسخير موجودات الكون له، ويؤكد الله تعالى في كتابه الحكيم أهمية هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ

المِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي المِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الوُزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا المِيزَانَ ﴿سورة الرحمن: الآيات ٧-٩﴾، واسترسل الشيخ الصفار في ذكر معاني هذه الآيات المباركة.

وأضاف الشيخ الصفار: كما أن الإنسان اهتدى إلى المقاييس المادية كذلك هداه الله إلى مقاييس معنوية، فاستطاع من خلال تلك المقاييس أن يُميّز بين الأفراد من حيث القدرة العقلية والعلمية، وحتى الصحية.

وتحدث الشيخ الصفار عن وجود مقياس حديث في المجتمعات البشرية استطاعت من خلاله رصد توجه وآراء الناس في المجالات الاجتماعية ذلك المقياس يتمثل في الانتخابات، مؤكداً أن الانتخابات باستطاعتها أن تقيس بدقة رأي الناس حول من يُمثلهم ولكن بشرط أن تكون بنزاهة وعدم التعدي على النظام.

وأشار الشيخ الصفار إلى الحدث الاجتماعي الذي شهدته المنطقة الشرقية في الفترة الأخيرة وهو انتخابات المجالس البلدية، مؤكداً أن من أهم فوائدها قياس رأي الجمهور في جانب محدد، وهو جانب الخدمات البلدية، متطلعاً إلى توفر فرص أكبر لكي يُعبر فيها الناس عن آرائهم في مجالات أخرى.

وأشار إلى وجود نقطة ضعف في القانون الذي وضع لهذه الانتخابات حيث لم يتح الفرصة لصدور تحالفات بشكل رسمي حتى تبرز العملية الانتخابية في أجلى صور الديمقراطية، ومع ذلك أكد سماحته أن الأمور سارت بشكل إيجابي وطبيعي.

ودعا الشيخ الصفار إلى ضرورة الاستفادة من هذه التجربة الحديثة في تاريخ المملكة، موجهاً خطابه إلى ثلاث جهات:

أولاً: المرشحون الفائزون

عليهم أن يضعوا نصب أعينهم المسؤولية التي وضعوا أنفسهم فيها، فهم ممثلون عن المجتمع في جانب الخدمات البلدية وعليهم أن يُحققوا تلك التطلعات التي تحدثوا عنها في حملاتهم الانتخابية. ثم إن عليهم أن يستفيدوا من موقعيتهم في تقديم خدماتٍ

أخرى للمجتمع، وللمطالبة باستحقاقات أخرى في المستقبل لتوسيع رقعة المشاركة الشعبية.

ثانياً: المرشحون الذي لم يحالفهم الحظ

أولاً لهم الشكر الجزيل على ما أظهره من استعداد للدفاع عن حقوق المجتمع في الشؤون البلدية، كما قد كان لهم دور بارز في تفعيل العملية الانتخابية. وعليهم أن يُدركوا أن ساحة العمل الاجتماعي واسعة الأفق، فعليهم أن يساهموا في العمل الاجتماعي العام بتكوين اللجان والجمعيات التي من شأنها خدمة المجتمع في مختلف ميادين الحياة.

ثالثاً: الجمهور

فهو الدعامة الأساس في العملية الانتخابية، وقد برهن المجتمع حرصه على انتهاء هذه التجربة بنجاح، والمهم بعد الانتخابات أن يتحلى الجمهور بروح رياضية، سواءً أتباع المرشحين الفائزين أو غيرهم، ينبغي أن لا تحدث هذه التجربة شروخاً في المجتمع. وأكد الشيخ الصفار في ختام كلمته على ضرورة أن تدرس كل جهة من الجهات المشاركة هذه التجربة التي قدموها ليستفيدوا منها في تجارب أخرى قادمة، وإن لم يُحالفهم الحظ هذه المرة فإنه قد تتوفر لهم فرص أخرى يحققون فيها الفوز والنجاح.

سبل الحياة الرغيدة

كلمة الجمعة بتاريخ ١ صفر ١٤٢٦ هـ

أبرز سماحة الشيخ حسن الصفار حضارية الإسلام، وأنه دينٌ يستهدف سعادة الإنسان وراحته في هذه الحياة ثم في الحياة الآخرة. وركّز حديثه حول موضوع النظافة التي أعطاها الإسلام بعداً عبادياً حيث جعلها من الإيمان، كما في قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «النظافة من الإيمان، والإيمان وصاحبه في الجنة»^(١).

وتناول الشيخ الصفار موضوع النظافة في أبعاد مختلفة: نظافة النية والمقصد، نظافة القلب، نظافة العمل، والنظافة الظاهرية المادية. مؤكداً حرص الإسلام على جميع هذه الأبعاد وإعطائها أولوية كبيرة من خلال التعاليم والنصوص الدينية الواردة عن رسول الله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

وتساءل الشيخ الصفار: أين واقع الأمة الإسلامية من التعاليم التي يدعو لها الإسلام، والتي من شأنها أن ترتقي بواقع الأمة من الحضيض التي هي فيه؟
جاء ذلك في الخطاب الأسبوعي للشيخ الصفار الذي ألقاه ظهر الجمعة ١ صفر ١٤٢٦هـ (١١ مارس ٢٠٠٥م).

أكد الشيخ الصفار في بداية خطابه أن الإسلام اهتم بأن يعيش الإنسان حياة رغيدة سعيدة، طيبة، في الدنيا وليس فقط في الآخرة، بعكس تلك الديانات التي ترى بأن هناك تنافياً بين راحة الإنسان في الدنيا وراحته في الآخرة، فإذا أراد الإنسان لروحه الراحة فعليه أن يُتعب جسده، وقد رفض الإسلام هذا المبدأ، فالإسلام جاء من أجل صلاح الدارين: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة

(١) المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار، ج ٥٩ ص ٢٩١، الطبعة الثانية ١٩٨٣م، دار التراث العربي - بيروت.

البقرة: الآية ٢٠١].

وبتأمل هذه النصوص يقول الشيخ الصفار: يتضح مدى تقصير الأمة الإسلامية في نشاطها الفكري المعرفي وفي واقعها الخارجي، بعكس الأمم الأخرى التي شقت طريقها لتحسين مجالات حياتها.

وسلّط الشيخ الصفار الضوء على موضوع النظافة مؤكداً أن في الإسلام نصوصاً كثيرة حول مسألة النظافة، والجمال وحسن المظهر، في مختلف أبعادها، مشيراً إلى جهود العلماء في تصنيف النصوص الشريفة في هذا المجال، وضرب مثلاً بالمرجع الراحل السيد الشيرازي الذي ألف كتابين في هذا المجال: (فقه البيئة) و (فقه النظافة)، مؤكداً أن تفعيل النصوص الشريفة وتداولها على المستوى الخارجي لا يزال محدوداً. وتلا رواية عن رسول الله يقول فيها: «النظافة من الإيمان، والإيمان وصاحبه في الجنة». موضعاً أن هذا الحديث الشريف يُعطي للنظافة بعداً عبادياً فهي من الإيمان. وقال في تعريف النظافة: هي النقاوة، الشيء النقي الذي لا تشوبه الأوساخ والأقذار.

وأشار الشيخ الصفار أن النظافة التي يقصدها الإسلام ليست هي نظافة المظهر فقط، بل لها مقاصد عدة:

أولاً: نظافة النية والمقصد، بأن تكون جميع أعمال الإنسان فيها قصد الخير وبعيداً عن نيات الشر.

ثانياً: نظافة القلب، بأن لا يكون في قلب الإنسان شيءٌ من أوساخ الغلّ والحقد والحسد والبغض للآخرين. فالقلب أهم مكان في وجود الإنسان.

ثالثاً: نظافة العمل، بأن لا يمارس الإنسان عملاً فيه قذارة.

رابعاً: النظافة الظاهرية المادية.

وأكد الشيخ الصفار أن الإسلام ركّز على هذا البعد تركيزاً كبيراً، ومن ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله يُحب الجمال والتجمل، ويبغض البؤس والتبؤس، فإن الله

تعالى إذا أنعم على عبد بنعمة، أحب أن يرى عليه آثارها، قيل له: وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟ فقال: يُنظف ثوبه، ويُطيب ريحه، ويُجصص داره، ويكنس أفنيتَه»^(١).

وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله يبغض الرجل القاذورة. قيل ومن الرجل القاذورة؟ قال: الذي يتأفف به جليسه»^(٢).

مؤكداً أن الإسلام ركز في موضوع النظافة حتى على أبسط الأمور، من أجل أن يُعطي للإنسان المسلم شخصيته التي تليق به أمام الآخرين.

وتطرق في حديث إلى أحد العناوين والشعارات المعاصرة التي تعني بموضوع النظافة، وهو: حماية البيئة، مؤكداً أن الإسلام دعا إلى هذا الأمر من خلال تعاليمه وتوجيهاته.

وأشار إلى التواكل الذي يحصل عند البعض حول مسألة النظافة، فيلقي البعض باللائمة على البلدية، والآخر يُلقيها على غيره، والمحصلة بيئة غير نظيفة، وهذا ما لا يؤيده الإسلام الذي يُربي أبناءه من خلال التعاليم التي تؤكد أهمية النظافة في حياة الإنسان. مؤكداً أن الأمر بحاجة إلى مبادرات، ففي الحديث: «وإماطتك الأذى عن الطريق صدقة»^(٣).

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن/ وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٥/ مؤسسة آل البيت لأحياء التراث - ط ١ - ١٤١٣ - بيروت.

(٢) المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار، ج ٧٧ ص ١٠٦، الطبعة الثانية ١٩٨٣م دار التراث العربي - بيروت.

(٣) حنبل: الإمام أحمد/ مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٧ ص ٢٢٣ حديث رقم ٢١٨٨١، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، عالم الكتب - بيروت.

المشكلات الاجتماعية والروح الإيجابية

كلمة الجمعة بتاريخ ١٤ صفر ١٤٢٦ هـ

استحضر سماحة الشيخ حسن الصفار مفاهيم قرآنية من الآيات الكريمة: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِنَّمَا يَنزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ [سورة فصلت: الآيات ٣٤-٣٦] لتأسيس روح إيجابية في مواجهة المشاكل الاجتماعية. مؤكداً أن هذه الآيات منهج لكل إنسان، وخاصةً من يعمل في الشأن العام. مضيفاً أن المشاكل الاجتماعية حالة طبيعية ولا يستطيع أحد أن يتخلص منها، وحياة المصلحين والمخلصين خير شاهد على ذلك، والمهم هو أسلوب التعامل معها. واستعرض أسلوبين في ذلك: الرد بالمثل، والتغاضي عن السيئة ومواجهتها بالحسنة. مؤكداً أن الثاني هو المنهج الذي يأمر الله به أوليائه في التعامل مع المشاكل الاجتماعية. جاء ذلك في الخطاب الأسبوعي الذي ألقاه الشيخ الصفار ظهر الجمعة ١٤ صفر ١٤٢٦ هـ (٢٥ مارس ٢٠٠٥ م).

وقال الشيخ الصفار في بداية حديثه: علاقات الإنسان في المجتمع وتعامله مع الناس وتعامل الناس معه يعتبر من أشد الامتحانات التي يواجهها الإنسان في حياته، سواءً على الصعيد الشخصي لمن كان يعيش حياةً شخصيةً متمحضة، أو كان على صعيد الدور الاجتماعي لمن كان يتبنى دوراً اجتماعياً.

وأكد أن حياة الإنسان، وإن كان يعيش حياةً شخصيةً محضة، لا تخلو من وجود مشاكل بينه وبين المحيط الذي يعيش فيه.

أما إذا كان للإنسان دور اجتماعي فإن أبواب المشاكل تفتح عليه أكثر من غيره. وقال في سبب ذلك: لأنه يلامس شأناً عاماً، فيواجه بذلك آخرين لهم آراء مختلفة،

أو توجهاتٍ وأمزجة مغايرة. وأضاف: فلو كان من يعمل في الشأن العام يبقى لحال سبيله لما استحق الثواب والأجر العظيم من قبل الله تعالى.

وأكد الشيخ الصفار أن سبب المشاكل والأخطاء قد يكون بسبب أخطاء الإنسان نفسه، فهو ليس معصوماً حتى تُبرر ساحته بالكامل. كما أن للآخرين دوراً في وجود المشاكل، وإلا كيف نفهم المشاكل في حياة الأنبياء والأئمة عليهم السلام وقد عصمهم الله تعالى؟

وأكد أن المشاكل الاجتماعية حالة طبيعية، وقد ورد في حديثٍ، مضمونه: «لو كان مؤمن على قمة جبل لبعث الله إليه من يؤذيه حتى يثبته على ذلك». وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وكافر يقاتله، ونفس تنازعه، وشيطان يضلّه»^(١).

واستحضر الشيخ الصفار من الآيات الكريمة: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِنَّمَا يَنزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة فصلت: الآيات ٣٤ - ٣٦] مفاهيم قرآنية لتأسيس روح إيجابية في مواجهة المشاكل الاجتماعية.

وقال: هذه الآيات تخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي منهج لكل إنسان، وخاصة من يعمل في الشأن العام.

وبما أن الإنسان يعيش ضمن مجتمع فقد يواجه سيئاتٍ من الآخرين، وهي حالة طبيعية ولا يستطيع أحد أن يتخلص من ذلك. وحياة المصلحين والمخلصين خير شاهدٍ على ذلك. والمهم هو أسلوب التعامل مع هذه الأخطاء والمشاكل.

وطرح تفسيرين لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾:

الأول: أن الحسنة أفضل من السيئة، فينبغي التعامل بالحسنة لأنها لا

(١) الهندي: علاء الدين/ كنز العمال، ج ١ ص ١٦١، مؤسسة الرسالة ط ٥، ١٩٨٥ - بيروت.

تُقاس بالسيئة.

الثاني: أن الحسنه ليست في مستوى واحد، وإنما هناك تفاضل في الأعمال الحسنه، فهناك الحسن والأحسن. وعلى الإنسان أن يسلك الطريق الأحسن دائماً، وهذا ما تؤكدُه الآية الكريمة: ﴿اذْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

وأضاف: إذا واجهتك سيئة من الآخرين، فأمامك منهجان:

الأول: الرد بالمثل، وهذا حق مشروع: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [سورة الشورى: الآية ٤١]، ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٩٤].

الثاني: التغاضي عن السيئة، ومواجهتها بالحسنة.

وقال الشيخ الصفار في الفرق بين المنهجين: إن الله تعالى يأمر أنبياءه وأوليائه والصالحين بأن يختاروا المنهج الثاني ولا يندفعوا باتجاه الانتقام، والسبب في ذلك: أولاً: يفترض في العامل أنه ينطلق من القيم والمبادئ والأخلاق، وعليه أن يتمسك بها.

ثانياً: إذا استخدم العامل أسلوب الرد بالمثل، فإن ردود الفعل ستكون سلبية.

وأضاف: إن استخدام الأسلوب الثاني يجعل المحايد في صف العاملين في الشأن العام، وأكثر من ذلك قد يتحول من هم في الضد إلى التأييد، ولذلك يقول تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، وأشار أن لفظة ﴿كَأَنَّهُ﴾ تؤكد أن المسألة ليست دائمة، وإنما في الغالب يضطر الطرف الآخر أن يتظاهر بالمودة والألفة، وإن لم يكن من أعماق قلبه، إلا أن الواقع الخارجي يفرض عليه ذلك.

وأكد الشيخ الصفار أن هذه المهمة ليست سهلة، ولذلك: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾. والحظ العظيم من كل شيء: الوعي،

الأخلاق، الفضائل.

وحول قوله تعالى: ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾، قال الشيخ الصفار: النزغ أي الخز، بمعنى: ملامسة الجسد مفاجئة بشكل حاد، وهذا ينطبق على وساوس الشيطان، أو حتى بعض تصرفات الآخرين. والتصرف السليم في مقابل هذه الحالة: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وختم الشيخ الصفار كلمته مؤكداً أن هذه الآيات الكريمة تؤسس للمنهج الذي يأمر الله به أوليائه في التعامل مع المشاكل الاجتماعية، وهكذا كانت سيرة الأنبياء والأئمة، وقد ضرب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب نموذجاً رائداً في هذا الجانب، حيث واجه الكثير والعديد من المشاكل المتعمدة من قبل الأعداء المخالفين. وهكذا كان بقية الأئمة عليهم السلام وكذلك تلامذتهم المخلصون.

تفعيل دور المرأة في الشأن العام

كلمة الجمعة بتاريخ ٢١ صفر ١٤٢٦ هـ

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار إلى تفعيل دور المرأة في الشأن العام، مؤكداً ضرورة أن ينعكس إحياء ذكرى أربعين الإمام الحسين الذي يكون فيه التركيز على دور السيدة زينب عليها السلام على هذا الجانب المهم، ولكن مع الأسف لم تُعط المرأة في المجتمعات الإسلامية الدور والمكانة الملائمة لها بحكم الشرع والعقل. وعرج الشيخ الصفار بفكره على المعاناة التي قاستها العقيلة زينب في مسيرة الأربعين يوماً مؤكداً أن السيدة زينب عليها السلام مع كل هذه المعاناة التي تهدد الجبال الرواسي صمدت صموداً ليس له مثيل، وقامت بدورها الرسالي والبطولي في إيصال صوت الحق بما يعجز البيان عن تفصيله. واختتم الشيخ الصفار خطابه بأهمية حاجة المجتمع إلى النساء المقتديات بالسيدة زينب عليها السلام في جهادها ومسيرتها البطولية. جاء ذلك في خطاب الشيخ الصفار الذي ألقاه ظهر الجمعة ٢١ صفر ١٤٢٦ هـ (١ أبريل ٢٠٠٥ م) بمناسبة ذكرى أربعين الإمام الحسين.

أشار الشيخ الصفار في بداية خطابه أن في أربعين الإمام الحسين عادةً ما يكون الذكر فيه لدور السيدة زينب، مؤكداً أنه دورٌ يجب أن يُحفظ ويُسجّل التاريخ للأجيال بأحرف من نور.

وأكد أن تخليد هذا الدور أعمق من كونه تعظيماً لشخصيتها أو إجلالاً لمقامها، وإنما ينبغي أن ينعكس هذا الأمر على مبدأ إسلامي هام يرتبط بدور المرأة ومكانتها في الشأن الإسلامي العام.

وأشار إلى الفترات التاريخية التي مرت على الأمة والتي أثارت الكثير من الغبار على مفاهيم إسلامية كانت واضحة الصراحة في العصر الإسلامي الأول. مؤكداً أن للمرأة في

عهد رسول الله دوراً كبيراً في جميع جوانب الحياة الاجتماعية، ولكن تلك العصور التي تلت هذه المرحلة أعادت الأمة إلى رواسب الجاهلية.

وأضاف: وفي العصر الحديث حيث قطعت المرأة شوطاً كبيراً لإثبات وجودها في سائر المجالات العلمية والسياسية والاجتماعية، مع التحفظ على بعض الممارسات التي استُخدمت فيها المرأة كمثير للشهوة.

من جانب آخر، قال الشيخ الصفار: إلى جانب الواقع المتقدم للمرأة في العالم اليوم نجد الواقع المتخلف الذي تعيشه المرأة في معظم البلاد الإسلامية، حيث لم تعطَ للمرأة الدور والمكانة الملائمة لها بحكم الشرع والعقل؛ مؤكداً أن هذا الواقع يُكرّس النظرة الدونية التي يحملها الآخرون تجاه الإسلام.

وحول ما تناقلته الأخبار عن المرأة التي أمت صلاة الجماعة المختلطة في أمريكا تحدث الشيخ الصفار عن أبعاد صلاة الجماعة المتعلقة بالمرأة مبيناً أن الأصل فيها الاستحباب، وكانت النساء في عهد الرسول الأعظم تحضرن الصلاة إلى جانب الرجال، وشرعاً ليس هناك مانع من إمامة المرأة للنساء. ودعا إلى ضرورة وجود صلاة جماعة خاصة بالنساء، أو أن تُشارك المرأة في صلاة الجماعة مع الرجال، ففي ذلك تأكيدٌ لحضور المرأة الاجتماعي إضافةً لنيلها الثواب الكبير لصلاة الجماعة.

وأضاف الشيخ الصفار: حين تُمنع المرأة من المباح والجائز شرعاً فإن ذلك يؤدي إلى حصول ردة فعل معاكسة والنتائج ليست في صالح المجتمع.

وبعد هذا الطرح الاجتماعي تحول الشيخ الصفار بفكره إلى الدور الكبير الذي قدّمته عقيلة بني هاشم السيدة زينب عليها السلام مؤكداً أن لثورة الحسين بطلين: الحسين وزينب، مضيفاً أن دور الحسين اكتمل في يوم العاشر من المحرم، ولكن السيدة زينب عليها السلام واصلت تلك المسيرة الرسالية إلى نهاية حياتها المباركة.

وتحدث الشيخ الصفار عن ملامح من المعناة التي قاستها السيدة زينب عليها السلام بعد

يوم العاشر من المحرم ولمدة (٤٠) يوماً، مؤكداً أنه لو لم يكن من مواقف وآلام السيدة زينب عليها السلام إلا ذلك الموقف الذي وقفت فيه على جسد أخيها الحسين وللهولة الأولى لاستشهاده وهي تخاطب الله عز وجل بقولها: اللهم تقبل منا هذا القربان. لو لم يكن من السيدة زينب عليها السلام إلا هذا الموقف لكفى به شاهداً على عظمتها وإرادتها وقوة شخصيتها. ولكن المسألة لم تقف عند هذا الحد، بل إن السيدة زينب عليها السلام لاقت من المعاناة ألواناً كثيرة، نفسية وجسدية، حيث كانت شماتة أهل الشام تعكس المعاناة النفسية الأليمة، والجوع والعطش والسير الكثير والركوب على النياق كل ذلك يعكس جانباً من المعاناة الجسدية للسيدة زينب عليها السلام.

وأكد الشيخ الصفار أن السيدة زينب عليها السلام مع كل هذه المعاناة التي تهدد الجبال الرواسي صمدت صموداً ليس له مثل، وقامت بدورها الرسالي والبطولي في إيصال صوت الحق بما يعجز البيان عن تفصيله، ويكفي وقوفها في مجلس عبيد الله بن زياد، فيسألها: كيف وجدت صنع الله بأخيك؟ فتجيبه، وهي الناطقة عن فصاحة أبيها أمير المؤمنين: والله ما رأيت إلا جميلاً، فتحبط بذلك كل مخططات عبيد الله بن زياد لتحطيم نفسية العقيلة الطاهرة زينب عليها السلام.

وفي مجلس يزيد تقف العقيلة زينب عليها السلام موقفاً ماثلاً وتخاطب يزيد بين معاوية متحديةً: فكذ كيدك، واسع سعيك، وناصر جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحيناً.

وقد أثبت الزمان ذلك، ففي يوم الأربعاء هذا احشدت الجموع المليونية عند قبر أبي عبد الله الحسين تجدد العهد بالثبات على خطه ومنهجه، وما ذلك إلا تحقيقاً لقسم العقيلة زينب عليها السلام.

وهاهي العقيلة عليها السلام تعود إلى كربلاء بعد أن أمضت (٤٠) يوماً في معاناة الأسر، لتجدد العهد مع أخيها الحسين وتسأله: هل قد وفيت؟

واختتم الشيخ الصفار خطابه بالتأكيد على حاجة المجتمع إلى النساء المقتديات
بالسيدة زينب عليها السلام في جهادها ومسيرتها البطولية.

دور المسجد في حياة المجتمع الإسلامي

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٧ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ

تحدث سماحة الشيخ حسن الصفار في خطابه الأسبوعي عن دور المسجد في حياة المجتمع الإسلامي، مؤكداً أهمية المسجد وإعمارهِ، وقال في حديثه: إن لإعمار المسجد جانبين: الإعمار المادي، والإعمار المعنوي، مضيفاً أن الإعمار المادي يتمثل في: بناء المساجد، وتهيئة وسائل الراحة فيه، وتنظيفه، وصيانته، وفيه ثواب كبير. وأما الإعمار المعنوي فيتمثل في الأدوار الثلاثة الرئيسة للمسجد، وهي: المهمة الروحية، المهمة الثقافية والتعليمية، والمهمة الاجتماعية. مدعماً حديثه بالنصوص القرآنية وأحاديث الرسول الأعظم ﷺ، ومؤكداً ضرورة التعاون الإيجابي من أجل تحقيق الإعمار المعنوي للمسجد من خلال أدوار الرئيسة.

كان ذلك في الكلمة التي ألقاها سماحة الشيخ الصفار ظهر الجمعة ٢٧ ربيع الأول ١٤٢٦هـ (٦ مايو ٢٠٠٥م).

وهذه فقرات من هذا الخطاب:

قال الله العظيم: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾
[سورة التوبة: الآية ١٨].

الحديث حول: دور المسجد في حياة المجتمع الإسلامي، بمناسبة إعادة تجديد بناء مسجد الفتح بالقطيف.

المسجد جزءٌ أساس من تركيبة المجتمع الإسلامي، فمن الأيام الأولى التي جاء فيها رسول الله ﷺ للمدينة المنورة، وعمل على بناء المجتمع الإسلامي، كان المسجد أول عمل اتجه الرسول والمسلمون لإنجازه. بل حتى قبل أن يدخل المدينة حين إقامته في قبا

لأيام قلائل، ومع ذلك أُسِّس فيها المسجد المعروف (مسجد قبا). وتُشير السيرة الشريفة أن رسول الله ﷺ كان يشارك المسلمين بنفسه في بناء المسجد.

من هنا كان للمسجد أهميته في حياة المجتمع الإسلامي، فحيثما كان هناك مسلمون وإن كان عددهم قليلاً، لا بد أن يحرصوا على بناء مسجد. لماذا؟

كل إنسان له بيته الذي يُمارس فيه حياته الخاصة والشخصية، ولكن من أجل أن تتوثق الصّلات بين الناس، ومن أجل أن يُديروا ويُمارسوا شؤونهم العامة، يحتاجون إلى مكان مشترك، غير الأمكنة الخاصة لكل واحد منهم، فأراد الله تعالى أن يكون هذا المكان المشترك منسوباً إليه سبحانه وتعالى، فكان هو المسجد: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن: الآية ١٨].

والمسجد مكان عام موقوفاً وقفاً عاماً للمسلمين. وكما نعلم أن الوقف نوعان: وقف عام، ووقف خاص، لفئة من الناس. في الأشياء العامة يجوز التخصيص في الوقف، ما عدا المساجد إذ لا يصح وقفها بوقف خاص. وقد اختلف الفقهاء في مسألة تحقق الوقف أم لا، قسمٌ منهم قالوا بإلغاء الوقفية، وقسم آخر بصحة الوقف وبطلان التخصيص.

وردت أحاديث كثيرة تؤكد فضل وأهمية بناء المساجد وإعمارها، كالنصّ المشهور في كتب الحديث السننية والشيعية، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من بنى مسجداً لله ولو كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتاً في الجنة»^(١). وهناك أحاديث كثيرة بهذا المضمون في كتب الحديث عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

الآية الكريمة التي بدأنا بها الحديث تؤكد أن إعمار المساجد شرف كبير، لا يناله ولا يستحقه كل إنسان، إنما من كان يحمل صفات خاصة فإنه يستحق هذا الشرف والتوفيق،

(١) الألباني: محمد ناصر الدين/ صحيح سنن ابن ماجه، ص ٢٢٩، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، مكتبة المعارف- الرياض.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

لإعمار المساجد جانبان :

الجانب الأول: الإعمار المادي: ويتمثل في بناء المساجد، وتهيئة وسائل الراحة فيه، وتنظيفه، وصيانته، وفي هذا الجانب ثواب كبير.

والمسجد مسؤولية الجميع، مع وجود جهة خاصة قائمة عليه، إلا أنه ينبغي أن يشعر كل مسلم بمسؤوليته تجاه المسجد. وفي ذلك حكم شرعي، فلو دخل أحد مسجداً ورأى فيه نجاسة، فيجب عليه أن يُبادر إلى إزالتها قبل أن يُصلي، إلا مع تضايق وقت الصلاة.

ووردت في هذا الجانب أحاديث حول نظافة المسجد، وكان المؤمنون الأخيار في مختلف المناطق يحرصون على أن يكون لهم دورٌ في نظافة المسجد. ويتضح هذا جلياً في الأماكن المقدسة: الكعبة المشرفة، ومرقد الأئمة عليهم السلام فتتنظيف هذه الأماكن المقدسة ميزة لا تُعطى إلا لكبار الشخصيات، وكذلك هناك روايات حول إضاءة المسجد، كل ذلك لبيان أهمية الإعمار المادي للمساجد.

الجانب الثاني: الإعمار المعنوي: للمسجد ثلاثة أدوار رئيسة، وينبغي التعاون من أجل إعمار المسجد ضمن هذه الأدوار المتعددة:

الدور الأول: المهمة الروحية، بأن يكون المسجد منبعاً للإلهام الروحي، ولتوثيق العلاقة مع الله سبحانه وتعالى، بإقامة الصلاة، وتلاوة القرآن، وبقراءة الأدعية، والأعمال الأخرى المختلفة.

علينا أن نَعْمُرَ المسجد، بحيث إن الداخلين إلى المسجد، يخرجون وروحهم أكثر ارتباطاً وصلوة بالله سبحانه وتعالى. ورد في الحديث: «من مشا إلى مسجد يطلب الجماعة،

كان له بكل خطوة سبعون ألف حسنة»^(١)، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر: «يا أبا ذر إن الله تعالى يعطيك ما دمت جالساً في المسجد بكل نفس تنفست درجة في الجنة وتصلي عليك الملائكة»^(٢).

والتعاون في هذا الجانب يكون بالحضور والمشاركة والتفاعل والتشجيع على مختلف الأعمال والنشاطات التي ترتبط بهذا الجانب.

الدور الثاني: المهمة الثقافية والتعليمية، ففي المسجد يسمع الناس تفسير القرآن، وفيه يتعلم الناس الأحكام الشرعية، ويطلعون على مفاهيم دينهم. ويتحقق ذلك بالسماع أو عبر مختلف الوسائل: توزيع الكتب، والأشرطة، والأقراص المدججة، وبمختلف الوسائل التي ترفع ثقافة الناس من خلال المسجد. وكم هو جميل أن يُبادر البعض إلى طباعة أحد الكتب القيمة وتوزيعها على مرتادي المسجد تعزيراً للدور الثقافي للمسجد.

الدور الثالث: المهمة الاجتماعية، فالمسجد مكان يتعارف فيه أحباب الله إلى بعضهم بعضاً، وخاصةً إذا كانوا من أماكن متعددة، فمن فوائد المسجد التي يؤكدُها الحديث الشريف: «ما زار إنساناً مسجداً إلا واستفاد إحدى خصال: أخاً مستفاداً في الله...» وكم من العلاقات والصدقات تكونت من خلال المسجد، وهي من أفضل الصداقات والعلاقات.

وفي ختام حديثه شكر سماحة الشيخ الصفار الأخوة المؤمنين الذين بادروا إلى تجديد بناء مسجد الفتح واستحداث طابق ثانٍ ليستوعب المصلين، مذكراً بتاريخ هذا المسجد المبارك حيث كانت صلاة الجماعة والدروس والمحاضرات فيه منذ عام ١٣٩٥ هـ

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن / وسائل الشيعة، ج ٨ ص ٢٨٧، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث ط ١٤١٣ - بيروت.

(٢) المجلسي: محمد باقر / بحار الأنوار، ج ٧٤ ص ٨٥، الطبعة الثانية ١٩٨٣ م، دار التراث العربي - بيروت.

هي البيئة التي تربي من خلالها طلائع الصحوة الدينية في مجتمع القطيف.
وفق الله المؤمنين لإعمار بيوت الله بالبناء والهدى، إنه ولي التوفيق.

مقومات التفكير

كلمة الجمعة بتاريخ ٥ ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار لممارسة التفكير واستخدام العقل، مؤكداً أن خاصية التفكير هي أهم تجلٍ لنعمة العقل، وأن هناك تفاوتاً بين أبناء البشر في استخدام عقولهم وتفكيرهم، وذلك لسببين: الأول ذاتي، والآخر بيئي. وأضاف سماحته: إن الإسلام يُربي الإنسان على التفكير في كل شيء، مستعرضاً جملة من آيات القرآن الحكيم والروايات والنصوص التي تؤيد ذلك.

وعن العوامل التي تُنمي حالة التفكير عند الإنسان، قال سماحته: هناك عدة عوامل أهمها: الالتفات إلى إمكان الفكر، الثقة بالنفس، النشاط، البيئة.

كان ذلك في الخطاب الأسبوعي لسماحته، الذي ألقاه ظهر الجمعة ٥ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ (١٣ أبريل ٢٠٠٥م)، في مسجد الفتح بالقطيف.

وهذه فقراتٌ من ذلك الخطاب:

منح الله تعالى الإنسان قدرة التفكير وهي أهم تجلٍ لنعمة العقل، وقد تُستخدم الكلمتان على نحو الترادف، فيقال العقل ويُقصد به الفكر، ويُقال التعقل ويُقصد به التفكير، وبالعكس.

والفكر هو أن يتأمل الإنسان، ضمن عملية داخلية، الأمور والأشياء لكي يتخذ موقفاً تجاهها. والتفكير مطلوبٌ من الإنسان، كما أن كل عضو من أعضاء جسم الإنسان له نشاط، وله وظيفة يؤديها، فإن الوظيفة الأساس لعقل الإنسان هي التفكير، لإدراك الأمور.

والتفكير يكون في أبعادٍ مختلفة: فقد يكون التفكير في القضايا النظرية الفكرية، لانتخاذ رأيٍ معين، وتبني فكرةٍ معينة. وقد يكون التفكير في القضايا العملية، تجاه حدثٍ

معين، أو تجاه شخص معين.

بعض الناس لا يستخدمون تفكيرهم، وهم قلة من البشر، وهؤلاء ينطبق عليهم قول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [سورة الفرقان: الآية ٤٤]. وهناك قسم من الناس يُفكِّرون في كل شيء، وهم قلة أيضاً. الأكثرية من الناس يستخدمون عقولهم وتفكيرهم في بعض الأشياء دون بعض، وفي بعض القضايا دون بعض.

وللتفاوت بين أبناء البشر في استخدام عقولهم وتفكيرهم سببان: الأول: ذاتي، يرجع للإنسان ذاته، فكلما كان الإنسان أكثر تقدماً وتطوراً، كان أكثر استخداماً لعقله وفكره.

الثاني: البيئة التي يعيش فيها الإنسان، فبعض البيئات تدفع الإنسان للتفكير، وبعضها تقمع حالة التفكير عند الإنسان.

ففي المجتمعات المفتوحة يرى الإنسان نفسه مندفعاً نحو التفكير، لأنه دائماً يُطرح أمامه أكثر من خيار، وأكثر من رأي، فيجد نفسه مندفعاً لتبني هذا الرأي أو ذاك، وهذه الفكرة أو تلك.

ولكن في مجتمعاتٍ أخرى ليس هناك أمام الإنسان سوى رأي واحد، وبذلك يُلغى دور العقل.

فمثلاً في بعض الدول العربية هناك انتخاب لرئيس الجمهورية، وفي الدول المتقدمة كذلك، ولكن الفارق أن في تلك المجتمعات أمام الإنسان أكثر من مرشح فيستخدم الإنسان عقله وتفكيره لاختيار من يُرشحه، أما في بعض المجتمعات العربية ليس أمام الإنسان سوى مرشح واحد فقط، وبذلك أفرغ مضمون الترشيح من محتواه فبقي الاسم فقط.

وكذلك الحال في الآراء والأفكار، في بعض المجتمعات يجد الإنسان محفزاً للتفكير،

لوجود آراء مختلفة ومتعددة، وفي بعض المجتمعات تكون هذه الحالة عقيمة.

الإسلام يُربي الإنسان على التفكير في كل شيء. فعلى الإنسان أن يسعى لكي يكون له رأي في كل شيء، بحيث لا يسير إلا على هدى، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [سورة الاسراء: الآية ٣٦]. ولذا نجد أن آيات القرآن الكريم تحض على التفكير: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الانعام: الآية ٥٠]، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النساء: الآية ٨٢]، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٩١]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢١٩]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الانعام: الآية ١٥٢].

والأحاديث والروايات في هذا الجانب كثيرة، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «تفكر ساعة خير من عبادة سنة»^(١).

ومن الناحية العملية نجد أن الإسلام يُوجب على الإنسان البالغ أن يؤمن بأصول الدين عن اقتناع لا عن تقليد. وبالتالي ينبغي على الإنسان أن يعمل فكره وعقله حتى يصل إلى قناعة عن طريق الدليل والبرهان في جميع الأصول العقدية. أما في المسائل الفقهية فباعتبار أنها كثيرة وأدلتها تحتاج إلى نوع من التفرغ والبحث، لم يوجب الله تعالى على كل الإنسان أن يكون له رأي في كل مسألة من المسائل الفقهية. ولكن إذا استطاع الإنسان أن يكون له رأياً في جميع المسائل الفقهية عبر الاجتهاد والاستنباط فهو أفضل. وناقش العلماء: أيهما أفضل العمل بالاحتياط أم بالاجتهاد؟ والرأي الذي توصل إليه المحققون هو أن العمل بالاجتهاد أولى من العمل بالاحتياط.

هناك مجموعة من العوامل تُساعد الإنسان على أن يستخدم التفكير، أو يتعوّد التفكير. ذلك لأن التفكير مهارة أكثر من كونه علماً يُدرس، وكما قال أحد الباحثين: ربما تجد عالماً ولكنه لا يُفكر. والمهارة تنمو بالممارسة، فكلما مارس الإنسان عملية التفكير أكثر

(١) المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار، ج ٦٨ ص ٣٢٧، الطبعة الثانية ١٩٨٣ م دار التراث العربي - بيروت.

قوي فكره وتمرّست عنده حالة التفكير. أما إذا لم يتعوّد التفكير، عندها تُصبح عنده حالة كسل وخمول ذهني.

ما هي العوامل التي تُنمي حالة التفكير عند الإنسان؟

أولاً: الالتفات إلى إمكانية الفكر

ينبغي للإنسان أن يلتفت دائماً إلى إمكان استخدام عقله في أي شأن من الشؤون. البعض من الناس يغفلون عن إمكانية عقولهم فيسترسلون في الحياة دون أن يكون لفكرهم وعقلهم دورٌ حاضر في حياتهم، وهذا خطأ كبير. ومن الملاحظ أن كثيراً من الناس يعجزون حتى عن أسهل الأمور، كاستخراج أجوبة المسائل الفقهية التي تعصف بهم من الرسالة العملية، فتجدهم يتصلون بأحد المشايخ لكي يأخذوا جواب مسائلهم الفقهية، وبذلك يُضيعون على أنفسهم فرصة التعرف إلى لغة الرسالة العملية، ومواقع المسائل الفقهية فيها، وقد لا يكون من تتصل به من المشايخ حاضراً وبذلك تبقى في جهل بالمسائل. إضافةً إلى ذلك تتوفر المسائل الآن في أقراص مدججة وبإمكان من لديه توجه في هذا الجانب استخدام هذه الوسيلة المتطورة، المهم أن لا يبقى الإنسان في جهل أو عجز عن بلوغ ما يريد.

ثانياً: الثقة بالنفس

هناك قسم كبير من الناس لا يرى نفسه أهلاً للتفكير في بعض المجالات، وهذا خلاف الحق، إذ إن أكبر قضية يُمكن أن يُفكر فيها الإنسان وهي وجود الله - سبحانه وتعالى - لم يجعلها الله تعالى لفئة دون أخرى، بل أوجب على جميع خلقه أن يُفكّر فيها ويتخذ قراراً ذاتياً فيها.

نعم، هناك قضايا تخصصية، وهنا ينبغي الرجوع فيها للمتخصصين، وحتى في المسائل التخصصية فإن طريق الوصول إليها بحاجة إلى تفكير، وكمثال، إذا كنت

مريضاً فإنك لا تمتلك القدرة على التفكير في العلاج، ولكن ينبغي لك التفكير في طريق العلاج.

إذن ينبغي أن تكون للإنسان ثقة بنفسه، فالله تعالى منحه عقلاً، وعليه أن يفكر ويعمل عقله في مختلف الأمور التي يواجهها.

ونحن نجد الآن في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي أكبر دولة في العالم، ولكن مختلف فئات الشعب الأمريكي، وفيهم أناس عاديون، يُشاركون في انتخاب رئيس هذه الدولة العظمى، ولا يحجم أحد عن ذلك بحجة أنه ليس أهلاً لذلك.

وكذلك الحال في صياغة الدستور الذي تُقرّه أي حكومة لإدارة الدولة، فمن الملاحظ أنه في الدول المتقدمة يُقرّ هذا الدستور بموافقة الشعب عليه، ولا يقولن أحدٌ أنا لا أستطيع أن أعطي رأياً في دستور الدولة، بل الكلُّ يُشارك ويُدلي برأيه، موافقةً أو اعتراضاً.

وفي سيرة الرسول الأعظم والأئمة عليهم السلام نجد أن أناساً عاديين يسألون رسول الله أو الإمام أسئلة استفهامية على أحكام شرعية أنزلها الله تعالى، ومع ذلك يُجيبهم الرسول أو الإمام بكل رحابة صدر، وفي ذلك دليلٌ على أنه من حق الإنسان أن يُناقش، ويعترض لمعرفة الحقيقة.

ثالثاً: النشاط

التفكير عملية ليست سهلة، وهي بحاجة إلى نشاط ذهني كبير، فإذا كان الإنسان مصاباً بكسل في هذا الجانب فإن عملية التفكير عنده تكون صعبة. ولذا نجد أن القيادات التي تُدرك حجم المسؤولية التي تتحملها، تأخذ مسألة التفكير من جهدهم الشيء الكثير، ذلك لأن التفكير ليس شيئاً سهلاً. ومثاله الفقيه الذي يستنبط حكماً شرعياً، كيف تأخذ هذه المسألة من جهده ووقته، يُقلّب الآراء، ويجمع المعلومات، فالتفكير يحتاج إلى بذل

جهد، حيث تحتاج العملية إلى جمع معلومات حول الموضوع المراد التفكير فيه، إذ كلما كانت المعلومات أكثر كان التفكير أصوب، وبذلك يكون النشاط والتحرك الجادّ مهماً جدّاً في مسألة التفكير.

رابعاً: البيئة

أحياناً تكون البيئة مشجعة على تفعيل عملية التفكير للمنتمين إليها، وأحياناً يكون العكس.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين.

الأمة وأخطار الفتنة الطائفية

كلمة الجمعة بتاريخ ١٢ ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ

حَدَّر سماحة الشيخ حسن الصفار في خطابه الأسبوعي من مخاطر الفتنة الطائفية التي بدأت آثارها جليّة واضحة في العراق، مؤكداً أن هذه الفتنة لن تبقى في حدود الجماعات المشتركة فيها، ولا في حدود العراق، وإنما تُهدد المنطقة كلها. وقال في كلمته التي ألقاها ظهر الجمعة ١٢ ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ (٢٠ مايو ٢٠٠٥ م): إن للفتنة الطائفية أرضية وعوامل تنمو من خلالها، وأشار إلى بعض تلك العوامل: ثقافة الكراهية التي تبثها الأطراف الدينية داخل الأمة فيما بينها، وجود تمييز طائفي مذهبي، وجود قوى مصلحية في الداخل والخارج من صالحها نشر وإشاعة هذه الفتنة. وأكد سماحته أن على الأمة أن تعي خطر هذه الفتنة، وأن تقوم بدورها تجاهها.

وهذا نص الخطاب:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله الطاهرين، قال الله العظيم في كتابه الحكيم: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٢٥].

الفتنة والافتتان في القرآن جاء على معانٍ مختلفة:

منها ما يُقصد به الاختبار والامتحان كقوله تعالى: ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة العنكبوت: الآيتان ٢-٣].

وفي موارد أخرى يستخدم القرآن الكريم مصطلح الفتنة ويقصد به البلاء الاجتماعي والمشاكل والمصائب التي تحلّ بالمجتمع. وغالباً ما يكون المقصود هو اختلال نظام المجتمع، يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا

أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾، المقصود من الفتنة في هذه الآية المباركة هو الخلل في العلاقات الاجتماعية، ووجود خلل في النظام العام في المجتمع يؤدي إلى صراع ومشاكل بينية داخل المجتمع.

الخلافات الاجتماعية

الخلاف الداخلي هو بالفعل بلاء ومشكلة، فحينما يكون هناك صراع داخلي يصل إلى مرحلة الاحتراب والافتتال، تتضرر كل الأطراف، وبالتالي يتضرر الوطن كله والشعب كله، والتجارب في الماضي والحاضر واضحة ومعروفة. فالصومال - مثلاً - يعيش لأكثر من عقدين من الزمن بدون نظام ولا دولة، وكذلك ما حصل لسنوات في أفغانستان، وفي لبنان، وفي مناطق أخرى.

والمشكلة أن الفساد أو الصراع الاجتماعي يبدأ بين أفراد، أو مجاميع، ولكن باعتبار وجود تداخل في العلاقات الاجتماعية، وهناك عناوين عامة تجمع فئات المجتمع المختلفة، وبالتالي لن يقتصر الصراع على الأفراد والمجاميع المتصارعة، بل سيصبح شاملاً للجميع، ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾.

ومشكلة أخرى في الخلافات الاجتماعية أن كل طرف يُلقي باللائمة على الطرف الآخر ويُبرّر أعماله بأنها ردّ فعل، ولكن توجيهات القرآن الكريم تقول: في الخلافات الاجتماعية ابتعدوا عن ردّات الفعل، لأنه إذا كانت هناك جهات مغرضة وأساءت، فإن الاستجابة لهذه الإساءة هو تحقيق للهدف الذي تسعى من أجله تلك الجهة المسيئة. ولذلك ينبغي أن يكون هناك حذر: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾.

وفي ذيل الآية المباركة يقول تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، واستخدام هذه العبارة ليس أمراً اعتبارياً عفويّاً، فالفتنة حينما تحصل في مجتمع ما، يكون ضحيتها الكثير من الأبرياء، تنتهك الأعراض، وتُصادر الحقوق. فمن المسؤول عن ذلك؟ الجهات

التي ساهمت وشاركت في الفتنة هي المسؤولة، ولو بالسكوت عنها، أو مهادنتها.

الفتنة الطائفية

نحن نرى، في هذه المرحلة، أن هناك محاولات لبث فتنة في أوساط الأمة، وهي ليست محاولة جديدة، بل مكرورة، ولكنها الآن بنشاط وبتطلعات أكبر عند أصحابها. الفتنة الطائفية التي تطل على الأمة الآن من خلال ما يجري في العراق.

كان العراق محكوماً بنظام استبدادي قمعي، وجاءت القوات الأمريكية والقوات الحليفة وأسقطته، وكان يُفترض أن تتم انتخابات، وأن الشعب يختار نظامه وحكومته بنفسه، طبقاً لما يُطرح من شعارات الديمقراطية، ولأن الشعب العراقي والقيادة الدينية هناك أصرزت على هذا المسار. المؤسف أن بعض الجهات بدأت تنشر أفكاراً وتوجهات طائفية، بل بدأت تمارس نشاطاً إرهابياً طائفيًا.

وفجأة تظهر جماعة تتمثل في شخص يُدعى: أبو مصعب الزرقاوي، ومن هو؟ ومن جاء به؟

هذا الرجل كان موجوداً في حماية صدام، قبل سقوط صدام، وقد نشرت وسائل الإعلام مقابلة مع العاهل الأردني قال فيها: «إنه طالب نظام صدام بأن يُسلمه أبا مصعب الزرقاوي، ولكن صدام رفض ذلك».

فهو رجل كان يعيش في ظل نظام صدام، وبعد سقوط النظام البائد، نجد أن هذا الرجل أصبح يقود كتائب التوحيد! والدفاع عن السنة والشريعة! ومواجهة الصليبيين والمرتدين والعملاء!

فواضح من خلال هذه الدعوات من هذا الرجل.

ومن هو أبو مصعب الزرقاوي؟ هل هو فقيه من فقهاء الأمة؟ هل أهل السنة يقبلونه باعتباره فقيهاً من فقهاءهم، مرجعاً من مراجعهم، مفتياً لهم؟ بالطبع، لا، فكل

أهل السنة يعرفون أن هذا الرجل لا يُمثل موقعيةً علميةً ولا دينيةً ولا سياسية. إذن من أين برز؟ ومن أين جاء؟ وكيف أصبحت هذه الإمكانيات تحت تصرفه؟ ففي بعض التقارير أنه في كل يوم تحصل أكثر من (٦٠ - ٧٠) عملية عسكرية في العراق، مع وجود القوات الأمريكية والقوات الحليفة، ومع أن الشعب العراقي في أغليته ضد هذا التوجه، بل هو مستهدف منه، فكيف يحصل مثل هذا الأمر؟

ولما بدأ هذا الرجل بمخططاته أعلن بكل صراحة أنه يستهدف الشيعة، ولكن مع الأسف لم يكن هناك موقفٌ جادٌ منذ البداية تجاه هذا الطرح المشبوه، لا من قبل الحكومات، ولا من قبل المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي، ولا من قبل العلماء والزعامات، بل سُكت عن هذا الأمر، وتُركت هذه الدعوة تفعل فعلها، وتعمل عملها، وتطورت الأحداث، حتى وصلت لما هي عليه الآن.

وبحمد الله، فإن القيادة الدينية في العراق والمتمثلة في المرجعية كانت واعية مخلصه، إذ منعت الاستجابة لمثل هذه الدعوة، وطلبت من الناس أن لا يردوا ولا يثاروا ولا ينتقموا ولا يستجيبوا لهذه الدعوات، وهذا أمرٌ واضحٌ معلن.

ولكن نرى أن الفتنة تستفحل يوماً بعد آخر، وأن أطرافاً بدأت تتهم أطرافاً أخرى، وقتل علماء من الشيعة وعلماء من السنة، وهوجمت مساجد من هذه الجهة وأخرى لتلك الجهة، ويتضح من خلال هذه الأحداث أن المقصود صنع فتنة طائفية في داخل العراق، بين السنة والشيعة.

والسؤال: إذا لا سمح الله حصلت هذه الفتنة، هل ستبقى في حدود العراق؟ كلا، بل إن المنطقة العربية والإسلامية قد تُصاب بانعكاسات هذه الفتنة، يقول تعالى: ﴿وَأَنقُضُوا فَتَنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً...﴾.

ومن الواضح أن الأمة الآن تواجه استهدافات وتحديات عظيمة وكبيرة جداً، خارجية وداخلية، ولا ينقص الأمة سوى هذه الفتنة لكي تُجهز على البقية الباقية من قوة

وكرامة الأمة.

عوامل الفتنة

في الواقع، هذه الفتنة لها أرضية، وإذا لم يكن هناك علاج لهذه الأرضية فإن الفتنة مرشحة للاستمرار والتفاعل، وهذه الأرضية لها عدة عوامل، أهمها:

العامل الأول: ثقافة الكراهية التي تبثها الأطراف الدينية داخل الأمة فيما بينها. يفترض في المسلمين كأمة تهتدي بتعاليم الإسلام، أن يُبشروا بثقافة المحبة حتى لمن هم خارج الإسلام. فالإسلام لا يطلب من أتباعه أن يحقدوا على غير المسلمين، فوفق تعاليم الإسلام ينبغي للمسلم أن يحمل لغير المسلمين المحبة وأن يسعى من أجل هدايتهم، ونحن نجد أن كل نبي من الأنبياء لا يدعو على قومه بالعذاب، بل يتمنى لهم الهداية والصلاح، وقد تكررت الفقرة التالية في أكثر من موضع في القرآن، وعلى لسان أكثر من نبي: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٥٩]، فالنبي يحمل الشفقة والخوف على قومه من عذاب الله ولا يتمناه لهم. ونبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومع كل الأذى الذي أصابه من المشركين يرفع يده إلى السماء ويقول: «اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون».

ويشتبه من يفهم مفهوم (التبري) على أنه حقد وبغضاء للآخرين المخالفين، فهذا خطأ، التبري يعني أن تتبرأ من توجهات المخالفين الخاطئة. إضافة لذلك، فإنه ليس كل كافر معاند، لأن الكثير منهم لم تتضح لهم الحقيقة، ثم إن التبرء من الأعداء وليس كل كافر معادياً، يقول تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة: الآية ٨].

ولو كان على الشخص المسلم أن يتبرأ من الشخص الآخر المخالف له في الدين، فلماذا أجاز الإسلام للمسلم أن يتزوج من الكتابية: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴿[سورة المائدة: الآية ٥]، والزواج يقتضي المحبة، ومعنى أن يُجيز الإسلام الزواج من الكتابية، أن العلاقة العاطفية مع المخالفين في الدين ليست مناقضة للدين.

مع الأسف، نحن نجد عند المسلمين، في حال الاختلاف المذهبي، هناك ثقافة كراهية تبث من السنة تجاه الشيعة وبالعكس، وهذا خطأ. ونحن إذا أردنا أن نعيش كمسلمين في أي بلد إسلامي، يجب أن لا نقبل مثل هذه التصرفات. فتقافة الكراهية التي تبثها الأطراف الدينية داخل الأمة فيما بينها، وقود وأرضية خصبة للفتنة، ونحن ندين هذا التوجه من أي جهة كانت.

العامل الثاني: وجود تمييز طائفي مذهبي.

ويعني: شعور جهة بالتحالي، وأخرى بالغبن، وإذا كان الناس يعيشون في بلد فيه تمييز طائفي، فإن ذلك يخلق أرضية للفتنة، وما يجري في العراق الآن من آثار سياسة التمييز الطائفي التي كان يُمارسها النظام البائد. إذ كان نظام صدام يُمارس الاضطهاد والقمع للأكثرية الشيعية هناك، وتقريب الأقلية السنية لم يكن بدافع ديني ومذهبي عند صدام، لأن صدام لم يكن عنده دين أو مذهب، ولكنها لمصلحة ولتنفيذ سياسة معينة في النظام البائد.

وفي بعض الأحيان تعيش جماعة الشعور بالغبن، فتسعى للدفاع والمطالبة بحقوقها، إن وجود تمييز طائفي في بعض البلدان الإسلامية، يوفر أرضية للفتنة الطائفية.

العامل الثالث: وجود قوى مصلحة في الداخل والخارج من صالحها نشر وإشاعة

هذه الفتنة.

من الطبيعي أن يكون من مصلحة القوى المعادية التي تُريد الهيمنة على بلاد المسلمين أن يتفرق المسلمون. فمثلاً، الآن في العراق، أنا لا ألقى باللائمة على أمريكا وعلى القوى الأجنبية، فمن الطبيعي أن يُفكروا في استثمار هذه الحالة، لأن القوات الأمريكية تريد أن

تبقى في العراق لأطول فترة ممكنة، فما المبرر لذلك؟ وجود الإرهاب والعنف والفتنة، وعدم استتباب الأمن أكبر مبرر لبقاء هذه القوات في العراق، بل إن جميع العراقيين ودول المنطقة يقولون: لا يصح أن تخرج القوات الأمريكية قبل أن يستتب الأمن في العراق.

نشر الفتنة

وهناك قوى داخلية، في أوساط الأمة من هذا البلد أو ذاك، تكون من السنة أو الشيعة، ترى من مصلحتها نشر هذه الفتنة.

فمثلاً على المستوى الشيعي: هناك بعض الجهات الشيعية تُظهر التطرف ضد الآخر، تحت عنوان: الدفاع عن العقيدة والمذهب، وعند التمحيص في الموضوع نجد أن هدف البعض من هؤلاء ليس العقيدة أو المذهب، وإنما الهدف يكمن في رغبتهم للكسب الشعبي واستقطاب الناس عن طريق إثارة عواطفهم الدينية. ولو كان الهدف الدفاع عن العقيدة أو المذهب، لماذا لا نجد لهم دوراً إيجابياً للدفاع عن العقيدة والمذهب، من خلال الكتب التي تُظهر مذهب أهل البيت عليهم السلام، أو من خلال الطرح الإعلامي الذي يُسّر بمذهب أهل البيت عليهم السلام؟ مع الأسف، ليس هناك دور إيجابي، والجهد كله يكمن في الجانب السلبي. والحديث لا يعني جميع المنتهجين لهذا الأسلوب، مع اختلافنا مع هذا التوجه وهذا الطرح، ولكن هناك بعض الناس في الساحة الشيعية ممن يزايدون بعنوان خدمة العقيدة والمذهب والدفاع عن أهل البيت عليهم السلام، ونحن نشك أن الهدف هو فقط رفع الصوت، لأخذ دور، ولاستقطاب عواطف الناس ومشاعرهم، وليس قضية العقيدة ولا أهل البيت عليهم السلام.

أهل البيت عليهم السلام لا يقبلون بهذا المنهج، وهذا الأسلوب، إذ إن هذه الأساليب الحادة والمتشنجة تضر المذهب وسمعة أهل البيت عليهم السلام. وإذا رجعنا إلى تعاليم أهل البيت عليهم السلام نراها تأمر بشيء آخر، وتوجه الشيعة إلى شيء آخر. ففي وصية يوجهها الإمام الحسن العسكري عليه السلام لشييعته يقول فيها: «أوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم، والاجتهاد لله،

وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برٍّ أو فاجر، وحسن الجوار، صلوا في عشائهم، اشهدوا جنازتهم، عودوا مرضاهم، أدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدى الأمانة إلى من ائتمنه، وحسن خلقه، قيل هذا شيعي، فيسرني ذلك، كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا شيناً، جرّوا إلينا كل مودة، وادفعوا عنا كل قبيح»^(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «معاشر الشيعة كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا شيناً علينا، اتقوا الله وقولوا للناس حسناً، وكفّوا ألسنتكم عن الفضول، وقبيح القول»^(٢).

فهل يصح لأحد أن يُزايِد على توجيهات أهل البيت عليهم السلام وعقائدهم عبر الاستفزاز والإساءة للأطراف الأخرى، إن مذهب أهل البيت عليهم السلام ليس بحاجة لمثل هذا الأسلوب، فمذهب أهل البيت عليهم السلام ينتشر بالمنطق، والعلم، والفكر الصحيح، كما قال الإمام الرضا عليه السلام: «يتعلم علومنا، ويُعلّمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا»^(٣).

من جانب آخر، فإن استمرار صدور الفتاوى والكتابات التحريضية ضد الشيعة من قبل جهات تدّعي لنفسها الدفاع عن أهل السنة، وممارسة العنف الفظيع ضد الأبرياء الشيعة تحت هذه العناوين الطائفية إنما يخدم أعداء الدين والأمة ويشعل لهيب الفتنة والخطر.

فهناك قوى داخلية وخارجية تريد أن تستفيد من حالة الفتنة المتقدمة في العراق، وعلى الأمة أن تعي ذلك، وأن تقوم بدورها.

(١) الحراني: الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة/ تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام، ص ٣٦٢، الطبعة الخامسة ١٩٧٤م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن/ وسائل الشيعة، حديث رقم ١٦٠٦٣/١٨.

(٣) المصدر السابق حديث رقم ٣٣٢٩٧/٥٢.

إنه لا يصح السكوت أبداً على ما يجري، وعلى جميع علماء الأمة ودعاتها أن يرفعوا الصوت عالياً ضد هذا التوجه الخطير.

نسأل الله تعالى أن يقي الأمة شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين.

الوصاية الفكرية استعباد للإنسان

كلمة الجمعة بتاريخ ١٩ ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ

تميزاً للإنسان عن بقية المخلوقات، وتفضيلاً له عليهم، وهب الله له عقلاً يمتلك به قدرة التفكير وصنع الرأي، ومنحه إرادة يتمكن بها من اتخاذ القرار وحرية الاختيار.

وبذلك أصبح أهلاً للتكليف والخطاب الإلهي، وكان مؤهلاً للشواب عند الطاعة، مستحقاً للعقاب على المعصية، وب عقله وإرادته يستطيع الإنسان القيام بمهمة عمارة الأرض وتسخير إمكانات الحياة، واستثمار خيرات الكون.

هكذا شاءت حكمة الله تعالى أن يكون الإنسان مفكراً مريداً له حرية القرار والاختيار، لكن بعض الإرادات الشريرة في عالم الإنسان نفسه، ومن وسط أبناء جنسه، تحاول حرمانه من هذه الميزة العظيمة التي منحها الله تعالى إياه.

حيث يسعى بعض الأفراد والفئات لممارسة الهيمنة والتسلط على من حولهم من البشر، ويصادرون حريتهم في التفكير وحقهم في الاختيار.

لقد عانى الإنسان ولا زال يعاني من نوعين من محاولات الاستعباد والتسلط. استعباد لجسمه يقيّد حركته ونشاطه، وتسلط على فكره يصادر حرية رأيه، وحقه في التعبير عنه.

وإذا كانت مظاهر الاستعباد المادي قد تقلصت، فإن ممارسات الوصاية الفكرية لا تزال واسعة النطاق، خاصة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

وتعني الوصاية الفكرية: أن جهة ما تعطي لنفسها الحق في تحديد ساحة التفكير أمام الناس، وتسعى لإلزامهم بآرائها وأفكارها عن طريق الفرض والهيمنة.

ومن أبرز مظاهر الوصاية الفكرية ما يلي:

١. فرض الرأي على الآخرين بالقوة، ومصادرة حريتهم في الاختيار.
٢. النيل من الحقوق المادية والمعنوية للآخرين بسبب اختياراتهم الفكرية.
٣. الاحتقار وسوء التعامل مع ذوي الرأي الآخر.

لماذا الوصاية الفكرية؟

إذا كان الله تعالى قد منح الإنسان عقلاً ليفكر به، وإرادة ليقرر ويختار، وليتحمل مسؤولية قراره واختياره، فلماذا يحاول البعض حرمان الآخرين من استعمال هذه المنحة الإلهية واستثمارها، فيمارسون الوصاية على عقول الآخرين وإراداتهم، فهم يفكرون نيابة عن الناس، وعلى الناس أن يقبلوا آراءهم. ومن تجراً على المخالفة، ومارس حرية التفكير وحق الاختيار لما اقتنع به من رأي، فله منهم الويل والأذى!! حيث يستعملون ضد المتمردين على هيمنتهم الفكرية، كل وسائل الضغط والتنكيل المادية والمعنوية.

إن الدافع الحقيقي لهؤلاء في ممارسة الوصاية الفكرية، هو في الغالب دافع مصلحي، بهدف تحقيق الهيمنة على الآخرين، واستتباعهم للذات.

لكنهم يتحدثون عن دافع آخر يبررون به ممارستهم للوصاية الفكرية، وهو دافع الإخلاص للحق الذي يعتقدونه في رأيهم، والرغبة في نشر الحق وهداية الآخرين إليه. وإذا ما تأملنا هذا الإدعاء، وناقشنا هذا التبرير على ضوء العقل والشرع، فسنجد أنه ادعاء زائف، وتبريراً خاطئاً.

ذلك أن ادعاءهم أحقية رأيهم يقابله ادعاء مماثل من الآخرين، فكل صاحب دين أو مذهب أو رأي، يرى أحقية مسلكه، فهل يقبلون محاولة الآخرين لفرض رأيهم عليهم؟

إن اعتقاد الإنسان بصواب رأيه، وإخلاصه لذلك الرأي، ورغبته في اتباع الآخرين له، كل ذلك أمر مشروع، ولكن ليس عبر الفرض والوصاية، وإنما عن طريق

إقناع الآخرين بذلك الرأي، ومن يرفض الاقتناع فهو حر في اختياره محققاً كان أو مبطلاً، وليس من العقل والمنطق إجباره.

ولأن الساحة الدينية عادة ما تبلى بوجود فئات وجهات تمارس الوصاية الفكرية، وتسعى لفرض آرائها، باعتبار ذلك وظيفة دينية، وتكليفاً شرعياً، كان لا بد من مناقشة هذه الممارسة على ضوء تعاليم الدين ومفاهيمه.

فهل يشرّع الدين لممارسة الوصاية الفكرية بمعنى فرض الرأي بالقوة، والنيل من حقوق المخالفين، وسوء التعامل معهم؟

إن القراءة الواعية لآيات القرآن الكريم، ونصوص السنة والسيرة النبوية الشريفة، وأقوال وسيرة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، تكشف عن منظومة من المفاهيم والتعاليم الدينية تؤكد حرية الإنسان وحقه في الاختيار، وأنه يتحمل مسؤولية قراره واختياره أمام الله تعالى، وترفض الاستعباد والوصاية الفكرية على الناس.

الخائق لم يفرض الإيمان به

لتقرير حرية الإنسان وتأصيل وجودها، تؤكد كثير من آيات القرآن الكريم، أن الله تعالى لم يشأ أن يفرض الإيمان به على خلقه بالإجبار والقوة، بل أودعهم عقولاً تقودهم نحوه، وفطرة ترشدتهم إليه، وبعث لهم أنبياء يدعونهم إلى الإيمان به، ثم ترك للناس حرية الاختيار في هذه الحياة.

يقول تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [سورة

الكهف: الآية ٢٩].

ويقول تعالى:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان: الآية ٣].

وتشير آيات أخرى في القرآن الكريم إلى أن الله تعالى جعل فرص الحياة متساوية

بين المؤمنين والكافرين، يقول تعالى: ﴿كُلًّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [سورة الإسراء: الآية ٢٠].

وإذا كان الله تعالى لم يفرض على عباده الإيمان به قسراً، لتكون الحياة دار اختيار واختبار، كما شاءت حكمته، فكيف يحق لأحد أن يمارس فرض الإيمان على الناس باسم الله ونيابة عنه؟

إنه تعالى لا يريد الإيمان به عن طريق القوة والقسر، لأنه حينئذ لن يكون إيماناً حقيقياً، ولو أراد الله تعالى إخضاع الإنسان للإيمان قسراً لكان ذلك ميسوراً عليه. يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: الآية ٩٩].

وبضرس قاطع ورفض صريح، يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٥٦]، وقد ورد في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له: الحصين، كان له ابنان نصرانيان، وكان رجلاً مسلماً فقال للنبي ﷺ: ألا استكرههما فإنهما قد أبا إلا النصرانية؟ فأنزل الله فيه ذلك^(١).

الأنبياء لا يحق لهم الفرض

لو كان الاعتقاد بحقانية الرأي، والإخلاص للفكرة، مبرراً مقبولاً للفرض على الآخرين، وممارسة الوصاية الفكرية، لما حظر الله تعالى ذلك على رسله وأنبيائه. فهم يحملون رسالة الله للناس، وهي حق لا ريب فيه، ولا يمكن أن يزايد عليهم أحد في الإخلاص للحق والاجتهاد في نصرته، ولكن الله تعالى لم يأذن لهم بفرض دعوتهم على الناس قسراً، ولم يسمح لأحد من أنبيائه ورسله أن يمارس الوصاية والهيمنة على اتجاهات الناس واختياراتهم.

(١) الطباطبائي: محمد حسين/ الميزان في تفسير القرآن، ج ٢ ص ٣٥١، الطبعة الأولى ١٩٩١م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت.

حيث ينص القرآن الكريم على أن وظيفة رسل الله تنحصر في حدود إبلاغ الرسالة، لا فرضها بالقوة، يقول تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [سورة النحل: الآية ٣٥].
 وحين يرفض الناس دعوة الحق، فإن الرسول يتركهم وشأنهم، وليس مكلفاً بإجبارهم أو الضغط عليهم، يقول تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٢٠].

وقد تكررت هذه العبارة في آيات القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَيَّ رِسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [سورة المائدة: الآية ٩٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيَّ الرَّسُولُ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [سورة النور: الآية ٥٤].

وتنص آيات أخرى في القرآن الكريم على أنه لا يحق للنبي أن يمارس أي وصاية أو هيمنة على أفكار الناس وآرائهم، يقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ! لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [سورة الغاشية: الآية ٢١-٢٢].

والخطاب لرسول الله محمد ﷺ أفضل الأنبياء والرسل، الذي بعثه الله تعالى بأكمل الأديان وخاتمها، بأن وظيفته الإلهية هي الدعوة والتذكير، وليس له حق السيطرة والهيمنة على من لا يقبل دعوته.

وفي مورد آخر يخاطب الله تعالى نبيه محمداً ﷺ الذي كان يؤلمه رفض المشركين لدعوته واتهاماتهم الباطلة له، يقول تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [سورة ق: الآية ٤٥].

فالنبي ليس جباراً يمارس الهيمنة والفرص على الناس.
 وهو ليس مكلفاً بالوصاية والرقابة عليهم يقول تعالى: ﴿وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [سورة النساء: الآية ٨٠].

وإذا كان الأنبياء المرسلون من قبل الله تعالى، وهم يحملون الحق الذي لا ريب فيه،

لا يجوز لهم ممارسة الفرض والوصاية على أفكار الناس، فهل يا ترى يحق لأي جهة أخرى اقتراح هذه الممارسة باسم الرب وباسم الدين؟

من يحاسب الناس؟

ليس هناك جهة مخلوقة بمحاسبة الناس على أديانهم ومعتقداتهم في الدنيا، فحساب الخلق على الله تعالى يوم القيامة.

ففي الآيات الأخيرة من سورة الغاشية، وبعد حصر مهمة الرسول في التذكير، وأنه لا يحق له الهيمنة والسيطرة على الناس ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾، يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [سورة الغاشية الآيات ٢٣-٢٦].

ورغم أن بعض المفسرين عدَّ الاستثناء ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ متصلاً بما قبله، فيكون المعنى ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ أن لك السيطرة على من تولى وكفر بمجاهدته ومقاتلته، لكن الرأي الذي يتبناه مفسرون آخرون هو أن الاستثناء منفصل، لا ربط له بما قبله بل بما بعده. وهذا الرأي هو ما يتناسب مع سياق هذه الآيات، ومفاد الآيات الأخرى.

وكما تقرر في أبحاث المحققين والباحثين في السيرة النبوية الشريفة، فإن حروب رسول الله ﷺ كانت دفاعية، ولم تكن لفرض الإسلام على الآخرين بقوة السيف، ولذلك كان يقبل منهم الجزية والبقاء على أديانهم في ظل الحكم الإسلامي.

وتؤكد آيات أخرى في القرآن الكريم أن الله تعالى وحده هو الذي يتولى حساب العباد على أديانهم ومعتقداتهم، وليس الأنبياء ولا أي أحد آخر، منها قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [سورة الرعد: الآية ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [سورة المؤمنون: الآية ١١٧].

وفي سياق آخر، حين نتحدث آيات من القرآن الكريم عن تعدد الديانات

واختلاف المعتقدات بين بني البشر، فإنها تحيل مهمة الحسم والفصل النهائي بين أتباع الديانات إلى خالق البشر يوم القيامة، وكأن مفهوم هذه الآيات: أن الحياة الدنيا هي دار تعايش وتعامل بين بني البشر على اختلاف أديانهم وآرائهم، وليس من حق أحد منهم أن ينهي ويلغي وجود الآخر، فذلك من اختصاص الخالق وحده.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة الحج: الآية ١٧].

فهل هناك رؤية أجلى من هذه الرؤية؟ وهل هناك موقف تجاه حرية الاختيار العقدي في الدنيا أوضح من هذا الموقف؟

وجاء تأكيد هذه الحقيقة في موارد أخرى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة السجدة: الآية ٢٥]. وضمير (هو) في قوله: ﴿هُوَ يَفْصِلُ﴾ ضمير فصل، لقصر الفصل عليه تعالى دون غيره.

وتعالج آيات أخرى في القرآن الكريم موضوع النزاعات الدينية بدعوة الناس إلى تجاوزها وتجميدها، حتى لا تكون سبباً للاحتراب والنزاع، وأن الله تعالى سيقضي في هذه الاختلافات يوم القيامة، وسيعلم الجميع حكمه وقضاه في خلافاتهم الدينية.

يقول تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَاوِلُونَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة المائدة: الآية ٤٨].

جاء في تفسير الميزان للسيد الطباطبائي: «فاستبقوا الخيرات وهي الأحكام والتكاليف، ولا تشغلوا بأمر هذه الاختلافات التي بينكم وبين غيركم فإن مرجعكم جميعاً إلى ربكم تعالى فنبئكم بما كنتم فيه تختلفون، ويحكم بينكم حكماً فصلاً، ويقضي

قضاء عدلاً»^(١).

وقد ورد التعبير ذاته في الآية ١٦٤ من سورة الأنعام: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

(١) الطباطبائي: محمد حسين / الميزان في تفسير القرآن، ج ٥ ص ٣٦٢، الطبعة الأولى ١٩٩١م، مؤسسة
الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

المواجهة الفكرية هي السبيل

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٦ ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ

حين يتبني الإنسان رأياً باعتباره حقاً وصواباً، ويرفض رأياً آخر باعتباره باطلاً وخطأً، فإنه غالباً ما يندفع للانتصار للرأي الذي يؤمن به ويسعى لنشره، كما يهتم بإضعاف جبهة الرأي الآخر، وبخاصة على مستوى الرأي الديني والمعتقدات الفكرية.

ومن المشروع أن يجتهد الإنسان في خدمة متبنياته الفكرية، فذلك هو ما يخلق الحراك الفكري في المجتمع البشري، عبر حالة التنافس، واستثارة العقول، وكشف ثغرات الآراء، وإذا لم يهتم أصحاب الآراء بطرح أفكارهم والدفاع عنها تسود حالة الركود الفكري، والجمود المعرفي.

لكن هناك نهجين في الانتصار للرأي:

١. نهج العنف والقمع لأصحاب الرأي الآخر، بمحاصرتهم والتضييق عليهم، والتنكيل بهم، ليتراجعوا عن آرائهم، ولمنع انتشارها في المجتمع.
٢. نهج المواجهة الفكرية. بالاجتهاد في تبين الرأي وإثبات صحته وأحقته بالدليل العلمي والبرهان المنطقي، ونقد الرأي الآخر بكشف نقاط ضعفه، ومكامن الخطأ فيه، وإبطال حججه ومستنداته.

نهج الجبابة

استخدام العنف ضد الرأي الآخر نهج خاطئ فاشل، فهو مصادرة لحرية الإنسان في أعمق دوائرها، وانتهاك لأقدس حقوقه وأهمها، كما أن تجارب التاريخ قد أثبتت فشل أسلوب العنف في القضاء على الفكر وإنهاء الرأي.

وعادة ما يلجأ الجبابرة الظلمة هذا الأسلوب، حيث يمارسون العنف والقمع ضد أصحاب الرأي الآخر، حين يكون فيه مساس بمصالح سلطتهم، أو لأنهم يريدون التظاهر بحماية الدين، أو لمجرد فرض هيبتهم وتسلطهم وإرعاب الناس. ومن المؤسف أن كثيرين من الحكام في تاريخ الأمة الإسلامية قد سلكوا هذا النهج، ليس فقط ضد أصحاب الرأي السياسي المعارض، وإنما ضد الآراء الدينية والفكرية، تارة بعنوان الحرب على الزنادقة والإلحاد، وأخرى بعنوان التصدي للبدع والأفكار المنحرفة في الساحة الدينية.

لقد رفع الخليفة المهدي العباسي، الذي حكم الأمة من سنة ١٥٨ حتى مات سنة ١٦٩ هـ، شعار محاربة الزنادقة، حيث بدأت تنتشر بعض أفكار التشكيك في الدين، وبدلاً من مواجهتها بالعلم والمنطق، شمر الحاكم في وجوههم السيف، وكان هناك تسرع كثير في إراقة الدماء وممارسة العنف.

جاء في تاريخ الدولة العباسية للشيخ محمد الخضري بك:

« وكان المهدي مغرماً بالزنادقة الذين يرفع إليه أمرهم، فكان دائماً يعاقبهم بالقتل، ولذلك كانت هذه التهمة في زمنه وسيلة إلى تشقي من يحب أن يتشقى من عدو أو خصم.. »

كان كاتب الدنيا وأوحد الناس حذقاً وعلماً وخبرة الوزير أبو عبيد الله معاوية بن يسار مولى الأشعريين، وكان متقدماً في صناعته، وله ترتيبات في الدولة، وصنف كتاباً في الخراج وهو أول من صنف فيه..

حصل حقد عليه من الربيع الحاجب، فوشى عليه عند المهدي بأن ابنه محمداً متهم في دينه، فأمر المهدي بإحضاره (الولد) وقال: يا محمد اقرأ، فذهب ليقرأ فاستعجم عليه القرآن، فقال المهدي لأبيه الوزير أبي عبيد الله معاوية بن يسار: يا معاوية ألم تخبرني أن ابنك جامع للقرآن؟ فقال: بلى يا أمير المؤمنين، ولكنه فارقتني منذ سنين وفي هذه المدة

نسي القرآن.

فقال المهدي: قم فتقرب إلى الله بدمه. فذهب ليقوم فوق.

فقال العباس بن محمد: يا أمير المؤمنين إن شئت أن تعفي الشيخ، ففعل، وأمر المهدي بابنه فضرب عنقه^(١).

هكذا يكون مجرد الاتهام في الدين، والارتباك في قراءة القرآن مبرراً لقتل هذا الإنسان، وأن يُطلب من أبيه مباشرة عملية القتل!!.

وخلفاء آخرون مارسوا العنف والقمع تجاه من يقولون برأي مخالف في مسألة عقدية جزئية، كما حصل في ما عرف بمحنة القول بخلق القرآن.

فقد كان الخليفة هارون الرشيد يتبنى القول أن القرآن ليس مخلوقاً، ويقمع القائلين بفكرة خلق القرآن، حتى قال يوماً: بلغني أن بشر المريسي يقول: القرآن مخلوق. والله لئن أظفرتني الله به لأقتلنه قتلة ما قتلها أحد. ولما علم بشر ظلّ متوارياً أيام الرشيد.

وقال بعضهم: دخلت على الرشيد وبين يديه رجل مضروب العنق، والسياف يمسح سيفه في قفا الرجل المقتول، فقال الرشيد: قتلته لأنه قال: القرآن مخلوق.

وفي عهد الخليفة الواثق العباسي تغير رأي الحاكم، فتعرض من يقول بأن القرآن ليس مخلوقاً للقتل والتنكيل، كما حصل لأحمد بن نصر الخزاعي الذي قبض عليه والي بغداد، وامتحنه الواثق فأصر على رأيه أن القرآن ليس بمخلوق، وأن الله يُرى في الآخرة، فدعا الخليفة بالسياف، وقال: إني أحتسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد رباً لا نعبد، وضرب عنقه، وأمر به فحمل رأسه فنصب بالجانب الشرقي أياماً، ثم بالجانب الغربي أياماً، وعلقت برأسه ورقة «هذا رأس أحمد بن نصر الذي دعاه الإمام الواثق إلى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه، فأبى إلا المعاندة، فعجل الله به إلى ناره»^(٢).

(١) الخضري بك: محمد/ الدولة العباسية، ص ٨٩.

(٢) حيدر: أسد/ الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ج ٤ ص ٤٤٣.

طريق الأنبياء

إن الطريق المشروع والنهج الصحيح لنشر أي فكرة ومبدأ، هو عرضها بأحسن بيان، والدعوة إليها بالمنطق والبرهان، والجدال عنها بأفضل أساليب التخاطب مع العقول والنفوس، وذلك هو النهج الإلهي الذي قرّره القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل: الآية ١٢٥].

كذلك، فإن مواجهة الأفكار الباطلة، والآراء الخاطئة، يكون بنقدها ومناقشتها، وتبسيط الأضواء على مكامن انحرافها، ونقاط ضعفها. إن الرسائل الإلهية تتعامل مع الإنسان باعتباره كائناً عاقلاً مريداً، ولذلك تحترم عقله وتتخاطب معه، وتراهن على الثقة به وحسن اختياره. كما ترفض أساليب الهيمنة وممارسة الوصاية الفكرية، بما تعني من تجاهل لدور العقل، ومصادرة لحرية الإنسان.

فالتخاطب مع العقل لا يكون بلغة العنف والقمع، وإنما بمنطق الحجة والبرهان: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [سورة النمل: الآية ٦٤]. ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٤٨]. ﴿لِيَهْلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٤٢]. ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٥٦].

تلك هي المبادئ الناظمة للمواجهة الفكرية، لإثبات حقانية الدين وبطلان ما عداه.

ولا يقبل الإسلام الإساءة إلى المخالف في الدين والرأي لمجرد مخالفته، ما لم يمارس عدواناً يستلزم الردّ والردع.

كما لا ينصح الإسلام بالقطيعة مع المخالفين، بفصل وشائج العلاقات الإنسانية والاجتماعية معهم. بل على العكس من ذلك يوصي بالبر بهم والإحسان إليهم ما داموا

مسالمين غير معتدين.

يقول تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة: الآية ٨].
وقد ورد في أسباب نزول هذه الآية أن أسماء بنت أبي بكر، قدمت عليها أمها وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية، فقدمت على ابنتها أسماء بهدايا: زبيب وسمن وقرظ، فأبت أسماء أن تقبل هديتها أو تدخلها بيتها، وأرسلت إلى عائشة: سلي رسول الله ﷺ، فقال: «لتدخلها». وفي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «نعم صلي أمك»^(١).

وفي وصية القرآن الكريم بالبر بالوالدين، يشير إلى أن واجب البر بهما، وحسن العلاقة معهما، لا يتأثر بالاختلاف الديني معهما، حتى وإن كانا يأمران على الولد باتجاه الشرك بالله، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [سورة لقمان: الآية ١٥].

وكذلك الحال في الأرحام والأقرباء، فإن الاختلاف الديني والفكري لا ينبغي أن يؤثر على مستوى التواصل معهم كأرحام، جاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه سأل الجهم بن حميد قائلاً: يكون لي القرابة على غير أمري ألهم علي حق؟ قال: «نعم حق الرحم لا يقطعه شيء»^(٢).

إن على المسلم أن يلتزم حسن الخلق مع كل من يتعامل ويتعاطى معه، حيث ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحسن صحبة من صاحبك تكن مسلماً»^(٣)، وجاء عن

(١) البخاري: محمد بن إسماعيل/ صحيح البخاري، حديث رقم ٢٦٢٠.

(٢) المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار، ج ٧١ ص ١٣١، الطبعة الثانية ١٩٨٣م دار التراث العربي- بيروت.

(٣) المصدر السابق ص ١٥٩.

حفيدة الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «ليس منا من لم يحسن صحبة من صحبه، ومرافقة من رافقه»^(١).

مرض الساحة الدينية

من أسوأ أمراض الساحة الدينية في مجتمعاتنا، ما يسود معظم أجوائها من حالات الصراع والخصام الداخلي، وسعي بعض الجهات لممارسة دور الوصاية على أفكار الآخرين. فما تراه هي هو الحق المطلق الذي لا يجوز لأحد الخروج عليه، وإلا استحق النبذ والطرده، والمحاصرة والإلغاء، وأصبح مستهدفاً في وجوده المادي والمعنوي. نجد ذلك على صعيد الخلافات المذهبية، حيث تتبادل الأطراف مع بعضها تهم التكفير والتبديع والمروق من الدين، ويجري التحريض على الكراهية في أوساط الأتباع، وقد يصل الأمر إلى إباحة هدر الدماء وانتهاك الحقوق والأعراض. كما نجد ذلك على مستوى الخلافات داخل المذهب الواحد، حين تتعدّد المدارس، وتختلف الآراء في بعض التفاصيل العقدية والفقهية في إطار المذهب نفسه. إن اعتقاد كل طرف صواب رأيه وخطأ الرأي الآخر أمر مقبول، بناءً على مشروعية حق الاجتهاد، لكن إنكار حق الطرف الآخر في الاجتهاد وإبداء الرأي، والتعبئة ضده بالتشكيك في دينه والحكم بفساد نيته، هو مزلق خطير يؤدي إلى تمزيق الساحة الدينية، وتشويه سمعتها، ودفع أبنائها إلى الصراع والاحتراب، كما حصل بالفعل. إن التعبير عن الرأي الاجتهادي عقدياً وفقهياً ضمن الضوابط المقررة أمر مشروع، وحق مكفول للجميع، ولا يصح أن تحتكره جهة وتصادره من الآخرين، فإن ذلك إرهاب فكري، وإغلاق فعلي لباب الاجتهاد، وحرمان للساحة العلمية من الثراء المعرفي. أما الحذر من وجود آراء خاطئة، وطروحات منحرفة، تخالف المعتقدات السائدة، والاتجاهات الفقهية المشهورة، فهذا لا يقف أمامه القمع والتهريج، وإنما المواجهة

(١) المصدر السابق ص ١٦١.

العلمية الفكرية، التي تثبت ضعف الرأي الآخر وخطأه، ومكامن الانحراف والشغرات فيه، وتظهر صحة الرأي المتين وأصالته، وتعالج الإشكالات المثارة حوله.

إن أساليب القمع والإرهاب الفكري لا تستطيع أن توقف زحف الرأي الآخر، بل قد تخدمه بإثارة الاهتمام به، وتكتل أتباعه للدفاع عنه، ولتعاطف الكثيرين مع ظلامتهم بسبب ما يستهدفهم من قمع وتشويه. وبخاصة في هذا العصر الذي سادت فيه شعارات الحرية والانفتاح، وتطلعات التغيير والتجديد.

إن تمزيق صفوف المؤمنين وتحويل ساحتهم إلى خنادق للصراع والاحتراب، ودفعهم إلى انتهاك حرمت بعضهم بعضاً، وإسقاط كل طرف وتشويهه لرموز وشخصيات الطرف الآخر، جريمة أكبر وخطر أعظم من وجود رأي في قضية جزئية نعده خاطئاً باطلاً.

ثم إن تعاليم الإسلام وأخلاقياته، وسيرة الأئمة الطاهرين عليهم السلام لا تقبل مثل هذه الأساليب ولا تتطابق معها.

وهناك روايات وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام يحدّرون فيها شيعتهم وأتباعهم من نهج الإقصاء والإلغاء لبعضهم بعضاً على أساس الاختلاف في بعض الجزئيات العقديّة.

جاء في الكافي عن يعقوب بن الضحّاك، عن رجل من أصحابنا سراج وكان خادماً لأبي عبد الله قال: جرى ذكر قوم عند أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام، فقلت: جعلت فداك إنّنا نبرأ منهم، إنهم لا يقولون ما نقول.

قال: فقال عليه السلام: يتولّوننا ولا يقولون ما تقول تبرؤون منهم؟

قال: قلت: نعم

قال عليه السلام: فهذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نبرأ منكم؟ قال: قلت: لا -

جعلت فداك - قال: وهذا عند الله ما ليس عندنا أفترأه أطرحنّا؟ قال: قلت: لا والله

جعلت فداك، ما نفعك؟

قال عليه السلام: فتولّوهم ولا تبرؤوا منهم، إن من المسلمين من له سهم، ومنهم من له سهمان، ومنهم من له ثلاثة أسهم؛ ومنهم من له أربعة أسهم؛ ومنهم من له خمسة أسهم، ومنهم من له ستة أسهم؛ ومنهم من له سبعة أسهم، فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين، ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة، ولا صاحب الثلاثة على ما عليه صاحب الأربعة، ولا صاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة، ولا صاحب الخمسة على ما عليه صاحب الستة، ولا صاحب الستة على ما عليه صاحب السبعة^(١).

وقد عقب العلامة المجلسي في (بحار الأنوار) على العبارة الواردة في الرواية «إنهم لا يقولون ما نقول» بقوله: «أي من مراتب فضائل الأئمة عليهم السلام وكما لا تتم ومراتب معرفة الله تعالى، ودقائق مسائل القضاء والقدر، وأمثال ذلك مما يختلف تكاليف العباد فيها، بحسب أفهامهم واستعداداتهم، لا في أصل المسائل الأصولية، أو المراد اختلافهم في المسائل الفرعية، والأول أظهر»^(٢).

وفي الكافي أيضاً عن عبدالعزيز القراطيسي قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا عبدالعزيز إن الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم، يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولنّ صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شيء، حتى ينتهي إلى العاشر، فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق، ولا تحملنّ عليه ما لا يطيق فتكسره، فإنّ من كسر مؤمناً فعليه جبره^(٣).

وعن الصباح بن سيابة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما أنتم والبراءة، يبرء بعضكم من

(١) الكليني: محمد بن يعقوب/ الكافي، ج ٢ ص ٤٢، دار الأضواء- بيروت.

(٢) المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار، ج ٦٦ ص ١٦٣، الطبعة الثانية ١٩٨٣م دار التراث العربي- بيروت.

(٣) الكليني: محمد بن يعقوب/ الكافي، ج ٢ ص ٤٥، دار الأضواء- بيروت.

بعض، إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أكثر صلاة من بعض، وبعضهم أنفذ بصرًا من بعض، وهي الدرجات (١).

وفي بحار الأنوار عن كتاب الخصال عن عمار بن أبي الأحوص قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إن عندنا أقواماً يقولون بأمر المؤمنين عليهم السلام ويفضلونه على الناس كلهم، وليس يصفون ما نصف من فضلكم أنتولاهم؟ فقال لي: نعم، في الجملة، أليس عند الله ما لم يكن عند رسول الله، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم: [من] عند الله ما ليس لنا، وعندنا ما ليس عندكم، وعندكم ما ليس عند غيركم (٢)؟

وجاء عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلنا له: من وافقنا من علوي أو غيره تولّيناه، ومن خالفنا برئنا منه من علوي أو غيره، قال: يا زرارة قول الله أصدق من قولك، أين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً (٣).

وعن محمد بن عيسى، عن القاسم الصيقل رفع الحديث إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: كنا جلوساً عنده، فتذاكرنا رجلاً من أصحابنا، فقال بعضهم: ذلك ضعيف، فقال أبو عبدالله عليه السلام: إن كان لا يقبل ممن دونكم حتى يكون مثلكم لم يقبل منكم حتى تكونوا مثلنا (٤).

إنارة العقول أو تجييش العواطف

في مواجهة التحديات المعرفية الخطيرة أمام الفكر الديني، وفي مقابل الطوفان الثقافي العالمي الجارف الذي يقتحم كل زوايا مجتمعنا وغرف بيوتنا، ويستقطب بوسائله الإعلامية والمعلوماتية المتطورة اهتمامات أبنائنا وبناتنا، هناك حاجة ماسة لتكثيف العطاء

(١) المصدر السابق.

(٢) المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار، ج ٦٦ ص ١٦٩، الطبعة الثانية ١٩٨٣م دار التراث العربي - بيروت.

(٣) المصدر السابق ص ١٧٤.

(٤) المصدر السابق.

الفكري والثقافي من قبل المرجعيات والجهات الدينية. كما أن تطور الحياة وتقدم مستوى العلم والمعرفة يستوجب تطوير استراتيجيات الطرح الديني، وتجديد خطط التثقيف والتوجيه.

إن على الساحة الدينية أن تثبت قدرتها على مواكبة التغيرات والاستجابة للتحديات. وذلك لا يتحقق إلا بتوجيه الاهتمام نحو التحديات الكبيرة، وبتضافر الجهود نحو الأهداف المشتركة، أما الانشغال بالخلافات الجانبية والقضايا الجزئية، فإنه يشكل هروباً من المعركة الأساس، ويضعف كل القوى الدينية.

لقد أصبحت حرية الرأي شعاراً ومطلباً لكل المجتمعات والشعوب، وأصبح الانفتاح والحوار بين الحضارات والثقافات نهجاً يتطلع إليه عقلاء البشر على مستوى العالم، فكيف سيقدم المتدينون أنفسهم أمام الآخرين، وهم لا يتحملون بعضهم بعضاً، ولا يحتكمون للحوار في خلافاتهم، ولا يستطيعون التعايش فيما بينهم واحترام بعضهم بعضاً؟

إن السمة الغالبة على من يمارسون الوصاية الفكرية استشارتهم لانفعالات المتدينين وتجييشهم لعواطفهم، بعنوان حماية العقيدة والدفاع عن الثوابت والمقدسات، لكنهم لا يبذلون جهداً يناسب التحديات المعاصرة في إيضاح أصول العقيدة، وكأن العقيدة تتلخص عندهم في القضايا الجزئية التي يختلفون فيها مع الآخرين، كما أن بعضهم يخلط الأوراق في تحديد الثوابت والمقدسات، وكأنها قضايا اعتبارية، فالثابت والمقدس ما يعدونه هم كذلك دون مقاييس واضحة متفق عليها.

إننا بحاجة إلى تنوير العقول بالبحث العلمي والطرح المنطقي، وليس مجرد تجييش العواطف وإثارة الأحاسيس.

نسأل الله تعالى أن يمنحنا البصيرة في دينه، والعمل بأحكامه، إنه ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

رؤية شرعية حول تساهل الموظفين

كلمة الجمعة بتاريخ ٣ جمادى الأولى ١٤٢٦ هـ

يعيش الإنسان ضمن مجتمع، وحاجاته متداخلة مع الآخرين، فلا يستطيع أن يقوم بكل شؤونه بمفرده، وإنما هناك آخرون يدخلون في دائرة تنظيم شؤونه وتسيير أموره، كما يدخل هو في دائرة الآخرين.

لذلك تحصل هناك اتفاقات (عقود) بين الناس، إذ يلتزم كلٌ منهم بشيءٍ تجاه الآخر، فالبيع والإيجار من العقود.

وقد يكون الاتفاق بين شخصين، وقد يكون مع جهة اعتبارية كالحكومة، كما قد يكون الطرف الآخر مؤسسة أو شركة، فلكي تدير الدولة شؤون البلاد تنشئ وزارات ومؤسسات وأجهزة للدفاع والتعليم والصحة وسائر المجالات، ويعمل فيها موظفون ضمن نظام وظيفي إداري يمثل اتفاقاً وعقداً ملزماً. كل هذه العقود يجب الوفاء بها، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [سورة المائدة: الآية 1].

العقود: جمع عقد، والعقد في اللغة ربط طرفٍ بآخر ربطاً وثيقاً، ومنه عقد الحبال والحيط وما أشبه. وتُستعمل اصطلاحاً لأي التزام متبادل بين طرفين.

الآية الكريمة تقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخطاب للمؤمنين، ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ كل اتفاقٍ يحصل بين طرفين يجب الوفاء به. أو فوا: من وفى، وكلمة وفي تعني إنهاء الشيء بتمامه.

فالآية تأمر المؤمنين بالالتزام بتمام العقود دون إنقاصٍ لأي شيءٍ من أي عقدٍ بين أي طرفين.

حضارات الأمم إنما تتقدم عن طريق أخلاق الالتزام المتبادل، فإذا التزم كل طرفٍ بما عليه تجاه الطرف الآخر تتقدم الأمة، أما إذا كان هناك تسيبٌ في الالتزام بأن يكون

هناك نكتٌ للاتفاقات المتبادلة، فإن الأمة التي تسودها هذه الحالة لا تكون حرةً بالتقدم. وكذلك عندما يكون الوفاء منتقصاً، فإنه يُعبر عن أخلاقية سيئة.

وقد أصبحت هناك مقاييس ومعايير دولية لرصد نسبة التسبب الوظيفي والإداري في دول العالم، واعتباره من مؤشرات تقويم التنمية والتقدم في البلدان.

القرآن الكريم يعتبر الوفاء بالاتفاق (العقد) مظهراً من مظاهر الإيمان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، فيما أنكم مؤمنون يجب أن يكون هناك وفاءً بالعقود.

وقد أذاعت المحطات الفضائية حديثاً لرئيس الوزراء الصهيوني في أمريكا متحدثاً عن الاتفاقيات التي تحصل مع العرب، وكان مما قاله: إن الاتفاقيات التي تكون مع العرب لا تُساوي قيمة الورق الذي تُكتب عليه. بالطبع، فإن هذا التصريح استفزازي عدواني، لكنه يُعبّر في جانب منه، خاصةً فيما يرتبط بما يجري في داخل الدائرة العربية، لأن العرب مضطرون للالتزام بما يجري بينهم وبين الآخرين، لعدم وجود الجرأة على النقض. ولكن هذا الكلام يُعبّر عن جانب من الحقيقة بما يحصل في داخل الدائرة العربية، ولذلك تجد الكثير من الاتفاقيات التي تُحصل بين الدول العربية تُطوى صفحاتها وكأن شيئاً لم يكن. وكذلك الحال بين الفئات المختلفة، والأطراف المتنوعة.

أولاً: يجب الوفاء بالعقد وإن كان الطرف الآخر ليس مسلماً، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا دين لمن لا عهد له»^(١). وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «ثلاثٌ لم يجعل الله لأحدٍ فيهن رخصة: أداء الأمانة إلى البر والفاجر، والوفاء بالعهد إلى البر والفاجر، وبر الوالدين برّين كانا أو فاجرين»^(٢).

ثانياً: يجب الوفاء بالعقد سواءً كان فيه منفعة أو مضرة.

(١) الرিশهري: محمدي، ميزان الحكمة، ج ٧ ص ٥٠، حديث رقم ١٤١٢٤، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، مكتب الإعلام الإسلامي.

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن / وسائل الشيعة، ج ٢١ ص ٤٩٠، حديث رقم ٢٧٦٦٩، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - بيروت.

ثالثاً: يجب الوفاء بالعقد في حال القوة أو الضعف.

الوظيفة تعاقد ملزم

ما معنى أن يكون الإنسان موظفاً؟ يعني وجود عقد بينه وبين الجهة التي يعمل لديها، وهذا العقد يحتوي بنوداً، قد تكون مكتوبة ضمن العقد، وقد تكون ضمنية. هذه الوظيفة تتطلب من الموظف التزاماً بدوام معين، وبعمل مخصص. فلا يجوز للموظف أن يخلّ بشيء من بنود الاتفاق بينه وبين الجهة التي يعمل لديها.

يقول أحد العلماء: « في المجتمعات الأخرى يكون العقد بين طرفين، أما في المجتمع الإيماني هناك طرف ثالث وهو الله سبحانه وتعالى ».

من أهم المشاكل التي تُعاني منها المجتمعات في العالم الثالث ما يُسمى بـ (التسيّب الإداري)، أو (الفساد الوظيفي الإداري).

الدولة لها أجهزة ومؤسسات، وعبر هذه المؤسسات تكون خدمة المواطنين، وتسيير أمورهم، وتحتضن هذه المؤسسات مجموعة من الموظفين، وهناك عقدٌ بين هؤلاء الموظفين والدولة، وبالتالي يجب الالتزام بجميع بنود العقد، ولا يصح الإخلال بشيء من مؤدّى العقد.

في دوائر الدولة غالباً ما يكون هناك تسيّب وظيفي إداري، فلا يكون هناك التزام بوقت الدوام (بدايته وانتهائه وأثنائه).

وقد كثر الحديث حول هذا الموضوع في الصحف وغيرها من الوسائل الإعلامية، ومؤداه وجود حالة من عدم الالتزام الوظيفي لدى الكثيرين من الموظفين في الدوائر الحكومية، حيث يجد البعض نفسه مضطراً للتقيد بالأنظمة والقوانين في حال وجود رقابة، أما إذا سنحت الظروف للتسيّب وعدم الالتزام فلا مانع من ذلك. وهذا مؤشرٌ خطير يهدد تقدم الوطن.

وينبغي التأكيد هنا على النقاط التالية:

أولاً: من الناحية الشرعية يجب على الإنسان الموظف الالتزام بجميع بنود الاتفاق بينه وبين الجهة التي يعمل لديها، وأي خلل هو مسؤول عنه شرعاً.

ثانياً: مقابل الوقت المهدور من الالتزام الوظيفي هناك إشكال شرعي فيما يُقابله من الراتب، إلا إذا كان هناك رضياً وموافقة من الجهة المسؤولة.

ثالثاً: ينبغي أن يشعر الجميع بالمسؤولية تجاه مصالح المواطنين وتقدم الوطن، باعتبارنا جميعاً شركاء في الوطن، وما نجده من تخلف في البلد فإن من أسبابه التسيب وعدم الالتزام الوظيفي.

ومن المؤسف أن هذه البلاد التي حباها الله تعالى الخيرات والإمكانات والثروات، ومع وجود العديد من المؤسسات التابعة للدولة، والشركات الأهلية، إضافةً إلى الميزانيات الضخمة التي ترصدها الحكومة لمختلف الأجهزة، إلا أن المواطن يُواجه الكثير من المشاكل والخلل في الخدمات في المؤسسات المختلفة، ومن أسبابه الرئيسة هذا التسيب الإداري والإهمال الوظيفي.

فالمسؤولية تقع على الجميع، وبالخصوص الموظفين في أجهزة الدولة إذ يجب عليهم الالتزام بكامل الاتفاق بينهم وبين الجهة التي يعملون لديها، ولا يجوز الإخلال بأي بندٍ من بنود الاتفاق إلا إذا أحل الطرف الآخر بالالتزام.

وكثيراً ما تجد المواطن يتذمر لتأخر معاملته عند مراجعة دائرة أو شركة، وييدي انزعاجه إذا ما رأى تساهلاً من موظفي المستشفيات والمراكز الصحية، ولكنه شخصياً إذا كان موظفاً فقد يمارس الحالة نفسها التي يتقدها عند الآخرين.

التسيب الإداري

يستخلص من تعريفات مفهوم التسيب الإداري بأنه: إهمال الموظف للواجبات المنوطة به، والمنصوص عليها في القوانين واللوائح والقرارات التي تنظم الوظيفة بشكل

يؤدي إلى مردود سلبي على الإنتاجية وسير العمل.
ويمثل الغياب كلياً أو جزئياً أهم مظهر من مظاهر التسبب، وقد يأخذ أكثر من صورة:

فقد لا يحضر الموظف أصلاً لمقر عمله، مفتعلاً بعض المبررات والأعذار كادعاء المرض أو الضرورات العائلية والاجتماعية. بينما هو في الحقيقة منشغل بأعمال أخرى. وفي بعض الأحيان يقوم الموظف بالتحايل على النظام بأن يأتي لمقر عمله لغرض التوقيع في سجل الحضور والانصراف فقط.
وقد يخرج الموظف ضمن مهمة للعمل لكنه لا يعود بعد إنجازها؛ ويستهلك بقية الدوام خارج العمل تحت غطاء المهمة.
وبعض الموظفين لا يلتزمون بالحضور بداية وقت الدوام وإنما بعده بساعة أو أقل أو أكثر، وبعضهم يخرجون قبل نهاية الدوام.
والبعض يصرف من وقت دوامه الوظيفي لصالح أعماله الأخرى، أو في التحادث مع زملائه الموظفين، أو المكالمات التليفونية.
إن كل هذه الصور تمثل إخلالاً في الالتزام الوظيفي؛ وتشكل مخالفة شرعية، كما أنها تضييع لمصالح المواطنين؛ وتراكمها ينتج هذه الحالة من التخلف في المجالات المختلفة.

استفتاءات شرعية

إن الالتزام بالعقد الوظيفي وحضور الدوام المقرر في العمل مسألة شرعية يجب أن يراعيها الإنسان المسلم، فكما يهتم بأن لا ينقص ركعة أو سجدة من صلاته عليه أن يحرص على عدم إضاعة أي وقت في دوام عمله الوظيفي. مهما كانت الجهة التي يعمل عندها؛ سواء في مؤسسات دولة إسلامية أو غير إسلامية، وسواء كانت الحكومة عادلة أو غير عادلة، وكذلك الحال في الشركات الخاصة، بغض النظر عن أصحابها مسلمين أو غير مسلمين، وصالحين أو فاسدين، ما دام العمل الذي توظف لأجله لا يدخل في

صنف المكاسب المحرمة.

سئل سماحة السيد السيستاني حفظه الله:

■ أيجوز للمسلم الموظف في مكتب خاص أو دائرة حكومية أو متعاقد على عمل ما بأجر بالساعات في البلدان غير الإسلامية، أن يتهرب من العمل بعض الوقت أو يتهاون أو يتباطأ متعمداً؟ وهل يستحق كل الأجر؟
فأجاب: لا يجوز له ذلك، وإذا فعل فلا يستحق كل الأجر^(١).

وسئل السيد الخوئي رحمته الله:

■ لو كان الموظف يعمل في شركة كافرة فهل يجوز له التهرب من العمل؟ وهل يستحق كامل الأجرة؟
فأجاب: لا يصح ذلك؛ وإنما اللازم في استحقاق الأجرة الوفاء بما استؤجر عليه^(٢).

■ وسئل رحمته الله: هل يجوز تهرب الموظف من عمله أو الغياب بعض الوقت إذا لم يكن مسموحاً له؟ وهل يستحق الراتب كاملاً؟
فأجاب: لا يسمح التهرب بشيء مما استؤجر عليه، ولا يستحق معه تمام الأجرة إلا برضي المستأجر^(٣).

■ وسئل سماحة السيد الخامنئي حفظه الله، عن إقامة صلاة الجماعة أثناء الدوام الرسمي بالنسبة للموظفين فأجاب:

نظراً للأهمية الخاصة للفرائض اليومية، والحث الأكيد على الاهتمام بإقامة الصلاة

(١) السيستاني: السيد علي الحسيني / الفقه الميسر، ص ٣١٨. مسألة ١٥ استفتاءات تتعلق بالدولة وأموالها، طبعة دار الأولياء.

(٢) الخوئي: السيد أبو القاسم / صراط النجاة، ج ١ ص ٢٥٨ مسألة ٧٠٦، الطبعة الثانية ١٩٩٥ م، مكتبة الفقيه، الكويت.

(٣) المصدر السابق، مسألة ٧٠٧.

في أول وقتها، ونظراً لفضيلة صلاة الجماعة، فمن المناسب أن يعتمد الموظفون على طريقة يتمكنون من خلالها من إقامة الصلاة الواجبة جماعة في أول وقتها وفي أقل مقدار من الوقت، ولكن يجب أن تُهَيَّأ مقدمات هذا العمل بنحو لا تصبح صلاة الجماعة في أول الوقت ذريعة ووسيلة لتأخير وإعاقة أعمال المراجعين^(١).

وفي إجابته عن السؤال التالي:

■ إذا كانت للموظف في محل العمل في الدائرة ساعات فراغ كثيرة ولم يكن مجازاً بصرف هذا الوقت بالعمل في وحدات أخرى فيها، فهل يجوز له القيام بالشؤون الخاصة لنفسه في ساعات الفراغ؟

أجاب: ليس له الغياب عن الدائرة أثناء الدوام الرسمي المقرر إلا بالإجازة، وأما القيام بالشؤون الخاصة أثناء الدوام في نفس محل العمل فهو تابع للمقررات وللإجازة القانونية من المسؤول المختص^(٢).

وفي نفس السياق أجاب عن السؤال التالي:

■ إننا نعمل في مؤسسة عسكرية ومقر عملنا في مكانين منفصلين، وبعض الأخوة يقوم في طريق الذهاب من أحد المقرين إلى الآخر بأعمال شخصية يستهلك بعضها وقتاً كثيراً، فهل يجب عليه تحصيل إجازة لهذا العمل أم لا؟

أجاب: الاشتغال بالأعمال الشخصية أثناء الدوام الرسمي المقرر يحتاج إلى إجازة من المسؤول الأعلى^(٣).

هكذا يربي الشرع أبناءه على أداء التزاماتهم والوفاء بعقودهم واحترام حقوق الآخرين ومصالحهم.

(١) الخامنئي: السيد علي بن جواد/ أجوبة الاستفتاءات، ج ٢ ص ٣٢٩ مسألة ٨٩٩.

(٢) المصدر السابق، مسألة ٩٠٢.

(٣) المصدر السابق، مسألة ٩٠٤.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم ممن يفون بعقودهم، ويقومون بالتزاماتهم، وأن يبعدنا عن التسيّب والإهمال، وأن يوفقنا لصالح الأعمال، والحمد لله ربّ العالمين.

الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي

كلمة الجمعة بتاريخ ١٠ جمادى الأولى ١٤٢٦ هـ

يرى الفقهاء أن الاجتهاد واجبٌ على الأمة وجوباً كفائياً، فلا بد أن يكون في كل عصر وجيل من أبناء الأمة من يبلغون رتبة الاجتهاد، ويقومون باستنباط الأحكام الشرعية.

بعض الفقهاء ربط هذا الحكم بمسألة أخرى، وهي مسألة جواز تقليد المجتهد الميت ابتداءً، وهي مسألة خلافية بين الفقهاء، حيث يتفق الفقهاء على صحة تقليد الميت استمراراً، على خلاف في التفاصيل، أما تقليد الميت ابتداءً، فأكثر المعاصرين يرى عدم صحته.

إن هناك رأياً يقول: إذا قلنا بأن تقليد الميت ابتداءً جائز، يسقط وجوب الاجتهاد على الأمة، أما إذا قلنا بعدم الجواز عندها يكون واجباً على الأمة أن تُنجب مجتهدين أحياء.

والصحيح: أن الحكم لا ينبغي أن يتوقف على ذلك، حتى لو قلنا بأنه يجوز تقليد الميت ابتداءً فإن ذلك لا يعني الاستغناء عن وجود المجتهدين والفقهاء الأحياء، لماذا؟ لأن المجتهد الميت قد أعطى الرأي الفقهي فيما عاصره من المسائل، فإذا كانت هناك مسألة جديدة فما العمل عندها؟ فلا بد أن يكون هناك مجتهدون أحياء.

ولكن هل مجرد وجود المجتهد يكفي، أو أن المطلوب أن يُعمل ملكة الاجتهاد؟ بالتأكيد المطلوب هو الأمر الثاني، أما وجود المجتهد بدون أن يقوم بدور الاجتهاد والإفتاء، فمثله كمثل الطبيب الذي لا يُمارس دوره في علاج المرضى.

كما أن القيام بدور الاجتهاد لا يقتصر على المسائل الجديدة، وإنما على المجتهد أن يُبدي رأيه ويمتهد في المسائل التي أعطى الفقهاء السابقون فيها رأياً، وهذا أمرٌ بديهي.

والسؤال: لماذا هذا الأمر، مع العلم أن الاجتهاد في أي مسألة من المسائل يستغرق وقتاً وجهداً غير قليل، كما أن العلماء السابقين أشبعوا المسائل التي أفتوا بها بحثاً ونحن نشق بمكانتهم العلمية وإخلاصهم؟

والجواب: لا يصح للفقهاء أن يعتمدوا على آراء الفقهاء السابقين، وإلا أصبح مقلداً. فمن حيث المسائل المستجدة ليس هناك جدال حول ضرورة أن يكون للمجتهد رأي فيها، وأما المسائل التي أعطى الفقهاء السابقون فيها رأياً فإنه يتحتم على الفقيه المجتهد التأكد من تلك الآراء، فلعله يكون هناك خطأ أو اشتباه، أو قد تتضح للفقيه رؤية لم تتضح للفقهاء السابقين، أو قد يكتشف نقطة ضعف في الأدلة لم يقف عندها الفقهاء السابقون، لذلك يجب أن يجتهد الفقيه في تلك المسائل، ولا يعتمد على اجتهادات الفقهاء السابقين. وهذه ميزة مهمة لحيوية الفكر والفقه الإسلامي، ليكون لديه قابلية التجدد، ولا تكون هناك حالة ركود وجمود.

إضافةً إلى ذلك، فإن رأي الفقيه يتأثر بمستواه العلمي، وبالبيئة التي عاش فيها، لذلك لزم على الفقيه الذي يليه أن يُعيد النظر في المسائل، فلعله يتضح له رأي آخر يخالف الرأي الذي توصل إليه السابقون.

في بعض الأحيان تحصل حالة ركود في الأمة، فلا تكون هناك جرأة لطرح رأي جديد، ولا يكون هناك تقبلٌ لرأي يُخالف آراء السابقين، أو يُخالف الرأي السائد. وعادة ما تكون هناك مشكلة حينها تُطرح في الساحة الفكرية أو الفقهية آراء جديدة غير تلك الآراء المتداولة السائدة. وفي الواقع إذا لم تكن هناك فرصة لطرح رأي جديد، فإن مبرر الاجتهاد ينتفي. فلا بد أن يكون المجال مفتوحاً والفرصة سانحةً لكي يُقدم الفقيه النتائج التي أدى إليها رأيه واجتهاده.

وقد واجه البحث العلمي عند الشيعة هذه المشكلة في وقت مبكر، وكانت أول مشكلة واجهها الفقه الشيعي بين الجمود على آراء الفقهاء السابقين، وبين التجاوز لها

ونقدها علمياً، يؤرخ لها بالقرن السادس الهجري. فكيف حصلت هذه المشكلة؟ ومن هم أبطالها؟

الشيخ الطوسي وزعامته العلمية

كان هناك فقيهٌ بارز في القرن الخامس الهجري، هو الشيخ محمد بن الحسن الطوسي رحمته الله (٣٨٥-٤٦٠هـ)، ويُطلق عليه: (شيخ الطائفة) وهو الذي أسس الحوزة العلمية في النجف الأشرف، بعد أن غادر بغداد بسبب فتنة طائفية أورى نارها السلجوقيون سنة ٤٤٨هـ.

كان الشيخ الطوسي عالماً عظيماً، ومحققاً مبدعاً، وكان ثريَّ المعرفة والعلم. وقد منحه الخليفة العباسي، القائم بأمر الله عبدالله بن القادر بالله أحمد، كرسيَّ الكلام والإفادة، وقد كان لهذا الكرسي يومذاك عظمة وقدر فوق الوصف، إذ لم يسمحوا به إلا لمن برز في علومه، وتفوق على أقرانه، ولم يكن في بغداد يومذاك من يفوقه قدراً، أو يفضل عليه علماً، فكان هو المتعين لذلك الشرف^(١).

وكان يحضر تحت منبر تدريسه مئات العلماء شيعةً وسنة، فمن الشيعة يحضر تدريسه ثلاث مئة مجتهد، ومن السنة يحضر تدريسه المئات من طلبة العلوم الدينية. وقد أثرى الشيخ الطوسي مختلف مجالات المعرفة الإسلامية، ففي مجال الحديث يعتمد المذهب الإمامي على أربعة كتب: الكافي (للشيخ الكليني ٣٢٨هـ)، من لا يحضره الفقيه (لابن بابويه القمي ٣٨١هـ)، وكتاباً تهذيب الأحكام والاستبصار (للشيخ الطوسي)، فنصف مصادر الحديث عند الإمامية كتبها الشيخ الطوسي. وأول تفسير مهم للقرآن الكريم للشيعة كتبه الشيخ الطوسي وهو: التبيان في تفسير القرآن.

(١) الأمين: محسن، أعيان الشيعة، ج ٩ ص ١٥٩، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٩٨٦م.

وفي الفقه، فإن أبرز الكتب الفقهية كتبها الشيخ الطوسي: ومنها المبسوط في الفقه، الخلاف في الفقه المقارن، والنهاية في مجرد الفقه والفتاوى.

وفي الأصول كتب الشيخ الطوسي: العدة في أصول الفقه والأصول الاعتقادية. وفي علم الرجال يبرز كتابه المعروف (رجال الشيخ الطوسي) وهو أحد الأصول الرجالية المعول عليها عند العلماء.

فهو عالم موسوعي، له ثراء علمي ومعرفي، ولذلك فإن شخصيته هيمنت على الطلاب والعلماء، فلم تكن هناك جرأة لطرح رأي في مقابل رأي الشيخ الطوسي، إما لأنه ليس هناك قدرة لطرح رأي فوق رأيه، أو لهيبة في نفوس العلماء، أو لحسن ظن برأي الشيخ الطوسي.

واستمرت هذه الحالة إلى ما بعد وفاة الشيخ الطوسي، إذ لم يتجرأ أحد من الفقهاء أن يعطي رأياً مخالفاً لرأي الشيخ الطوسي، وبقي هذا الجمود الفقهي عند الفقهاء مدة تقرب من قرن ونصف من الزمن.

حتى جاء العالم الكبير محمد بن إدريس الحلي (٥٤٣-٥٩٨هـ)، يقول الشيخ أغا بزك الطهراني: «مضت على علماء الشيعة سنون متطاولة، وأجيال متعاقبة، ولم يكن من الهين على أحد منهم أن يعدو نظريات شيخ الطائفة في الفتاوى، وكانوا يعدون أحاديثه أصلاً مسلماً ويكتفون بها، ويعدون التأليف في قبالتها وإصدار الفتوى مع وجودها تجاسراً على الشيخ وإهانة له، واستمرت الحال على ذلك حتى عصر الشيخ ابن إدريس، فكان أعلى الله مقامه الشريف يسميهم بالقلدة، وهو أول من خالف بعض آراء الشيخ وفتاواه، وفتح باب الرد على نظرياته، مع ذلك فقد بقوا على تلك الحال حتى أن المحقق وابن أخته العلامة الحلي ومن عاصرها بقوا لا يعدون رأي شيخ الطائفة»^(١).

(١) الطوسي: محمد بن الحسن، الخلاف، ج ١ ص ١٠، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤٠٧هـ.

ابن إدريس ومعركة التجديد

كان الشيخ ابن إدريس شاباً نابغة حادّ الذكاء، كما كان محققاً ومجدداً، رأى أن الجو العام غير طبيعي تجاه آراء الشيخ الطوسي التي لا يجرؤ أحد من الفقهاء أن يتجاوزها، كما أن أي رأي يُخالف رأي الشيخ الطوسي لا يحظى بالقبول، بل يتعرض للسخرية والاستهزاء. فرأى أن من واجبه الشرعي أن يثور على هذه الحالة، وكتب كتاباً اسمه: (السرائر)، وتعمّد المناقشة لأغلب آراء الشيخ الطوسي وطرح الآراء التي يُخالفه فيها بكل جرأة، مقدماً في ذلك الأدلة التي تؤيد آراءه. كما شنّ هجوماً على الفقهاء المعاصرين له وأطلق عليهم: المقلّدة، وكان ينتقد الفكر السائد الذي يدعو للجمود أمام آراء الشيخ الطوسي.

ولكن الفقهاء المعاصرين له لم يقبلوا منه هذا التوجه المخالف للشيخ الطوسي، وثاروا عليه، وحصل بذلك أول صراع بين الجمود والتجديد في تاريخ الفقه الشيعي. وكتاب (السرائر الحاوي لتحرير الفتاوى) هو من أشهر كتب الشيخ ابن إدريس الحلي وأهمها، ويعدّ كتاب (السرائر) أحد مصادر الفقه الشيعي، بل لا يوجد مؤلف بأهميته ما بين مؤلفات الشيخ الطوسي في القرن الخامس الهجري وتصانيف المحقق الحلي في القرن السابع، وقليلون هم الفقهاء الذين أتوا بعد ابن إدريس ولم يستندوا إلى السرائر أو يرجعوا إليه أو يأتوا على ذكره^(١).

صحيح أن الشيخ ابن إدريس عانى من معارضة المعاصرين له ومحاربتهم إياه، لكنه قدم خدمة عظيمة لحركة الاجتهاد وحرية البحث العلمي، وكل من يدرس تاريخ الفقه الشيعي يترحم على الشيخ محمد بن إدريس الحلي، الذي كسر حاجز الركود والجمود في الفقه الشيعي، ولو لا حرّكته المباركة للتجديد لأصبح الاجتهاد عنواناً بدون معنى.

(١) بناري: علي همت، ابن إدريس الحلي، ص ١٣٣، ترجمة حيدر حب الله، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، الغدير للطباعة والنشر، بيروت.

قال صاحب الحقائق الشيخ يوسف البحراني: «كان هذا الشيخ (ابن إدريس الحلي) فقيهاً أصولياً بحتاً ومجتهداً صرفاً، وهو أول من فتح باب الطعن على الشيخ (الطوسي) وإلا فكل من كان في عصر الشيخ أو من بعده إنما كان يجذو جذوه غالباً إلى أن انتهت النوبة إليه»^(١).

قال الشيخ عباس القمي: «شيخ فقيه، ومحقق نبيه... وقد أذعن بفضل العلماء المتأخرون وأقروا بعلمه وفقهه وتحقيقه...»^(٢).

ووصفه الشهيد السيد محمد باقر الصدر بالفقيه المجدد^(٣).

إنه عانى ما عانى في حياته بسبب جرأته وتمسكه بحرية الفكر وحق التعبير عن الرأي، ولكنه فتح الطريق أمام الفقهاء ليطرحوا آراءهم بكل جرأة وشجاعة. بالطبع، فإن الذي يسير وفق الرأي السائد يسلم من أي اتهام، ولكن المخالف للسائد هو الذي يجب أن يتحلى بالصبر والثبات تجاه ما يطرح من آراء يؤمن بها ويرى صوابيتها. والمسألة لا تعني تمجيد المخالفة لذات المخالفة، وإنما الأمر أن هذا الرأي الجديد له أدلته، والناطق به أهلٌ لأن يُبدي رأياً في المجال الذي يتحدث فيه، وهذا هو المطلوب في كل عصر وزمان.

بالطبع، فإن الإشادة بدور الشيخ ابن إدريس الحلي لا تعني القول بصحة وصوابية كل آرائه، فهو كغيره من الفقهاء قد يصيب وقد يخطئ، ولا يمكن القول بأرجحية رأيه في كل المسائل التي خالف فيها الشيخ الطوسي، ولكن التمجيد والتقدير إنما هو لدوره النقدي العلمي، ولمنهجيته في ممارسة الاجتهاد والتجديد، خارج أسر رأي السلف، وسقف فتاوى المشهور، على حساب الدليل والبرهان.

(١) المصدر السابق، ص ٣٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٦.

إن بعض الآراء التي قررها وأفتى بها الشيخ ابن إدريس الحلي، تتصف بالتشدد، وقد لا تصمد أمام البحث والنقد العلمي، وقد ناقشها العلماء بعده، وردوا عليه، وأبانوا نقاط الضعف في أدلته.

ومنها مثلاً قوله بكفر ولد الزنا، وترتيب أحكام الكفر في التعامل معه، وقوله بحرمة صلاة الجمعة للفقهاء إلا للإمام العادل أو من نصبه، وقوله بعدم اشتراط الفقر في إعطاء الخمس لأيتام بني هاشم - بل يمكن تحويل الخمس إليهم حتى مع غناهم وعدم حاجتهم -.

الاجتهاد دعوة إلى التجديد

تحتاج الأمة إلى التجديد في الاجتهاد في الفكر والفقهاء، في كل عصر وزمان، وخاصةً أمام المنعطفات، فإذا كانت هناك منعطفات كبيرة في حياة البشرية وتحديات تواجهها الأمة فإن الحاجة للتجديد تكون أكثر إلحاحاً، لماذا؟ لأن الفقهاء السابقين أعطوا آراءهم من خلال وضع كانوا يعيشونه، وبيئة كانوا يتفاعلون معها، ولكن مع تغير الأوضاع والتطورات في العالم، يجب الاجتهاد بجرأة وانفتاح، فلعل المتغيرات والتطورات تفتح المجال للتفكير بشكل آخر.

ولا شك أن كثيراً من موضوعات الأحكام الشرعية قد استجدت أو تغيرت عما كانت عليه في زمن الفقهاء السابقين، مما يعني تغيراً في الحكم تبعاً لتغير الموضوع. كما أن فرص الفقيه في استقصاء النصوص الشرعية، والاطلاع على الآراء الفقهية وأدلتها، أصبحت أكبر وأفضل، فإن الفقيه في الزمن الماضي كان يصرف وقتاً وجهداً كبيراً لجمع النصوص والآراء من كتب مخطوطة، أو محدودة التداول والانتشار، بينما يستطيع اليوم الإطلاع على أكبر عدد من النصوص والآراء عبر جهاز الحاسوب، بسهولة لا تكاد تذكر.

ولا يمكن تجاهل تأثير التراكم العلمي والمعرفي، فأمام فقيه العصر نتاج علمي معرفي هائل في مختلف مجالات العلوم، بما فيها العلوم الشرعية، حيث أثارها علماء العصور الماضية باجتهاداتهم وآرائهم، فرصيد المعرفة والعلم والخبرة والتجربة المتوفر اليوم أعظم وأضخم مما كان متوفراً في الأزمنة السابقة. صحيح أن الفقهاء في العصور المتقدمة يمتلكون ميزة القرب من عصر النص، لكنهم يفتقدون ما أشرنا إليه من امتيازات معاصرة.

عوائق التجديد

تنتصب أمام الفقيه عوائق مختلفة تعترض طريقه لتجديد الرأي والنظر فيما هو موروث مشهور، أو سائد متداول من الآراء الفكرية والفقهية. وأبرز تلك العوائق: سيطرة الأجواء المحافظة التي ترفض الرأي الآخر، ووجهة النظر المخالفة، في الحوزات العلمية والأوساط الدينية غالباً. حيث ينظر البعض إلى الرأي الجديد وكأنه بدعة أو خروج عن الإطار الشرعي، أو تهديد للعقيدة والأصالة وثوابت الدين. وقد تدخل الأغراض الشخصية والمصلحية على الخط، فيتداخل الاختلاف في الرأي مع التضارب في المصلحة أو النزاع على المكانة والموقعية. وهنا يُشهر سلاح الاتهام والتشكيك تجاه صاحب الرأي المخالف الجديد، وتستثار عواطف ومشاعر الجمهور ضده. هذه المعاناة عادة ما يواجهها الفقهاء المجددون، وقد أخذ الشيخ ابن إدريس حظه من هذه المعاناة.

فقد اتهموه بترك أخبار أهل البيت والإعراض عنها، كما ذكر ابن داود الحلي في رجاله، حيث قال: «محمد بن إدريس العجلي الحلي، كان شيخ الفقهاء بالحلة، متقناً في

العلوم، كثير التصانيف، لكنه أعرض عن أخبار أهل البيت»^(١).

فهل يعقل أن يُعرض فقيه شيعي عن أخبار أهل البيت ﷺ؟ ثم إن للشيخ ابن إدريس كتاباً جمع فيه كثيراً من الأحاديث والأخبار عن أهل البيت ﷺ بعنوان (مستطرفات السرائر)، كما أن كتابه (السرائر) مملوء بأخبار أهل البيت، وفي كثير من الموارد حرص على نقل متون الأخبار بعينها.

ولكن تحوّل الخلاف من نهجه العلمي إلى الخصام الشخصي ينتج مثل هذه الاتهامات.

كما أتهم ابن إدريس وقُدح فيه باعتباره قد أهان الشيخ الطوسي وطعن فيه، بل قال بعضهم: إن ابن إدريس توفي في سن مبكر من عمره جزاءً له على توهينه وإساءته الأدب مع الشيخ الطوسي!! حسب نقل الشيخ محمد المازندراني في منتهى المقال^(٢).

وقد ناقش هذه التهمة باحث معاصر، واستقصى كتاب (السرائر) للشيخ ابن إدريس ليرى كيفية تعامله مع شخصية الشيخ الطوسي، فاكشف أنه مع مناقشته الجادة لآراء الشيخ الطوسي، لكنه يذكره بكل احترام وتقدير وتجليل، ورصد هذا الباحث أربعة عشر موضعاً ذُكر فيها الشيخ الطوسي في كتاب ابن إدريس، ليس في شيء منها أي إساءة أو توهين، حيث يعبر عنه بمثل قوله: «شيخنا أبو جعفر»، «شيخنا السعيد أبو جعفر»، «الشيخ الفقيه»، «رضوان الله عليه»، «رحمه الله»، «رضي الله عنه»، «الشيخ السعيد الصدوق أبو جعفر رضي الله عنه وتغمده الله تعالى برحمته».

بل إن الشيخ ابن إدريس حينما وجد قولاً نقله الشيخ الطوسي عن السيد المرتضى، مع عدم وجود ذلك القول في أي من كتب السيد المرتضى أو مصنفاته، بل المنقول خلافه، فإن ابن إدريس يبرر للشيخ الطوسي بقوله: «ولعل شيخنا أبا جعفر سمعه من المرتضى

(١) المصدر السابق، ص ٤٤٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٤٧.

في الدرس، وعرفه منه مشافهة، دون المسطور، وهذا هو العذر اليين، فإن الشيخ ما يحكي بحمد الله تعالى إلا الحق اليقين، فإنه أجل قدراً، وأكثر ديانة من أن يحكي عنه ما لم يسمعه ويحققه منه».

ويلاحظ في بعض الحالات التي يذكر فيها ابن إدريس كلاً من الشيخ الطوسي والشيخ المفيد والسيد المرتضى أن تعابيره في حق الشيخ الطوسي تكون أكثر احتراماً وتقديراً^(١).

مع كل ذلك، فإن تهمة الإهانة والطعن على الشيخ الطوسي قد ألصقت بالشيخ ابن إدريس، بسبب جرأته على طرح الرأي الآخر.

معاناة متجددة

ما عاناه الشيخ ابن إدريس الحلي من بعض الوسط العلمي الديني بسبب جرأته في الاجتهاد، وممارسة حقه في التعبير عن الرأي، بل القيام بواجبه الشرعي في تبين ما يدين الله به من رأي وصل إليه اجتهاده، هو حالة متكررة ومعاناة متجددة يواجهها العلماء الأحرار في تفكيرهم ومواقفهم في مختلف العصور.

وقد تحدث الشهيد الشيخ مرتضى المطهري في عدد من خطابه وكتابه عن هذه المشكلة التي تعيق تطور الفكر والفقه الإسلامي، ونقل في حديث له بعنوان (المشكلة الأساس في جماعة علماء الدين) عن الإمام السيد حسين البروجردي شكواه من الضغوط التي تقيده في الوسط الديني من إعلان بعض آرائه وفتاواه، قائلاً: «إن التقيّة من أصحابنا أهم وأعلى».

وأشار الشيخ المطهري إلى أن المسألة لا تقتصر على رفض طرح الرأي الجديد، وإنما حتى التجديد في الوسائل والأساليب المتداولة في الحوزة العلمية يواجه عوائق

(١) المصدر السابق، ص ٤٤٨-٤٥٠.

وممانعة، فالشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم اضطر للتراجع عن فكرة تخصيص دروس لتعلم اللغة الإنكليزية في الحوزة آنذاك، بسبب ضغط بعض الجهات التي أثارت زوابع وتشكيكات بعدم جواز صرف الحقوق الشرعية على تعلم لغة الكفار!! بالطبع، تجاوزت الحوزة العلمية في قم أخيراً هذه المشكلة وأصبح تدريس اللغات الأجنبية قائماً^(١).

وحين أعلن الإمام السيد محسن الحكيم تغيير رأيه وأفتى بطهارة أهل الكتاب (اليهود والنصارى ومن ألحق بهم) ثارت ضده زوبعة من بعض الأطراف الدينية. ويشير الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه (فقه الإمام الصادق) إلى حساسية الأجواء الدينية من طرح مثل هذا الرأي الفقهي في مسألة جانبية فيقول:

«عاصرت ثلاثة مراجع كبار من أهل الفتيا والتقليد، الأول كان في النجف الأشرف، وهو الشيخ محمد رضا آل يس، والثاني في قم، وهو السيد صدر الدين الصدر، والثالث في لبنان، وهو السيد محسن الأمين، وقد أفتوا جميعاً بالطهارة - طهارة أهل الكتاب -، وأسروا بذلك إلى من يثقون به، ولم يعلنوا خوفاً من المهوَّشين، على أن (الشيخ) يس كان أجراً للجميع. وأنا على يقين بأن كثيراً من فقهاء اليوم والأمس يقولون بالطهارة، ولكنهم يخشون أهل الجهل، والله أحق أن يخشوه»^(٢).

هذا كان قبل حوالي نصف قرن أما الآن فالرأي السائد بين الفقهاء هو القول بطهارة أهل الكتاب، بل هناك رأي بدأ يتبلور عند بعض الفقهاء بطهارة جميع الكفار فالإنسان لا يكون نجساً بسبب دينه وعقيدته.

ومع قوة شخصية وموقعية الإمام الخميني عليه السلام، فإنه لما أفتى ببعض المسائل

(١) المطهري: مرتضى، محاضرات في الدين والاجتماع، ص ٥٥٩، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م، الدار الإسلامية، بيروت.

(٢) مغنية: محمد جواد، فقه الإمام الصادق، ص ٣٣، الطبعة السادسة ١٩٩٢م، دار التيار الجديد، بيروت.

المخالفة للرأي الفقهي السائد، كفتواه بجواز الشطرنج إذا لم يكن فيه قمار مالي، ثارت ضده بعض الزوابع، وكتب له بعض تلامذته ناصحين بأن لا يصدر مثل هذه الآراء المخالفة للمشهور، لأن البعض يستغلها لتشويه سمعته والتشكيك في نزاهته! وأشار الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي إلى أن كثيراً من العلماء يحملون رأيهم في صدورهم، ولا ييؤحون به خشية الوقوع في الخلاف والاختلاف. وضرب مثلاً على ذلك بقول الشيخ محمد أبو زهرة في أحد المؤتمرات: أنه عنده رأي كتبه عشرين عاماً ويريد أن ييؤح به الآن. وقال الشيخ القرضاوي: إنني كتبت بعض الفتاوى لسنين طويلة خشية أن يهاجمني المهاجمون ثم بدأت أفصح عن هذه الفتاوى وأنشرها^(١).

ممارسة الحرية والدفاع عنها

إن الاستسلام لهذه المشكلة والخضوع لها، يكلف الإسلام والأمة ثمناً باهظاً، فتشريع الاجتهاد ليس أمراً عبثياً، وليس مسألة ترفيئة، وإنما لأن طبيعة الحياة والإنسان تقتضي ذلك، والاجتهاد يظهر حيوية الفكر والفقه الإسلامي وصلاحيته لكل زمان ومكان.

لكن الجمود والركود والوقوف عند آراء السلف وفتاوى المشهور على حساب الدليل والبرهان، يفرغ الاجتهاد من محتواه، ويجعله عنواناً شكلياً، حينما يجد الفقيه والمفكر نفسه مقيداً بالرأي السائد والمتداول.

والأمة الإسلامية تواجه اليوم تحديات كبيرة على مختلف الصُّعد الفكرية والسياسية والاجتماعية، فلا بد أن يجتهد علماءها ومفكروها لتلمس طريق الخلاص، والارتقاء إلى مستوى التحدي، وذلك يستدعي استنهاض الفكر واستثارة الرأي، وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه للأكفاء والمؤهلين، دون قيود سياسية أو اجتماعية.

(١) الشرق الأوسط، جريدة يومية تصدر من لندن، بتاريخ ٣٠ / ١ / ٢٠٠١ م.

إن حرية الفكر وحق التعبير عن الرأي مطلب إنساني، تتطلع إليه كل الشعوب، فهل يصح أن يُجرم منه العلماء والمفكرون داخل أوساطهم؟ وإذا كان هناك من يتحدث عن بعض سلبيات حرية الرأي والفكر، فإن مواجهة تلك السلبيات لا يكون بالقمع والحصار، وإنما بالمنازلة العلمية، والطروحات المنهجية التي ترشد المسار، فسلبيات الجمود والإرهاب الفكري أكثر ضرراً وأشد خطراً. وأود أن أركز في نهاية حديثي على النقاط التالية:

١. إن ممارسة الاجتهاد وإعطاء الرأي والفتوى في مسائل الفقه هو حق للمجتهد الفقيه دون من لا يمتلك هذه الكفاءة. كما أن للاجتهاد ضوابطه المقررة.
٢. إن حرية البحث والنظر ومجال التعبير عن الرأي هي من الأجواء الطبيعية للاجتهاد وتنمية القدرات والطاقات، وبلورة الآراء وإنضاج الأفكار وتكامل النظريات.
٣. إن الساحة العلمية الدينية بحاجة ماسة إلى وجود الفقهاء المتوفرين على الجرأة والشجاعة لمواجهة التحديات الخطيرة.
٤. إدارة الصراع الفكري والاختلاف العلمي يجب أن تتم وفق آداب الإسلام وأخلاقيات العلم والمعرفة، ولا يجوز استخدام الأساليب الخاطئة في إسقاط الأشخاص والتشكيك في النيات، وتحشيد عواطف الجمهور.
٥. أن أن تنبثق داخل الأجواء العلمية والدينية جهات تتبنى الدفاع عن حرية الفكر وحق التعبير عن الرأي، فهناك شريحة واسعة في الوسط الديني تؤمن بذلك، لكنها لم تأخذ مبادرة لخدمة هذا التوجه، مما ترك الساحة فارغة لضغوط الأطراف المحافظة والممانعة للتغيير والتطوير. إن مستوى الوعي عند الجمهور قد تقدم، والإحساس بضرورة التجديد قد اتسعت رقعته، لكن العناصر الواعية في الوسط العلمي والديني بحاجة لتكثيف جهودها من أجل الدفاع عن حرية الفكر وحق

التعبير عن الرأي.

نسأل الله تعالى أن يمنحنا البصيرة في ديننا والالتزام بشوابته وأحكامه إنه ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

رعاية النظام والقانون

كلمة الجمعة بتاريخ ٣٠ جمادى الآخرة ١٤٢٦ هـ

لكل فرد من أبناء البشر حاجاته ومصالحه ورغباته، كما تختلف آراؤهم وتوجهاتهم، ومن الطبيعي أن تختلف الرغبات والتوجهات، فقد لوحظ الاختلاف حتى في حال التوائم السيامية، حيث عاشت فتاتان إيرانيتان ملتصقتان ببعضهما ثمانية عشر عاماً قبل أن تجرى لهما عملية فصل ماتتا على إثرها، وكانتا مختلفتين في بعض الرغبات والآراء.

وحين يعيش جمع من الناس في محيط واحد، فإن اختلاف الرغبات والمصالح والتوجهات قد يؤدي إلى التعارض والتضارب، فإذا ترك الأمر للغلبة والقوة، فإن حياة المجتمع ستحكمها شريعة الغاب.

لذلك أدرك الإنسان من بداية وعيه بالحياة الاجتماعية ضرورة وجود نظام وقانون ينظم حياة المجتمع، ويضبط العلاقة بين قواه وأفراده.

وعرف تاريخ البشر ألواناً من الأنظمة والقوانين المختلفة المتفاوتة في قربها وبعدها من العدالة والحق. لكنها كانت تلبى حاجة أساس في أصل وجودها، فمهما كانت نسبة الخطأ والانحراف في النظام إلا أن ذلك أفضل من عدم النظام الذي يعني الفوضى والاضطراب، وتبقى مسؤولية المصلحين في كل مجتمع للسعي لتغيير القوانين بالاتجاه الصحيح والأفضل، ولتلافي ثغراتها وتصحيح أخطائها، وتقويم معوجّها.

وقد تتعدى الحاجة إلى النظام الجانب الاجتماعي في حياة الإنسان، إذ إنه في بُعد حياته الشخصية وفي علاقته مع ربه ومع الطبيعة التي يعيش في أحضانها، يحتاج إلى نوع من التنظيم والتقنين.

يقول السيد الشيرازي في كتابه (القانون) من موسوعته الفقهية:

«إنما احتاج الإنسان إلى القانون لأنه إنسان، له حوائج فردية واجتماعية في مختلف الجوانب. وليس كما قال الإغريق: لأنه مدني بالطبع فيحتاج إلى تحقيق متطلبات الاجتماع، والمتطلبات لا يمكن جعلها في المسار الصحيح إلا بالقانون. وذلك لأنه لو فرض أن إنساناً عاش وحده في غابة أو كهف، لاحتاج أيضاً إلى القانون الذي ينظم سلوكه مع نفسه، مضافاً إلى القانون الذي ينظم سلوكه مع خالقه ومع الكون بصورة عامة. وبذلك ظهر: أن قول بعض الفلاسفة: أنه لو كان المجتمع مثالياً مكوّناً من الفلاسفة لم يحتج إلى القانون، غير تام.

كيف؟ ولنفرض أن كل أولئك الفلاسفة كانوا في أعلى درجات العدالة والنزاهة، أليس اختلاف الآراء يوجب بينهم التخاصم والتدافع؟ أو ليس ذلك بحاجة إلى قانون يقرره من هو فوقهم - إذا اعتقدوا به - أو يقرره أكثريتهم، إذا كانوا يرون ذلك، أو حسب القرعة، أو أي ميزان آخر يتفقون عليه؟ إذن، فالقانون لازم لتنظيم شؤون المجتمع، مهما كان المجتمع بدائياً، أو متوسطاً، أو مثالياً وفي غاية السمو والرفعة، حيث أن اللازم أن يكون هناك مقياس لسير الفرد والاجتماع في مختلف جوانب الحياة»^(١).

الالتزام بالقانون

يعتمد استقرار المجتمع، وانتظام أموره، وحسن العلاقة بين أطرافه، على مدى التزام أبناء المجتمع بالقانون السائد بينهم. ذلك أن مخالفة القانون تسبب التصادم بين الرغبات، والتجاوز على الحقوق، وتعطيل المصالح، ووقوع الأضرار والمضاعفات. فمثلاً، مخالفة قوانين المرور تؤدي إلى الحوادث المروعة من إتلاف النفوس،

(١) الشيرازي: السيد محمد الحسيني/ الفقه - القانون، ص ١٠٣-١٠٤، الطبعة الثانية ١٩٩٨م، مؤسسة البلاغ-بيروت.

وحصول الإعاقات، وخسارة الأموال.

وكذلك مخالفة أنظمة الصحة تسبب انتشار الأمراض، وتهديد حياة الناس، وهكذا الحال في سائر المجالات والجوانب. كما أن مخالفة القوانين تعني ضياع هيبة النظام وسيادة الانفلات والفوضى.

لذلك لا بد من وجود شعور واندفاع عند أبناء المجتمع بالتزام القوانين ورعاية الأنظمة، حفظاً لمصالح الجميع.

إن البعض من الناس يحترم القانون حين يكون في مصلحته، ويتجاوزته حين يكون في صالح غيره، أو حين لا يجد مصلحة له في التزامه، وهذا خطأ كبير، لأن سيادة القانون مصلحة عامة تنعكس فائدتها على الجميع، ولأن عليه أن يتصور نفسه في الموقع الآخر، فهل يرضيه تجاوز الآخرين على مصلحته؟

وهناك من يحترم النظام إذا خاف العقوبة الرادعة، أما عند الأمن من العقاب أو تمكّن الفرار، فإنه يتجرأ على المخالفة والتمرد، وهذا يكشف عن خلل في النفسية والوعي.

وقد تكون للبعض اعتراضات على بعض الأنظمة والقوانين، أو عدم ثقة ورضا بالجهة التي أصدرتها، لكن ذلك لا يصح أن يكون مبرراً للمخالفة، بل يجب أن يكون دافعاً للعمل والسعي للتصحيح وتقويم معوج الأنظمة، وتغيير جهة التشريع والتقنين، بالطرق والأساليب الممكنة المشروعة، وإلى أن يتحقق ذلك لا بد من رعاية الأنظمة والقوانين السائدة. كما هو واقع الحال في المجتمعات الديمقراطية حيث تحتج المعارضة على بعض القوانين، وتعرض عليها، وتقدم المشاريع البديلة، وتتحرك إعلامياً وسياسياً لتحقيق ذلك، لكن المعارضين يجدون أنفسهم ملزمين برعاية الأنظمة القائمة، وليس مقبولاً منهم مخالفتها.

نعم، قد تتبلور إدارة جمعية للتغيير والتصحيح، وقد تكون المخالفة للقانون ضمن

وسائل العمل لتغييره وتصحيحه، كما هو الحال في برامج الإضراب والعصيان المدني التي تحصل في بعض البلدان. ولكن ذلك أيضاً يكون من خلال قانون، أو قيادة ذات مقبولة، وليس تصرفاً فردياً أو ممارسات اعتباطية.

وبالتالي، فلا يصح لفرد أو مجموعة مخالفة القوانين والأنظمة لموقف لهم تجاه السلطة أو ملاحظة لديهم على بعض القوانين. بالطبع، فإن المسلم لا يُجزى قانوناً يتصادم مع حكم شرعي لازم ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

الكون وحاكمية النظام

آيات كثيرة في القرآن الكريم تلفتنا إلى النظام الصارم الذي يلفّ الكون، فالكون خاضع لنظام دقيق، كل ذرة فيه وجدت في مكانها بحساب، وعلاقتها مع ما سواها تجري بنظام دقيق. يقول تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر: الآية ٤٩]. ويقول تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمَقْدَارٍ﴾ [سورة الرعد: الآية ٨]. ويقول تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [سورة الطلاق: الآية ٣]. ويقول تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة يس: الآيتان ٣٩-٤٠].

هذه الآيات الكريمة وأمثالها، وما تؤكد من خضوع الكون والطبيعة لسنن ثابتة، وقوانين صارمة، يلحظها الإنسان ويشاهدها، ويكشف له العلم كل يوم عن المزيد والجديد من تجلياتها، إنها تريد أن توجه الإنسان إلى التفكير في عظمة الخالق سبحانه، وإضافة لذلك، فإنها تستهدف صنع خلفية وأرضية في نفس الإنسان وعقله للالتزام بالنظام والقانون، في حياته الشخصية والاجتماعية.

وهذا ما تصرح به آيات أخرى تحذّر الإنسان من مخالفة الحدود الشرعية، وتحثّه

على التقيد بها. يقول تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٢٩]. ويقول تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [سورة الطلاق: الآية ١].

العبادات والتربية على النظام

إذا تأملنا الأحكام التفصيلية للعبادات في الشريعة الإسلامية، فإننا نستنتج منها أنها تربي الإنسان المسلم على التزام النظام والقانون، فالصلاة مثلاً مطلوبة من الإنسان في أوقات محددة، لا تصح قبلها بلحظة، كما لا يجوز تأخيرها عن وقتها اختياراً ولو بلحظة واحدة.

وللصلاة أركانها وواجباتها التي لا يصح إهمال أو تجاوز شيء منها. وكذلك الصوم فإنه يجب في شهر معين (شهر رمضان)، وضمن وقت معين، من طلوع الشمس إلى الغروب، وليس مقبولاً تأخير الصيام دقيقة واحدة عن الفجر في مقابل تمديده ساعة بعد الغروب.

وفريضة الحج محددة بوقت مخصوص، ومكان مخصوص، ضمن مناسك وأعمال مقننة، لا تخترقها رغبات الإنسان وأهواؤه، ولا يجوز له التهاون والتسيب في شيء من حدودها.

وكذا الحال في فريضة الزكاة التي تجب في نصاب معين، وبأحكام خاصة لا بد من مراعاتها.

كل ذلك يفترض أن يساعد على تربية الشخصية المنظمة الحريصة على التزام النظام والقانون، والبعيدة عن التسيب والمخالفة.

الرأي الفقهي

أفتى الفقهاء بوجوب رعاية الأنظمة والقوانين حفظاً لنظام حياة المجتمع، وحماية

للمصلحة العامة، واحتراماً للحقوق المتبادلة بين الناس.

ولا يختصّ وجوب الالتزام بالقوانين وحرمة مخالفتها بالبلاد الإسلامية، بل إن المسلم مكلف بذلك حتى في البلاد غير الإسلامية، باعتباره قد ألزم نفسه برعاية الأنظمة القائمة فيها، من خلال تأشيرة الدخول الممنوحة له المتضمنة لذلك، إضافة إلى أصل احترام مصالح الآخرين وحقوقهم.

وكنموذج للرأي الفقهي نعرض لبعض فتاوى المرجع الديني السيد علي السيستاني أجبها عن أسئلة قدمت له ترتبط برعاية الأنظمة والقوانين، يقول السائل: هل يلزم المكلف الحاصل على فيزا الالتزام بقوانين البلد غير الإسلامي، بما في ذلك التقيّد بأمثال إشارات المرور وقوانين العمل وأمثالها؟

فأجاب سماحته: «إذا تعهد لهم - ولو ضمناً - برعاية قوانين بلدهم، لزمه الوفاء بعهد، فيما لا يكون منافياً للشريعة المقدسة. ومثل إشارات المرور يلزم التقيّد بها مطلقاً، إذا كان عدم مراعاتها يؤدي - عادة - إلى تضرر من يحرم الإضرار به من محترمي النفس والمال»^(١).

ورداً عن السؤال التالي: توجد عبارات في بعض وسائل النقل تنص على عدم جواز التدخين فهل تجوز مخالفتها؟

أجاب السيد السيستاني: «إذا كان ذلك بمثابة شرط ضمني على من يريد الركوب فيها، أو كان قانوناً حكومياً وقد التزم لهم برعاية القوانين الحكومية، لزمه العمل وفق شرطه والتزامه»^(٢).

وجواباً عن السؤال التالي: هل يجوز للمسلم أن يعطي معلومات غير صحيحة للدوائر الحكومية في أوروبا للحصول على مزايا وتسهيلات مالية أو معنوية، وبالطريقة

(١) السيستاني: السيد علي/ الفقه للمغتربين، مسألة رقم ٢٣٥، الطبعة الثالثة ٢٠٠٢م، مكتب السيد السيستاني - قم.

(٢) المصدر السابق، مسألة رقم ٢٣٤.

القانونية لديهم؟

قال السيد السيستاني: «لا يجوز ذلك، فإنه من الكذب، وما ذكر ليس من مسوغاته»^(١).

وسئل سماحته: هل يجوز الغش في المدارس الرسمية في أوروبا؟ وهل يجوز الغش في المدارس الأهلية إسلامية أو غير إسلامية؟
فأجاب: «لا يجوز الغش في شيء منها»^(٢).

وعن مثل هذه الموارد سُئل فقهاء آخرون فكانت إجاباتهم وفتاواهم تؤكد أهمية رعاية القانون والنظام في أي بلد ومجتمع.

فقد وُجّه للمرجع الديني الراحل السيد محمد رضا الكلبايكاني رحمته الله السؤال التالي: في الدول الكافرة أو التي لا تحكم بالإسلام هل يجوز مخالفة النظام العام مع أمن الضرر؟

فأجاب: «لا يجوز ذلك»^(٣).

ولزوم رعاية النظام والقانون في مختلف الدول بغض النظر عن دينها أو نمط حكمها هو رأي السيد الخوئي أيضاً، وقد أجاب رحمته الله عن السؤال التالي: هل حكمكم بعدم جواز مخالفة النظام في الدول الكافرة مبني على الاحتياط أم فتوى؟
فقال: «هذا الحكم فتوى، وليس باحتياط»^(٤).

وعلى هذا الموقف يؤكد المرجع الديني الشيخ محمد الفاضل اللنكراني حيث أجاب عن السؤال التالي: هل يجب على المؤمنين التقيّد بجميع قوانين مثل هذه الدول سواء مثل

(١) المصدر السابق، مسألة رقم ٢٣٨.

(٢) المصدر السابق، مسألة رقم ٢٣٣.

(٣) الحسيني: السيد حسين / أحكام المغتربين، مسألة رقم ١٢٤٤، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت - طهران.

(٤) المصدر السابق، مسألة رقم ١٢٤٦.

نظام السير، وحركة السيارات والآليات أو غيره، من قبيل منع بعض التجارات ببعض الأشياء، أو التقيّد بنظام تحديد أسعار السلع، وعدم التخلف عن دفع ضرائب ونحو ذلك؟

أجاب بقوله: «الظاهر هو الوجوب»^(١).

و حين يفتي الفقهاء بوجوب رعاية النظام والقانون فإنهم بسيرتهم العملية يقدمون نموذجاً للالتزام بهذه الفتوى. فقد أفرد أحد الباحثين في حياة الإمام الخميني عليه السلام فصلاً كاملاً في كتابه عنه تحت عنوان (رعاية القانون) سجّل فيه عدداً من المشاهد والمواقف التي تظهر التزامه عليه السلام برعاية النظام والقانون في ظل مختلف الحكومات، نقتطف منها ثلاثة نماذج:

يقول أحد مرافقيه من العلماء: كنت ذات ليلة عند الإمام الخميني في النجف إذ جاءه أحد الطلاب وسأله في مجلسه: هل يمكن شراء طابع قيمته ثمانية ريالات بريالين والامتناع عن دفع بقية المبلغ؟

فأجاب الإمام: هذا العمل غير جائز. ثم قال: حتى ولو كان ستالين حاكماً فإن حفظ النظم من أهم الواجبات^(٢).

من الخصوصيات البارزة للإمام الخميني أنه حتى في دولة الكفر كان يراعي الحقوق والقوانين الاجتماعية لذلك المجتمع، ومن ذلك حينما كان في باريس، فقد جمع الأخوة مالا واشتروا نعجة وذبحوها خلف فناء كان قد جاء الإمام إليه لأجل الصلاة، فتهيئوا طعاماً في ليلة عاشوراء، فأرسلوا مقداراً من اللحم إلى منزل الإمام. وكان في فرنسا قانون يمنع ذبح أي حيوان خارج المسلخ رعاية للمسائل الصحية، وعندما أطلع الإمام

(١) المصدر السابق، مسألة رقم ١٢٥٧.

(٢) رجائي: غلام علي/ قبسات من سيرة الإمام الخميني - القيادة، ص ٣٢٦، ٢٠٠٥م، الدار الإسلامية - بيروت.

على هذا القانون قال: لما كان هذا مخالفاً لقانون حكومة هذا البلد فيني لن آكل من هذا اللحم^(١).

ومرة احتاج الإمام الخميني لمراجعة كتاب كان موجوداً في مكتبة حسينية جماران الملاصقة لمقر إقامته في طهران، التي يستقبل فيها الناس، فطلب من ابنه أن يأتيه بالكتاب، فأخبره ابنه السيد أحمد أن قانون المكتبة يمنع إخراج الكتاب منها، ويسمح بالمطالعة في المكان نفسه. فردّ الإمام فوراً أنه لا بد من الالتزام بقانون المكتبة وعدم إخراج الكتاب، وطلب أن يجلب له الكتاب من مكان آخر^(٢).

لماذا التساهل في رعاية النظام؟

في الدول المتقدمة والمجتمعات المتحضرة ترى هناك التزاماً عاماً عند المواطنين برعاية الأنظمة والقوانين، والمخالفات التي تحصل لا تصل إلى مستوى الظاهرة العامة. بينما في مجتمعات الدول النامية وبلاد العالم الثالث، تجد أن مخالفة القوانين تمثل ظاهرة عامة، وعادة ما يستصعب الناس الالتزام بالقانون إلا إذا اضطروا إلى ذلك.

إن هناك أسباباً وعوامل تساعد على التزام الناس بالنظام، ومن أهمها ما يلي:

١. مشاركة الناس في صنع القوانين والأنظمة، فحين تكون هناك مشاركة شعبية عبر نظام الانتخابات واختيار الممثلين لمؤسسات صنع القرار، فإن رضا الناس عن القوانين، وشعورهم بأنها تمثل رأيهم وتخدم مصالحهم، يعتبر عاملاً أساسياً في الالتزام والتطبيق.
٢. القيادات القدوة: فحين يرى الناس التزام قياداتهم وكبار رجال مجتمعهم بالقوانين والأنظمة، فإنهم سيندفعون لتطبيقها، أما حين تسود المحسوبيات، ويصبح النافذون فوق القانون، فإن هيبة القانون وقيمته تسقط في نفوس عامة الناس.

(١) المصدر السابق، ص ٣٢٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٢٨.

٣. الرقابة والردع: إن وجود نظام للردع يحمي القانون ويمنع الجرأة على اختراقه ومخالفته، كما أن الرقابة الصارمة، وإتاحة المجال لتسليط الأضواء على واقع سير الأنظمة والقوانين، له دور كبير في ضمان التنفيذ والتطبيق. وهذا ما نراه في الدول المتقدمة، بوجود مؤسسات للرقابة والمحاسبة، وأجهزة قضائية مستقلة، وإعلام حرّ يقتنص أيّ خطأ وخاصة على الجهات النافذة، وتنافس سياسي يجعل كل جهة تبحث عن مخالفات الجهة الأخرى، مما يشكل روادع وكوابح لحالات تجاوز القانون.

بينما في العالم الثالث هناك تسيّب وتساهل يتيح الفرصة لحالات الفساد وتجاوز الأنظمة والقوانين.

٤. ثقافة الالتزام بالقانون: إن التربية على رعاية النظام والقانون يجب أن تبدأ من المحيط العائلي، ولمناهج التعليم وأجواء الدراسة دور كبير في توجيه المواطن لاحترام النظام، كما أن وسائل التثقيف والإعلام تتحمل جزءاً مهماً من مسؤولية التوجيه لرعاية النظام والقانون.

وعلماء الدين بما لهم من موقعية وتأثير عليهم أن يبينوا للناس البعد الشرعي لمسألة التزام القوانين. فكما يلتزم المسلم بأحكام صلاته عليه أن يلتزم بأنظمة المرور، وكما يحرم الإخلال بأحكام الصوم يحرم تجاوز القوانين التي تنظم شؤون المواطنين.

إن للتوعية والتثقيف دوراً محورياً على هذا الصعيد، وإن مجتمعاتنا بحاجة إلى روح النظام وأخلاقية الالتزام، لنحفظ مصالحنا العامة، ولنرتقي إلى مستوى تعاليم ديننا الحنيف، وحتى لا نتخلف أكثر عن ركب المجتمعات المتحضرة.

نسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدينا جميعاً إلى ما فيه الخير والصلاح، والحمد لله ربّ

العالمين.

المجتمعات وفاعلية النشاط الأهلي

كلمة الجمعة بتاريخ ٧ رجب ١٤٢٦ هـ

تتفاوت المجتمعات في مستوى الفاعلية والنشاط الأهلي، فبعض المجتمعات تزخر ساحتها بالحركة والفاعلية الأهلية في مختلف الأبعاد والميادين. ومجتمعات أخرى تقل فيها الحركة أو تعيش حالة من الركود والسبات. إن مستوى الحركة في النشاط الأهلي يعكس مدى قوة المجتمع وحيويته، فكلما تكثفت مؤسسات العمل الأهلي، وتنوعت اهتماماتها زاد رصيد قوة المجتمع وتضاعفت مكاسبه.

ومن أهم تجليات تلك المكاسب ما يلي:

١. تعزيز ثقة المجتمع بنفسه، واطمئنان أبنائه إلى رعاية مجتمعهم ودعمه لهم.
٢. كسب احترام وتقدير الجهات والمجتمعات الأخرى.
٣. إتاحة الفرصة لاكتشاف المواهب والقدرات في أبناء المجتمع وتنمية طاقاتهم وكفاءاتهم. فالنشاط الرياضي يستقطب الراغبين فيه ويطور قدراتهم، وكذلك النشاط الأدبي أو الفني وغيره.
٤. استيعاب أبناء المجتمع ضمن الأطر الصالحة، وخاصة من شريحة الشباب الذين يمتلكون فائضاً من القوة والوقت، ويبحثون عن مجالات للتصريف، وقد يصبحون فريسة للتوجهات المنحرفة، أو يعيشون حالة اللامبالاة. وكلما اتسعت ساحة النشاطات الإيجابية للشباب في المجتمع تقلصت مساحات الضياع والانحراف. ولعل ذلك من معاني قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [سورة هود: الآية ١١٤].
٥. مساعدة المجتمع في مواجهة التحديات، ومعالجة المشاكل، فواقع الحياة يفرز

الكثير من المشاكل، التي لا يخلو منها مجتمع، وليس صحيحاً الاعتماد على الحكومة في كل شيء، وتحميلها كل المسؤوليات والمهام.

النهوض بالعمل الأهلي

تقدم العمل الأهلي أو انخفاضه في أي مجتمع ليس أمراً عفويّاً حسب الصدفة والاتفاق، وإنما لوجود عوامل وأسباب تؤدي إلى تلك الحالة. ولعل من أهم العوامل ما يلي:

١. الثقافة السائدة:

حين تنتشر في المجتمع ثقافة تدعو إلى الحركة والفاعلية، وتحمل الإنسان المسؤولية تجاه واقع مجتمعه المعيش، وتؤكد قيمة العمل، والآثار الإيجابية للسعي نحو الخير، وتشيد بفضل العاملين، وتقدر إنجازاتهم وعطاءهم.. حين تنتشر مثل هذه الثقافة الصحيحة فإنها تحفز الناس وتدفعهم نحو المبادرة للعمل، والتصدي لقضايا المجتمع. أما حين تسود أجواء المجتمع ثقافة سلبية تبريرية، تضعف ثقة الإنسان بنفسه، وتشككه بقدرته على الإنجاز، وتضخم العوائق والموانع أمامه، وتقلل من جدوائية العمل والتحرك، وتبحث عن نقاط الضعف والثغرات عند العاملين المصلحين لتشويه سمعتهم.. هذه الثقافة السقيمة تحول دون نمو توجهات العمل الأهلي والفاعلية الاجتماعية.

٢. القوانين الحاكمة:

في بعض المجتمعات تفتح القوانين الرسمية المجال واسعاً أمام حركة النشاط الأهلي، وتسهّل إجراءات قيام المؤسسات الشعبية، والعمل التطوعي الاجتماعي، بل تحرص على تقديم الامتيازات والحوافز لتشجيع العاملين على هذا الصعيد. بينما تشدد القوانين والأنظمة في مجتمعات أخرى، لاحتكار أي عمل أو نشاط في

الإطار الحكومي الرسمي، ولتعقيد إجراءات السماح والترخيص للأنشطة الأهلية، مما يضيق الخناق على المبادرات التطوعية والنشاط الاجتماعي.

٣. القيادات الاجتماعية:

في كل مجتمع قيادات تحظى بثقة أبنائه وتؤثر في توجهاتهم، كعلماء الدين والوجهاء النافذين والزعامات المؤثرة، وحين تكون هذه القيادات في مستوى ناضج من الوعي ورحابة الصدر، فإنها ستبني الدعوة إلى الفاعلية والنشاط، وترعى مبادرات العمل الأهلي على مختلف الصُّعد.

أما إذا كانت قيادات المجتمع تعاني من ضيق الأفق، وأنانية التفكير، فإنها ستتحسس من أيّ مبادرة أو نشاط، خوفاً من التأثير على مواقع نفوذها، وقلقاً من بروز قوى جديدة تنافسها على الزعامة والظهور.

٤. روح المبادرة:

مهما كانت الظروف مناسبة لأيّ تحرك أو نشاط، فإن إشارة البدء وعملية الانطلاق تحتاج إلى من يأخذ زمام المبادرة، ويعلق الجرس، شخصاً كان أو أكثر، ثم تحصل الاستجابة والتفاعل من الواعين والمخلصين من أبناء المجتمع، وتتوفر القدرات والإمكانات، وهذه هي قصة البداية لأي مشروع اجتماعي ونشاط أهلي.

إن وجود العناصر الطموحة، التي تمتلك روح المبادرة، وتتصدى لمشاريع خدمة المجتمع، هو العامل الأساس في فاعلية المجتمع ونشاطه الأهلي.

وحتى لو كانت هناك عقبات وعوائق فإن المبادرين حينما يتحلّون بالاستقامة والثبات، يتجاوزون تلك العوائق والموانع.

إنجازات تستحق التقدير

بحمد الله تعالى فقد انطلقت في مجتمعنا مبادرات رائدة، أنتجت نشاطاً وحراراً

اجتماعياً يتطور يوماً بعد آخر، وعلى مختلف الصُّعَد، فهناك جمعيات خيرية، ولجان كفالة أيتام، وأخرى للمساعدة على الزواج، ومؤسسات لتعليم القرآن، ومنتديات أدبية، وتجمعات علمية.

هذه الأنشطة الأهلية أتاحت الفرصة لتفجير الكفاءات وتنميتها، وكشفت عن كثير من المواهب والقدرات في أوساط أبنائنا، كما ساهمت في معالجة الكثير من المشاكل. وعلى سبيل المثال: نذكر ما نشرته الصحف المحلية هذا الأسبوع عن جهود إحدى الجمعيات الخيرية في توفير فرص عمل لعدد كبير من العاطلين، فقد نظمت لجنة التأهيل والتوظيف في جمعية تاروت الخيرية مساء الأحد ٢/٧/١٤٢٦ هـ لقاءً بين مندوبي خمس شركات عمل وبين ٣٥٠ شاباً يبحثون عن وظائف وفرص عمل، وانفضَّ الاجتماع عن توقيع عقود توظيف لكل أولئك الشباب، وقال أحدهم: «لم أكن أتوقع أن أرجع إلى منزلي وفي يدي عقد وظيفة، إنها فعلاً فرصة ذهبية وفرتها لنا لجنة التأهيل».

وفي الاجتماع حرص مندوبو الشركات على الاحتكاك مباشرة مع الراغبين في العمل، فقام كل مندوب بتقديم الوظائف التي تطرحها شركته، وشرح كيفية الالتحاق والتدريب على مهام الوظيفة المطروحة، الذي يستمر بين ثلاثة وستة شهور، كما تفاوتت أعداد الوظائف التي طرحتها الشركات، وتفاوتت الرواتب بين ١٥٠٠ و ٤٥٠٠ ريال. وقال مندوب إحدى الشركات: «إن العقد سيكون ساري المفعول منذ توقيعه هذه الليلة، وسيحصل الموظف الجديد على أسبوع إجازة محسوبة الراتب». ما أثار موجة تصفيق وارتياح بين الشباب^(١).

إن البطالة وعدم توفر فرص عمل مشكلة قائمة يعاني منها بعض أبناء المجتمع، وهناك تدمر وكلام عند الكثيرين عن هذه المشكلة، لكن ما يفيد المجتمع هو التصدي لمعالجتها والحد منها، وهذا ما تقوم به لجان التأهيل والتوظيف التابعة للجمعيات الخيرية،

(١) الحياة: جريدة يومية تصدر من شركة الحياة الدولية للنشر، ٩/٨/٢٠٠٥ م.

حيث تستقبل طلبات الشباب، وتوجههم إلى آفاق التحرك، وتعقد لهم دورات لتكميل طاقاتهم وكفاءاتهم، حتى يتأهلوا لسوق العمل، وتتخاطب مع الشركات والمؤسسات لتكون جسراً بينهم وبين هؤلاء الشباب. وهذا هو مظهر العمل الأهلي ودوره في معالجة مشاكل المجتمع.

جمعية الفلك بالقطيف ونشاطها العلمي

قبل ثلاث سنوات، في مثل هذا الشهر المبارك شهر رجب سنة ١٤٢٣ هـ بادر عدد من الشباب المهتمين بعلم الفلك في القطيف؛ لتأسيس جمعية متخصصة في دراسة علم الفلك، ونشر المعرفة الفلكية بين أفراد المجتمع، نظراً لأهمية هذا العلم وارتباطه بأمور الناس الدينية والدينية المختلفة.

ومع ضعف إمكاناتهم المادية، ومع أن هذا المجال يعتبر همماً نخبويّاً للمتخصصين والراغبين، إلا أنهم استطاعوا تهيئة مكان متواضع على سطح نادي (الأوجام) غرب مدينة القطيف مساحته ١٤٠ متراً مربعاً فقط، وانطلقوا يمارسون نشاطهم بجدية واهتمام، وكسبوا احترام الأوساط المهتمة بهذا الشأن داخل المملكة وخارجها، وصاروا يدعون للمشاركة في المؤتمرات العلمية الفلكية في الداخل والخارج، ويستقبلون الشخصيات العلمية المتخصصة حيث زار الجمعية في مقرها بالقطيف (الأوجام) رئيس قسم الفلك بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، ومجموعة من الأساتذة في جامعة الملك عبد العزيز وجامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

كما أقامت الجمعية عدداً من الدورات انضم إليها العشرات من رواد المعرفة الفلكية من الرجال والنساء ومن مختلف مناطق المملكة.

وتصدر الجمعية مجلة فصلية باسم (الفلك) صدر منها ستة أعداد ويشارك في تحريرها باحثون من بلدان عربية مختلفة.

كما دشنت الجمعية أول منتدى فلكي علمي عربي على شبكة الإنترنت، منتصف رمضان الماضي ١٤٢٥ هـ، انتسب إليه عدد كبير من الأعضاء تجاوزوا ألف عضو، إضافة إلى ألوف المشاركين^(١).

إنها إنجازات كبيرة، لعلّ المتصددين للنشاط ما كانوا يتوقعون نموّها وتطورها بهذه السرعة، وهي نموذج لنجاح المبادرات الخيرة في مختلف الميادين.

ترانيم للإبداع والإنشاد

على سعيد آخر أحيا مشروع (ترانيم للإبداع والإنشاد) في المنطقة مهرجاناً أدبياً فنياً رائعاً طيلة ليالي هذا الأسبوع، شاركت في إحيائه تسع عشرة فرقة إنشادية دينية من مختلف مدن وقرى المنطقة، وسط حضور كبير من الشباب، علماً بأن الدخول إلى المهرجان يحتاج إلى دفع رسوم. وهو المهرجان الثالث منذ عام ١٤٢٤ هـ^(٢).

وقد توفقت للمشاركة في هذا المهرجان الرائع في إحدى ليليه فدهشت من كثافة الحضور من الشباب، وفوجئت بمستوى الأداء الراقي للفرق المشاركة، وكذلك أداء لجنة التحكيم من حيث الدقة والموضوعية والعلمية التخصصية في التقويم للنص والمضمون وللشكل والأداء.

إن استيعاب هذا العدد الكبير من أبناء المجتمع في مثل هذه المشاريع الهادفة التي تنمي قدراتهم وتفجر طاقاتهم، وتشدهم إلى دينهم وثقافتهم، لهو عمل عظيم وإنجاز ضخم ينبغي تقديره ودعمه.

وإذا كنا نبدي غضبنا وانزعاجنا لبعض الممارسات الطائشة والخطئة التي يقوم بها بعض الشباب والأحداث، فعلياً أن نفتح أبواب الخيارات الصالحة لأبنائنا وشبابنا، فإتساع رقعة النشاط الديني والثقافي هو العلاج العملي والوقاية النافعة، أمام

(١) موقع الجمعية: www.qasweb.org

(٢) موقع ترانيم: www.traneem.net

الاتجاهات الخاطئة.

ومؤسسة علوم القرآن

هذه المؤسسة القرآنية التي بدأ عملها قبل حوالي عشر سنوات في (أم الحمام) بالقطيف، بمبادرة عدد من الشباب المؤمنين، وقد واكبَتْ تطور عملها، ووجدت في روادها الاستقامة والثبات أمام مختلف المشاكل والصعوبات، وحين زرت مقر المؤسسة الجديد هذا الأسبوع غمرتني السعادة؛ لما رأيت من توفيق الله تعالى لهم، حيث يعملون تحت مظلة الجمعية الخيرية بأم الحمام، التي وفرت لهم مكاناً مناسباً، ووصل عدد الطلاب والطالبات الذين استفادوا من دورات المؤسسة ١٦٠٠ طالب وطالبة، يحفظون أجزاء من القرآن الكريم، ويعرفون أحكام التجويد، ويُحسن بعضهم التلاوة بشكل بديع، وقد حفظ أحدهم القرآن الكريم كاملاً، وحفظ اثنان نصف القرآن، وشارك بعضهم في المسابقات القرآنية في الرياض ومكة المكرمة.

وأنجزت المؤسسة عدداً من البحوث والدراسات القرآنية تزيد على ٣٠ بحثاً وقد طبع بعضها في المملكة^(١).

إنها نموذج آخر للأنشطة الأهلية الناجحة.

وانبثق مثل هذه المبادرات، ونجاحها في بناء كيانها، وتحقيق الإنجازات، وتخطي العوائق، دليل على تقدم وعي المجتمع، وعمق مخزون الخير في نفوس أبنائه، وشاهد على جدوى الفاعلية، وإمكانية النجاح.

ومع التقدير لكل الأنشطة القائمة في المجتمع من دينية وثقافية واجتماعية، وما ذكرناه ليس إلا نماذج منها، فإن المتوقع من مجتمعنا أكثر، حيث يمكن لهذه الأنشطة أن تكون أكبر حجماً وأكثر عطاءً، حين يتوفر لها تجاوب ودعم أكبر، كما أن هناك مناطق

(١) موقع المؤسسة <http://www.qrnoor.net/php.index>

فراغ في حاجات المجتمع واهتمامات أبنائه لا تزال مغفولة مهمة تنتظر المبادرات الخيرة للاهتمام بها والتصدي لها.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً للعمل من أجل خدمة الوطن والمجتمع، إنه ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

عائدات النفط والاستثمار الوطني

كلمة الجمعة بتاريخ ٢١ رجب ١٤٢٦ هـ

قدّم سماحة الشيخ حسن الصفار نظرةً اقتصاديةً على ضوء الطفرة الاقتصادية التي تُقبل عليها المملكة العربية السعودية، مشبّعاً حديثه بالأرقام التي تبين حجم الإيرادات النفطية الكبيرة، ودعا المسؤولين في البلاد إلى ضرورة حسن التصرف ووضع الخطط المناسبة للاستفادة من هذا التقدم بأكبر قدر ممكن. وأشار في كلمته التي ألقاها ظهر الجمعة ٢١ رجب ١٤٢٦ هـ (٢٦ أغسطس ٢٠٠٥ م) إلى أن تعاليم الإسلام تركز على أمرين أساسيين في الجانب الاقتصادي: الأول دفع الإنسان وتشجيعه لتحصيل المال والإمكانات والثروات، من خلال الهمة العالية وسيادة روح التعاون والعمل الجمعي بين أبناء المجتمع، والثاني حسن التدبير في المعيشة، مستعرضاً جانباً من الروايات التي تؤكد هذا المعنى.

وفيما يلي نص الكلمة:

يبدو أن بلادنا مقبلة على طفرة اقتصادية جديدة، فقد أنعم الله تعالى على بلادنا بخيرات كثيرة، وفي هذه الفترة ارتفعت أسعار النفط إلى حدّ كبير، كان سعر برميل النفط في عام ١٩٩٩م (١٠) دولار، وفي عام ٢٠٠٤م كان سعر برميل النفط إلى (٤٠) دولار، أما الآن فقد وصل إلى ما يزيد على (٦٥) دولار، وهو مرشح للزيادة ويتوقع أن يصل إلى ما يقرب مئة دولار للبرميل الواحد. وإذا كانت بلادنا تنتج في كل يوم حوالي (٥, ٩) مليون برميل، فهذا يعني أن الدخل كبيرٌ جدًّا والحمد لله. ويقدر الخبراء حجم الإيرادات النفطية في هذا العام تقرب من (٣٠٠) مليار دولار.

بالطبع، هذه الثروة، وهذا الدخل الهائل، من الطبيعي أن ينعكس على مستوى الحياة في البلاد، إذا أحسن التصرف وإذا كانت الخطط التي توضع للاستفادة من هذه

الثروات والتعامل معها تعاملاً جيداً فستكون الانعكاسات جيدة لصالح وضع البلد والتنمية الاقتصادية فيه ولصالح الأجيال في المستقبل. أما إذا لم يكن هناك حسنٌ في التصرف فقد تمر هذه الطفرة، كما مرّت الطفرة الاقتصادية السابقة مع قدر قليل من الاستفادة. بالطبع فإننا لا نتجاهل ما حققته الطفرة الاقتصادية السابقة من تطور وتقدم ولكنه لم يكن بمستوى الطموح والتطلع، ولذا ينبغي أن يتجاوز المسؤولون سلبيات الطفرة الاقتصادية وتركيز الجهود على إيجابياتها. كما أنه تقع على عامة الناس مسؤوليات كبيرة لتحقيق أكبر قدر من الاستفادة، فالمسألة لا ترتبط فقط بقرارات الدولة، وإنما لممارسة الناس أثر كبير في ذلك.

التعاليم الدينية تركز على أمرين أساسيين في المجال الاقتصادي:

الأمر الأول: دفع الإنسان وتشجيعه لتحصيل المال والإمكانات والثروات.

جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الغنى للمؤمن في آخر الزمان سعادة، إن استطعتم أن تكونوا أغنياء فكونوا». ويأتي تركيز الحديث على آخر الزمان لأنه كلما تطور الزمن تكون قيمة المال والثروة أوضح وأجلى وأكثر تأثيراً في حياة الإنسان كما هو واضح في هذا العصر. وورد في نصّ آخر: «نعم العون على الدين الغنى». وفي نصّ ثالث: «الغني الشاكر خيرٌ من الفقير الصابر»، لأن الغني الشاكر ينفع الناس بغناه وثرته، بينما الفقير الصابر ينال ثواب صبره دون أن تنعكس على المجتمع فائدة كما هو الحال مع الغني الشاكر.

«وفي هذا السياق هناك رواية جميلة عن الإمام جعفر الصادق ﷺ فعن محمد بن عذافر عن أبيه قال: أعطى أبو عبد الله أبي ألفاً وسبعمئة دينار فقال له: تجر لي بها، ثم قال: أما إنه ليس لي رغبة في ربحها وإن كان الربح مرغوباً فيه. ولكن أحببت أن يراني الله عز وجل متعرضاً لفوائده. قال: فربحت فيها مائة دينار ثم لقيته فقلت له: قد ربحت لك فيها مائة دينار. قال: ففرح أبو عبد الله ﷺ بذلك فرحاً شديداً، ثم قال: أثبتتها لي في

رأس مالي»^(١).

المشكلة أن الكثير من أبناء المجتمع لا يُتعبون أنفسهم في طلب الرزق، مع أن العمل لا يقتصر على زيادة المال لدى الإنسان، وإنما فيه زيادة في خبرة وتجارب الإنسان ونماء معرفته وبناءً لشخصيته. كما أن العمل يُشعر الإنسان بوجوده، وبأن له دوراً في الحياة. صحيح أن الجسم يتعب، ولكن الروح والمعنويات تتغذى من خلال هذا التعب.

«وتنقل الروايات أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام سأل صاحبه معاذ بن كثير: يا معاذ أضعفت عن التجارة؟ أو زهدت فيها؟ قلت: ما ضعفت عنها ولا زهدت فيها. قال: فما لك؟ قلت: عندي مال كثير وهو في يدي، وليس لأحد عليّ شيء، ولا أراني آكله حتى أموت، فقال: لا تتركها فإن تركها مذهب للعقل»^(٢).

وعلى الإنسان أن يتمثل قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾، يُعطيهِ الدافعية للعمل إلى آخر لحظة من حياته.

نجد أن البعض من الناس يتقاعسون عن استثمار الفرص الاقتصادية التي تتاح لهم، وهذا أمر سيء، ينبغي أن لا يزهّد الإنسان في استثمار أي فرصة اقتصادية أو استثمارية، خاصةً الآن إذ يُتوقع خلال الخمس عشرة سنة القادمة أن تُفتح فرص استثمارية تزيد قيمتها على (٦٤٣) مليار دولار، لذلك يحتاج أن يكون هناك تسابق لهذه الفرص، ولا ينبغي أن نركن للكسل والخمول.

ينبغي أن يتحلى أبناء المجتمع بالهمة العالية وبروح المغامرة، والتطلع إلى الاستثمارات الحقيقية، لا أن يقتصرُوا على الاستثمار في الأسهم والعقارات، التي فيها رزق وخير ولكنها لا تبني عقل الإنسان ولا تزيد في خبرته بالحياة.

(١) الطوسي: محمد بن الحسن/ تهذيب الأحكام ج٦/ ص٣٢٦

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن/ تفصيل وسائل الشيعة ج١٧/ ص١٤ رقم ٢١٨٥٩، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - بيروت

إضافةً إلى ذلك ينبغي أن تسود في المجتمع روح التعاون والعمل الجمعي، فالكثير من الناس لا يتمكنون من تكوين الثروة بمفردهم، ولكن لو اجتمع جمعٌ من أبناء المجتمع وتعاونوا فيما بينهم، فإنه من الممكن أن يصنعوا شيئاً غير قليل. والمسألة تحتاج إلى روح التعاون والتخطيط والتوجه.

الأمر الثاني: حسن التدبير في المعيشة.

صدر في الآونة الأخيرة مرسوم ملكي يقتضي زيادة رواتب الموظفين (١٥٪) والمأمول أن لا تواكب ذلك زيادة في الأسعار، إضافةً إلى ذلك هناك فرص استثمارية كبيرة، ويتوقع الناس المزيد وهذا من حقهم، فالبلد بلدهم وهذه الثروات حقٌ لهم. وتجاه ذلك ينبغي أن يتحلى أبناء المجتمع بحسن التدبير، إذ يجب أن يفكر كل واحد لأساسيات حياته وبناء مستقبله ومستقبل أبنائه، لا أن يكون مصير هذه الزيادات وهذه الاستثمارات للرفاه والكماليات، كما هو غالب التوجهات.

ومجتمعنا مجتمع مستهلك، يتفاخر الكثير بأسلوب الاستهلاك، وتجد ذلك عياناً في مناسبات الأعراس، وفي التهادي بين النساء في مناسبات الزواج أو الولادة، وعند البعض يتمثل ذلك في تجديد أثاث المنزل دون مبرر حقيقي، وهذا التوجه توجه خاطئ إذ المطلوب التفكير في بناء الكفاءات والتخطيط للمستقبل، وبناء المجتمع.

تجاه هذه الحالة ينبغي أن يكون هناك حسن تدبير في المعيشة، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول: «سوء التدبير مفتاح الفقر»، وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من الدين التدبير في المعيشة».

المجتمعات والأفكار الجديدة

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٨ رجب ١٤٢٦ هـ

في يوم المبعث النبوي الشريف، هبط رسول الله ﷺ من غار حراء وهو محملاً بأعباء رسالة عظيمة في مجتمع جاهلي، يعرف ﷺ مدى عناد ذلك المجتمع، ومدى الجهل المتفشي فيه. ولكن الله تعالى كلفه أن يقوم بهذه المهمة، وأعلمه أنها مهمة ثقيلة: ﴿إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [سورة المزمل: الآية ٥]، وكان رسول الله ﷺ مهيباً ومستعداً لتحمل أعباء هذه الرسالة العظيمة.

نريد أن نتحدث عن موقف الناس تجاه البعثة النبوية في ذلك العصر، وأساساً موقف الناس تجاه الأفكار الجديدة الهادية.

عبر التاريخ كانت هناك أفكار هادية مفيدة تُطرح على المجتمعات البشرية من أحد مصدرين: إما من تطور عقل الإنسان وتجربته، وإما من الوحي وهو الشيء الرئيس. وغالباً ما كانت هذه الأفكار الهادية والجديدة تواجه في البداية إعراضاً وإنكاراً، وقلّ أن تجد دعوةً من دعوات الرسل والأنبياء أو المصلحين ووجهت في أيامها الأولى بالترحيب والاستقبال، ولكن بعد مدة من الصمود والاستقامة والمواجهة قد تصل تلك الدعوة الإلهية أو تلك الأفكار الإصلاحية إلى مستوى من القبول والنجاح، وقد لا تصل.

وبهذه المناسبة ومن وحي المبعث النبوي الشريف ومعاناة رسول الله ﷺ في تبليغ الرسالة نسلط الضوء على طبيعة موقف المجتمعات من الأفكار الجديدة، حيث تنطلق المعارضة والتحفّظ غالباً من الأسباب التالية:

أولاً: اللامبالاة

أكثر الناس لا يُبالون تجاه الدعوات والأفكار التي تُطرح في عصورهم ومجتمعاتهم،

مهما كانت نوعية الفكرة والدعوة المطروحة سواءً على الصعيد الديني أو السياسي أو الاجتماعي، وقلّ أن تجد في بداية طرح الأفكار تجاوباً أو تفاعلاً، إذ إن أكثر الناس غير مباليين ولا يجيدون أنفسهم معنيين بما يُطرح من حولهم.

يتصور بعض الناس أن مجرد طرح الفكرة لأي مشكلة عالقة في المجتمع من خلال المنابر، ستعالج القضية وتنتهي المشكلة، ولذلك يطلبون من العالم أو الخطيب أو الكاتب أن يتحدث عن هذه المشكلة أو تلك، وي طرح هذا الموضوع أو ذاك، وقد يتصور من يطرح الموضوع أنه قد قام بواجبه ومسؤوليته بتحدثه عن الأمر، ولكن المسألة أعمق من ذلك بكثير، ولا يعني ذلك عدم جدوائية الطرح، ولكن المسألة بحاجة إلى وقفة تأمل لحالة اللامبالاة عند أكثرية الناس تجاه الأفكار التي تُطرح.

القرآن الكريم يعتبر حالة اللامبالاة بأنها غفلة، يقول تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْعَاغِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٧٩]. فهؤلاء مع امتلاكهم لعقولهم لكنهم لا يستخدمونها ليفقهوا بها ما يُطرح لهم من أفكار ودعوات جديدة، كما أنهم مع إبصارهم للأشياء لكنهم يفتقدون حالة التأمل فيما يدور ويجري حولهم، وأيضاً فهم مع استماعهم لهذه الدعوات لكنهم لا يهتمون بوعي ما يُطرح لهم، فهم ﴿كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ﴾، ذلك لأن الأنعام إذا لم تكن تعي فلعدم وجود عقل عندها، ولكن ما عذر الناس الذين يمتلكون عقولاً لا يُفعلونها ولا يستثمرونها في الاتجاه الصحيح؟ هؤلاء يعيشون حالة غفلة: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْعَاغِلُونَ﴾.

القسم الآخر من الناس بمجرد أن تُطرح أمامه فكرة جديدة فإنها تُلفت نظره، ويتفاعل معها بالدراسة والتحليل، فقد تكون الفكرة صحيحة وقد تكون باطلة. وفي السيرة النبوية العطرة نجد أن رسول الله ﷺ عندما بدأ بتبليغ رسالته ووجهه بالإعراض وعدم التجاوب من أكثرية الناس، وكانوا يتعمدون إظهار اللامبالاة، يقول

تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ [سورة فصلت: الآية ٢٦]، وكان بعضهم يستقبل الزائرين لمكة ليُقنعهم بأن يضعوا قطعاً في آذانهم حتى لا يسمعوا كلام رسول الله ﷺ، لتتجدد المعاناة التي تحملها نبي الله نوح ﷺ من قومه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا* فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا* وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [سورة نوح: الآيات ٥-٧].

في مقابل هذه الحالة كان هناك أفراد تجاوزوا حالة اللامبالاة، ويتحدث التاريخ في سيرة الصحابة عن أناس من الأصحاب الذين بحثوا عن الدعوة، كما كان من شأن سلمان الفارسي ؓ، وأبي ذر الغفاري ؓ الذي لم يكن من سكان مكة إذ إن قبيلة غفار تعيش على طريق الشام، وكان شبابها معروفين بقطع الطرق، وبمجرد أن وصل خبر الدعوة لأبي ذر اهتم بالموضوع، وأرسل أخاه له يُقال له أنيس ليأتيه بالخبر، فذهب إلى مكة واستمع لكلام رسول الله ﷺ وعاد إلى أخيه، فسأله: ما سمعت يا أخي؟ قال: سمعت كلاماً يأخذ باللب، ويذهل العقل، فيه أمرٌ بمعروف ونهيٌ عن منكر. قال له: وما هو؟ فلم يتمكن من أن يقرأ عليه كل الذي سمعه، فأصرَّ أبو ذر أن يذهب بنفسه ليطَّلع مباشرة على الأمر، كانت الظروف في مكة صعبة، وكان لا يعرف من يسأله عن الأمر، مضى إلى الحرم الشريف واضجع فيه، فمر عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؓ وهو غلام، فقال له: أرى الرجل نائماً هنا، كأن ليس لك عشيرة، ودعاه لضيافته. وسأله: ما الذي جاء بك إلى مكة؟ قال: سمعت أن هناك من يدعي أنه رسول. فقال الإمام علي ؓ: على الخبر وقعت، والله إنه لنبي حقاً. قال: فأوصلني إليه. فجاء به إلى رسول الله ﷺ، قال: أنشدني مما عندك. قال ﷺ: لست بشاعر، ولا أنشد الشعر، ولكنه كلام الله، وبدأ ﷺ يقرأ عليه آيات من القرآن الكريم، ويشرح له الإسلام، فانفتح قلب أبي ذر للإسلام وأسلم في مجلسه، وكان من أوائل من أسلموا.

يقول أبو ذر: سألني رسول الله ﷺ من أي القبائل أنت؟ قلت: من غفار. يقول: فنظر في وجهي متعجباً لما يعرف عن قبيلة غفار. فقال له الرسول ﷺ: اذهب إلى قبيلتك وتكتم عن قريش، قال: ولماذا أتكتم عن الحق؟ فكان أول صوت يُعلن الإسلام في المسجد الحرام وفي شوارع مكة هو صوت أبي ذر الغفاري. وتحمل بذلك أذى كبيراً من قريش، إلا أن العباس بن عبد المطلب حذر قريشاً من قبيلة غفار لكي لا تتعرض قوافلهم للسرقة، وبذلك تركوه يمضي لقبيلته. فانطلق لقبيلته (غفار) ونشر دعوة النبي ﷺ وأسلمت قبيلته، كما تحرك إلى القبيلة المجاورة وهي قبيلة (أسلم) وأسلمت، وبعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة جاء أبو ذر ومعه حشدٌ كبير من قبيلة (غفار) وقبيلة (أسلم).

القليل من الناس يكونون هكذا

إن على الإنسان أن يفتش عن الحق، ويبحث عن الحقيقة، ولا ينبغي أن تحجزه عنها سحب الاعتراضات والإشاعات، فغالباً ما تواجه دعوات الحق والأفكار الجديدة الصحيحة بالمعارضة والرفض. وكما ينقل الشهيد الشيخ محمد المنتظري وهو من طليعة العلماء المجاهدين في الثورة الإسلامية في إيران، أنه كلما ذهب إلى مجتمع ورأى فيه أجواءً سلبية مناوئة لشخصية من الشخصيات، فإن ذلك يدفعه للانفتاح مباشرة على تلك الشخصية ومعرفة آرائها ومواقفها، وغالباً ما كان يجد أنها مخلصه تستهدف الإصلاح. كما أن على ذوي الأفكار الجديدة أن يكونوا موضوعيين في توقعاتهم من مجتمعاتهم، فلا يتوهمون سرعة الإقبال والنجاح لآرائهم، فيصابون بالخيبة والإحباط، بل يتحلون بالصبر والاستقامة فذلك هو طريق الإصلاح والتغيير.

ثانياً: الاسترسال

حيث يتمثل كثير من الناس مقولة: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم

مُهِتَدُونَ ﴿ [سورة الزخرف: الآية ٢٢]. فيعيش هؤلاء حالة من القناعة والإشباع بما لديهم من الأفكار والقناعات بشكل لا يشعرون معها بالحاجة إلى الجديد، فيسترسلون مع الحالة الموجودة في المجتمع. ولكن هذه الحالة خطأ، لأنه ليس دائماً ما هو سائد صحيح، وقد يكون صحيحاً في زمن أو ظرف معين، والأزمة والظروف تتغير فتحتاج الأفكار والقناعات إلى تجديد وتغيير وإصلاح.

من هنا كانت المجتمعات البشرية في حاجة دائمة إلى التجديد والإصلاح، في أفكارها وآرائها وأنهاط حياتها، لأن البقاء على وضع وحالة معينة ليس شيئاً سليماً، فطبيعة الحياة فيها تغير وتطور، ولذلك نرى تعدد الأنبياء، فمع تغير الزمان والمجتمعات ينزل الله تعالى شرائع جديدة. وكذلك الحال في تعاليم الإسلام نجد أن باب الاجتهاد مفتوح، لتغير وتطور طبيعة الحياة مما يستدعي حدوث تغير وتطور في بعض الآراء والأفكار.

ولو تأملنا لوجدنا في أوضاعنا الدينية آراء كانت سائدة، وعندما طُرحت آراء جديدة رُفضت في البداية، ولكن بعد مدة من الزمن تلاشى الرأي السابق، وأصبح الرأي الجديد الذي كان مرفوضاً هو السائد. ومن الأمثلة على ذلك: صلاة الجمعة، إذ لم تكن متعارفة عند مجتمعاتنا الشيعية، فالرأي السائد كان يرى أن صلاة الجمعة لا تُقام إلا بحضور الإمام المعصوم، أو بوجود حاكم شرعي مبسوط اليد، وكان هناك من الفقهاء من يرى حرمة إقامة صلاة الجمعة زمن الغيبة، أما الآن وخلال الربع القرن الأخير (أي بعد انتصار الثورة الإسلامية المباركة في إيران) تجلّى وضع جديد فأقيمت صلاة الجمعة في إيران، وشيئاً فشيئاً بدأت تنتشر في مختلف المناطق والبلدان. بالطبع ووجه هذا التغيير بالاستنكار والاستغراب بادئ الأمر ولكنه أصبح واقعاً الآن. وقبل سنين ما كان يمكن للخطيب الحسيني أن لا يذكر زواج القاسم بن الحسن في اليوم الثامن من المحرم، لكن طرح هذا الموضوع الآن لم يعد مقبولاً.

ثالثاً: عدم الثقة بالنفس

الكثير من الناس لا يسعى للانفتاح على الآراء والأفكار الجديدة، لعدم ثقتهم بأنفسهم لتقويم هذه الأفكار ومناقشتها، بعكس ما عليه الحال من ثقة الجميع بأنفسهم فيما يرتبط بالأمور المادية من أكل وشرب ولباس وغيرها. وفي المجال الفكري ينبغي أن يكون وضع الناس كذلك، فقد منح الله تعالى الإنسان عقلاً، فعليه أن يعمل عقله بالأسلوب الصحيح، ولا يعني هذا أن يقبل الإنسان كل فكرة جديدة دون دراسة وبحث، وإنما عليه البحث والتمحيص، ليحدّد موقفه من أي فكرة، والله تعالى يصف المؤمنين بقوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [سورة الزمر: الآية ١٨]، ولفظة ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ تُفيد تقصد الاستماع لا أن يكون ذلك مجرد صدفة، و﴿الْقَوْلَ﴾ تعني الآراء والأفكار، ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ من خلال إعمال عقولهم.

رابعاً: الخوف من الاعتراض

قسّم من الناس قد يقتنعون بصحة الأفكار الجديدة، ولكنهم يخشون من إعلان اقتناعهم لمعارضة الناس لها، وبالتالي يضطر هؤلاء ألا يتعاطوا مع الأفكار الجديدة خوفاً من مواجهة الاعتراض الموجود عند الناس.

وهذا ما واجهه كثيرون في بداية الدعوة الإسلامية، ولكن الواعين تجاوزوا هذه الحالة، وفي طليعة أولئك مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو من أفضل الشباب الذي كانوا يتمتعون بالدلال والرفاه من قبل أسرهم، وكان معروفاً بأنه أعطر فتى في قريش، ولما سمع عن الإسلام أصبح يبحث عنه ويتقصّاه إلى أن أسلم، مع أن أباه وأمه كانا من أشد أعداء الإسلام في ذلك الوقت، لذلك أخفى عنها إسلامه، ولكن هناك من أفسى أمره إلى أبيه، فواجهته أمه بالحقيقة، فاعترف لها بذلك، وانهالت عليه توبيخاً وتقريعاً وهددته بأنها لن ترضى عنه، فقال لها: يا أماه لا تشقي على نفسك، فإني قد آمنت ولن أترك الدين الحق، فلم تقبل أمه منه ذلك، وسجنوه في البيت، وقتلوا عليه في الطعام،

ولكنه أصّر على موقفه، وبعد ذلك هرب من بيت والديه. وذات يوم كان رسول الله ﷺ جالساً مع أصحابه وقد أقبل مصعب يلبس ثوباً بالياً، ويظهر عليه آثار الجوع، فدمعت عينا رسول الله ﷺ وتأثر الأصحاب، وقال ﷺ: كان مصعب وما في مكة ولد أعز منه على أبيه، ولكنه ترك كل ذلك حباً لله ولرسوله.

إن الإنسان الواعي يتحمل الضغوط ويلتزم الحق، بعيداً عن رضا الناس أو عدمه. وفي دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة نقرأ هذه الفقرات الرائعة: «ماذا وجد من فقدك، وماذا فقد من وجدك» فالإنسان الذي يصل إلى الحق والحقيقة باقتناع، فلا يتنازل عنها من أجل أي شيء آخر، حيث لا شيء يوازي الحق أو يكون بديلاً عنه.

رسول الله ﷺ واجه هذه الحالة في المجتمع ولكنه صبر ممثلاً قول الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [سورة الزمل: الآية ١٠]، إذ قالوا عنه: ساحر، مجنون، كذاب، مفتر، ولكن هذه الحالة طبيعية واجهها جميع الأنبياء والرسل والمصلحين، يقول تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدِ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [سورة فصلت: الآية ٤٣]. وعلى المصلحين أن يعرفوا أن هذا هو الطريق، فعليهم أن لا يضعفوا أمام الإشاعات والدعايات والاتهامات، فهي حالة طبيعية يواجهها جميع المصلحين.

وفي الآية الكريمة معنى مهم جداً، يقول تعالى: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾، فالمصلح حينما يطرح آراءه وأفكاره الإصلاحية في المجتمع، وتحصل حالة الاعتراض عليه، فهنا يتوجب عليه أن يهجر المجتمع، ولكن ذلك لا يعني مقاطعة المجتمع أو الهروب منه، لأن ذلك ما يرنو له المناوئون، ولكن ينبغي أن يكون هناك إصرار على التداخل والتعاطي والتواصل مع الناس، والهجر الذي تسميه الآية الكريمة بالهجر الجميل يعني عدم التأثير بالدعايات والإشاعات التي تُطرح، فيكون هجران المصلح للمجتمع متمثلاً في عدم الركون إلى الجوانب السلبية وعدم التأثير بها، وألا تنمو لديه مشاعر العداة والبغض والكرهية لأبناء المجتمع، بل يواصل دعوتهم برفق ومحبة وسعة صدر.

وهكذا كان رسول الله ﷺ إذ تحمل وصبر فكتب الله تعالى لرسالته النصر والظفر.

صلى الله على رسوله الكريم، وجزاه عن أمته خير الجزاء، ووقفنا لاتباعه، ورزقنا شفاعته يوم القيامة إنه أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين.

ماذا يعرف العالم عن أهل البيت ﷺ؟

كلمة الجمعة بتاريخ ٤ شعبان ١٤٢٦ هـ

يجب أن نتساءل أولاً: ماذا يعني أهل البيت ﷺ للعالم المعاصر؟ وهل في حياتهم وتراثهم ما يشكل إضافة جديدة لمعارف البشر، أو يقدم خدمة مفيدة لقضايا الإنسانية اليوم؟

إن كل باحث منصف في حياة أهل البيت وتراثهم، يمكنه القول بجزم ويقين: إن أهل البيت يشكلون قيمة معنوية ومعرفية كبرى للمجتمع البشري في مختلف العصور. فهم مصدر إلهام فكري معرفي، بما تميّزت به شخصياتهم من قوة إدراك وصفاء ذهن، ومن إطلاع دقيق على معالم الدين وشرائعه، حيث اصطفاهم الله تعالى لحمل دينه ورسالته.

إن تراث أهل البيت المعرفي لا ينحصر في القضايا الدينية التي تهتم المجتمعات الإسلامية خاصة، بل لهم عطاء علمي يثري معارف البشرية في مختلف المجالات، كعلوم الطبيعة، والعلوم الإنسانية، كما أن سيرتهم الكريمة، وتعليماتهم الهادية، تقدّم أفضل دعم للقيم الإنسانية النبيلة التي تتطلع إليها المجتمعات البشرية، كاحترام حقوق الإنسان، والتزام العدل، ورعاية السلم الاجتماعي، وضمان الحريات.

وإذا كان الرأي العلمي والموقف الأخلاقي يفرضان احترامهما على ساحة المجتمع الإنساني، بغض النظر عن التصنيف العرقي والديني، فإن أهل البيت ﷺ يتبوّون المواقع المتقدمة على هذين الصعيدين بكل جدارة واقتدار.

هذا على المستوى العالمي، أما على مستوى الأمة الإسلامية، فإن أهل البيت يمثلون قيمة دينية لا يتجاهلها أحد من المسلمين، حيث أمر الله تعالى بمودتهم ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [سورة الشورى: الآية ٢٣]، ونص الوحي الإلهي على طهارتهم

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٣٣] وأوصى رسول الله ﷺ برعايتهم «أذركم الله في أهل بيتي»^(١)، وقرن الصلاة عليهم بالصلاة عليه في تشهد الصلاة.

ولأهل البيت ﷺ موقعيتهم العلمية البارزة، على مستوى الفكر والتشريع الإسلامي، حيث تتلمذ عليهم وروى عنهم كبار أئمة المذاهب وعلماء الأمة. وبالتالي فإنهم يعنون للأمة قيمة دينية وعلمية كبرى.

وفي خصوص الدائرة الشيعية فإن أهل البيت ﷺ هم المرجعية الدينية المعتمدة بعد رسول الله ﷺ، إليهم ينشُدون، وبهم يتمسكون، وعنهم يأخذون معالم الدين، وآراؤهم لديهم حجة شرعية لازمة.

انطلاقاً من هذه القيمة التي يمثلها أهل البيت ﷺ على المستوى الإنساني العام، وعلى الصعيد الإسلامي الخاص، وفي الدائرة الشيعية الأخص، فإن في سيرة أهل البيت وتراثهم الشيء الكثير للمجتمعات البشرية المعاصرة.

التعرف إلى أهل البيت

إن استفادة العالم من أهل البيت ﷺ، ترتبط بمدى توفر فرص تعرّف سيرتهم وتراثهم، لقد عاش أئمة أهل البيت ﷺ في أوساط الناس نحو ٢٥٠ سنة، قدموا خلالها عطائهم العلمي، وتجربتهم الاجتماعية، لكن هذا العطاء وتلك التجربة لا تمتلك حضوراً مناسباً في ساحة المعرفة العالمية. حيث لا تزال شخصيات أهل البيت مجهولة في الأوساط العلمية، ولا يزال تراثهم محدود التداول والانتشار.

ففي الجامعات العالمية المعروفة بتخصصاتها المختلفة، وفي معاهد الأبحاث والدراسات المشهورة، لا تجد حضوراً لأسمائهم، ولا تناولاً لأرائهم وأفكارهم، ولا

(١) القشيري النيسابوري: مسلم بن الحجاج/ صحيح مسلم، حديث رقم ٣٦-٢٤٠٨، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، دار المغني للنشر والتوزيع - الرياض

اهتماماً بدراسة حياتهم وتجربتهم.

وعلى مستوى الثقافة والإعلام العالمي لا تجد ذكراً لأئمة أهل البيت، ولا حديثاً عن نظرياتهم، ولا استشهاداً بسيرهم ومواقفهم.

وحين أصدر الباحث الأمريكي (مايكل هارت) كتابه عن أكثر الأشخاص تأثيراً في التاريخ، الذي تضمن قائمة من مئة شخصية دينية وعلمية وسياسية، كان على رأسها رسول الإسلام محمد ﷺ، فإن هذا الباحث لم يثبت ضمن قائمته أي شخصية من أئمة أهل البيت ﷺ.

ولا يقتصر هذا الغياب لذكر أئمة أهل البيت على الساحة العالمية، فحتى ضمن الدائرة الإسلامية العامة ليس لأهل البيت حضور يتناسب مع مكانتهم وموقعيتهم الدينية والعلمية، فبينما تدرس مذاهب بعض من تتلمذوا على أيديهم، لا تعترف أغلب الجامعات الإسلامية والمعاهد الدينية بمذهب أهل البيت، ولا تقرّ دراسته كسائر المذاهب الإسلامية.

أما وسائل الإعلام في البلاد الإسلامية والعربية فنادرًا ما تتحدث عن أحد من أئمة أهل البيت، أو تستذكر تاريخ حياته.

ومع ما تتميز به المجتمعات الشيعية من اهتمام بالغ بشأن أهل البيت ﷺ، انطلاقاً من الولاء الديني والانتفاء المذهبي، إلا أن هذا الاهتمام غالباً ما يتركز في المظاهر العاطفية، وضمن برامج وأساليب تقليدية متوارثة.

إحياء الأمم لشخصياتها

عندما نتساءل عن أسباب هذا الغياب أو التغييب لذكر أهل البيت، ولحضور شخصياتهم ومعارفهم على الساحة العالمية والإسلامية، فإن أول ما يتبادر إلى الأذهان، خاصة في أوساط المحبين لأهل البيت ﷺ، هو وجود أسباب سياسية تاريخية، تعود

لموقف السلطات الحاكمة في عصور الأئمة ﷺ، التي كانت ترى في ظهور مكانة أهل البيت وانتشار معارفهم خطراً على نفوذها ومصالحها، وما ترتب على تلك المرحلة السابقة من حصول الانقسامات المذهبية والتوجهات التعصبية.

لكن هذا العامل السياسي يقدم جزءاً من التفسير والتحليل، أما الجزء الآخر الذي أراه أكثر أهمية، فيتمثل في جانب القصور والتقصير في إحياء أمر أهل البيت ﷺ، من قبل الموالين لهم والمهتمين بشأنهم.

فالجهد الذي بذلت في دراسة حياة أهل البيت ﷺ، ونشر تراثهم ومعارفهم، تعتبر ضئيلة محدودة، قياساً إلى عظمة أهل البيت، وثراء عطائهم، ومقارنة بما تؤديه الأمم والمجتمعات الناهضة تجاه شخصياتها ورموزها.

إن الشاعر المسرحي الإنجليزي وليم شكسبير (١٥٦٤-١٦١٦م) الذي أنتج في حياته ٣٧ مسرحية إلى جانب مجموعة من القصائد، تنشر عنه في كل سنة أكثر من ٥٤٧٥ بحثاً ومقالة^(١)، كما يتواصل إصدار الطبقات الجديدة من مسرحياته من قبل أعرق الجامعات البريطانية، حيث بدأت منذ مطلع الثمانينيات جامعتا كمبردج وأكسفورد في إصدار طبقات جديدة لأعمال شكسبير، تظهر آخر ما توصلت إليه الدراسات النصية التي يدعمها استخدام الحاسوب^(٢).

وفي عام ١٩٣٠م تأسست في واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية مكتبة فولجر الخاصة بشكسبير، وتضم أهم مجموعة من الكتب عن شكسبير، وأهم مجموعة من الكتب عن الحضارة البريطانية بين عامي ١٤٨٥ و١٧١٥م. وفي المكتبة أكثر من ٢٢٥٠٠٠ مجلد، أسسها هنري كلاي فولجر وهو رئيس سابق لشركة ستاندارد أويل بنيويورك، ترك ثروته

(١) مجلة المتمدن، دبي عدد ١٧٦ ص ٥٠.

(٢) الموسوعة العربية العالمية، ج ١٤ ص ٢٣٢، الطبعة الثانية ١٩٩٩م، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع-الرياض.

وقفاً على إنشاء المكتبة، التي يفد إليها دارسون من معظم أرجاء العالم^(١).
 أما الشاعر الإنجليزي الآخر اللورد بايرون (١٧٨٨-١٨٢٤م) فقد ظهر عنه لحد
 الآن أكثر من ٣٠٠ كتاب في سيرة حياته وعلاقاته الخاصة، منها كتاب سلي مارجانت
 الذي صدر في الخمسينيات بثلاثة مجلدات، وقد ولد اللورد بايرون في لندن وتوفي في
 اليونان، وكانت حياته العائلية والسلوكية مضطربة جداً، حيث لم تدم علاقته مع زوجته
 أكثر من سنة واحدة، وارتبط بعلاقة غير شرعية مع أخته غير الشقيقة (أوغستاليف) إلى
 جانب علاقات أخرى منحرفة^(٢).

ونجد في هذا السياق مدى الاهتمام الذي نالته شخصية الأديب اللبناني المسيحي
 أمين الريحاني (١٨٧٦-١٩٤٠م) حيث يشير قسم الأرشيف والوثائق في متحف الريحاني
 في الفريكة - لبنان، إلى أن سبعة وستين كتاباً وضع عن الريحاني، وأكثر من ٦٧٥٠ مقالاً
 أو مرجعاً نشر عنه، وأكثر من ألف ومئة كتاب خصص عنه فصلاً أو جزءاً من فصل،
 وهذه المراجع نشرت في أربع وأربعين دولة، وفي ست وعشرين لغة، وذلك حتى نهاية
 العام ١٩٩٥م أي بعد نيف ونصف قرن من رحيله^(٣).

في مقابل حجم الاهتمام بهذه النماذج من الشخصيات في مجتمعاتها، الذي لا يمثل
 أرقاماً قياسية، فهناك شخصيات أخرى قد يكون حظها أكبر من الاهتمام والعناية، لكن
 لو قارنا ذلك بمستوى الكتابات والبحوث عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، مع فارق الموقعية
 والمكانة التي نعتقدها لهم، ومع سعة المساحة الزمنية للكتابة عنهم، لرأينا بوضوح عمق
 حالة القصور والتقصير في إحياء أمر أهل البيت، والتعريف بحياتهم وتراثهم.

(١) المصدر السابق، ج ٢٤ ص ١٩.

(٢) المصدر السابق، ج ٤ ص ١٥٨.

(٣) مجلة العربي:مجلة شهرية تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، مارس ١٩٩٩م، عدد ٤٨٤، ص ١١٤.

ما كتب عن أهل البيت ﷺ

لقد أنجز الباحث العراقي الشيخ عبدالجبار الرفاعي، موسوعة استقصى فيها عناوين المؤلفات والبحوث التي كتبت عن أهل البيت ﷺ، عبر أربعة عشر قرناً، (بيلوغرافيا) تحت عنوان (معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت) طبعت في اثني عشر مجلداً. وكشفت عن الأرقام التالية بالنسبة لعدد الكتب والمقالات عن كل واحد منهم:

٥٤٦	عن فاطمة الزهراء ﷺ
٤٩٥٦	عن الإمام علي ﷺ
٢٠٥	عن الإمام الحسن بن علي ﷺ
٣٢١٥	عن الإمام الحسين بن علي ﷺ
٣٩٩	عن الإمام السجاد ﷺ
٦٩	عن الإمام الباقر ﷺ
٣٣١	عن الإمام الصادق ﷺ
٢١١	عن الإمام الكاظم ﷺ
٦٥١	عن الإمام الرضا ﷺ
٦٢	عن الإمام الجواد ﷺ
٧٩	عن الإمام الهادي ﷺ
٦٦	عن الإمام العسكري ﷺ
١١٤٥	عن الإمام المهدي ﷺ

إنها أرقام متواضعة، خاصة لبعض الأئمة، كالإمام محمد الباقر ﷺ، الذي عرف عنه التضلع في العلم وعمق المعرفة، حتى لقب بالباقر، لأنه بقر العلم بقرأً، أي شقّه وعرف مكنوناته، والذي أرسى قواعد مدرسة أهل البيت العقدية والفقهية، لكن ما

أحصاه هذا المعجم حول حياته وتراثه لم يتجاوز ٦٩ كتاباً ومقالة. وكذلك الحال للإمام محمد الجواد ٦٢ والإمام الهادي ٧٩ والإمام العسكري ٦٦.

هذا من ناحية الكم، أما من ناحية المستوى والنوعية فإن قسماً كبيراً من هذه الكتابات لا تتصف بالعمق العلمي، والتحليل الجاد، لسيرة أهل البيت وآرائهم ومواقفهم، بل يغلب عليها السرد التاريخي أو الطرح العاطفي بذكر الفضائل والمصائب. إن جوانب أساسية كثيرة من سيرة أهل البيت وتراثهم لا تزال مجهولة، ولم تسلط عليها الأضواء الكافية من البحث والتحقيق، لقد اهتم فقهاء الشيعة بدراسة وتمحيص ما ورد عن أهل البيت ﷺ فيما يرتبط بالمسألة الفقهية، أما سائر الجوانب فلم تحظ بالاهتمام المطلوب.

لقد كتب بعض علماء الشيعة الأقدمين في سيرة أهل البيت ﷺ وتاريخ حياتهم كالشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣هـ) في كتابه (الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد)، والشيخ الصدوق (٣٠٦-٣٨١هـ) في (عيون أخبار الرضا ﷺ)، لكن الاهتمام بهذا الجانب لم يتواصل من قبل كبار العلماء في العصور اللاحقة إلا نادراً كالجهد الموسوعي الذي قام به الشيخ المجلسي (١٠٣٧-١١١١هـ) في (بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار).

وقلّ أن تجد دراسة تاريخية ضمن قواعد البحث العلمي عن حياة أئمة أهل البيت ﷺ والظروف الاجتماعية التي عاصروها، مع ما لذلك من أهمية بالغة لمعرفة آرائهم ومواقفهم، التي لا يمكن فهمها بالشكل الصحيح إلا ضمن سياقها الاجتماعي، ومعرفة الملابس والظروف المحيطة.

أما تراث أهل البيت وعطاؤهم المعرفي، فمع الجهود المشكورة التي قام بها العلماء السابقون في جمع ما ورد عنهم من أحاديث وروايات، إلا أنها بحاجة بعد تمحيص أسنادها إلى دراسة وتحليل، من قبل أصحاب التخصصات المختلفة، وعلى ضوء التجارب العلمية

المتقدمة في كل اختصاص، لتعرف ما قدمه أهل البيت ﷺ للبشرية من آراء وأفكار في مختلف المجالات والميادين.

إن تعرّف العالم المعاصر إلى أهل البيت يستلزم تقديم سيرتهم وتراثهم بلغات العالم الحيّة، اللغات الرسمية لحقوق العلوم والتكنولوجية والمعرفة العالمية، كالإنكليزية والفرنسية والألمانية واليابانية وغيرها.

وهنا يظهر العجز الشديد والقصور الواضح، فما هو متوفر من الكتابات عن حياتهم وتراثهم ينحصر في اللغة العربية والفارسية.

وقد أشار المحقق الشيخ جعفر السبحاني إلى بعض هذه الجوانب من القصور والتقصير في عرض سيرة أهل البيت وتراثهم، نقتطف من كلامه الفقرة التالية:

«يجب أن نؤكد بأن حياة الأئمة والأولياء الإلهيين شأنها شأن عالم الطبيعة، فيها جوانب عديدة مهما اكتشفت وكتب عنها، فستظل هناك جوانب مجهولة تحتاج لمن يكتشفها ويميط لثام الغموض عنها.

وفضلاً عن ذلك أنّ أكثر ما كتب حول الأئمة فهو ينحصر في تجميع فضائلهم ومناقبهم ومعجزاتهم، وبالتالي في نقل أحداث حياتهم بصورة جافة بعيدة كل البعد عن التحليل، ثم إنّ الكتب التحليلية التي يمكن أن تلبي رغبات الباحثين والمحققين المعاصرين قليلة جداً، وإنّ بعضاً منها لا يتمتع من ناحية طريقة كتابتها وبيانها بالمستوى المطلوب. هذا ومن المؤكد أنّه قد أُلّف وكتب عن بعض الأئمة مثل أمير المؤمنين وسيد الشهداء الحسين بن علي باللغة العربية - وربما الفارسية - بما فيه الكفاية، غير أنّ هناك فراغاً كبيراً للكتب التحليلية العميقة والجامعة فيما يتعلق ببقية الأئمة وحياتهم ويجب - للأسف - الاعتراف بهذه الحقيقة المرة، وهي أنّه ليس الناس العاديون هم الذين يجهلون حياة الإمام الجواد أو الإمام الهادي أو الإمام العسكري ﷺ السياسية والأخلاقية والعلمية فقط، بل إنّ أغلب الخطباء والكتّاب يفتقدون المعرفة الكافية بهم أيضاً.

وثانياً: إنّ نوع الحياة التي كانوا يعيشونها، وكيفية مواقفهم السياسية - الاجتماعية يكون واضحاً أكثر عندما نلّم بظروفهم الاجتماعية والسياسية والثقافية الخاصة التي يعيشون فيها، وذلك أنّنا نعرف بأنّ الأئمة الأطهار كانوا يقيمون طريقة حياتهم الاجتماعية، ومواقفهم السياسية، وطبيعة نضالهم، على أساس من المحاسبات الدقيقة للظروف والأوضاع السائدة في عصرهم، وتقييم الإمكانيات والمقتضيات والموانع، وتناسباً مع نوع المواجهة مع أعداء الإسلام. وعليه ما دمنا لم نتعرف على الأوضاع والظروف الخاصة التي كانوا يعيشون فيها آنذاك، فلن يكون لسيرة الأئمة وحياتهم أي مفهوم ومعنى دقيق وواقعي»^(١).

إن احتفاءنا بمناسبات ذكريات أهل البيت ﷺ يجب أن تبعثنا لتحمل المسؤولية تجاه إحياء ذكركم وأمرهم على مستوى العالم، إرضاء لله تعالى، وخدمة للبشرية، وتنفيذاً لتوجيهات أهل البيت ﷺ، فقد ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ: «أحيوا أمرنا، رحم الله عبداً أحيأ أمرنا. قلت: كيف يحي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس فإن الناس لو عرفوا محاسن كلامنا لاتبعونا»^(٢).

ثبتنا الله على ولاية النبي وآل بيته، ووقفنا للإقتداء بهم، والسير على طريقهم، وحشرنا يوم القيامة في زمركم، ورزقنا شفاعتهم، إنه أرحم الراحمين.

(١) البيشوائي: مهدي/ سيرة الأئمة ﷺ، ص ٢٣، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ، مؤسسة الإمام الصادق ﷺ - قم.

(٢) الصدوق: محمد بن علي بن الحسين/ عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٢٧٥، الطبعة الأولى ١٩٨٤ م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

الأوقاف ودورها الحضاري في الأمة

كلمة الجمعة بتاريخ ١١ شعبان ١٤٢٦ هـ

يمثل الوقف الخيري إحدى أهم الظواهر الإنسانية النبيلة، التي تدل على عمق النوازع الخيرة في نفس الإنسان، واهتمامه بمصالح الأجيال المقبلة، وحرصه على تكريس التوجهات التي يعتقد صلاحها.

والوقف لغة هو: الحبس. واصطلاحاً: هو حبس العين وتسييل منفعتها. أي منع العين من أن يملكها أحد من الناس، وإباحة الانتفاع بها ضمن الجهة التي حددها الواقف.

والوقف ليس اختراعاً إسلامياً، بل كانت الأمم القديمة تمارس بعض أشكاله، حيث كان ملوك البابليين يهبون بعض موظفيهم حق الانتفاع ببعض أراضيهم، دون أن يملكوها أو يتصرفوا فيها ببيع أو هبة أو نحوهما. وكان القانون يسمح بانتقال حق الانتفاع بهذه الأراضي إلى ورثة الموظفين - بعد موتهم - بحسب الشروط الموضوعية في الاستحقاق الترتيبي.

وفي زمن الفراعنة دلت الآثار المكتشفة حديثاً في مصر، على رصد بعض الناس العقارات الشاسعة على المعابد والمقابر والتماثيل، ليصرف ريعها في إصلاحها، وتيسير إقامة الشعائر فيها، وكذلك الإنفاق على كهنتها وخدامها.

وعمل بعض الناس في زمن الفراعنة أيضاً بما يسمى حديثاً بالوقف الذري، فكانوا يخصون أولادهم وذرياتهم بريع ومنافع الأعيان المحبوسة، من غير أن يحق لهم تملك هذه الأعيان أو تملكها للآخرين.

وفي زمن الرومان طور الناس نظام الإحباس بعد ظهور النصرانية، فجعلوها في

مؤسسات تابعة للكنيسة، تقوم على رعاية الفقراء والعجزة^(١). وقد شجع الإسلام هذه الظاهرة الإنسانية الخيرة، وتبناها في توجيهاته وتشريعاته، وأسس لها في مجتمع الجزيرة العربية الذي لا دلالة في تاريخه على شيوع مثل هذه الممارسة قبل الإسلام. ونقل عن الإمام الشافعي قوله: «لم يجبس أهل الجاهلية فيما علمت، وإنما حبس أهل الإسلام»^(٢).

وقد التبس الأمر على بعض العلماء فادّعى أن: «الوقف من خصائص الإسلام، قال النووي: وهو مما اختص به المسلمون، قال الشافعي: لم يجبس أهل الجاهلية داراً ولا أرضاً فيها»^(٣). والصحيح أنه لم يكن الوقف معروفاً عند العرب قبل الإسلام، لكنه كان معروفاً في تاريخ الأمم الأخرى.

سُنَّة الوقف في الإسلام

إن قيم الإسلام ومفاهيمه التي تربي الإنسان على توظيف إمكاناته وقدراته من أجل الخير، ولخدمة المصالح الإنسانية، وتوجهه إلى العطاء والإنفاق في سبيل الله، هي التي شكلت أرضية الاندفاع والاهتمام في مجتمع المسلمين بوقف الكثير من ممتلكاتهم في سبيل الله، ولخدمة الأغراض النبيلة.

وإذا كان للعطاء والصدقة فضل عظيم عند الله تعالى، فإن استمرار الصدقة والعطاء مدى الزمن وبعد وفاة الإنسان ورحيله عن الحياة، عن طريق الوقف يعني إحراز الأجر الدائم، والثواب غير المنقطع من الله سبحانه، وذلك يشكل أهم فرصة ومكسب يبحث عنه الإنسان المسلم.

(١) الموسوعة العربية العالمية، ج ٢٧ ص ١٢٨، الطبعة الثانية ١٩٩٩ م، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع - الرياض

(٢) الزحيلي: الدكتور وهبة/ الفقه الإسلامي وأدلته ج ٨ ص ١٥٤ الطبعة الثالثة ١٩٨٩ م دار الفكر - دمشق.

(٣) المصدر السابق، ص ١٥٧.

جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(١).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال: صدقة أجزاها في حياته فهي تجري بعد موته، وسنة هدى سننها فهي يعمل بها بعد موته، أو ولد صالح يدعو له»^(٢).

قال العلماء: إن المراد بالصدقة الجارية الوقف^(٣).

وقد بادر رسول الله ﷺ للعمل بسنة الوقف حيث ورد عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «تصدق رسول الله ﷺ بأموال جعلها وقفاً وكان ينفق منها على أضيافه»^(٤).

كما فعل ذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنه ذكر أمير المؤمنين علياً عليه السلام فقال: «كان عبداً لله قد أوجب الله له الجنة، عمد إلى ماله فجعله صدقة مبتولة (أي منقطعة من ماله) تجري بعده للفقراء، وقال: اللهم إني جعلت هذا لتصرف النار عن وجهي، ولتصرف وجهي عن النار»^(٥).

وروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري عليه السلام أنه قال: لم يكن من الصحابة ذو مقدرة إلا وقف وقفاً^(٦).

(١) القشيري النيسابوري: مسلم بن الحجاج / صحيح مسلم، حديث رقم ١٦٣١، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، دار المغني للنشر والتوزيع - الرياض.

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن / وسائل الشيعة، حديث رقم ٢٤٣٧٦، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - بيروت.

(٣) النجفي: محمد حسن / جواهر الكلام، ج ١٠ ص ٥، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، مؤسسة المرتضى العالمية - دار المؤرخ العربي - بيروت.

(٤) النوري: الميرزا حسين / مستدرک الوسائل، حديث رقم ١٦٠٧٠، الطبعة الثالثة ١٩٩١م مؤسسة آل البيت - بيروت.

(٥) المصدر السابق، حديث رقم ١٦٠٦٩.

(٦) المصدر السابق، حديث رقم ١٦٠٧٣.

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر قال: أصاب عمر أرضاً بخيبر، فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله إني أصبت أرضاً بخيبر، لم أصب مالا قط هو أنفس عندي منه، فما تأمرني به؟ قال ﷺ: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها»، قال: فتصدق بها عمر أنه لا يباع أصلها، ولا يبتاع، ولا يورث، ولا يوهب^(١). وهكذا شقت سنة الوقف طريقها في حياة المسلمين، واتسعت آفاقها، وتنوعت أغراضها في إطار خدمة الدين والمصالح الاجتماعية العامة. فهناك أوقاف للعبادة والمساجد، وما يوقف على عمارتها، وعلى تعليم قراءة القرآن وتلاوة أجزائه، وأوقاف لمصالح الأولاد والذرية والأرحام، وأوقاف لرعاية الفقراء والضعفاء، وأوقاف لنشر العلم والمعرفة.

الاهتمامات الحضارية

وحين يتأمل الباحث أغراض الوقف في تاريخ المسلمين، يدرك حضارية وإنسانية الاهتمامات التي كان يحملها هؤلاء الواقفون لممتلكاتهم على تلك الأغراض النبيلة. إن وجود عدد ضخم من المدارس العلمية الموقوفة، ومن الأعيان الموقوفة على قضايا العلم كرواتب العلماء والمعلمين والطلاب وكتب العلم وكتابته، فقد وقف الشريف المرتضى (٣٥٥-٤٣٦هـ) قرية زراعية كاملة لتوفير الورق لكتابة العلماء والمتعلمين^(٢). ومدارس العلم كانت في الغالب أوقافاً أهلية وليست منشآت حكومية، ففي مدينة صقلية وحدها أكثر من ثلاث مئة مدرسة، تضم عشرات الآلاف من الطلاب، وكان التعليم فيها مجانياً، وتضم أقساماً داخلية لسكن الطلاب الغرباء، يتوفر فيها لهم الطعام والشراب وسائر الاحتياجات المعيشية، ومثل ذلك كان في سائر البلاد الإسلامية كتونس

(١) القشيري النيسابوري: مسلم بن الحجاج / صحيح مسلم، حديث رقم ١٦٣٢.

(٢) الأمين: السيد محسن / أعيان الشيعة، ج ٨ ص ٢١٦، تحقيق حسن الأمين، ١٩٨٦ م، دار التعارف للمطبوعات-بيروت.

والقيروان والقاهرة ومكة والمدينة ودمشق وبغداد ونيسابور وبلخ وغيرها من المدن في آسيا الوسطى وتركيا والهند وإيران^(١). إن في ذلك دلالة على عمق الاهتمام العلمي في المجتمع الإسلامي.

كما تدل الأوقاف على الشؤون الصحية، كالمستشفيات وحاجات المرضى، وعلى رعاية الفقراء والعجزة، وعلى استقبال المسافرين وإيوائهم كالحانات والفنادق، وعلى سقي الماء، على أصالة المشاعر الإنسانية في نفوس المسلمين بفضل توجيهات الإسلام وتربيته.

ويدل تنوع أغراض الأوقاف على تكاملية السعي، والتوجه لسد كل الثغرات والنواقص، وقضاء مختلف الاحتياجات حتى المتواضعة منها في أوساط المجتمع الإسلامي. فمثلاً: كانت هناك أوقاف لتوفير مراوح من خوص للمرضى من أجل استعمالهم لها في وقت الحر، وكان يُوقف للمريض لنفقاته في وقت نقاهته حتى لا يضطر للعمل الشاق فور علاجه، وكان في مدينة طرابلس بلبنان وقف خصص ريعه لتوظيف اثنين يمران بالمستشفيات يومياً، فيتحدثان بجانب المريض حديثاً خافتاً، لإشاعة الأمل في نفسه، ورفع معنوياته، مما يساعد على شفائه.

ومن طرائف أنواع الوقف الخيري ما يعرف بوقف الزُّبادي - جمع زُبديّة وهي آنية من خزف أو فخّار - وربما وقعت من يد أحد الخدم فانكسرت مما قد يخلق له مشكلة أو يعرضه للعقوبة من أسياده، فبادر بعض أهل الخير لإنشاء وقف يوفّر بديلاً عن الآنية المكسورة لإنقاذ موقف الخدم من الإحراج والعقوبة^(٢).

وهناك وقف ضخّم في مدينة مشهد حيث مقام الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) لإطعام القطط الضالة.

(١) الموسوعة العربية العالمية، ج ٢٧ ص ١٣٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣١-١٣٢.

وفي بلادنا القطيف أعرف وقفاً لإزالة (العناصيص) أي الأحجار الناتئة في الطرقات. ووقفاً لوضع علامات للسائرين في طريق البحر بين القطيف وجزيرة تاروت، حين لم يكن جسر، وكان يسمى (المقطع).

وبهذا كان للأوقاف دور كبير في التكافل والتنمية الاجتماعية، ولكثرة الأوقاف في بلاد المسلمين فقد خصصت الحكومات الإسلامية وزارة باسم وزارة الأوقاف في غالب الدول الإسلامية.

الواقف واختيار غرض الوقف

يصح الوقف لكل غرض مشروع، ولا يصح إذا كان لغرض غير مشروع، كتشجيع الفساد والانحراف، أو نشر الضلال، أو الإعانة على الظلم والعدوان.

والمالك حرّ في أن يوقف ما يملكه لما يشاء من الأغراض المشروعة، في خدمة معارف معينة، كما لو وقف على تعليم الدين، أو تعليم الطب، وأمثال ذلك. أو لخدمة بني البشر كمساعدة الفقراء، وعلاج المرضى، وإيواء المسافرين، وما شابه، أو لرعاية الطبيعة وموجوداتها، كتعبيد الطرق، وإطعام الحيوانات، وغيره.

وقد أوجب الشرع احترام إرادة الواقف، والالتزام بما حدده مصرفاً لوقفه وبالشروط والخصائص التي وضعها. جاء في رواية عن الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام: «الوقوف تكون على حسب ما يوقفها أهلها»^(١). ويمثل هذا النص قاعدة فقهية مشهورة، أفقها الفقهاء على أساسها بأن كل وقف - لعموم جمع المعروف بالألف واللام - يجب أن يتعامل معه بحسب ما وقفه الواقف، من الشروط، والخصوصيات، والكيفيات، وما عينه من التصرفات فيه، ومن عينه لأن يكون ناظراً عليه^(٢).

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن / وسائل الشيعة، حديث رقم ٢٤٣٨٦.

(٢) البجنوردي: السيد محمد حسن / القواعد الفقهية، ج ٤ ص ٢٣١، تحقيق مهدي المهريزي - محمد حسن الدرايتي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، نشر الهادي - قم.

ومما اشتهر بين الفقهاء أيضاً قولهم: «شرط الواقف كنص الشارع»^(١).
 وغير المسلمين يُقر الإسلام لهم بصحة أوقفهم المشروعة في أديانهم.
 فإذا وقف الإنسان المسلم شيئاً من ممتلكاته على أي غرض غير محرّم شرعاً، فإن
 وقفه صحيح ثابت لا يجوز تغييره ولا تبديله.

وقد ناقش الفقهاء في نية القربة إلى الله، وهل أنها شرط لصحة الوقف أم لا؟ حيث
 يقصد الواقف تحقيق هدف دنيوي من وقفه.

والرأي المختار عند أكثر الفقهاء المعاصرين: أن نية التقرب إلى الله ليست شرطاً
 لصحة الوقف، قال السيد محمد كاظم اليزدي في ملحقات العروة الوثقى: «الأقوى
 وفاقاً لجماعة عدم اشتراط نية القربة، للاطلاقات، ولصحة الوقف من غير المسلم... نعم
 ترتب الثواب موقوف على قصد القربة، مع أنه يمكن أن يقال بترتب الثواب على الأفعال
 الحسنة، وإن لم يقصد بها وجه الله»^(٢).

والعبارة الأخيرة لهذا الفقيه الكبير «ترتب الثواب على الأفعال الحسنة وإن لم
 يقصد بها وجه الله» يجب أن تنال حقها من الاهتمام، لما تعنيه من سعة أفق، وتقدير لذات
 الخير وعوائده، وثقة بعظيم فضل الله ولطفه وكرمه.

ومن شواهد إقرار الإسلام لكل أغراض الوقف المشروعة ما اتفق عليه الفقهاء
 من جواز الوقف لخدمة غير المسلمين، كأن يوقف على الفقراء المسيحيين أو اليهود أو
 غيرهم، أو لعلاج مرضاهم، أو تعليم أولادهم.. قال الشهيد الثاني زين الدين الجبعي
 العاملي (٩١١-٩٦٥هـ) في شرح اللمعة الدمشقية: «يجوز الوقف على أهل الذمة
 أنفسهم، لعدم استلزامه المعصية بذاته، إذ نفعهم من حيث الحاجة، وأنهم عباد الله، ومن

(١) الزحيلي: الدكتور وهبة/ الفقه الإسلامي وأدلته ج ٨ ص ١٧٨.

(٢) مغنية: محمد جواد/ فقه الإمام جعفر الصادق، ج ٥ ص ٦٥، الطبعة السادسة ١٩٩٢م، دار الجواد- بيروت.

جملة بني آدم المكرمين»^(١).

بل ذهب بعض الفقهاء، ومنهم السيد محمد كاظم اليزدي في ملحقات العروة الوثقى إلى أنه «يجوز الوقف والبر والإحسان على الحربي أيضاً لإطلاق الأمر بالخير والإحسان»^(٢).

ولكن كيف يختار الإنسان الأغراض التي يوقف من أجلها؟

إن أبواب البر والإحسان مشرعة، وسبل الخير والمعروف كثيرة، واختيار أي غرض للوقف إنما ينبثق من أحد الأسباب التالية:

١. التوجه إلى ما ورد عن الشرع من فضل وترغيب في أحد المجالات الخيرية. ذلك

أن كثيراً من الواقفين يكون دافعهم للوقف على غرض معين، ما يطلعون عليه من نصوص شرعية حول فضل ذلك العمل الخيري، أو ما يحدثهم به أحد العلماء ويشجعهم عليه، من منطلق عظيم الأجر والثواب.

٢. إدراك النقص والحاجة لذلك المورد في المحيط الاجتماعي، فكم من واقف أثاره مشهد من مشاهد الفقر والحاجة فاندفع لوقف شيء من ممتلكاته لمعالجة تلك الحاجات.

٣. المعرفة والوعي بأهمية بعض التوجهات، كضرورة التقدم العلمي ونشر المعرفة، وحماية البيئة.

٤. وجود أجواء اجتماعية دافعة لبعض الاهتمامات، بأن تكون محل جذب واستقطاب للجمهور.

هذه العوامل تشكل أبرز البواعث والخلفيات لتنوع أغراض الوقف بين الأفراد، وفي أوساط المجتمعات، فقد تسود بعض المجتمعات ثقافة معينة تنتج دفعاً وتشجيعاً

(١) العامل: محمد بن جمال الدين مكي وزين الدين الجبعي / الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، ج ٣ ص ١٨٠، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

(٢) مغنية: محمد جواد/ فقه الإمام جعفر الصادق، ج ٥ ص ٦٧.

باتجاه الوقف نحو أغراض محددة أكثر من غيرها.
وإذا ما أخذنا المجتمعات الإسلامية الشيعية نموذجاً فإننا سنجد فيها كثرة الأوقاف المخصصة لإحياء ذكر أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم.
نسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدينا جميعاً لخدمة دينه، ونفع عباده، إنه ولي التوفيق،
والحمد لله رب العالمين.

الأوقاف ضرورة المؤسسة والتطوير

كلمة الجمعة بتاريخ ١٩ شعبان ١٤٢٦ هـ

مع وجود أوقاف لمختلف الأغراض الدينية والعلمية والإنسانية في المجتمعات الشيعية، إلا أن النسبة الغالبة من الأوقاف لدى الشيعة تكون مخصصة لأهل البيت عليهم السلام، وخاصة الإمام الحسين عليه السلام.

ففي بحث نشره الباحث الشيخ محمد بن علي الحرزي في مجلة (الواحة) عن (الوقف في الأحساء) رصد فيه الأوقاف المسجلة في المحكمة الشيعية بالأحساء بين عامي ١٣٨٨ - ١٤٠٩ هـ فكان مجموعها ٣٦١٩ وقفاً من مزارع وبيوت ودكاكين وأراضي، على مختلف الأغراض، ووصل عدد الموقوف على أهل البيت عليهم السلام منها ٢٥٦٣ وقفاً، وتساوي نسبة ٧٠٪^(١).

وفي بحث قامت به لجنة تطوعية من الشباب في جزيرة تاروت من محافظة القطيف، يهتم بإحصاء وحصر أوقاف جزيرة تاروت، واستغرق عملها فيه أكثر من عام من تاريخ ١٤٢٥/٢/٥ هـ إلى ١٤٢٦/٦/١ هـ، كان مجموع الوقوف التي تم رصدها ٢١٩ وقفاً لمختلف الأغراض منها ١٥١ وقفاً خاصاً بأهل البيت عليهم السلام. وتشكل نسبة ٦٩٪.

ويرى السيد حسن العوامي - من وجهاء القطيف - أن نسبة أوقاف أهل البيت عليهم السلام من مجمل الأوقاف في القطيف لا تقل عن ٧٥٪، وأن الأوقاف تشكل نسبة ٦٠٪ من مجموع حقول القطيف التي كانت تضم سبع مئة وثلاثين ألف نخلة على أدنى إحصاء، منها خمس مئة وعشرة آلاف نخلة منتجة بمعدل ٢٥ كيلو للنخلة الواحدة^(٢).

(١) الواحة، مجلة شهرية، الوقف في الأحساء: معالم وآفاق، محمد علي الحرز، عدد ٢٩ ص ٤١، الربع الثاني ٢٠٠٣ م.

(٢) المصدر السابق، الوقف في القطيف وأثره في حياتها، السيد حسن العوامي، عدد ٩ ص ١٠١، رمضان ١٤١٨ هـ.

وأفادنا مدير دائرة الأوقاف الجعفرية في البحرين أن الأوقاف على أهل البيت تزيد على نسبة ٧٥٪ من مجمل الأوقاف في البحرين.

إن هذا الإقبال الكبير على تخصيص الأوقاف لأهل البيت ﷺ في المجتمعات الشيعية نابع من الأسباب التالية:

١. عمق المودة والولاء لأهل البيت ﷺ في نفوسهم، إذ يرتضعون ذلك في تربيتهم ونشأتهم ضمن عوائلهم، كما تسود في مجتمعاتهم ثقافة المحبة والولاء والارتباط بأهل البيت ﷺ عبر المناسبات الدينية وإرشاد العلماء ووعظ الخطباء.

٢. دافع التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، فأحياء ذكر أهل البيت ﷺ أمر محبوب عند الله سبحانه، ومظهر من مظاهر المودة التي أوجبها الله لهم، وهو ينسجم مع نهج القرآن الكريم في إحياء ذكر الأنبياء والأولياء، والإشادة بهم، والحديث عن سيرتهم ومواقفهم.

كما يشكل استجابة لتوجيهات أئمة أهل البيت الذين دعوا شيعتهم لإحياء ذكرهم وأمرهم، كالخبر المروي عن الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ: «أحيوا أمرنا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا. قلت: كيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس فإن الناس لو عرفوا محاسن كلامنا لاتبعونا»^(١).

٣. إن إحياء ذكر أهل البيت ﷺ يعني إحياء الحالة الدينية في المجتمع، ذلك أن حضور سيرة أهل البيت في النفوس والأذهان تعني حضور القيم والمبادئ التي يمثلونها، مما يترك أثراً وانعكاساً واضحاً على الفكر والسلوك.

٤. إن المظلومية التي عاشها أهل البيت في حياتهم بإقصائهم وتهميشهم والإساءة لهم من قبل أغلب الحاكمين في عصورهم، أو وجدت في نفوس أتباعهم تعاطفاً عميقاً،

(١) الصدوق: محمد بن علي بن الحسين / عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٢٧٥، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت.

يدفعهم لتحدي حالة المظلومية التي تعرضوا لها، بالمزيد من مظاهر الاحتفاء والتخليد لذكورهم وسيرتهم، في مقابل محاولات التعقيم على ذكورهم وآثارهم.

٥. بسبب الظروف الصعبة التي مرت على المجتمعات الشيعية أصبح إحياء ذكر أهل البيت جزءاً من (الهوية)، والاهتمام به يعني حماية الذات من الذوبان، وحفظاً للخصوصيات المذهبية.

٦. وأخيراً، فإن الأوقاف على أهل البيت تعني ضمان التمويل الذاتي للنشاط الديني والفاعلية الاجتماعية، حيث يلمس الواقف أثر وقفه في جذب الجمهور نحو المناسبات الدينية، وفي توفير فرص الوعظ والإرشاد لأبناء المجتمع، وفي تهيئة الأجواء لتربية النشء على العقيدة والمبدأ، وفي تكريس تلاحم المجتمع ورفع معنوياته وإظهار قوته.

هذه هي أهم العوامل والأسباب - فيما أعتقد - لتوجه الشيعة بأوقافهم نحو أهل البيت ﷺ أكثر من أي غرض آخر.

أوقاف أهل البيت والتحديات المعاصرة

يمتاز دور أوقاف أهل البيت في المجتمع الشيعي بميزة إضافية عما تقوم به سائر الأوقاف في المجتمعات الإسلامية، وتلك الميزة هي توفير الاستقلال للنشاط الديني والثقافي، حيث تعتمد الجهة الدينية في تمويلها على الأوقاف والخمس الشرعي.

فالحوزات العلمية الدينية، وشؤون المرجعية والإفتاء، وإقامة الشعائر والمناسبات الدينية، ودور الخطباء والمبلغين، كل هذه المهام يجري تمويلها من واردات الأوقاف والخمس، وهو ما يمكنها من الاستمرارية والاستقلال المالي عن الجهات الرسمية.

وإذا كانت أوقاف أهل البيت تشكل النسبة العظمى من مجمل الأوقاف في المجتمع الشيعي، وإذا كان الدور الذي أدته في الحقبة الماضية متناسباً مع ظروف تلك المرحلة، فإن

دور هذه الأوقاف في الوقت الحاضر يجب أن يخضع لمراجعة وتقويم. ذلك أن مجتمعاتنا اليوم تواجه تحديات كبيرة تستوجب استنهاض كل الطاقات، واستنفار كل القدرات، لتحقيق مستوى من الاستجابة لتلك التحديات الخطيرة. ولعل من أهم تلك التحديات ما يلي:

١. على مستوى الثقافة والمعرفة الدينية، تواجه أجيالنا الحاضرة إشكالات كثيرة، فهي تعيش عصر الانفتاح على مختلف الثقافات، وتستقبل طوفاناً من المعلومات والمعارف، عبر أسرع وسائل التواصل، وأرقى أساليب الجذب والتأثير، بواسطة التقنيات المتطورة، وانطلاقاً من نتائج بحوث العلوم الإنسانية، بينما لا يزال غالب الخطاب الديني في مجتمعاتنا، ضمن سياقه التقليدي المتوارث من الأزمنة السابقة، غير متواكب مع تطورات العصر في مضامينه وأساليب عرضه.

ولعل من أهم أسباب ضعف الخطاب الديني وقصوره كونه نتاج حالات فردية، حيث تفتقر ساحتنا إلى المؤسسات المعرفية التي تضع الخطط والمناهج والبرامج، وإلى مراكز الدراسات والبحوث، وإلى المعاهد التي تربي الخطباء والمبلغين، وتقيم الدورات للارتقاء بمستوياتهم.

ومن ناحية الوسائل والأساليب، فإن المنبر الحسيني بشكله المتعارف لا يكفي لإيصال صوت التوجيه والإرشاد لشرائح المجتمع، في مقابل وسائل الإعلام والاتصالات المتطورة، كالفصائيات والشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، التي هي أقدر على الاستقطاب والجذب، وتخطب الإنسان أينما كان على وجه الكرة الأرضية.

فكيف نستطيع إنتاج المعرفة الدينية المواكبة لتطورات العصر؟ وكيف نوّفر الثقافة القادرة على الصمود أمام التيارات الأخرى؟ وكيف نرتقي بوسائل

وأساليب خطابنا وفعاليتنا وأنشطتنا الدينية لنستوعب أجيالنا الناشئة ونحتضنها في إطار قيمها وائتمائها الديني؟

٢. على صعيد التنمية الاجتماعية، تعاني مجتمعاتنا ضعفاً كبيراً في واقعها الاقتصادي حيث تنتشر البطالة، وتزداد مساحات الفقر والحاجة، وتقل فرص التعليم العالي، مما ينتج الكثير من المشاكل والمضاعفات في الواقع الاجتماعي. ولا بد من مواجهة ذلك بقيام المؤسسات الاقتصادية، وتشجيع روح الفاعلية والعمل، والارتقاء بمستوى التعليم، وتربية الكفاءات والمهارات، والمبادرة إلى معالجة حالات الفقر والحاجة في المجتمع.

٣. في مجال العلاقة مع سائر المجتمعات والأمم، فإن على المجتمع الشيعي أن يواجه آثار الظروف التاريخية السابقة، التي دفعته في الكثير من مواقعه إلى حالة من الانكفاء والانطواء، وضعف التواصل مع المجتمعات المحيطة، بسبب سياسات التمييز الطائفي، وانتشار التوجهات التعصبية المذهبية، وما أنتجت من ردود فعل داخل المجتمع الشيعي، كالميل للعزلة والانغلاق، وتداول ثقافة التعبئة ضد الآخر بدافع تحصين الذات من الهجمات المضادة.

لقد تعرضت صورة المجتمع الشيعي بمعتقداته وتاريخه ومواقفه السياسية وأنماط سلوكه إلى كثير من التشويه والتشويش.

إن إدانة جهل الطرف الآخر لا يعالج المشكلة، بل لا بد لنا من تحمل المسؤولية في السعي لتوضيح الصورة، وإزالة غبش التشويه، والمبادرة للتواصل مع الأطراف المشاركة لنا في أوطاننا، والمجتمعات المحيطة بنا، والانفتاح على المستوى الإقليمي والعالمي.

إن مصلحة المجتمع تكمن في حسن تعايشه مع المجتمعات الأخرى، وقدرته على نسج العلاقات السليمة، وتخطي العوائق، وتجاوز آثار وانعكاسات الظروف السلبية الماضية.

وتتوافر الآن فرص طيبة على هذا الصعيد، في ظل المتغيرات الدولية والإقليمية، وانتشار الوعي، ووجود توجهات للإصلاح في مختلف البلدان، وتنامي الشعور بالتحديات الخطيرة التي تعصف بالأمة والأوطان، وتفرض الدعوة إلى التلاحم والوحدة الإسلامية والوطنية.

وأوقاف أهل البيت بما تمثله من ثروة هائلة يمكنها أن تؤدي دوراً أكبر في مساعدة المجتمع على مواجهة هذه التحديات القائمة.

عوائق الدور المطلوب

فهل تنهض أوقاف أهل البيت ﷺ بهذه المهمة الأساس؟ وهل تقوم بهذا الدور المطلوب؟

وكيف يمكنها الاستجابة للتحديات التي يواجهها المجتمع الإسلامي الشيعي؟ هناك عائقان رئيسان لا بد من تجاوزهما لتفعيل دور أوقاف أهل البيت من أجل خدمة رسالتهم في هذا العصر.

الأول: العائق التنظيمي الإداري

حيث لا تزال أغلب الأوقاف تدار بشكل فردي من قبل الأولياء عليها، حيث إن الولي على الوقف إما أن يكون الواقف نفسه، أو من يؤوله، كما هو الحال في الأوقاف الجديدة، أو أن تصل الولاية له عن طريق الوراثة، فمن المتعارف عليه في مجتمعاتنا أن يتحمل أحد ورثة الولي السابق كولده أو أخيه مسؤولية الأوقاف التي تحت يده، وقد ينص الواقف على تسلسل الولاية من بعده، وقد ترجع ولاية الوقف عندما لا يكون له ولي إلى قاضي البلد، أو وكيل المرجع الديني، ولحرص الشيعة على استقلال أوقافهم، فإنها غير مشمولة بأنظمة وزارات الأوقاف الرسمية، كما أن المرجعية الدينية الشيعية غير متصدية لإدارة الأوقاف في المناطق المختلفة، والقيادات الدينية المحلية لا تمتلك جهازاً

مؤسسياً يقوم بإدارة الأوقاف.. ونتيجة هذا الواقع استمرار توزيع الأوقاف وبعثرتها، وتفرد كل ولي بإدارة الوقف الذي تحت يده، بالطبع فإن المتولين للأوقاف يتفاوتون في مدى أمانتهم ومقدار اجتهادهم، ومستوى وعيهم وقدراتهم الإدارية.

ومن دون وجود مؤسسة ترعى الأوقاف في كل منطقة، وتشرف على إدارتها، وتخطط لترشيدها وتنميتها وتطويرها، فإن أداء الأوقاف لرسالتها لن يكون بالمستوى المطلوب، بل قد يكون بعضها عرضة للضياع، وقد يحصل التلاعب في ثروتها، وفي أفضل الفروض تكون مجمدة ومقتصرة على القيام ببعض الأدوار التقليدية المألوفة.

إن من الضرورة بمكان، لحفظ مستقبل الأوقاف، ولتفعيل دورها في خدمة الدين والمجتمع، وجود مثل هذه المؤسسة، التي يجب أن تتمتع بمستوى من الشرعية الرسمية القانونية من قبل الدولة، ويأشراف من الجهة الدينية المتمثلة في علماء الشيعة المحليين.

وقد تحقق ذلك في مملكة البحرين حيث أصدر حاكم البحرين الأسبق الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة (قانون الأوقاف الجعفرية) بتاريخ ١٢ / ٧ / ١٣٧٩ هـ - ١ يناير ١٩٦٠ م. كما تشكل مجلس لإدارة الأوقاف الجعفرية في دبي بموجب مرسوم أميري من الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم إمارة دبي السابق، بتاريخ ٩ / ١١ / ١٣٩١ هـ - ٢٧ / ١٢ / ١٩٧١ م بتأسيس مجلس إدارة الأوقاف الجعفرية الخيرية. وأعلن أخيراً عن تأسيس إدارة الوقف الجعفري في الكويت.

ونأمل أن يتحقق مثل ذلك في مجتمع الشيعة بالمملكة العربية السعودية وفي دولة قطر وسلطنة عمان والجمهورية العربية السورية وسائر البلدان التي يتواجد فيها مواطنون شيعة.

العائق الثاني: جمود وتقليدية الاهتمامات

انطلاقاً من ضرورة الالتزام بأغراض الوقف التي حددها الواقف لأن «الوقوفات على حسب ما وقفها أهلها» فإن المتعارف صرف موارد أوقاف أهل البيت (ع) في البرامج

المألوفة المتوارثة، من إقامة المآتم وإطعام الطعام في مناسبات ذكريات أهل البيت عليهم السلام. إن الالتزام بغرض الوقف مطلوب ولا يصح تجاوزه، بيد أن ما يجب النقاش فيه: هل الالتزام المطلوب بغرض الواقف يتحدد بمصداق معين من مصاديق العنوان الذي حدّد به الواقف غرضه، وبالأسلوب الذي كان متداولاً في عصره، أم أن لدينا حرية التحرك والتصرف في إطار العنوان المحدد؟

فمثلاً: لو كان الوقف على الفقراء والمساكين، فإن تحديد مستوى الفقر ومصاديق الحاجة، تختلف من عصر إلى آخر، ومن مجتمع إلى سواه.

وكذلك حين يكون الوقف لأهل البيت فإنه يجب الالتزام بعنوان غرض الواقف، لكن الأساليب والمصاديق لذلك العنوان قابلة للتكييف والتغيير، حسبما يخدم الغرض. قال المرجع الديني السيد السيستاني حفظه الله: «إذا وقف على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام صرف في إحياء ذكركم، وإعلاء شأنهم، وإقامة المجالس لذكر فضائلهم ومناقبتهم ووفياتهم، وبيان ظلاماتهم، ونحو ذلك، مما يوجب التبصر بمقامهم الرفيع»^(١).

إن أوقافاً كثيرة بأسماء الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام، لكن الاستفادة منها غالباً ما تنحصر في بعض البرامج التقليدية كإقامة مجالس العزاء والإطعام في المناسبات الخاصة بهم، بينما يمكننا الاستفادة من هذه الثروة الهائلة في إحياء ذكر أهل البيت عليهم السلام على المستوى العالمي، وفي نشر تراثهم المعرفي على أوسع نطاق، لو اتسعت عقليات القائمين على هذه الأوقاف لاستيعاب هذه الاهتمامات والتوجهات.

إن تاريخ حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام، لا يزال بحاجة إلى المزيد من البحث والدراسة، وفي سيرة كل إمام هناك محطات ومواقف مهمّة تستلزم التحقيق وتسليط الأضواء، ولم تعد الجهود الفردية قادرة على إنتاج البحوث والدراسات المواكبة لتطور مناهج البحث

(١) السيستاني: علي الحسيني / منهاج الصالحين، ج ٢ المسألة ١٥٤٧، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ، مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني - قم.

العلمي، مما يعني ضرورة تأسيس مراكز ومعاهد أبحاث متخصصة لدراسة حياة كل إمام، أو لبحث كل جانب من جوانب حياتهم وعظائهم ﷺ.

كما أن تأسيس كرسي باسم أهل البيت لدراسة فكرهم في الجامعات العلمية العالمية أمر مطلوب وملح في هذا العصر.

أليس من المؤسف ألا يكون لدينا مركز علمي واحد لدراسة حياة أي من الأئمة الهداة، مع امتلاك كل إمام لثروة ووقفية هائلة باسمه ولغرض إحياء ذكراه؟

إن تطور وسائل الإعلام والاتصالات تتيح فرصاً هائلة لنشر تراث أهل البيت ومعارفهم، وهناك حاجة ماسة في ساحة الأمة للإطلاع على سيرة أهل البيت، والاقتراب من هديهم لإضاءة طريق النهضة والخلاص، وهناك عطش وشوق عند رواد القيم الإنسانية، والباحثين عن المعرفة والفكر على المستوى العالمي، لقراءة تراث أهل البيت وعظائهم.

إن أدنى ما يمكن تحقيقه وجود مواقع إلكترونية متخصصة بعرض سيرة كل إمام ونشر معارفه وتراثه، وفي مستوى متقدم لا بد من تأسيس قنوات فضائية والاستفادة من الفضائيات المعروفة، خاصة في مناسبات ذكريات أهل البيت، ورعاية بعض البرامج ضمن هذه الفضائيات.

والإنفاق على مثل هذه البرامج من واردات الأوقاف المعنونة باسم إمام من أئمة أهل البيت على نحو الإطلاق، أمر لا غبار عليه من الناحية الشرعية. بل هو من أجلى مصاديق ما أشار إليه المرجع الديني السيد السيستاني « إذا وقف على النبي ﷺ والأئمة ﷺ صرف في إحياء ذكرهم، وإعلاء شأنهم... ».

تبقى الأوقاف التي تتحدد أغراضها في عنوان أضييق كإقامة ماتم العزاء، أو الإطعام في مناسبة معينة، فإن علينا أن نبحث عن إمكانية التحرك ضمن ذلك العنوان الخاص، بما يوسع مدى الاستفادة ويطور آفاقها.

فمثلاً: يمكننا أن نتوسع في عنوان الإطعام إلى جانب الأسلوب المتعارف من تقديم الطعام للمشاركين في إحياء المناسبة، بوضع برنامج لتوفير الاحتياجات الغذائية للفقراء في المجتمع من خلال المناسبة، حينما تتسع إمكانات الوقف.

ويمكننا أن نتوسع في عنوان إقامة مجالس العزاء، ليشمل مناطق أخرى في العالم، إن لم يحدّد الوقف مكاناً خاصاً، أو أن نعمل لبث مجلس العزاء من نفس المكان المقرر ضمن وسائل إعلامية ومعلوماتية متطورة.

وحيث يكون الوقف خاصاً بحسينية معينة، فإنه يمكننا تطوير برامج تلك الحسينية، بإنشاء مكتبة فيها، وتكوين موقع إلكتروني باسمها، وإقامة مؤتمرات ودورات ضمنها، وإصدار مجلة أو نشرة، وما شابه ذلك.

إن لبعض الأوقاف واردات ضخمة، لا تستوعبها المصارف التقليدية المتعارفة، فتقام بعض مجالس العزاء لإبراء الذمة فقط، وإن لم تكن بالشكل المفيد والمناسب. وقد ذكر لي أحد أولياء الأوقاف في القطيف، أن الحسينية التي يشرف عليها لا تستهلك إلا ٢٠٪ كحدّ أعلى من واردات الوقف المخصص لها، والباقي مجمّد في البنوك منذ سنوات!! وأعرف بعض المجالس التي تقام في وقت غير مناسب للمستمعين كالصباح الباكر جداً، أو في وقت متأخر من الليل، لأن صاحب الوقف ملتزم بعنوان إقامة المجلس في المناسبة، فيقيمه بأي شكل كان لمجرد إسقاط الواجب.

إن مجالس كثيرة تقام في بعض مناطقنا في المناسبات متداخلة متشابكة، ولا يُكاد يستفاد منها، بينما تتعطش مجتمعات أخرى لمثل هذه المجالس ولا تمتلك إمكاناتها.

وفي مجال الإطعام قد يحصل ابتذال وإسراف وتبذير في المناسبات الدينية في بعض مجتمعاتنا، لأن المقصود هو مجرد الالتزام الحر في بعنوان الوقف، بينما توجد عوائل فقيرة هي في أمس الحاجة لبعض هذه الكميات من الطعام التي تؤوّل إلى صناديق القمامة.

ويمكننا عند مواجهة أي تردد أو إشكال شرعي فيما يرتبط بتطوير وسائل وبرامج

الاستفادة من أوقاف أهل البيت عليهم السلام أن نعود إلى المرجعية الدينية لإطلاعها على واقع الحاجات، وآفاق الفرص، لتمدنا بالرأي الشرعي الذي نحرص على الالتزام به. نأمل أن تقدم المؤسسات القائمة لإدارات الأوقاف الجعفرية تجربة ناجحة، ونموذجاً ريادياً على هذا الصعيد، لتشقّ الطريق أمام المحاولات والمساعي الأخرى. ونسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدينا جميعاً لخدمة دينه، ونفع عباده، إنه ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

التغيير الاجتماعي وعنصر الزمن

كلمة الجمعة بتاريخ ٨ شوال ١٤٢٦ هـ

أكد سماحة الشيخ حسن موسى الصفار أهمية عنصر الزمن في مهمة التغيير الاجتماعي، ذلك لأن تغيير الأفكار والعادات والتوجهات المتجذرة في النفوس بمرور الزمن ليس أمراً سهلاً، إضافة لوجود قوى مصلحة تستفيد من الواقع السائد في المجتمع، مستشهداً بما عاناه الأنبياء والأئمة والمصلحون طوال التاريخ البشري نتيجة قيامهم بمهمة التغيير.

وأشار سماحته في الكلمة التي ألقاها ظهر الجمعة ٨ شوال ١٤٢٦هـ (١١ نوفمبر ٢٠٠٥م) إلى ثلاثة متطلبات يحتاجها من يسعى للتغيير الاجتماعي:

الرؤية الواضحة، الإرادة القوية، والجهد الطويل الدؤوب، مؤكداً أنه ينبغي للناس الذين يريدون التغيير في مختلف الجوانب الاجتماعية أن تكون هذه الحقيقة واضحة أمامهم وأن يتحلوا بنفس طويل، وأن يصبروا على ضعف استجابة الظروف لهم، وأن يبذلوا المزيد من الجهد، والتوفيق بيد الله تعالى.

وفيما يلي تلخيص لأهم ما ورد في الكلمة:

التغيير الاجتماعي مهمة من أصعب المهمات، فإذا كان المجتمع يسير في اتجاه معين، أو تسوده أفكار معينة، فإن تغيير هذه الأفكار وهذا المسلك الاجتماعي ليس أمراً سهلاً، وذلك لسببين:

السبب الأول: مرور الزمن يسبب تجذراً في الأفكار والعادات والتقاليد والتوجهات، وتغيير الشيء المتجذر ليس أمراً سهلاً. ومثله كمن يريد أن يقطع نبتة من الأرض ذات جذور عميقة في الأرض، فذلك يحتاج إلى عضلات قوية.

السبب الثاني: وجود قوى تستفيد وتمصلح من الواقع السائد في المجتمع، وتخشى

إذا ما تغير هذا الواقع أن تخسر مصالحها. ولذلك فإن هذه القوى المستفيدة من الواقع القائم في المجتمع ستقاوم وتُخالف أي حركة تغيير في المجتمع.

الأنبياء والرسل يأتون بأمر من الله تعالى لتغيير واقع المجتمعات: الكافرة، المشركة، المنحرفة، أو تلك التي تعيش فساداً أو ظلاماً. ومن الطبيعي أن لا يتحقق للنبي هدفه بسرعة، وقد لا يتحقق له ذلك الهدف طوال حياته. وقد بعث الله تعالى ١٢٤ ألف نبي، ولكن كم منهم استطاع أن يحقق ويُنجز نجاح دعوته في حياته؟

والقرآن الكريم يُحدثنا عن نبي الله نوح عليه السلام فيقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [سورة العنكبوت: الآية ١٤]، ومع طول المدة يقرر القرآن الكريم في نهاية دعوة هذا النبي العظيم ما قاله تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [سورة هود: الآية ٤٠]. وكذلك نبي الله موسى عليه السلام فبعد أن تغلب على فرعون، وأنقذ الله نبي إسرائيل من فرعون، تأذى عليه السلام من قومه أذى كبيراً؛ وهكذا حال جميع الأنبياء.

ونبينا الأعظم محمد عليه السلام عاش بعد البعثة ثلاث عشرة سنة في مكة يكدح ويُعاني الآلام من المشركين، مع أنهم كانوا يُلقبونه بالصادق الأمين، وبعد رحيل عمه أبي طالب عليه السلام لم يكن له مجيرٌ في مكة، مع طول المدة التي عاشها رسول الله عليه السلام بينهم، فمضى إلى الطائف حتى يجد له من يحميه من زعمائها وهناك أيضاً لم يجد له أحد يحميه، والتاريخ ينقل أن رسول الله عليه السلام خرج من الطائف وجلس تحت ظل شجرة وتوجه إلى الله تعالى بقوله: إلهي أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس.

وهذه حالة طبيعية يمر بها الدعاة إلى التغيير من الواقع الاجتماعي، ولذلك خاطب الله نبيه محمداً عليه السلام بقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [سورة الأحقاف: الآية ٣٥].

قال الراغب الأصفهاني: العزم هو عقد القلب على تحقيق المطلوب. وأولو العزم من الرسول خمسة: نبي الله نوح عليه السلام، نبي الله إبراهيم عليه السلام، نبي الله موسى عليه السلام، نبي الله

عيسى ﷺ، ونبينا الأعظم محمد ﷺ. فالله تعالى يأمر نبيه بالصبر كما صبر أولو العزم من قبله. ثم يقول تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ فالتغيير الاجتماعي يحتاج إلى نفسٍ طويل.

هناك ثلاثة متطلبات يحتاجها من يسعى للتغيير الاجتماعي:

أولاً: الرؤية الواضحة، وهذا يتعلق بالجانب الفكري لمن يريد التغيير إذ ينبغي أن يكون الهدف واضحاً وجليّاً.

ثانياً: الإرادة القوية، وهي تتعلق بالجانب النفسي لمن يريد التغيير.

ثالثاً: الجهد الطويل الدؤوب، ففي كثير من الأعمال والمهام يكون للزمن دورٌ أساس في إنجازها. بعكس ما هو الحال في مهامٍ أخرى حيث يكون الجهد هو العامل الأساس في إنجازها دون الزمن. ومثله الأمراض التي تُصيب الإنسان، فبعضها تزول بأخذ الدواء الموصوف لها وفي مدة قصيرة، وبعضها تحتاج إلى زمن طويل، كالكسور التي تُصيب العظام. ومثالٌ آخر يتعلق بمسألة الإنجاب، فهي عملية تحتاج إلى زمنٍ ينبغي أن يمر به الإنسان بأن يكون في بطن أمه تسعة أشهر وبعدها تحين فترة الولادة، وليس هناك طريقة لتسريع الولادة إلا في بعض الحالات غير الطبيعية التي يكون فيها الإنجاب قبل هذه المدة. وكذلك الحال في تنشئة الأولاد وتربيتهم، فهذه المسألة بطبيعتها تحتاج إلى زمنٍ بغض النظر عن الجهد المبذول فيها.

فالتغيير الاجتماعي كذلك يحتاج إلى نفسٍ طويل، وتجد أن بعض الأحيان يتحمس للتغيير ولكن مع مرور زمنٍ قصير يتتابه العجب: لماذا لا تسود هذه الفكرة أو تلك في المجتمع؟ ولماذا لا يتغير الناس بسرعة؟ وهذه حالة طبيعية لأن المسألة تحتاج إلى زمنٍ! ويتفاوت الزمن بحسب الظروف التي يعيشها المجتمع، والجهد المبذول في موضوع التغيير، فإذا كان الجهد أكبر فقد يختصر الزمن بمقدارٍ ما. ولذلك نرى الأنبياء ﷺ كيف كانوا يتحملون ويصبرون.

من ناحية أخرى، فإن مسألة التغيير لا ترتبط بأن الرأي الذي تحمله صح أم خطأ،

وإنها طبيعية التغيير الاجتماعي تحتاج إلى زمن، وإلا فلا شيء أصدق مما كان يدعو له الأنبياء.

وأيضاً واقع الحال الذي عاشه أئمتنا عليهم السلام حيث عاش أحد عشر إماماً بين الناس في المرحلة الأولى، واكتنفت حياة الإمام الثاني عشر ظروف الغيبة. وفي المرحلة الأولى والتي كانت مدتها ٢٥٠ سنة استطاع الأئمة فيها أن يخلقوا تياراً ويشقوا طريقاً، ويتركوا تراثاً ورصيдаً للأمة، ولكن بالنتيجة لم يستطع كل إمام منهم أن يُنجز التغيير كاملاً في حياته. وكان بعض أصحاب الأئمة يأتون للإمام منزعجين من الوضع السائد، وكان الإمام يهدئهم ويوعيههم ويُبصّرهم.

وهكذا المصلحون في كل عصر والمجتمعات الأخرى، فالمجتمع الأوروبي الذي كان يعيش تحت استبداد الكنيسة، وفي العصور المظلمة، لم يتغير حاله ووضعته بين عشية وضحاها، وإنما احتاج ذلك إلى زمن طويل.

والمهم في الأمر أن يكون هناك عمل، فالصبر لا يعني الركود، وإنما يعني السعي والعمل وترك المجال للزمن حتى يتحقق الهدف والغاية. يقول الرسول الأعظم عليه السلام: «علامة الصابر في ثلاث: أولها أن لا يكسل، والثانية أن لا يضجر، وثالثها أن لا يشكو من ربه عزّ وجل، لأنه إذا كسل فقد ضيّع الحقوق، وإذا ضجر لم يؤدّ الشكر، وإذا شكّا من ربه فقد عصاه»^(١).

من الظواهر التي نلاحظها في مجتمعاتنا أن بعض الناس لا يملكون نفساً طويلاً في العمل الاجتماعي، فيعيش فترة حماس وتوجّه، وبعدها ينسحب، لأنه كان يتوقع أنه بمجرد أن يعمل فإن الأمور والأوضاع الاجتماعية ستتغير بسرعة، وإذا تأخرت النتائج يملّ من العمل. فالمجتمعات لا تتغيّر بما يطلق عليه في المجتمع مصطلح (الطربة) أو مصطلح (ضو ليف)، فالتغيير الاجتماعي يحتاج إلى نفس طويل، وما دون ذلك يُعبّر

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن / وسائل الشيعة، حديث رقم: ٢٠٨٦٢.

عن ضعف الوعي بمسيرة التغيير في المجتمعات البشرية. فنرى عمر الأنشطة الاجتماعية في المجتمعات الأخرى يُعادل عقوداً أو قروناً من الزمن. بينما متوسط عمر الأنشطة في مجتمعاتنا في الغالب لا يتجاوز العشر سنوات.

طبيعة الحياة تحتاج إلى صبر، سواءً على المستوى الفردي أو الاجتماعي، وقد ذكرت الصحف عما نُشر في موسوعة جينس للأرقام القياسية إذ تحدثت هذه الموسوعة سنة ٢٠٠٣م عن امرأة في الهند بأنها أكثر إنسان في العالم كتبت رسائل حول الشأن العام حيث كتبت في سنة واحد ٣٣٤ رسالة، وسجلت الموسوعة في عام ٢٠٠٢م أن زوجها كتب في حياته ٨٠٠٠ رسالة حول الشأن العام، فواضح في مثل هذين النموذجين النَّفس الطويل الذي تمتلكه هذه المرأة وزوجها، بينما في مجتمعاتنا العديد من المشاكل والقضايا العامة. ولكن الطابع العام لدى الناس لا يتعدى التذمر والانزعاج، وقد تجد من يتحمس فيكتب حول مشكلة ما ولكنه يفتقد للمتابعة وطول النفس.

فينبغي للناس الذين يريدون التغيير في مختلف الجوانب الاجتماعية أن تكون هذه الحقيقة واضحة أمامهم وأن يتحلوا بنفس طويل، وأن يصبروا على ضعف استجابة الظروف لهم، وأن يبذلوا المزيد من الجهد، والتوفيق بيد الله تعالى. نسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدينا جميعاً إلى ما فيه الخير والصلاح، والحمد لله رب العالمين.

العنف الأسري

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٢ شوال ١٤٢٦ هـ

حدّر سماحة الشيخ حسن الصفار من تفشي ظاهرة العنف الأسري في المجتمع، مؤكداً وجود حالات كثيرة ترتبط بهذا الموضوع، مما يجعلها ترتقي لمستوى الظاهرة، مشيراً أن الأضواء العامة على المستوى الوطني والعربي والإنساني بدأت تُثير هذا الموضوع على مختلف الصُّعد. وأضاف: إن العنف الأسري أسوأ أنواع العنف وهو سيئٌ وقبيح، لأن الأسرة هي ملاذ الإنسان وملجئه ومأمنه، وإذا كان الإنسان يواجه العدوان داخل أسرته فأين يبحث عن الأمن والملجأ؟ وقال: إن العنف الأسري يُهيئ الإنسان لممارسة العنف ضد الآخرين. وحول أسباب استخدام العنف ضمن الأسرة تحدث سماحته عن الأسباب التالية: سوء الخلق، ردّ فعل لضغط الظروف الحياتية، الثقافة الخاطئة.

جاء ذلك في الكلمة التي ألقاها سماحة الشيخ الصفار في مسجد الفتح بالقطفيف ظهر الجمعة ٢٢ شوال ١٤٢٦هـ (٢٥ نوفمبر ٢٠٠٥م).

وفيما يلي تلخيص لأهم ما ورد في الكلمة:

العائلة هي الدائرة الأقرب للإنسان والأكثر التصاقاً به، وحينما تكون علاقة الإنسان داخل عائلته علاقةً طيبة، ويكون هناك انسجامٌ بينه وبين عائلته، فإن ذلك يجعل الإنسان أكثر سعادة، وأكثر قدرة على الإنتاج والفاعلية، وأقرب إلى حسن المعاملة مع الآخرين. أما إذا كان على العكس من ذلك، فهذا يوجد له الكثير من الانزعاج والقلق النفسي، ويؤثر على إنتاجه، ويُرشحه أيضاً ليكون سيئاً في وضعه الاجتماعي العام. ولهذا جاءت النصوص والأحاديث تؤكد أن يكون الإنسان حسناً ومحسناً في علاقاته العائلية.

فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»^(١) فالرسول ﷺ يجعل حسن العلاقة العائلية مقياساً للخيرية بين الناس. وقال الإمام الصادق عليه السلام: من صدق لسانه زكا عمله، ومن حسنت نيته زاد الله عز وجل في رزقه، ومن حسن بره بأهله، زاد الله في عمره^(٢). فقد تكون الزيادة في العمر أثراً غيبياً، وقد تكون أثراً طبيعياً لأن حسن البر للأهل يوجب الارتياح النفسي، وهذا له أثر كبير على صحة الإنسان، مما يجعل عمر الإنسان طويلاً. ولذلك ينبغي للإنسان أن يكون حريصاً جداً على أن تكون علاقته داخل عائلته علاقةً طيبة وعلى أحسن ما يكون. يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: لا يكن أهلك أشقى الناس بك. ففي بعض الأحيان ترى علاقة البعض مع الآخرين حسنة، ولكنهم مع المحيط الأسري يتحولون إلى وحوش كاسرة، والسبب أنهم يرون أن علاقتهم مع الآخرين تحكمها مصالحهم معهم، ونظرتهم لهم، فهم مضطرون لتحسين علاقتهم معهم.

يزداد الحديث الآن، على المستوى الوطني والعربي والإنساني، حول قضايا العنف الأسري، فأصبحت هناك مؤسسات عالمية تتحدث عن هذا الموضوع، وتشكلت منظمات في مختلف الدول لحماية الإنسان من العنف الذي يتعرض له داخل أسرته.

وفي المملكة العربية السعودية بدأت هذه المسألة تُطرح كظاهرة في واقع المجتمع، وأصبحت الجرائد تتحدث عن حالات من العنف الأسري، وبدأت بعض المحاكم تُفصح عن بعض ما يصل إليها من قضايا ترتبط بهذا الأمر.

بالطبع، حالات العنف الأسري، كالعنف ضد المرأة أو تعرض الأولاد لعنف مبالغ فيه داخل أسرهم، ليست جديدة الحدوث فهناك حالات كثيرة كانت تحصل في المجتمع ولكن الجديد في الأمر هو إظهارها إعلامياً، وتسليط الأضواء عليها.

(١) السيوطي: جلال الدين/الجامع الصغير، ج ١، حديث رقم ٤١٠٠.
(٢) الكليني: محمد بن يعقوب/ من لا يحضره الفقيه، ج ٨، حديث رقم ٢٦٩.

والسؤال: هل هناك حالاتٌ للعنف الأسري في منطقتنا؟ وهل تشكل ظاهرةً أم أنها حالاتٌ نادرة؟

يبدو لي من خلال متابعتي الاجتماعية، وما يصلني من قضايا ترتبط بهذا الشأن، أن هناك حالات كثيرةً من العنف الأسري، ولكننا إذا سلطنا الأضواء على ما يبرز منها، فإننا لا نستطيع أن نصنّفها في مستوى الظاهرة الاجتماعية، أما إذا تأملنا في واقع حياة المجتمع فإن ما يظهر من هذا الحالات ما هو إلا جزءٌ قليل قد لا يُساوي ١٠٪ من واقع الحالة الموجودة.

هناك عنف أسري منزلي يُمارس ضد المرأة في بعض الأحيان، ويُمارس ضد الأولاد في أحيان أخرى. والعنف الذي يُمارس ضد الأولاد قد يكون من قبل الوالدين، أو من طرف ثالث كما لو كانت أم الأولاد متوفاة أو مطلقة وكان هؤلاء الأولاد تحت رعاية امرأة أخرى.

العنف الأسري أسوأ أنواع العدوان

واضح أن العنف الأسري سيءٌ وقبيح، لأن الأسرة هي ملاذ الإنسان وملجئه ومأمنه، وإذا كان الإنسان يواجه العدوان داخل أسرته فأين يبحث عن الأمان والملجأ؟ ضع أمامك صورةً لطفل يُصيبه أي اعتداء، فإنه يهرع لأمه أو أبيه، فإذا كانت الأم هي مصدر العدوان عليه، فإلى من يهرع هذا الطفل؟ فيصبح لديه شعورٌ وكأنه لا جهة تحميه، وبالطبع هو غير قادر على حماية نفسه، وهذه المشاعر حينها تتراكم في نفس الطفل تخلق لديه عقداً وأمراضاً نفسية، ويبدأ يُفكر في مختلف الأساليب والوسائل للدفاع عن ذاته. وتحصل عنده مشاعر ضد الناس، لعدم وجود من يحميه فيهم.

فالعنف الأسري هو أسوأ نوع من أنواع العدوان يمكن أن يتعرض له الإنسان، لأن الجهة المكلفة بحمايته تُصبح هي مصدر العدوان عليه.

العنف الأسري يُهيئ الإنسان لممارسة العنف ضد الآخرين. من ناحيةٍ أخرى، الإنسان في الأسرة يتعلم أساليب الحياة، وأنماط العلاقات والتعامل، فإذا كان العنف هو أسلوب التعامل داخل الأسرة، فسيتربى الأولاد على هذا الأسلوب في تعاملهم مع الآخرين. والجدير بالذكر أن الدراسات الميدانية الاجتماعية على الأشخاص الذين مارسوا العنف تجاه زوجاتهم أو أولادهم، تؤكد أن النسبة الكبرى لهؤلاء قد تعرضوا للعنف في صغرهم، أو عايشوه في محيطهم العائلي وأوجد ذلك عندهم التوجه والاستعداد لممارسة العنف ضد الآخرين فيما بعد.

أسباب استخدام العنف ضمن الأسرة

أولاً: سوء الخلق

فإذا كان الإنسان سيء الخلق، فإن أول ظهور لهذا الخلق السيئ يكون ضمن الإطار الأسري، لأن الأسرة هي الدائرة الأقرب إليه والأكثر احتكاكاً به. إذا شعر الإنسان أنه في موضع القوة وكان سيئ الأخلاق فإن ذلك يدفعه لممارسة العدوان على الآخرين، خصوصاً إذا علم أن الطرف الآخر لا سبيل له للانتقام. وهذا تماماً ما يقوم به الرجل الذي يُمارس العنف تجاه أسرته، ولذلك وردت عدة أحاديث تُحذر من ظلم الضعيف، كما ورد في وصية الإمام الحسين عليه السلام لابنه الإمام علي بن الحسين عليه السلام حيث قال له: «أي بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله عز وجل»^(١).

ثانياً: رد فعل لضغط الظروف الحياتية

يواجه الإنسان في حياته ضغوطاً متعددة: اقتصادية، واجتماعية، فحينما تتجمع هذه الضغوط في نفس الإنسان قد يفتش عن متنفس لكبته الذي يعيشه، حينها يلجأ

(١) المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١١٨.

لظلم عائلته أو من هم دونه.

ثالثاً: الثقافة الخاطئة

ومن مظاهرها شعور الإنسان بأن له الصلاحية الكاملة والمطلقة في التصرف تجاه عائلته، وكأنه لا حساب ولا عقاب، بعكس ما عليه الحال في تعامله مع الآخرين. ويكرّس هذا الشعور الخاطيء، في كثير من الأحيان، عند الإنسان حالة الإساءة لعائلته. ولو تأمل الإنسان الجانب الشرعي لوجد أنه لا يمتلك هذه الصلاحية.

نعم، في الشرع مسألة التأديب، بأن يؤدب الأب أولاده، ولكن التأديب له حدوده وضوابطه فليس من حق الإنسان أن يفعل ما يشاء بأولاده تحت عنوان التأديب.

وفيمما يرتبط بالزوجة هناك حكمٌ خاص للناشز، يقول تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُوهُنَّ﴾ [سورة النساء: الآية ٣٤]، وهو ضمن حالات استثنائية ناقشها الفقهاء، وضمن ضوابط أيضاً، وليس مسألة مطلقة.

ويعتقد البعض أن تقصير المرأة في الطبخ أو الخدمة المنزلية، أو تجاه أولادها، يُجيز له استخدام العنف معها أو الإساءة لها على اعتبار أنها قصرت في حق من حقوقه، وهذا اعتقاد خاطيء. فعلى الإنسان أولاً أن يعرف ما هي حدود حقوقه، وأن لا يذهب بها عريضة تجاه زوجته. فالشرع المقدس لم يوجب على المرأة حتى إرضاع أطفالها، بل ولها أن تطلب الأجرة من الأب على ذلك، فكيف يحق للأب مطالبة زوجته وتعنيفها فيما لم يجعله الشرع من واجباتها!

وهناك نصوص كثيرة في هذا الاتجاه، كما ورد عن رسول الله ﷺ: «من لطم زوجته على وجهها، أمر الله مالك خازن النيران أن يلطمه سبعين لطمَةً على وجهه في نار جهنم». وقال ﷺ: «من ضرب زوجته أقامه الله تعالى يوم القيامة فيفضحه على رؤوس الأشهاد».

وتجاه الأولاد كذلك، إذ لا يصح للإنسان أن يمارس العنف تجاههم، ومن ناحية

التأديب فعلى الأب أن يعلم أن الطفل يحتاج إلى فترةٍ من العمر حتى يَعيَ ماذا تعني المسؤولية. والنصوص تحدّد هذا العمر بسبع سنين، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدب سبع سنين، وألزمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح وإلا فإنه ممن لا خير فيه»^(١). وفي حديث آخر: «مروا صبيانكم بالصلاة في سبع سنين، واضربوهم عليها في عشر»^(٢). والضرب الذي تعنيه الروايات هو الضرب الخفيف الذي لا يوجد أثراً في الجسم، مما يستلزم عليه الدية.

فماذا يُقال عن بعض الأشخاص الذين يُمارسون العنف ضد أولادهم في هيجان الغضب، مما قد يُسبب تلفاً لعضو من أعضاء الولد.

وهناك العديد من القصص التي يندى لها الجبين من فظاعتها، فمرة دخل أحدهم المطبخ ليرى بعض أواني المطبخ مكسرة، وإلى جانبها طفله وهو يلعب، فلم يتمالك الأب نفسه فعمد إلى لوح فيه مسامير صادية، وضرب بها طفله ضرباً مبرحاً، وفي المستشفى قرر الطبيب بتر يد الطفل لما أصابها من التسمم، وبقي الأب نادماً طول حياته في وقت لا ينفع فيه الندم.

نسأله تعالى أن يوفقنا جميعاً لمعرفة أحكامه والالتزام بها وأن يعيننا على أنفسنا إنه أرحم الراحمين.

(١) الكليني: محمد بن يعقوب/ من لا يحضره الفقيه، كتاب النكاح، باب: تأديب الولد وامتحانه، حديث رقم: ٤٧٤٥.

(٢) الأميني: عبدالحسين أحمد/ الغدير، ج ٩، ص ٢٨٣.

لنعرف قدر زوجاتنا

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٩ شوال ١٤٢٦ هـ

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار الرجال لتعرّف على قدر زوجاتهم، وأن تكون معاشرتهم لهنّ على أساس مبدأ المعروف الذي تؤكد الآيات القرآنية والنصوص الدينية، مشيراً إلى مظاهر المعاشرة بالمعروف، ومؤكداً المسؤولية الشرعية للرجل تجاه إساءة زوجته التي تتمثل في استيعاب هذه الإساءة باعتباره ربّاً للأسرة، وقائداً لهذه المؤسسة العائلية.

وطالب الرجل بأن يتفهم حقه الشرعي على زوجته الذي يتمثل في حق الاستمتاع الجنسي، وعدم خروج زوجته بدون إذنه، فقط. واستنكر الشيخ الصفار في كلمته التي ألقاها ظهر الجمعة ٢٩ شوال ١٤٢٦هـ (٢ ديسمبر ٢٠٠٥م) تلك المظاهر التي بدأت تنتشر في المنطقة والمتمثلة في التعامل القاسي من قبل بعض الأزواج تجاه أزواجهم مؤكداً أن ذلك لا يُنتج إلا أولاداً معقدين نفسياً، مؤكداً مسؤولية الرجال في كظم غيظهم، وإن بدا من زوجاتهم سوءاً، وليحتسب ذلك عند الله تعالى.

وفيما يلي تلخيص لأهم ما ورد في خطاب سماحته:

من أهم أسباب سوء العلاقة بين الإنسان والآخرين الذين يتعامل معهم أن تتضخم في نفسه مصالحه دون أن يفكر في مصالح الآخرين، فيهتم بحقوقه ولا يلتفت إلى حقوق الآخرين. والحياة قائمة على الحقوق المتقابلة، فكما أن لك حقوقاً، فإن لمن يتعامل معك حقوقاً، وعليك عند أي مشكلة أو قضية أن تستحضر حقوقك وحقوق الطرف الآخر، أما إذا استحضرت حقوقك فقط وغفلت عن حقوق الطرف الآخر، فهذا يجعلك في موقف ذهنيّ ونفسيّ يُبعدك عن الإنصاف والموضوعية، وبالتالي يحصل سوء العلاقة، ويحصل الابتعاد وقد يحصل العدوان.

ومن أجلى موارد هذه الحالة العلاقات الزوجية. ويرتكز البحث على زاوية محددة من هذه العلاقة وهي علاقة الرجل بزوجته. هذه العلاقة التي لا تشبهها أية علاقة أخرى في عالم الحياة الإنسانية، فهي علاقة مميزة. لذلك حينما يتحدث الفقهاء عن عقد الزواج فإنهم يعتبرونه عقداً مقدساً، فيه روح العبادة.

والله جل شأنه في القرآن الكريم يتحدث عن هذه العلاقة بشكل لا ترقى إليه أية علاقة أخرى، يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الروم: الآية ٢١]. فالعلاقة الزوجية هي علاقة سكن، ويعني الاطمئنان والشعور بالأمن.

فكما أن الإنسان في بيته يشعر بالأمن والخصوصية، فكذلك في العلاقة الزوجية ينبغي أن يكون هذا الشعور موجوداً. والمودة تعني مشاعر الحب المتبادلة بين الزوجين، والرحمة تعني العطف والشفقة خاصة حينما يحتاج أحد الطرفين إليها من الآخر.

وفي آية أخرى يصف الله تعالى هذه العلاقة بوصف عجيب يستدعي التأمل والوقوف، يقول تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٨٧]، فالعلاقة الزوجية من حيث صلتها بالإنسان كصلة اللباس به. والإنسان يستفيد من اللباس في نواحي عدة:

أولاً: ستر العورة.

ثانياً: الأناقة وجمال المظهر.

ثالثاً: الوقاية من تقلبات الظروف المناخية.

وذلك حال المرأة بالنسبة للرجل، والرجل بالنسبة للمرأة، حيث يُقدم كلٌّ منهما للآخر هذه الأدوار الثلاثة، ستر العورة من خلال إشباع الغريزة الجنسية بطريقة لائقة، إذ بدونها قد يندفع الإنسان إلى علاقة غير شرعية. والعلاقة الزوجية جمالٌ وكمالٌ للإنسان كاللباس تماماً، وهي تحمي الإنسان من مختلف التقلبات والظروف والمشاكل

الحياتية والاجتماعية.

والتعبير في الآية الكريمة باللباس يُشير إلى اللصوق، حيث إن اللباس لاصق بجسد الإنسان، فكذلك حال العلاقة الزوجية، ملتصقة بالإنسان نفسياً وشعورياً وعملياً.

المعاشرة بالمعروف

يؤكد القرآن الكريم أن الشكل الوحيد المقبول للعلاقة الزوجية هو المعاشرة بالمعروف، ولا يمكن أن يقبل الشرع بعلاقة زوجية لا تقوم على هذا الأساس. وفي القرآن الكريم اثنا عشر مورداً يتحدث عن العلاقة الزوجية بتأكيد مبدأ المعروف، يقول تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة النساء: الآية ١٩]، ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٢٩]، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٢٨]، إلى آخر تلك الموارد.

والآية الكريمة: ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ تؤكد أن العلاقة الزوجية إما أن تكون قائمة على مبدأ العلاقة بالمعروف، وإلا فإن البديل: ﴿تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾. ولذلك أفتى الفقهاء بأن الزوج إذا لم يتعامل مع زوجته بالمعروف فإن لها أن تشكوه للحاكم الشرعي، ولمعالجة الموضوع تحصل ثلاث خطوات:

الأولى: يستدعي الحاكم الشرعي الزوج ويأمره بأن يتعامل مع زوجته بالمعروف، ويزجره عن الإساءة لزوجته، فإذا لم يلتزم بكلام الحاكم الشرعي، تأتي الخطوة الثانية. الثانية: يقوم الحاكم الشرعي بتأديبه وتعزيره، سجنًا أو ضرباً أو توبيخاً، أو أي إجراء آخر حتى تتحقق العلاقة بالمعروف بين الزوج وزوجته. وإذا لم يؤد هذا الإجراء هدفه، تأتي الخطوة الأخيرة.

الثالثة: من حق الزوجة أن تطلب الطلاق، فيأمر الحاكم الشرعي الزوج بالطلاق، فإذا لم يُطلق الزوج طلقها الحاكم الشرعي.

وفي توضيح هذه الحقيقة يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين: «إن الاستفادة من مجموع هذه الآيات هو: المقابلة بين المعاشرة بالمعروف والتسريح بإحسان؛ هذا يقتضي أنه حين لا تتحقق الأولى (المعاشرة بالمعروف) من قبل الزوج لأي سبب من الأسباب (اختياري أو قهري - لأن الصيغة مطلقة من هذه الجهة) يتعين التسريح بإحسان. فإن التردد جاء بكلمة (أو) التي مقتضاها هو خيار المكلف بين الأمرين. فلا وجه للقول بأن للزوج أن يعاشر بالمعروف أو بغير المعروف. وإذا أراد أن يفارق كان عليه أن يفارق بإحسان لأن هذا يتنافى مع كلمة (أو) في الآيات الكريمة وفي جميع موارد استعمالها. فالحاصل أن العُلقة الزوجية وجوداً مبنيةً على المعاشرة بالمعروف فقط، وانقطاعاً مبنيةً على المفارقة بإحسان»^(١).

ما هو المعروف؟

المعروف هو ما تعارف عليه الناس، من الذوق المكتسب من لون حياتهم الاجتماعية. وكل عصر وجيل له أعرافه وتقاليده. ومطلوبٌ من الرجل أن يتعامل مع زوجته ضمن العرف الشائع للتعامل.

والمعروف ما عرفه الشرع وقبله العقل.

والمعروف ما عرفه الناس الأسوياء في فطرتهم وميولهم.

وبالتالي، فإن أية مخالفة لهذا المبدأ تُعتبر إساءة للمرأة. قال السيد عبدالأعلى

السبزواري في تفسيره:

«يَبِّينُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ أَنَّ الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ هُوَ الْمَعَاشِرَةُ مَعَ النِّسَاءِ بِالْمَعْرُوفِ،

بأن تكون المخالطة والمصاحبة والعيش معهن بما هو المعروف بين أفراد المجتمع، ولم يعيّن سبحانه وتعالى كيفية ذلك، ليكون العرف الذي هو الشائع في كل عصر وزمان هو

(١) شمس الدين: محمد مهدي/ فساد العلاقة الزوجية ولاية الحاكم الشرعي على الطلاق، ص ٤٨، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، المؤسسة الدلية للدراسات والنشر-بيروت.

المعتمد في ذلك»^(١).

وفي استفتاءٍ قُدِّمَ للمرجع الراحل السيد الخوئي عن حكم رفع الصوت على الزوجة في مقام حدوث أمر لا يعجب الزوج هل يكون من باب أذية المؤمن المحرّمة؟ أجاب عليه السلام: «ما علم أنه يؤذيها لا يكون من المعاشرة بالمعروف»^(٢).

واجب الزوج تجاه إساءة زوجته

عندما تصدر من الزوجة إساءة تجاه زوجها فإن النصوص الدينية تتوجه للرجل وتُخاطبه باعتباره ربًّا للأسرة، وقائداً لهذه المؤسسة العائلية بأن يستوعب هذه الإساءة، ولذلك تؤكد النصوص أن من حقّ الزوجة على زوجها أن يغفر لها خطأها. عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حقّ المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً؟ قال: يشبعها ويكسوها وإن جهلت غفر لها، وقال أبو عبد الله عليه السلام: كانت امرأة عند أبي عليه السلام تؤذيه فيغفر لها^(٣).

وعن يونس بن عمار قال: زوّجني أبو عبد الله عليه السلام جارية لابنه إسماعيل فقال: أحسن إليها، قلت: وما الإحسان؟ قال: أشبع بطنها واكسّ جنبها واغفر ذنبها^(٤).
والمرأة كالرجل، فكما أن الرجل معرض للخطأ فهي أيضاً معرضة للخطأ، وخاصة مع أعباء الحياة والظروف التي تعيشها.

في بعض الأحيان يكون الزوج حاداً وقاسياً فيما يتطلبه من زوجته، فلا يقبل منها

(١) السبزواري: عبدالأعلى الموسوي / مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ج ٧ ص ٣٤٩، الطبعة الثانية ١٩٨٨ م.

(٢) الخوئي: أبو القاسم الموسوي/ صراط النجاة ج ٢ ص ٣٧٩، مسألة رقم ١١٧٦، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م، مكتبة الفقيه، الكويت.

(٣) الحر العاملي: محمد بن الحسن/ وسائل الشيعة، حديث رقم ٢٥٣٣٠، الطبعة الأولى ١٩٩٣ م، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث- بيروت.

(٤) الحر العاملي: محمد بن الحسن/ وسائل الشيعة، حديث رقم ٢٥٣٣٢.

خطأ ويعتبر أن أي خطأ من الزوجة مبرر لمعاقتها. وهذا خطأ، على الرجل أن يتفهم جيداً حقوقه التي أقرها الشرع على زوجته. إذ يُقر الشرع للزوج على زوجته حقين أساسيين فقط:

الأول: حق الاستمتاع الجنسي، ما لم يكن مانع ديني أو صحي.

الثاني: أن لا تخرج من بيته إلا بإذنه، على تفصيل في المسألة.

فإذا قصرت المرأة وتجاوزت في هذين المجالين، تكون مخطئة، ولكن فيما عداها، كالطبخ وترتيب البيت وتربية الأولاد، فكل ذلك إحسان منها وتفضّل، جرى عليه العرف والتعامل، فليتق الله بعض الأزواج في زوجاتهم، ولا يندفعون تجاه القسوة على المرأة نتيجة قصور فهمهم لحقوقهم.

ويتعجب الإنسان من الحالات التي تحصل في المجتمع، ونسمع عنها بين الحين والآخر. وفي هذا الإطار نشرت جريدة الحياة قبل أيام أن رجلاً من مدينة العيون بالأحساء اختلف مع زوجته حول شراء بعض الأشياء في السوق، فبدأ بالسب والشتم المتقابل، وفي الأخير ضرب زوجته حتى سقطت على الأرض وعلى مرأى من الناس. وهذه حالة غير سوية، وقد تكون حالة شاذة، ولكننا نسمع عن حالات أخرى مشابهة تحصل داخل المنزل، وبعضها كشف عنها الإعلام، وأخرى تظل في الخفاء.

وهنا يجب أن يعلم الرجل أنه محاسبٌ أمام الله، فقد يكون هناك شأنٌ معين من زوجتك لا يُعجبك، ولكن عليك أن تعرف أنها كإنسان لها خصائصها وطبائعها ولم يخلقها الله تعالى وفق مزاجك، وقد ورد في الحديث: « لا يترك مؤمنٌ مؤمنةً إن كره منها خلقاً رضي منها آخر »^(١).

وعلى الرجل أن ينظر إلى الجوانب الإيجابية لدى زوجته، ولا يُركّز على الجوانب

(١) القبانجي: حسن السيد علي/ شرح رسالة الحقوق، ج ١ ص ٤٥٧، الطبعة الثالثة ١٩٩١م، دار الأضواء - بيروت.

السلبية فقط. والقرآن الكريم صريح في هذا الجانب، يقول تعالى: ﴿وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: الآية ١٩]. وبعبارة أخرى: على الرجل أن يتحمل بعض ما يكرهه من زوجته، لأن هناك جوانب أخرى، يجعل الله فيها خيراً كثيراً، ومن أبرزها ما يرتبط بالأولاد وتربيتهم، فانفعال الرجل وعدم تحمله بعض ما يكرهه من زوجته يؤثر سلباً على تربية وتنشئة الأولاد. وفي المقابل إذا تحمل الرجل وصبر، فإن من مظاهر الخير الكثير أن الأولاد يتربون التربية الصالحة السليمة في أحضان أمهم وفي ظل الانسجام بين والديهم.

وتابع الجميع ما نشرته الصحف المحلية هذه الأيام أن بنتاً من الطائف في التاسعة من عمرها أصيب جسدها بحروق وكدمات، وتعرضها للعنف من قبل زوجة أبيها، وأصبحت نفسياتها معقدة، لأنها كانت تعيش بعيدة عن رعاية أمها، ونقلوها للمستشفى وبقيت أياماً لتلقي العلاج. فهل هذا المصير هو ما يأمله الرجل لأولاده!

من ناحية أخرى، ليس الطلاق وحده وغياب الأم يوجد مشكلة للأولاد، وإنما سوء المعاملة بين الرجل وزوجته له أكبر الأثر في تعقيد نفسية الأولاد، ويترك ذلك مشاعر مضطربة تجاه الأم وتجاه الأب، فعلى الرجل أن يكظم غيظه، وأن لا يظهر مشكلته مع زوجته أمام أولاده، تفادياً لأي مضاعفات تحصل لهم.

وأخيراً، فإن الإساءة للأم يؤثر على قدرة الأم في تربية أولادها، إذ من الضروري أن تحظى بالاحترام والتقدير من قبل أولادها، وهذا لا يكون إذا كان سلوك الزوج معها قاسياً. والنصوص الدينية في هذا الإطار كثيرة جداً، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من صبر على سوء خلق امرأته واحتسبه أعطاه الله بكل مرة يصبر عليها من الثواب ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه»^(١)، وفي حديث آخر عنه ﷺ: «ومن صبر على خلق امرأة

(١) المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار، ج ٧٣ ص ٣٦٧، طبعة دار التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت.

سيئة الخلق واحتسب في ذلك الأجر أعطاه الله ثواب الشاكرين»^(١). وسوء الخلق الذي يقصده الحديث هو ما يُمثل سجيةً للزوجة، فضلاً عن أن يكون ذلك خطأً عارضاً. نسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدينا جميعاً إلى ما فيه الخير والصلاح، والحمد لله رب العالمين.

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن / وسائل الشيعة، حديث رقم ٢٥٣٤٨.

بشائر الإصلاح السياسي في المنطقة

كلمة الجمعة بتاريخ ١٣ ذو القعدة ١٤٢٦ هـ

بارك سماحة الشيخ حسن الصفار للشعب العراقي العرس الانتخابي الذي تم في ١٥ ديسمبر ٢٠٠٥م، مؤكداً أن هذه الانتخابات تدخل العراق عهداً جديداً يؤسس فيه الشعب دولته بملء إرادته وحرية، ومن جانب آخر أدان سماحته إساءة قناة الجزيرة الفضائية لمقام المرجعية، مؤكداً ضرورة احترام حرية الإعلام، مضيفاً أن الحرية لا تعني جرح مشاعر الناس والإساءة لرموزهم الدينية والاجتماعية، مشيداً بالدور الذي يقوم به المرجع السيستاني في الساحة العراقية.

وفي إطار حديثه عن الأوضاع الراهنة في المملكة العربية السعودية أشاد بالمبادرة الكريمة من قبل خادم الحرمين الشريفين لعقد مؤتمر القمة الاستثنائية لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وما يميزه دعوة الملك لمجموعة من علماء الأمة لكي يضعوا خطة لهذا المؤتمر، ويرفعوا آراءهم وأفكارهم. مشيداً بالقرار الذي ينص على الاعتراف بكل المذاهب الإسلامية المعروفة، داعياً إلى ضم مذهب الإسماعيلية السليمانية ضمن المذاهب المعترف بها.

وفي ختام كلمته التي ألقاها في مسجد الفتح بالقطيف ظهر الجمعة ١٤ ذو القعدة ١٤٢٦هـ (١٦ ديسمبر ٢٠٠٥م) أشاد سماحته بمؤتمر الحوار الوطني الخامس الذي انعقد في أهباء، وأكد أن الأهم في مؤتمر القمة في مكة والحوار الوطني أن تأخذ التوصيات والقرارات طريقها للتنفيذ والتطبيق. وفيما يلي تلخيص لأبرز أفكار هذه الكلمة:

الإنصاف لغة: مأخوذة من مادة نَصَفَ، ونَصَفَ تعني شطر الشيء، والنصف هو الشق الآخر من الشيء.

وفي الاصطلاح: الإنصاف يعني استيفاء الحقوق لأربابها.

ويُمكن من خلال مراجعة النصوص والأحاديث أن يقال: أن الإنصاف أن تُعطي الآخر ما تُحب أن تأخذه لنفسك لو كنت في مكانه.

وعند الجمع بين المعنى اللغوي والاصطلاحي يُمكن أن نقول: أنه حينما يكون هناك شيءٌ مشترك، فإذا استولى عليه أحد الطرفين، وتجاهل حصة الآخر، فذلك خلاف الإنصاف. وكذلك إذا أخذ أحد الطرفين أكثر من حصته على حساب الطرف الآخر فذلك أيضاً خلاف الإنصاف، أما إذا أخذ حصته المشروعة وترك للآخر حصته الكاملة فذلك هو الإنصاف.

حين الإنصاف يحصل التراضي، ولا يحق لأحد أن يغضب من ذلك، وإذا افتعل أحد الغضب فإن العقلاء من الناس يلومونوه لأن كل طرف أخذ حقه الطبيعي. وإذا حصل العكس، بمعنى لم يتحقق الإنصاف، فيكون هناك إنكارٌ لحق الطرف الآخر، أو تحجيمٌ لحقه، فهذا يُسبب عدة أمور:

أولاً: يشعر الطرف الذي أخذ أكثر من حقه بالتعالي، وأنه استطاع بقوته أن ينتزع أكثر من حقه، وهذا يُشجعه أن ينتزع من الآخرين حقوقهم، فيُصبح ذلك نهجاً له. ثانياً: يشعر الطرف الذي اعتدى على حقه ولم يُنصف بالغب، وأنه مظلوم، وقد يُفكر في الانتقام ليستعيد حقه، وهذا يؤسس لحالة الصراع والخصومة. ولذلك فإن أغلب الصراعات والخصومات تنشأ بسبب اعتداء على حق، وغياب الإنصاف.

من هنا جاء الدين ليؤكد أهمية الإنصاف، وعند مراجعة النصوص الدينية يُمكن القول: أن مفهوم العدل والقسط مرادفان لمفهوم الإنصاف، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [سورة النحل: الآية ٩٠]، وفي آيةٍ أخرى يقول تعالى: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد: الآية ٢٥].

الإنصاف بين الجماعات

حينما يتشكل مجتمع من جماعات متعددة، فإنهم شركاء في إدارة شؤون المجتمع،

وفي الثروات الراجعة إلى المجتمع، وفي الحقوق والواجبات. فإذا حصل تجاهل لحق فئةٍ من الفئات، فهذا خلاف الإنصاف، وكذلك لو أعطيت أقل من حقها. وحينما يكون هناك خلافٌ للإنصاف، فهذا يؤسّس للاختلاف ويمنع الوحدة والانسجام، ولذلك يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الإنصاف يرفع الخلاف، ويُوجب الائتلاف»^(١).

لا يمكن أن يكون هناك وحدة وائتلاف مع وجود تهميش وجور على حقّ هذه الفئة أو تلك، ورفع شعارات الوحدة في ظل غياب الواقع الذي يتحلى بالإنصاف وإعطاء كل جهة حقّها فإنها تبقى شعارات جوفاء، وفي أي لحظة من اللحظات يشعر الطرف المغبون بأنه قادرٌ على الانتقام لنفسه فسوف لا يتوانى في الدفاع عن حقوقه.

من ناحيةٍ أخرى، فإن معادلات الحياة تتغير، حيث إن القوى الأخرى في العالم حينما تُلاحظ وجود اعتداء على حقوق فئةٍ ما من أي مجتمع فقد لا تتفاعل مع هذا الأمر في فترةٍ زمنيةٍ معينة، ولكنها قد تتفاعل مع الموضوع إما لوجود دافع أخلاقي، أو لوجود مصلحةٍ في التدخل للدفاع عن الفئة المظلومة، أو تظاهراً بالدفاع عن الفئة المظلومة. وخاصةً في وقتنا المعاصر نرى أن الشعارات الأخلاقية أصبحت رائجة ومتداولة في العالم وتُتخذ على أساسها مواقف، ومنها: الدفاع عن الأقليات، الدفاع عن الحريات، الدفاع عن حقوق الإنسان.

مشكلة غياب الإنصاف

ولعل من أهم المشاكل التي يُعاني منها الشرق الأوسط هي مشكلة غياب الإنصاف، وبه يحصل الخلاف والصراع، وفي مرحلةٍ متقدمة يحصل الاقتتال والحرب، وتكون الأرضية مهياًة لتدخل القوى الخارجية، وذلك ما حصل في أكثر من بلدٍ إسلامي

(١) غرر الحكم، ١٧٨١.

وعربي، كالسودان ولبنان وأفغانستان والصومال.

وهذا ما أسس للاحتلال الأمريكي للعراق، فالأمريكيون والقوات المتحالفة جاءت بهذا العنوان، حيث كان في العراق حكمٌ ظالمٌ مستبد، همّش فئات ولم يُعطها حقوقها، بل سحقها وأهانها، وهذا ما صنعه مع الأكراد والشيعة. طبعاً الحكم كان ينتمي عائلياً واجتماعياً لأهل السنة في العراق، لكننا وإنصافاً منا لا نُحمّل مذهب السنة ولا كلّ أهل السنة جرائم النظام السابق في العراق، وأن النظام الصدامي تترس داخل هذا الخندق الطائفي، وسلّط حاشيته وأتباعه على العراق كلّهُ.

لا شكّ أن أهل السنة جزءٌ من الشعب العراقي، ولا أحد يُنكرهم، ولا أحد يقبل بالتجاوز على حقوقهم، ولكن ينبغي أن يكونوا شركاء مع بقية الشعب العراقي، فيأخذون حقّهم بمقدار حجمهم، والأكراد كذلك والشيعة أيضاً، بحيث إن كل فئة من الشعب تتمتع بحقوقها وحرّيتها.

لكن هذا ما لم يكن قائماً أيام النظام الزائل في العراق، وذلك باعتراف الجميع، ولا يُجادل فيه إلا مكابر.

إذن، لم يكن هناك إنصافٌ وعدل، وهذا حوّل العراق إلى جحيم وإلى ساحة صراع وخصومات، وأتاح الفرصة للسياسات الظالمة التي قام بها النظام العراقي الزائل، وبالتالي أعطى الذريعة للتدخل الأجنبي في العراق، وجاءت القوات الأجنبية للعراق لتسقط النظام بمختلف الذرائع والحجج، لكنه نظامٌ كان يستحق الإسقاط، وليس هناك عاقل يأسف على سقوطه، وكنا نتمنى أن يسقط النظام على يد أبناء شعبه، ولكن الظروف تكالبت على هذا الشعب. وقد قدّم آلاف الضحايا من المراجع والشباب والمثقفين ومن المهجرين، ولكن الظروف لم تكن في خدمة الشعب.

رؤية حول الوضع في العراق

الوضع في العراق الآن يتجه باتجاهٍ آخر، وهو اتجاهٌ نموذجي، فكلنا نشعر بسعادةٍ

بالغة لنجاح الانتخابات يوم أمس (١٥ ديسمبر ٢٠٠٥م)، رغم ما مرّ على الشعب العراقي خلال السنتين الماضيتين من فنون الجرائم والإرهاب والاستهدافات المختلفة، لكن إصرار القيادة الدينية المتمثلة في المرجع الأعلى السيد السيستاني (حفظه الله) وإصرار القوى السياسية ووعي الشعب العراقي هو الذي فوّت الفرصة على الأعداء.

لا أحد يريد أن يستبد بالحكم، فالعراق لجميع طوائفه وشرائحه، ومن حقّ الجميع ممارسة حريتهم والتعّيم بالحقوق الكاملة حسب حجم كل فئة.

ولكن كيف يُمكن أن يُعرف حجم كل فئة؟ التجربة البشرية وصلت إلى أسلوب الانتخابات كأفضل طريق، وهي التي تُبيّن حجم كل طرف من الأطراف، ثم يتشاركون كلٌّ بحجمه.

في الانتخابات الماضية بعض الأطراف وهم أهل السنة في العراق، وبسبب الأطراف المتشددة التي اختطفت قرارهم قاطعوا الانتخابات، لمبررات واهية تتمثل في رفض الانتخابات في ظل الاحتلال. وواضح أن الهدف من هذا المبرر عرقلة المسيرة السياسية، ونحن نجد أن الشعب الفلسطيني يُقيم الانتخابات رغم وجود الاحتلال، وكذلك حصل في أفغانستان. ثم ما البديل؟

الانتخابات هي التي تكون قيادة مجمع عليها فتتصدى للاحتلال، وبعدم وجود مثل هذه القيادة كيف يُمكن أن يكون التصدي للاحتلال؟

وقد أكدت المرجعية الدينية أنها ضدّ الاحتلال، ولكنها لعمق وعيها بالتجارب التي مرّت على الأمة والشعوب، أصرت على أن يكون لهذا الشعب دستور يتفق عليه جميع الشعب العراقي، ثم تتكون قيادة مجمع عليها، وبعد ذلك يكون التصدي للاحتلال بالسلم أو بالحرب، وهذا هو الرأي السديد.

وإن كان بعض الأطراف لم يتفهم هذا الرأي وبعضها تعمّدت أن لا تفهم لأن لها أغراضاً أخرى، وبعضها انطلقت من منطلقات طائفية، كما سمعنا خلال الأيام الماضية

- مع الأسف - عبر قناة الجزيرة الفضائية، مع أننا نحترم حرية الإعلام، ونقدّر الدور الذي قامت به هذه الفضائية في توسيع الأفق الإعلامي في العالم العربي وعلى المستوى الدولي، لكننا نرفض هذه الإساءة التي توجهت إلى مقام ديني جماهيري كبير يحترمه الشعب العراقي وتحترمه شعوب المنطقة، ولم تصدر منه إساءة إلى أي طرفٍ من الأطراف، فهو يُدافع عن حقوق العراقيين أجمعين، وله العديد من المواقف الناضجة والمتزنة، وكل من قرأ مواقف هذه القيادة الدينية وكان منصفاً أكبر هذه المواقف. وتأتي هذه الفضائية عبر برنامج معيّن وتشوّه سمعة هذه المرجعية، وهذا يجرح مشاعر جمهور عريض.

ونحن حينما نتخلف قناة الجزيرة مع نظام من الأنظمة السياسية نقول: إن القناة تريد أن تتمسك بحريتها، ولكن هل ممارسة الحرية تعني أن تجرح مشاعر الناس؟ أو تُسيء إلى رموزهم الدينية والاجتماعية؟ وهي إساءة بغير حق، وواضح أن فيها تحاملاً وتهريجاً، ولكن لا يضرّ مقام المرجعية هذا الكلام، ولا يضرّ الشعب العراقي. الحمد لله لقد نجح الشعب العراقي في الامتحان، وكانت الانتخابات على أروع ما يكون، مع كل ما هو موجود وقائم في العراق، فكل المراقبين كانوا منبهرين بنجاح هذه الانتخابات.

من جهةٍ أخرى، لا يُمكن المقارنة بين الوضع في مصر والعراق ولكن ما حصل في الانتخابات الأخيرة في مصر من قتل وضرب واعتراض ومشاكل، فإن هذه الظواهر لم تحصل في العراق مع وجود نظام في مصر، ووجود الاحتلال والاختلاف والإرهاب في العراق. وهذا يعني أن الشعب العراقي يدخل الآن عهداً جديداً، ونأمل أن يكون فرز الأصوات أيضاً بشكل نزيه وحيادي بحيث يأخذ كلّ ذي حقّ حقه، ليتحقق بذلك نموذج جديد في الشرق الأوسط، لدولة تتأسس من جديد، لشعب يضع دستوراً بملاء حريته وإرادته، ويبني دولته بانتخابه وباختياره، ونأمل أن تكون هذه التجربة رائدة، وأن ينجح الشعب العراقي في إكمال مسيرته نحو بناء دولته واستعادة حريته واستقلالته وسيادته إن شاء الله.

بشائر نهج الإنصاف

هناك مؤشرات ومبشرات بأن هذا النهج، نهج الإنصاف والمشاركة، يطل الآن على الشرق الأوسط كله، ومنها: الانتخابات في مصر، مع كل ما شابها، فيها نسبة من الإنصاف لتيار إسلامي كان مقصياً لعقود من الزمن، وفي هذه الانتخابات أعطيت له فرصة لكي يُعبّر عن نفسه وعن وجوده، وإن كان أصحاب هذا التيار يرون أنه لو كانت الفرصة متكافئة مع الأطراف الأخرى لكان نصيبهم أكثر، لكننا نأمل أنها بداية طيبة إن شاء الله.

كما أنه لا بد من الإشادة بمقررات مؤتمر مكة، مؤتمر القمة الاستثنائية لمنظمة المؤتمر الإسلامي، حيث اجتمعت قيادات الدول الإسلامية في مكة، بمبادرة من خادم الحرمين الشريفين الذي دعا إلى هذا اللقاء، ودعا قبل اللقاء مجموعة من علماء الأمة من كل الدول لكي يضعوا جدولاً لبحوث هذا المؤتمر، ويرفعوا آراءهم وأفكارهم، وهي المرة الأولى التي يحصل فيها هذا الشيء، إذ إن المعتاد أن التنسيق للبرنامج يكون من قبل وزارات الخارجية، ولكن هذه المرة، وبمبادرة الملك تمت دعوة علماء الأمة ومفكرهم ليكون تحديد القضايا عبرهم، وهي مبادرة رائعة، وقد التقيت مع بعض العلماء الذين شاركوا في هذا المؤتمر فأشادوا بالأجواء والطرح القيّم، وانهقدت القمة وكانت قراراتها والحمد لله رائعة، خاصة تلك القرارات التي تُعالج مشكلة عدم الإنصاف داخل الأمة، ومن أهم تلك القرارات القرار الذي ينص على أن المذاهب المعروفة (مذاهب السنة، ومذاهب الشيعة، والأباضية) كلها تُعتبر مذاهب إسلامية مشمولة بالإسلام ولا يصح تكفير أحد من أبناء هذه المذاهب، وكنا نأمل أن لا يُستثنى الإسماعيلية، وخاصة من نعرفهم في المملكة العربية السعودية.

صحيح أن هناك بعض الفرق الإسماعيلية رؤيتهم ونهجهم الديني غير واضح، على الأقل أماننا، لكن هؤلاء الموجودين في نجران (الإسماعيلية السليمانية) وكذلك

الموجودين في الهند (الإسماعيلية الداؤودية البهرة) واضح من هاتين الفتنتين أنها يلتزمان بمعالَم الإسلام وشرائعه وفرائضه. وماذا نريد أكثر من قوم يُعلنون الشهادتين، ويُصلون إلى القبلة، ويججون بيت الله الحرام، ويصومون شهر رمضان، ويؤدون الزكاة، ويعترفون بالفرائض، ويؤمنون بمرجعية القرآن والسنة، فماذا نطلب منهم أكثر من ذلك حتى نحكم بإسلامهم؟ وأما من حيث أن لديهم آراء ومعتقدات وتوجهات تخصهم، فلكذلك لكل مذهب آراء وتوجهات ومعتقدات تخصه. فمادامت الأسس والأركان الرئيسة في الإسلام متحققة فيهم فهم مسلمون، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم. ونأمل أن يتلافى هذا النقص في المستقبل ونظمئن إخواننا في نجران أننا معهم وأنا نؤيد مطلبهم، ونطالبهم أن يتحركوا أكثر على مستوى العالم الإسلامي، حتى تُعرف توجهاتهم، وليسمحوا لي بأن أحملهم قسطاً من المسؤولية، إذ إن تقصيرهم في التحرك هو الذي أتاح الفرصة لمثل هذا الخطأ، فعليهم أن يُكثفوا تحركهم مع بقية المذاهب الإسلامية، والحوزات العلمية، والمراجع، والمؤسسات المختلفة، حتى يكون هناك تعرّف مباشر إليهم. أما إذا غابوا عن الساحة أو ضعف حضورهم فهذا هو الذي يُتيح الفرصة والمجال لتشويه سمعتهم.

وأخيراً، لا بد وأن نشيد بمؤتمر الحوار الوطني الخامس الذي انعقد في أهباء، وبيئت جلساته على الهواء مباشرة، ورأى الشعب كله كيف أن نُخبَةً من أبنائه من مختلف المذاهب والمناطق والتوجهات يجلسون معاً ويتحاورون ويتناقشون، هذه الصورة التي كان يجب أن تكون هي الأصل والأساس، ولكن -مع الأسف- كانت غائبة، ولم تكن متوفرة في الماضي، فكان السائد هو القطيعة والتنافر والتباعد، أما الآن فإن الحوار الوطني يؤسس لحالة جديدة، نأمل أن يستمر هذا النهج، وهذا التوجه.

والأهم في مؤتمر القمة في مكة والحوار الوطني أن تأخذ التوصيات والقرارات طريقها للتنفيذ والتطبيق، أما إذا بقيت حبراً على ورق، فهذا يُصيب الناس بالإحباط، ولكن هناك مؤشرات كثيرة طيبة تبعث على الأمل والتفاؤل.

نسأل الله تعالى أن يصلح أمور المسلمين وأن يوفق قاداتهم للخير والعدل وأن يوحد صفوفهم ويجمع كلمتهم على التقوى والصلاح إنه ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين.

نحو مؤسسات أهلية لحماية الأمن الاجتماعي

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٠ ذو القعدة ١٤٢٦ هـ

ليس مستغرباً أن يعتبر الإمام الصادق عليه السلام الأمن كأول معلم من معالم سعادة الإنسان في هذه الحياة، إذ يقول عليه السلام: «النعيم في الدنيا الأمن وصحة الجسم، وتمام النعمة في الآخرة دخول الجنة». ذلك لأن الأمن هو الذي يُمكن الإنسان من ممارسة حياته بصورة طبيعية، فيتحرك عقله، ويستفيد من طاقاته، ويتنعم بحياته. أما إذا فقد الأمن، حتى لو توفر له كل شيء في الحياة فإنه لا يهنأ بذلك.

والأمن يعني عدم شعور الإنسان بالخوف على نفسه أو ماله أو عرضه. ويُقابله حالة الخوف، وهي تسلب الإنسان السعادة والارتياح في الحياة، ولذلك ورد في الأثر: «نعمتان مجهولتان: الصحة والأمان». وحينما يَمَنُّ الله تعالى على قريش يُذكرهم بنعمة الأمن، يقول تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [سورة قريش: الآيتان ٣-٤].

وينقسم الأمن باعتبار مصدر العدوان إلى قسمين:

الأمن السياسي والأمن الاجتماعي

فحينما تحكم شعباً سلطه ظالمة، لا يُقيدها قانون، ولا تُحددها قيم، هنا تُصبح حياة الناس وأموالهم وأعراضهم معرضة للعدوان والانتهاك. كما كان في عهد النظام الزائل في العراق، إذ إن الحالة عند عامة الشعب العراقي هي حالة الخوف، حتى إن أحد العلماء سئل: ما هي مشاريعكم في العراق؟ قال: أهم عمل لنا الحفاظ على بقاء رؤوسنا على أبداننا.

مثل هذه الأنظمة القمعية تسلب الناس أمنهم، ولكن -ولله الحمد- شيئاً فشيئاً تتقلص الآن هذه المشكلة على مستوى العالم، وستزول الأنظمة القمعية الاستبدادية،

وتتسع رقعة الديمقراطية. وما هذه المحاكمة التي تُعرض للطاغية صدام الذي كان يحكم العراق بالنار والحديد إلا نموذجاً عن التغير الذي يحصل وخاصة في منطقة الشرق الأوسط. فما عادت الأمور قابلة للتستر عليها أو السكوت عنها، فإجراء المحاكمة بحدّ ذاته رسالة بأن أي ظلم وعدوان لن يفلت من العقوبة والمحاسبة في الدنيا قبل الآخرة. البعض مستاء من طول هذه المحاكمة، فإجرامه لا يحتاج إلى إثبات أو دليل، ولكن المهم في عرض جلسات هذه المحاكمة أن ذلك الرجل الطاغية الذي كان يحتقر السلطات والحكام في المنطقة، فضلاً عن الشعوب، يمثل الآن داخل قفص الاتهام يتحدث عن أنه تعرض للتعذيب والضرب، وكذلك تحدث رفاقه وأعوانه. إن عرضهم بهذه الصورة المذلة المهينة ومشاهدة الناس لهم، بحدّ ذاته، رسالة.

فهناك حدّ قد وضع للانتهاكات التي تحصل من السلطات على الشعوب.

الأمن الاجتماعي

أما الأمن الاجتماعي فيعني أن الخطر لا يتوجه للإنسان من السلطة الحاكمة، وإنما من المجتمع الذي يعيش ضمنه.

صحيح أن الإنسان أصبح يعيش أمنياً نسبياً في الجانب السياسي، ولكنه أصبح يُواجه مشكلةً كبيرة في مجال الأمن الاجتماعي على المستوى العالمي.

قد لا يكون لدى المواطن الأمريكي أو الأوروبي أو الياباني خوفٌ من السلطة الحاكمة في بلاده، لوجود قانون و ضمانات ووسائل حماية، لكن المواطن في تلك البلاد غالباً ما يشعر بالقلق والخطر من الجرائم الموجودة في المحيط الاجتماعي.

وتتحدث عن هذه المشكلة الأرقام، والتقارير والتحقيقات، هناك إحصائية تقول: في كل ثائتين ونصف الثانية تقع جريمة في أمريكا، ويوجد فيها خمسة آلاف عصابة، وفي بريطانيا في كل دقيقة تُسرق سيارة. ونشر استطلاع في أمريكا يفيد بأن ٢١٪ من الأمريكيين

يعتبرون الجريمة المشكلة الكبرى التي تواجهها البلاد، وأن ٤٠٪ من الأمريكيين غيروا أسلوب حياتهم خوفاً من المجرمين.

وهكذا في مختلف بلدان العالم هناك شكاوى متصاعدة من انتشار الجرائم، و انتهاك الأمن الاجتماعي. وقد تسرّبت هذه الحالة إلى بلداننا ومجتمعاتنا، فنحن جزء من هذا العالم.

كانت مجتمعاتنا في الماضي تعيش أمنًا اجتماعيًا، ولكن بدأت تتسرب لنا مظاهر وحالات غريبة.

في الماضي قد تحصل جريمة قتل خلال ستين أو ثلاث سنوات أو أكثر في محافظة القطيف، ولكن في هذه السنة ١٤٢٦هـ إلى الآن وصل عدد حالات القتل إلى عشرين حالة في محافظة القطيف.

وكذلك حالات السرقة، وهي لا تحصل من قبل أناس غرباء عن المجتمع، بل في بعض الأحيان تكون من قبل أفراد من المجتمع ذاته. وأيضاً حالات العنف والعدوان على المواطنين والمقيمين. فبعض المقيمين من الهند أو الباكستان ينقلون قصصاً مرعبة عما يتعرضون له، ليس في شوارع نيويورك بل في شوارع وأحياء محافظة القطيف!

وما حصل أخيراً من أحداث مؤسفة في أعقاب مباريات رياضية بين ناديين من أندية المنطقة في مدينة الأمير نايف الرياضية بالقطيف، مضى ضحيتها أحد الشباب، أسامة بن عبدالمحسن أبو عبد الله ﷺ، حيث تعرض لطعنات قاتلة بالسكين من قبل أناس من أبناء المجتمع، إضافةً لحالات أخرى من الجرحى والمصابين، وتكسير السيارات. وبعدها بأيام حصل حادثٌ مشابه في الأحساء في منطقة العمران بعد مباريات رياضية، حيث وقع عدد من الجرحى والمصابين بسبب استخدام الآلات الحادة.

مثل هذه الأمور: حالات العنف، السرقة، الاستهتار بالحياة والممتلكات الشخصية وبحياة وممتلكات الآخرين، وبالأمن العام في المجتمع، كل هذه الحالات المرعبة والمزعجة

يجب أن نتوقف عندها.

أولاً: تأثر المجتمع بالحضارة المادية الغربية

لأننا جزءٌ من هذه الحضارة المادية السائدة التي غزتنا بأفكارها وأنماط سلوكها وتكنولوجيتها وعلومها بخيرها وشرها، فكما أننا استفدنا من خير هذه الحضارة من خلال التكنولوجيا والوسائل المتقدمة، فإننا ندفع ثمن شرّ هذه الحضارة، فهذه الحضارة لها مساوئ بسبب ضعف التوجه القيمي والروحي، وبسبب ارتفاع وتيرة تحريض الشهوات والغرائز عند الإنسان وتركيز الروح المادية المصلحية. هذه الحالة أوجدت هذه المساوئ والمشاكل.

فللجريمة الآن مؤسسات على مستوى العالم ترعاها وتستثمرها. ومثال ذلك: انتشار المخدرات في العالم فهي ليست حالة عفوية، بل تُعتبر تجارة المخدرات أرباح ثاني تجارة في العالم بعد تجارة السلاح، (٥٠٠) بليون دولار سنوياً أرباح تجارة المخدرات في العالم. فهناك جهات مستفيدة من انتشار المخدرات دولية ومحلية، فقد اكتشفت الحكومات في كثير من البلدان أن هناك عناصر متواطئة مع المهربيين في نفس أجهزة الأمن والجمارك. كما قد اكتشف أن أسرع الناس في الخروج من السجون هم أصحاب المخدرات، والسبب وجود المتواطئين معهم في بعض الأجهزة الأمنية. وكذلك الأمر في الانحلال الأخلاقي والانحرافات الجنسية، فهناك شبكات على مستوى العالم تُغذيها وترعاها، وهناك العديد من المواقع على شبكة الإنترنت دأبها الترويج لهذه المفاسد. ولا ننسى أن نشير إلى تأثير أفلام العنف التي تعرض حتى للأطفال، فالكثير من الأفلام الكارتونية التي للأطفال تعتمد مشاهد العنف.

ثانياً: وجود مشاكل حياتية عند الشباب

فالبعض منهم يُعاني من البطالة، والبعض يعمل براتب ضعيف لا يمكنه من بناء

حياة مستقرة، والحاجة والفراغ من العوامل المشجعة على الإجرام.

ثالثاً: ضعف استيعاب الشباب

فقد ضعف دور المؤسسة العائلية في الاستيعاب والتربية، والمناهج الدراسية لم تعد تستوعب الجيل الجديد.

والآن ما هو العلاج؟

وماذا ينبغي أن نعمل تجاه هذه الظواهر التي تهدد الأمن في مجتمعاتنا؟

أولاً: إحياء دور العائلة

أصبحت العائلة مشغولة عن الأبناء، ولم يعد الولد يتربى في ظل أبيه وجده ومع أعمامه وأخواله، فقد صغر حجم العائلة وأصبحت عائلة نووية، وهذا لا يوفر للأبناء التوجيه والرعاية والحنان الكافي.

ثانياً: تكثيف التوجيه الديني والأخلاقي

الحالة الدينية في مجتمعنا موسمية، ومظاهرية في كثير من الأحيان، في محرم وبعض المناسبات، ولكن أين الناس بقية أيام السنة، إن الحضور في صلاة الجماعة قليل ولا تتوفر برامج منتظمة للشباب.

ثالثاً: وجود مؤسسات تهتم باستيعاب الشباب ومعالجة هذه المشاكل

إن من أبرز الدول التي تنخفض فيها نسبة الجرائم على مستوى العالم هي اليابان، والسبب في ذلك كما تُشير التقارير، أن اليابان أكثر دولة تحتضن مؤسسات اجتماعية، ففيها (٥٤٠) ألف مؤسسة اجتماعية تهتم بالشباب، ومن بينها مؤسسة يُطلق عليها (وحدة الإرشاد والتوجيه للشباب) تضم (١٢٦) ألف عضو متطوع. وكذلك (مؤسسة المرأة لإعادة التأهيل) تضم (٣٢٠) ألف متطوعة. فكل مشكلة من المشاكل تجد لها مؤسسة متخصصة بدراساتها وبوضع الخطط لمواجهتها وبالتحرك تجاهها.

بينما نحن لا يتجاوز اهتمامنا سوى الحديث عن المشكلة دون أن نندفع باتجاه تأسيس المؤسسات واللجان المتخصصة لدراسة المشكلة والبحث عن حلول لها، والسبب في ذلك:

أولاً: القوانين الموجود في بلادنا ليست مشجعة، ولا تسمح بوجود مؤسسات المجتمع المدني.

ثانياً: ضعف المبادرة لتحمل المسؤولية عند الناس، وضعف الوعي بحجم هذه المشاكل.

وبالطبع، معالجة المشكلة لا يتم بحلول سحرية وإنما يحتاج إلى وقت، وبرامج عملية طويلة المدى. وغاية ما استطاع المجتمع الوصول إليه هو تكوين جمعيات خيرية، ولكن المجتمع لم يعد بحاجة إلى جمعيات خيرية تعني بالفقراء والمحتاجين فقط، إن المجتمع بحاجة إلى جمعيات تعني بمختلف القضايا والشؤون الاجتماعية والثقافية المطروحة في المجتمع، نحن بحاجة إلى جمعية تتصدى لظاهرة العنف التي بدأت تنتشر، تدرس هذه الظاهرة، تُثقف المجتمع تجاهها، تتحرك لمعالجتها، وتنسق مع الأجهزة الرسمية حولها. نحن بحاجة لجمعية خيرية لمكافحة المخدرات، وبحاجة إلى مؤسسات لمكافحة العنف الأسري. وهناك العديد من القضايا التي ينبغي أن تبلور مؤسسات وجمعيات أهلية تتصدى لها.

لو فعلنا ذلك لأمكننا أن نتصدى، فقد لا تُعالج الجمعية كل المشكلة، ولكنها تستثير وتستنهض الهمم في مقابل هذه المشكلة، وهذا بحد ذاته أمر مهم ومطلوب. علينا أن نهتم بأمننا الاجتماعي، وأن لا نكتفي بحالة القلق والتشكي والحديث المستفيض في المجالس، وتحميل الدولة فقط للمسؤولية، بالفعل الدولة تتحمل القسط الأكبر من المسؤولية، ولكن هذه المشاكل لا تستطيع أجهزة الدولة لوحدها أن تُعالجها، لأن قسماً كبيراً منها يرتبط بالتربية، وآخر يرتبط بالتوجيه والنشاط الاجتماعي.

فعلى الناس أن يتحمّلوا مسؤوليتهم في حل المشكلات التي يواجهها المجتمع. وإذا تغافلنا عن ذلك فسنجد أن هذه الظواهر ستصبح طبيعية في المستقبل. وعلى الشباب المتدينين أن يتحركوا ويشحذوا همهم فالدين لا يتمثل في مواكب العزاء والقراءة وحملات الحج فقط، إنما الدين لمعالجة مختلف المشاكل الاجتماعية، وهو تبشير بالأخلاق، وبالسلوك الصحيح الذي يحتاجه الناس، ويحفظ أمن المجتمع، فيجب أن يتحرك الجميع بهذا الاتجاه.

نسأل الله تعالى أن يمنحنا البصيرة في دينه، والعمل بأحكامه، إنه ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

لغة التخاطب والتعامل بين أتباع الديانات

كلمة الجمعة بتاريخ ٢٧ ذو الحجة ١٤٢٦هـ

أدان سماحة الشيخ حسن الصفار الإساءة لشخص الرسول الأعظم ﷺ من قبل بعض الصحف في الدنمارك والنرويج، مؤكداً أن هذا العمل يتنافى مع حرية التعبير عن الرأي التي تزعمها تلك الدول، من جهة أخرى حذّر سماحته الأمة الإسلامية من اتخاذ موقف انفعالي تجاه هذا الحدث، داعياً إلى التفكير في الموقف الصائب الذي يخدم الأمة، مؤكداً أن الإدانة مهمة جداً ولكن يجب أن يواكبها نشاط وعمل من أجل إبراز شخصية الرسول ﷺ وتعريف العالم بها.

واستعرض في خطابه الذي ألقاه ظهر الجمعة ٢٧ ذو الحجة ١٤٢٦ هـ (٢٧ يناير ٢٠٠٦م) ومضات من الهدى القرآني في لغة التخاطب والتعامل بين أتباع الديانات والمذاهب في المجتمع الإنساني.

في بداية خطابه، أكد سماحة الشيخ الصفار أن التنوع في الأديان والمذاهب أمر قائم، لا يستطيع أحدٌ إلغاؤه، وحق التبشير بالرأي ينبغي أن يكون مكفولاً للجميع. مضيفاً إن العلاقات بين أتباع الديانات والمذاهب المختلفة ينبغي أن لا تكون علاقات عداً وتشنج، بل يجب أن تكون قائمة على أساس الوثام والسلام والاحترام المتبادل. واستشهد بالآيات الكريمة التي يقول تعالى فيها: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بَكَيْلٍ * وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآيات ١٠٦-١٠٨]، مؤكداً أنها تؤسس لنهج أخلاقي إسلامي للتعامل بين أتباع الديانات والمذاهب المختلفة.

وأوضح سماحة الشيخ الصفار أن خطابه يتزامن مع ما يحدث بين آونةٍ وأخرى من إساءة للإسلام وانتقاص للمقدسات والرموز وعلى رأسها شخصية الرسول الأعظم ﷺ، والقرآن الكريم، خصوصاً بعد أحداث ١١ سبتمبر، وآخر ما حصل في بعض الصحف في الدنمارك والنرويج إذ أصدرت تلك الصحف كارتونات تسيء لشخصية الرسول الأعظم ﷺ، مشيراً أن هذه الجهات إنما يقومون بذلك تحت عنوان حرية التعبير عن الرأي، مؤكداً أن الحرية إذا ما وصلت إلى حدّ التجريح والانتقاص من شأن الآخرين لا تُصبح حرية، إنما تتحول إلى عدوان. وأشار أن هذه الإساءة لم تبق في حدود الصحف والجرائد وإنما تعدّت ذلك إلى المحطات الفضائية، مؤكداً أنه لا يصح المرور على مثل هذا العمل الشنيع مرور الكرام، ذلك لأن النبي الأكرم وآله الطاهرين ﷺ هم أقدس شيء في القلوب، ولذا ينبغي أن يكون للأمة موقفها تجاه مثل هذه الأحداث. ولمعالجة الموضوع تطرق سماحته إلى عدة نقاط:

أولاً: مكانة الأمم والمجتمعات هي التي تصنع موقعيتها في الأوساط العامة، فإذا امتلكت الأمة رصيلاً قوياً من المهابة والعزة فإن احترامها يكون أقوى، وعلى العكس من ذلك حال الأمم والمجتمعات الضعيفة.

وأكد أن الأمة الإسلامية تعيش حالة عميقة مؤسفة من الضعف على مختلف الصُّعد والمجالات: الإعلام، السياسات الدولية، العطاء العلمي، وغيرها، ولذلك تجرأ عليها الآخرون، وأصبحت عرضةً للتهكم والسخرية. وعرض سماحته مقارنة مؤلمة بين واقع الأمة الإسلامية واليهود على هذا الصعيد.

ثانياً: ينبغي أن لا تكون ردة الفعل تجاه هذه الإساءات انفعالية، مؤكداً ضرورة أن تكون نظرتنا للآخرين نظرة موضوعية متكاملة، فهناك من يُشيد بالإسلام وهم الفئة الأغلب في المجتمعات الأخرى، وأضاف: ينبغي أن يكون ردنا عقلاً، فلا نسكت عن هذه الإساءة، ولكن يجب أن نُخطط للأسلوب الأمثل في الرد، إذ لا يصح التعميم.

ثالثاً: علينا أن نعود لأنفسنا، لنسلط الضوء على نقاط الضعف عندنا، فالممارسات التي تقوم بها بعض الجهات الإسلامية أعطت الفرصة للعالم حتى يتخذ منحى السخرية من الإسلام والمسلمين، تلك الممارسات التي تمثلت بمختلف الصور المشاهد من قتل الأبرياء على مشاهد القنوات الفضائية، وخطب الجمعة التي فيها دعاء على جميع اليهود والنصارى بالهلاك دون تمييز بين المعادي وغيره، إضافة لفتاوى بعض العلماء التي تستنكر مساعدة المنكوبين بالظواهر الطبيعية من المجتمعات غير الإسلامية معتبرة ذلك نوعاً من أنواع العذاب لهم على كفرهم.

وأضاف سماحة الشيخ الصفار أن هذه الفئات المتعصبة والإرهابية تتحمل النصيب الأكبر تجاه ما تواجهه الأمة الإسلامية من أساليب مختلفة من الإساءة والانتقاص بمكانتها ومقدساتها.

رابعاً: الإسلام، ومنذ اليوم الأول أرسى قواعد الأدب، وأخلاق التعامل، يُعطي بذلك الموقف الصائب تجاه حالة التنوع والتعدد الديني الطبيعية في المجتمع الإنساني. وأشار سماحة الشيخ الصفار إلى ومضات من وحي الآيات القرآنية التي تؤصّل هذا النهج القرآني:

١. ينبغي الالتزام بالنهج الإسلامي الصحيح الذي أنزله الله تعالى، ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

٢. ينبغي أن لا يُمثل التعدد والتنوع عقدة عند الإنسان المسلم، فعليه أن يوجّه خطابه ودعوته للناس، ومن لم يؤمن فليس يضرنا شيء، وينبغي الإعراض عنه دون أن يُعرق ذلك من مسيرة المجتمع الإسلامي، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.

٣. على الإنسان المسلم أن لا يُحمل الدعوة إلى الإسلام أكثر مما هو مطلوب من قبل الباري جلّ وعلا، فالله تعالى أعطى للإنسان حريته وعليه أن يختار طريقه في الحياة بنفسه دون إكراه أو جبر، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا

أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿ [سورة الانعام: الآية ١٠٧].

٤. الله تعالى في هذه الآيات الكريمة يؤسس لأداب التعامل حين يكون هناك اختلاف في المعتقدات، فالحالة العامة عند البشر أنهم إنما يعتنقون ديناً أو مذهباً لا اعتقادهم بصحته، والإسلام يُربي أتباعه على حسن الأدب والأخلاق، ويرفض منطق السباب واللعن، ذلك لأن هذا الأسلوب مدعاة لردة فعل مماثلة من الطرف المقابل، ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الانعام: الآية ١٠٨].

وردًا على بعض مظاهر السباب واللعن بين صفوف المسلمين بعضهم تجاه بعض استناداً لبعض الروايات من هنا أو هناك، قال سماحة الشيخ الصفار: إن هذه الروايات فيها نقاش، ومع فرض صحتها فإنها تصطدم مع الأولويات، فالأولى هو إشاعة الأخوة الإيمانية بين المسلمين، وتعميق حالة الوحدة الإسلامية، وسيادة الأخلاق والاحترام المتبادل، وهذا ما يؤكد رسول الله، حيث أعلن أن الرحمة والمودة هدف الرسالة التي بُعث بها، فقد ورد عنه: «إني لم أبعث لعاناً، وإنما بُعثت رحمة» وورد عنه: «لا ينبغي للمسلم أن يكون لعاناً».

وفي نهاية حديثه عن هذا الموضوع أكد سماحة الشيخ الصفار إدانته لما حصل من إساءة لشخص الرسول ﷺ مؤكداً ضرورة أن تتخذ الأمة موقفها الواضح تجاه ذلك على الصعيد الإيجابي والسلبي:

فعلى الصعيد الإيجابي: دعا مفكري وقادة الأمة للسعي الجاد في نشر السيرة العطرة لرسول الله ﷺ وطباعتها بمختلف اللغات، كما ينبغي أن تُصنع أفلام عن حياة الرسول ﷺ وتُعرض أيضاً بمختلف اللغات، حتى يتعرف العالم إلى هذه الشخصية العظيمة.

وعلى الصعيد السلبي: أكد أنه يجب أن نوصل صوت إدانتنا لتلك الدول والجهات التي تصدر منها الإساءة لشخص الرسول ﷺ عبر سفاراتهم، ومن خلال مختلف الوسائل المتاحة والممكنة.

كما طالب بدراسة موقف المقاطعة الاقتصادية لمنتجات تلك الدول. وبارك في آخر خطابه نجاح الانتخابات الفلسطينية ونجاح حركة المقاومة الإسلامية فيها، مؤكداً أهمية موضوع الانتخابات والاحتكام إلى صناديق الاقتراع، لصنع واقع الاستقرار السياسي والمشاركة الشعبية، والتداول السلمي للسلطة في مختلف مجتمعات الأمة، فهو الطريق الأفضل الذي انتهت إليه تجارب المجتمعات البشرية.

کتابات



انفتاح الدعاة والمثقفين على الآخر^(١)

□ مداخلة على حوار الأستاذ عبدالعزيز قاسم مع
المفكر الأمريكي فوكوياما

بقلم الشيخ حسن الصفار

المبادرات الجريئة التي يقوم بها الأستاذ عبد العزيز قاسم في الانفتاح على الآخر الداخلي والخارجي، عبر حواراته ومكاشفاته، أمر يستحق التقدير والإعجاب. فالأستاذ عبد العزيز جزء من المحيط الثقافي الإسلامي، وقريب من أوساط الدعاة الإسلاميين في المملكة؛ يعيش هموم الصحوّة الإسلامية، ويتبنى تطلعاتها المشروعة. لكنه تميّز عن الكثيرين في الوسط الإسلامي بمبادراته للانفتاح على الآخر من الداخل؛ كرموز المذاهب والتوجهات الإسلامية الأخرى، والمثقفين الليبراليين والحدائثيين، وكذلك الانفتاح على الآخر من الخارج؛ كحواره الجديد الشائق مع المفكر الأمريكي فرانسيس فوكوياما.

(١) المدينة: صحيفة يومية سعودية تصدر عن دار المدينة للطباعة والنشر، ملحق الرسالة، عدد رقم ١٥٣٦٧ في ١٢/٤/١٤٢٦ هـ الموافق ٢٠/٥/٢٠٠٥ م.

في الوقت الذي يتحفظ فيه أكثر الإسلاميين في المملكة عن مثل هذا التوجه، وتبقى علاقاتهم ضمن وسط تياراتهم وتوجهاتهم.

وإني أستغرب من درجة التحفظ والحذر التي يصر عليها هؤلاء تجاه الآخر المخالف معهم مذهبياً أو فكرياً، حيث يفترض فيهم كعلماء ومثقفين ودعاة أنهم واثقون من فكرهم واتجاههم، وبالتالي فلا خوف عليهم من أن يتأثروا بالآخر على حساب مبادئهم إذا التقوا معه أو حاوروه أو تعاطوا معه في شأن من الشؤون العامة.

كما يفترض أنهم أصحاب رسالة ورأي وثقافة؛ لا بد أن يتحيتنوا الفرص لعرض رأيهم على الآخرين، ومناقشة الآخرين في توجهاتهم الخاطئة حسب رأيهم.

فلماذا يعزفون عن الانفتاح على الآخر، وبيقون ضمن دائرهم المغلقة؟

إن التلاقي بين بعضهم بعضاً كأصحاب اتجاه واحد، لا يضيف لهم إضافة نوعية ولا يحقق كسباً جديداً. بينما اللقاء مع أصحاب الآراء الأخرى قد يحقق شيئاً من ذلك، كاحتمال التأثير على الآخر لصالح القضايا التي يتبنونها.

كما أن تعاطي الداعية مع تياره وجمهوره فقط لا يتيح له مجال الاطلاع وتعريف على تطورات ساحة الثقافة والفكر، لأنه يتعامل مع التلامذة والأتباع وليس مع الأنداد والأمثال والنخب الفكرية.

وقد حاورت بعض اخواني الإسلاميين في المملكة عن سبب عزوفهم عن اللقاء والحوار مع الآخر الداخلي فضلاً عن الخارجي، فأكدوا قناعتهم بأهمية ذلك وفائدته؛ لكنهم يتهيبون ويتقون تيارهم ومنافسيهم ضمن التيار أن يتهموهم بالخلل في مبدأ الولاء والبراء!!

وعودة إلى ما ورد في حوار الأخ عبد العزيز قاسم مع فوكوياما فإنه يجب أن يلفتنا كإسلاميين إلى تقصيرنا على هذا الصعيد؛ لأن تعدد وتكرار اللقاء مع المفكرين الأمريكيين والغربيين من قبل علماء الإسلام والدعاة والمثقفين الإسلاميين يساعد كثيراً

على تبيين مواقفنا والدفاع عن قضايانا، وافترض التعصب والعناد من كل الآخرين ليس موضوعياً؛ ولا يعفينا عن السعي لعرض وجهات نظرنا أمامهم.

بقي أن أشير إلى نقطة إيجابية عند المفكرين الآخرين غالباً ما نفتقدها في أجوائنا، وهي استقلاليتهم أو لا أقل إظهار هذه الاستقلالية في الآراء والمواقف، حيث لم يتردد فوكوياما في نقد مواقف الإدارة الأمريكية والاعتراف بتقصير المثقفين الأمريكيين، إلى آخر موارد النقد الذاتي التي بدت واضحة في كلامه.

بينما يضطر الواحد منا أو ينساق غالباً إلى الدفاع عن كل شيء عندنا دون أن نتوفر على شجاعة الاعتراف بالخطأ والإقرار به.

ونقطة أخرى، تتمثل في غياب وتغييب التوجهات والآراء الإسلامية المنفتحة، فما يبدو من حديث فوكوياما أنه لم يقرأ لمفكرين إسلاميين روّاد مثل مالك بن نبي، والسيد محمد باقر الصدر، والشيخ محمد الغزالي، والسيد محمد الشيرازي، والسيد محمد حسين فضل الله، والشيخ محمد مهدي شمس الدين؛ وأمثالهم من المفكرين الإسلاميين الذين كشفوا عن عمق إنسانية الإسلام وحضارية مبادئه.

تقديم لكتاب (الإخلاص) لمؤلفه الأستاذ علي الدرورة^(١)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

الإخلاص عنوان لسمو الفرد وسبيل لتقدم المجتمع، فالإنسان الذي ينطلق في أعماله ومواقفه من مقصد نبيل، ويتقن أداء مهامه ووظائفه، هو المخلص الذي يخلق في آفاق السمو الروحي والأخلاقي.

والمجتمع الذي تسود أجواءه قيم الخير والصلاح، ويلتزم أبناؤه بمقاييس الجودة النوعية في نشاطهم وحركتهم، هو المجتمع الذي يشق طريق التقدم ويحقق النمو والرفي.

لقد عرّف اللغويون الإخلاص بأنه: مصدر أخلَصَ يُخلِصُ وهو مأخوذ من مادة (خ ل ص) التي تدل على تنقية الشيء وتهذيبه.

(١) الدرورة: علي/ محض الإخلاص، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ- دار المحجة البيضاء- بيروت- لبنان.

وتعددت تعريفات علماء الأخلاق لمفهوم الإخلاص، قال النراقي في جامع السعادات: الإخلاص هو تجريد القصد عن الشوائب كلها... فالإخلاص تخلص العمل عن الشوائب كلها، كثيرها وقليلها، والمخلص من يكون عمله لمحض التقرب إلى الله سبحانه، من دون قصد شيء آخر أصلاً.

وقال الكفوي: الإخلاص هو القصد بالعبادة إلى أن يُعبدَ المعبود بها وحده. وقيل: تصفية السر والقول والعمل. وقيل: تصفية العمل من التهمة والخلل.

وجاء في رواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «الإخلاص يجمع فواضل الأعمال، وهو معنى مفتاحه القبول، وتوفيقه الرضا، فمن تقبل الله منه ورضي عنه فهو المخلص وإن قلَّ عمله، ومن لا يتقبل الله منه فليس بمخلص وإن كثر عمله».

إن للإخلاص طرفين أساسيين: الأول: سلامة القصد، بأن ينطلق الإنسان في أعماله وحركاته من مقصد نبيل، يرضي الله سبحانه وتعالى.

والطرف الثاني: أن يُحسَن أداء العمل، دون تهاون أو خلل، حتى يكون عمله متقناً صحيحاً.

وأغلب المشكلات والنواقص في حياة الناس ناتجة من فقدان الالتزام بهذا المفهوم الأخلاقي العظيم، حيث تكون الأغراض الذاتية والدوافع المصلحية هي المحرك والباعث بعيداً عن قيم الحق والخير، والأسوأ من ذلك أن تستغل حتى الممارسات ذات الطابع الإنساني والديني من أجل تحقيق أغراض ومصالح ذاتية مصلحية.

كما تعاني الكثير من المجتمعات من ضعف الأداء وإتقان العمل في أوساط أبنائها. وهو مؤشر واضح لفقدان الإخلاص وغيابه.

إن مهام ووظائف أساس يعتمد عليها مستقبل المجتمع وإدارة شؤونه الحاضرة تعاني من خلل كبير، لأن أكثر القائمين بتلك الوظائف والمهام، يتساهلون في أدائها، ولا يهتمون بإتقانها، بسبب الكسل والإهمال والدوافع المصلحية المختلفة التي تنبع جميعها

من جذر واحد وهو غياب الإخلاص.

إن العاملين في حقل التربية والتعليم مثلاً الذين على أيديهم تربي الأجيال وتكتسب العلم والمعرفة، كم هم بحاجة إلى الإخلاص في أداء مهمتهم، ليؤدي كل معلم دوره بجدية وإتقان، مخلصاً للمسؤولية الكبيرة التي يتحملها، واعياً بخطورة المهمة التي يقوم بها في صنع الجيل وتأهيله لخدمة المجتمع والوطن.

وفي المؤسسات الصحية التي تتحمل أمانة الحفاظ على أرواح الناس وحماية صحتهم، كم هي الحاجة ماسة إلى درجة عالية من الإخلاص والاهتمام والإتقان! إن ظاهرة التسبب والإهمال في بعض المؤسسات الصحية الحكومية والأهلية أصبحت مرعبة مخيفة، وقد حدثني أحد العاملين في إحدى تلك المؤسسات عن موارد ومواقف مذهلة يندesh الإنسان من حدوثها من قبل إنسان يمتلك ضميراً ووجداناً. كما تنقل الصحف ويتحدث الناس عن آثار حالات الإهمال والتسبب في المؤسسات الصحية.

وليست الأمور في بقية المؤسسات والحقول بأفضل حالاً، ولا أقل خطورة من هذين المجالين التعليمي والصحي.

من هنا، تأتي أهمية طرح موضوع الإخلاص والتأكيد على ضرورته، فهو ليس شأنًا عباديًا فقط بالمعنى المصطلح للعبادة، بل هو نهج سلوكي ومسار أخلاقي، له ثقافته وبرامجه واستهدافاته.

وقد سررت كثيراً بتناول الأخ الكريم الأستاذ علي الدرورة لهذا الموضوع المهم، أرجو أن ينفع الله القارئ بما سطره في هذه الصفحات الجميلة المليئة بالحكم والنصوص والأفكار الدافعة إلى الإخلاص في المقصد وحسن الأداء.

إن الأستاذ علي الدرورة نموذج للمثقف المهوم بقضايا مجتمعه، فهو بالإضافة إلى انشغاله بحفظ التراث وتوثيقه عبر كتاباته ومشاركاته، يبذل جهداً طيباً في معالجة

القضايا الاجتماعية على مستوى التواصل الاجتماعي والإنتاج الثقافي. أرجو له المزيد من
التقدم والعطاء وأن يكثر الله في رجال المجتمع أمثاله.
والحمد لله رب العالمين.

حسن موسى الصفار

١٤٢٦/٢/٢٥ هـ

تقديم كتاب المدارس التفسيرية للمؤلفين محمد الشبيب –

محمد الشملاوي^(١)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين
وصحبه الطيبين.

من الطبيعي أن لا يتوقف بحث الإنسان وتأمله في موجودات الكون ومعادلاته
وأساره عند حدٍّ معين، نظراً لرحابة هذا الكون العظيم، وسعة أرجائه، وعميق أسرار
وجوداته. ونتيجة للقوة العقلية الهائلة التي منحها الله تعالى للإنسان.
فكلما أدرك شيئاً من حقائق الطبيعة والحياة، قاده ذلك إلى البحث عن غيرها،
ودفعه إلى استشراف ما ورائها، وهكذا تتراكم معارف الإنسان وتتطور خبرته العملية
والعلمية.

(١) محمد الشبيب ومحمد الشملاوي/ المدارس التفسيرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، أطراف للنشر
والتوزيع، القطيف – السعودية.

إن الكون كتاب مفتوح أمام عقل الإنسان، لذلك تتبارى الأفهام في تفسير أحداثه، واكتشاف قوانين الحركة فيه، ومعرفة خواص كل كائنه.

فتختلف الأفكار وتتعدد النظريات وتتوالد التخصصات العلمية، وربما تسود نظرية عن جانب من جوانب حياة الإنسان، أو قضايا الكون، لحقبة من الزمن، ثم تنسخها نظرية مغايرة، وتاريخ العلم والمعرفة شاهد على التغيير والتطوير في كل الميادين والحقول.

إن عقل أيّ إنسان مهما كانت عظمته لا يستطيع الإحاطة بأسرار الكون، ولا يتمكن من ادّعاء استيعابها، فهو يستطيع النظر من زاوية معينة، وضمن مساحة محدودة، ليتكامل جهده مع جهود سائر العقول المتجهة إلى سائر الزوايا والمجالات. لذلك تكونت التخصصات المختلفة في العلوم.

وإذا كانت الطبيعة والحياة هي كتاب التكوين الإلهي، فإن القرآن الكريم هو كتاب التشريع الإلهي، الذي أنزله الله تعالى هدى للإنسان، وترشيداً لفكره، وتقويماً لسلوكه. ويتناول الكتابان التكويني والتشريعي في عظمتها وإعجازهما، واستهلاكهما لعقل الإنسان وجهده، ليدرك عظمة خالقه، وليستفيد من وجوده في هذه الحياة إلى أقصى حدّ ممكن.

لذلك اتسعت آفاق البحث القرآني، كما اتسعت رحاب علوم الطبيعة، حيث بدأ اهتمام المسلمين بكتاب ربهم القرآن الكريم، منذ الأيام الأولى لنزول آياته المباركة، فكانوا ينصتون لاستماعه، ويبادرون لتنفيذ أوامره، ويسألون رسول الله ﷺ عما يلتبس عليهم من مقاصده ومعانيه.

كان المجتمع حديث عهدٍ بمفاهيم القرآن، وكانوا يتعاملون مع آياته بعفوية وبساطة، ومع مرور الزمن تطورت ونمت حالة الانتباه والإدراك لأسرار آيات القرآن الكريم، ودقته في استخدام الحروف والكلمات، وللأغراض والمقاصد التي يستهدفها،

فأصبحت آيات القرآن الكريم مفاتيح لمختلف توجهات المعرفة والفكر، وتسابق العلماء في بذل جهودهم واعتصار أفكارهم، لفهم معاني كلام الله، وتشخيص مصاديقها وتطبيقاتها في واقع الحياة.

فتأسست علوم تخصصية لدراسة القرآن في أبعاده المختلفة، ونشأت مدارس لتفسير آياته وسوره، تعددت من خلالها زوايا النظر، وجوانب التأمل لفهم كتاب الله العزيز، والاستفادة من معارفه وعلومه.

هذا التنوع والاختلاف في فهم القرآن وتفسيره إنما يعني الإقرار بحرية الرأي والفكر، والتأصيل لحق الاجتهاد والنظر، والتأكيد لشريعة الاختلاف العلمي المعرفي، وهو ما ميّز الحضارة الإسلامية، وشقّ أمامها طريق الريادة والتقدم في تلك العصور.

فلا أحد يحتكر حق الفهم لكلام الله تعالى، الذي هو بيان للناس، والذي دعا الله تعالى عباده للانفتاح عليه مباشرة والتدبر فيه، يقول تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص: الآية ٢٩]، ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [سورة القمر: الآية ١٧]. نعم، لا بد من الموضوعية والتجرد من الأهواء وامتلاك أدوات المعرفة والفهم ليستطيع الإنسان أن يُبحر في محيط القرآن الواسع، وينهل من نيمره الصافي.

صحيح أن المعصوم هو الأقدر والأعرف بمعاني القرآن وأغراض آياته، لكن ذلك لا يعني حرمان العقول من الاستضاءة بنور القرآن، والتلمذة في أرجاء مدرسته الرحبية. إن كل أحد يمكنه الاستفادة من القرآن بمقدار استيعابه وقابليته، جاء عن الإمام علي عليه السلام: «ما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان من عمى»^(١).

وورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «تدبروا آيات القرآن واعتبروا به فإنه أبلغ العبر»

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٧١.

غرر الحكم.

وعن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: « آيات القرآن خزائن العلم فكلما فتحت خزانة فينبغي لك أن تنظر فيها» ^(١).

إن الاهتمام بفهم القرآن وإدراك معاني آياته، أنتج للأمة تراثاً معرفياً كبيراً، وكرّس في أوساط علمائها حرية الفكر وحقّ التعبير عن الرأي، كما بعث الحراك العلمي العقلي في مجالات العقيدة والشريعة، ومختلف جوانب العلوم.

والكتاب المائل بين يدي القارئ الكريم (المدارس التفسيرية) هو سجل توثيقي لجهود علماء المسلمين في تفسير القرآن العزيز، ومحاولات فهمه عبر عصور التاريخ الإسلامي، تتضح من خلاله تعددية المناهج، وتنوع القراءات والمدارس، واختلاف الآراء والتوجهات، في إطار الفكر القرآني والثقافة الإسلامية.

كما يشير إلى حركة التطور في المعارف القرآنية، فكل مفسّر قد يشكل إضافة نوعية، وكل جيل قد يقدم عطاءً جديداً يستلهمه من خزائن القرآن الكريم.

لقد سأل رجل الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضة؟

فقال عليه السلام: «لأن الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غرض إلى يوم القيامة» ^(٢).

لقد بذل الأخوان الكريمان الأستاذ محمد الشيبب والأستاذ محمد الشملاوي جهوداً طيبة في إعداد مادة هذا الكتاب التوثيقي، باستقصاء مناهج التفسير، وتوجهات المفسرين، وبتعريف مختلف التفاسير بإيجاز مفيد.

(١) المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار، ج ٩٢ ص ٣١٦، طبعة دار التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت.

(٢) المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار، ج ٩٢ ص ١٥.

إنه جهد مشكور يستحق التقدير، ويشكل خدمةً جلييلةً على صعيد المعارف والثقافة القرآنية.

ولا يفوتني أن أشيد بالدور الكبير الذي يقوم به المؤلفان الكريهان وزملاؤهما في مؤسسة علوم القرآن بأمر الحمام في محافظة القطيف، فهي مؤسسة رائدة في مجال بعث الاهتمام بالقرآن في أوساط الناشئة والشباب، عن طريق دورات التدريس وبرامج الحفظ، والأنشطة المختلفة التي أحيت معارف القرآن في مجتمع المنطقة.

أرجو للمؤلفين الكريمين التوفيق والتقدم وأن يتقبل الله عملهما وينفع بجهودهما، وأهيب بأبناء المجتمع لدعم هذا النشاط القرآني المبارك، ولمساعدة هذه المؤسسة المهمة، ولتقدير هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم هدى بخدمتهم للقرآن وتوجههم لمعارفه.

والحمد لله رب العالمين.

حسن موسى الصفار

١٤٢٦/٧/٢٤هـ

٢٠٠٥/٨/٢٩م

الشيخ الصفار يُدين التفجيرات التي حصلت في الرياض^(١)

أدان سماحة الشيخ حسن الصفار التفجيرات التي حصلت في الرياض بتاريخ ١٥ ذو القعدة ١٤٢٥ هـ قرب وزارة الداخلية ومقر قوات الطوارئ وجاء في تصريحه ما يلي:

ليس هناك إساءة للإسلام أكبر من أن يصبح عنواناً للإرهاب والعنف، وقتل الأبرياء، وتخريب المنشآت.

إن هذه الفتاوى والبيانات والخطابات التي تدعو إلى الإرهاب باسم الجهاد، وتستشهد بنصوص من القرآن والسنة، وفق تفسيرات خاطئة، إنما تقدم أفضل وثيقة لإدانة الإسلام والمسلمين من قبل الجهات المعادية.

وارتكاب جرائم الخطف والقتل والتفجيرات تحت شعارات إسلامية كما حصل في الرياض مساء يوم الأربعاء ١٧ / ١١ / ١٤٢٥ هـ وكما يحدث كل يوم في العراق، إنما

(١) نشر في موقع سماحة الشيخ حسن الصفار: www.saffar.org بتاريخ ٢ / ١ / ٢٠٠٥ م.

٣٠٤ | الشيخ الصفار يُدين التفجيرات التي حصلت في الرياض

هو أكبر مصداق للصدّ عن سبيل الله، وتنفير العالم من الإسلام، بل وحتى في وسط المسلمين نشأت ردّة فعل قوية تجاه التيارات الإسلامية بسبب انتساب هذه الجرائم إلى جهات محسوبة على الإسلام.

ولا خدمة للإسلام في الوقت الحاضر أهم من تطهير ساحة الأمة من هذه التوجهات الإرهابية الإجرامية.

حسن الصفار

١٤٢٥/١١/١٨ هـ

تأبين السيدة هاشمية الخباز^(١)

الحمد لله رب العالمين الذي بشر بالرحمة والثواب للصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون.

والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله الطاهرين. لم يكن مستغرباً أن تحظى فقيدتنا الغالية السيدة الهاشمية رحمها الله بكل هذا الاهتمام الذي حصل في تشييعها ومجالس عزائها من قبل أبناء المجتمع رجالاً ونساءً ومن مختلف الشرائح والطبقات.

لقد كان موكب تشييعها مهيباً وكانت مجالس الفاتحة حاشدة، وشارك فيها مسؤولون حكوميون وعلماء كثيرون وجمع كبير من الشخصيات الاجتماعية، واعتنت لحضورها مجاميع من مختلف أرجاء المنطقة ومن الأحساء والبحرين. لم يكن كل ذلك مستغرباً لأن مجتمعنا نبيل طيب يقدر الخير وأهله. وقد كانت

(١) أُلقيت في الحفل النسائي لتأبين السيدة هاشمية السيد علي السيد شبر الخباز توفيت ١٣/١٢/١٤٢٥هـ، والدة حرم سماحة الشيخ حسن الصفار الحاجة خاتون عبدالله البحارنة.

الفقيده الغالية من نماذج الخير والصلاح، قضت عمرها في خدمة الإمام الحسين (عليه السلام)، وإحياء ذكر أهل البيت (عليهم السلام)، فقد مارست الخطابة الحسينية لمدة ستين عاماً، وحتى في السنوات الأخيرة من حياتها، ورغم تقدم سنها، وعجز قواها، وشدة أمراضها، إلا أنها كانت تتحامل على نفسها، وتسعى بمشقة وعناء لقراءة التعزية، وتغضب من نصح ذويها لها بترك القراءة إشفافاً على صحتها، مصرة على أن تبقى خادمة للحسين حتى آخر رفق من حياتها.

وكانت تحب الناس وتتواصل معهم في أفراحهم وأتراحهم، فلا تسمع عن فاتحة لأحد المؤمنين والمؤمنات، ولا عن مناسبة زواج إلا وتصّر على المشاركة والحضور مع كل ما يسبب لها من جهد وتعب وعناء.

وطالما كان يقال لها بأن الناس يعذرونك على عدم الحضور لمعرفتهم بعجزك ومرضك، ولكنها لم تكن تعذر نفسها، لأنها تعتبر التواصل مع الناس ومشاركتهم في أفراحهم وأتراحهم سبباً للثواب والأجر، وتوثيقاً لعرى المحبة والتماسك الاجتماعي. وكانت تجد في ذلك راحة نفسية كبيرة.

أما صلة الأرحام والأقرباء وتفقد أحوالهم فقد كان دأباً لها، تسأل عن كبيرهم وصغيرهم، وتظهر الاهتمام والتفاعل مع مختلف قضاياهم وتعاتب على الغياب والانقطاع، وتبادر إلى الزيارة والاتصال.

وكانت رحمها الله ينبوعاً للحب والحنان تحب كل الناس وتدعو لهم، وتشجع أبناءها وبناتها على خدمة الناس والتواصل معهم. فرحمها الله رحمة الأبرار وحشرها مع النبي محمد وآله الأطهار، ووفقنا لبرها بعد وفاتها ولأداء حق أمومتها ورعايتها.

لقد فقدنا بوفاتها دفء الأمومة وتركت في نفوسنا وحياتنا فراغاً كبيراً، وستبقى صورتها ماثلة أمامنا دائماً وأبداً، نتذكر مواقفها الإنسانية، ودفقات حبها وعطفها، ونسأل الله أن يلهمنا الصبر والسلوان، وأن يصّب على قبرها شآبيب الرحمة والرضوان.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير أصالة عن نفسي ونيابة عن أسرتي الكريمة لكل الطيبين الذين واسونا في مصابها بفقد أمنا الغالية بحضورهم مجالس الفاتحة، أو باتصالاتهم الهاتفية سائلين الله تعالى لهم طوال العمر وأن لا يفجعهم بعزيز ولا يريهم مكروهاً.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين.
ولروح الفقيدة الغالية رحم الله من يقرأ الفاتحة.

الشيخ حسن بن موسى الصفار

١٧/١٢/١٤٢٥هـ

الشيخ الصفار يعزي الطائفة الإسماعيلية في المملكة^(١)

□ أصدر سماحة الشيخ حسن الصفار بياناً عزى فيه الطائفة الإسماعيلية في المملكة العربية السعودية بوفاة الداعي الشيخ حسين بن إسماعيل المكرمي.

وفيما يلي نص البيان:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

بمناسبة وفاة الداعي الشيخ حسين المكرمي وانتقاله إلى رحمة الله تعالى، أتقدم بخالص العزاء وعميق مشاعر المواساة لأبنائه الكرام، وأسرتهم الموقرة، ولجميع أبناء الطائفة الإسماعيلية السليمانية الذين فجعوا بوفاة زعيمهم الديني، وفي الحقيقة فإن فقدته خسارة على مستوى الوطن لما كان يمثله الفقيه الراحل من نهج الاعتدال والدعوة إلى التمسك بفرائض الإسلام وحفظ الأمن والوحدة الوطنية. إن أمتنا الإسلامية ووطننا الغالي بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى جمع الشمل،

(١) نشر في موقع سماحة الشيخ حسن الصفار: www.saffar.org بتاريخ ٤/٦/٢٠٠٥م.

ورصّ الصفوف، وانفتح مختلف شرائح الوطن على بعضها، حتى نفوّت الفرص على الطامعين والحاقدين والجاهلين.

وبهذه المناسبة، فإني أتوجه للداعي الشيخ عبد الله بن محمد الذي انتخب مرجعاً للطائفة الإسماعيلية السليمانية الكريمة، بعد وفاة الفقيه الراحل.. أتوجه إليه وإلى منصوبه الشيخ أحمد الجمالي بخالص التعزية والدعاء لهما بالتوفيق لتحمل المسؤولية الخطيرة.

إن على العلماء والقيادات الدينية لمختلف المذاهب والشرائح في وطننا الغالي، أن تهتم بالتواصل فيما بينها لتفعيل نهج الحوار الوطني، وليكون هناك تعارف مباشر يتجاوز النقولات الخاطئة التي كانت تشوه صورة كل جهة أمام الأخرى، وأن تركز على مرجعية كتاب الله وسنة رسوله، وأن يتعاهدوا جميعاً على نشر ثقافة الوحدة والتسامح وحماية الوطن من أخطار التطرف والغلو وأطماع الأعداء المتربصين.

نسأل الله تعالى للفقيه الراحل المغفرة والرحمة، ولدويه الصبر وعظيم الأجر، وأن يحفظ الله بلادنا من كل مكروه، والحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار

١٤٢٦/٤/٢٦ هـ

٢٠٠٥/٦/٣ م



بلا حدود

كل رمضان وأنت بخير يا وطني

الشيخان العودة والصفار يخصّان فواصل برسالتين في غاية الأهمية

حمى الله العراق

بقلم: الشيخ حسن الصفار

خطيرة. أمام هذه الابتلاءات الشديدة، تصبِح مسؤولية القوى الواعية في الشعب العراقي في غاية الأهمية والخلاصة، فالعراق الآن مفتاح مستقبل المنطقة. إن تاريخ الشعب العراقي وما نعرفه عن إخلاصه ووعبه يثير في نفوسنا بواعث الأمل رغم قنامة الظروف الحالية.

إننا نتوقع من إخواننا وأهلنا في العراق مواجهة هذه التحديات الخطيرة، بمزيد من الوعي واليقظة وبدرجة عالية من الصبر وضبط النفس، ولستم بحاجة أيها العراقيون الشرفاء إلى من ينصحكم أو يذكركم بضرورة الحفاظ على وحدة العراق، فأنتم بحمد الله تملكون أصدق مشاعر الوحدة، لكن ما نأمله الا يكون الألام الماضي وهو اجس التلق من تكراره، مفعول ضار يؤثر على التخطيط لصياغة المستقبل وبنائه، كما نأمل تقوية الفرصة على الأعداء الذين يريدون استغلال أي صراع في داخلكم لتثبيت وجودهم وخدمة أغراضهم ومطامعهم.

والإرهاب الذي تعانون منه لم يبدأ بكم ولم يتوقف عنكم، فقد عانت منه كل الشعوب والبلدان، وهو يتلون بمختلف الألوان والشعارات، فلا تصدقوا أنه ينطلق من أرضية مذهبية أو يخدم مصلحة طائفية، إنما هو استخدام لورقة مثيرة من أجل هدف إجرامي وتعلمون أن الإرهاب الذي استمر في الجزائر يضع سنوات لم ينطلق من طائفة ضد أخرى ولا انتصاراً لمذهب على مذهب آخر.

وبحمد الله فإن مرجعيتكم الدينية وقياداتكم الوطنية الواعية تمتلك رؤية واضحة ونهجاً حكيماً في التعامل مع تعقيدات الوضع الخطير الذي خلفه الاستبداد وآثاره الاحتلال وأحدته الإرهاب، والتضافكم حول مرجعيتكم الدينية الرشيدة، هو ضمانة التجاوز لهذه المخاطر والتحديات البالغة.

فتحية إكبار لرفضكم للاحتلال والهيمنة الأجنبية، ولقوامتكم الحكيمة الرشيدة، ولما أهديتهمونه من وعي واستقامة في وجه أخطر المؤامرات وأشد الصعوبات، وسلام على الأرواح البريئة التي تزهدت عن أبنائكم كل يوم، وعلى الدماء الزكية التي تراق على أرض العراق في كل ساعة، وأن الفرج قريب إنشاء الله وفجر الخلاص بات وشيكاً بتلاحمكم، واستمرار وحدتكم، وبإصرارك على التخطيط والبناء لمستقبل العراق من خلال دستور يحفظ الحقوق والكرامة لكل المواطنين دون تمييز وينطلق من إرادة الشعب ورضاه.

أعانكم الله على ما تواجهون ووقفكم بتحقيق ما تشدّون، وحمى الله العراق من الأعداء الطامعين والحقى الجاهلين إنه أرحم الراحمين.

أيها العراقيون الشرفاء: أعانكم الله تعالى على ما تواجهون من أشد أنواع المحن والابتلاءات، إنكم تواجهون آثار ومخلفات الديكتاتورية والاستبداد، وتواجهون مطامع الاحتلال والهيمنة الأجنبية، وتواجهون فظاعة الإرهاب الأعمى. إن أكثر من ثلاثة عقود عشتوها في ظل حكم الطغيان والجور، الذي مارس سياسة التمييز والفرقة بينكم، وثار النعرات الجاهلية القومية بين العرب والأكراد، والحساسيات الطائفية بين السنة والشيعة، ليمنع وحدة الشعب ضد طغيانه وليشغل اهتماماتهم ببعضهم البعض حماية لسلطته ونفوذه. هذه السياسة الماكرة تواجهون الآن آثارها الخطيرة من الهواجس المتبادلة عند كل شريحة تجاه الأخرى حيث يخشى الأكراد تجاهل حقوقهم، ويخاف العرب نزعات الانفصال وضياح الهوية، ويحذر السنة من محاولات التهميش والإقصاء، ويقلق الشيعة من التجاوز على دورهم وموقعهم.

وجاء الاحتلال تحت شعار الحرية التي كنتم تتعلمون إليها، وبهجة إسقاط الديكتاتورية التي كنتم تعانون منها، لكنكم تعلمون بقنع ويقين أن لقوى الاحتلال اطماعها وأغراضها ومقاصدها.

لقد تحركت جماهير شعبكم بعد اندحار جيش صدام من الكويت، وأوشكتكم على انتزاع حريتكم من مخالب النظام الجائر، لكن الأميركيين الذين يرفضون الآن شعار تحريركم هم من أعطوا الضوء الأخضر لنظام صدام أن يقنع انتفاضتكم آنذاك، كما تعلمون ذلك جيداً.

وفي ذلك دلالة واضحة على أنهم يريدون إسقاط نظام صدام خدمة لمصالحهم أولاً، وليس اهتماماً خالصاً بمصالح الشعب العراقي.

إن الاحتلال الأجنبي للعراق أضاف أعباءً جديدة على الشعب العراقي، وزاد في صعوبات حياته وتعقيدات مستقبله.

وتفجرت أعمال العنف والإرهاب الأسود لتفعيل آثار سياسات النظام الزائل من التفرقة بين المواطنين العراقيين، ولتكون مبرراً لاستمرار الهيمنة الأجنبية، كما كان النظام البائد مبرراً لتقدمها.

ولا شك أن فظاعة الإرهاب الذي يحصل في العراق الآن لا تماثلته فظاعة، لاستهدافه الأبرياء وانتهاكه الحرمات، بوتيرة وحشية متصاعدة، وبشعارات طائفية



FAWASIL 168 1/10/2003

حمى الله العراق^(١)

رسالة وجهها سماحة الشيخ حسن الصفار إلى الشعب العراقي عبر مجلة فواصل
السعودية، هذا نصها:

أيها العراقيون الشرفاء:

أعانكم الله تعالى على ما تواجهون من أشد أنواع المحن والابتلاءات، إنكم
تواجهون آثار ومخلفات الديكتاتورية والاستبداد، وتواجهون مطامع الاحتلال والهيمنة
الأجنبية، وتواجهون فظاعة الإرهاب الأعمى.

إن أكثر من ثلاثة عقود عشتموها في ظل حكم الطغيان والجور، الذي مارس
سياسة التمييز والتفرقة بينكم، وآثار النعرات الجاهلية القومية بين العرب والأكراد،
والحساسيات الطائفية بين السنة والشيعة، ليمنع وحدة الشعب ضد طغيانه وليشغل
اهتماماتهم ببعضهم البعض حماية لسلطته ونفوذه.

(١) فواصل: مجلة سعودية نصف شهرية، العدد رقم ١٦٨ في ١/١٠/٢٠٠٥ م.

هذه السياسة الماكرة تواجهون الآن آثارها الخطيرة من الهواجس المتبادلة عند كل شريحة تجاه الأخرى. حيث يخشى الأكراد تجاهل حقوقهم، ويخاف العرب نزعات الانفصال وضياع الهوية، ويحذر السنة من محاولات التهميش والإقصاء، ويقلق الشيعة من التجاوز على دورهم وموقعهم.

وجاء الاحتلال تحت شعار الحرية التي كنتم تتطلعون إليها، وبحجة إسقاط الديكتاتورية التي كنتم تعانون منها، لكنكم تعلمون بقطع ويقين ان لقوى الاحتلال أطماعها وأغراضها ومقاصدها.

لقد تحركت جماهير شعبكم بعد اندحار جيش صدام من الكويت، وأوشكنتم على انتزاع حريبتكم من مخالب النظام الجائر، لكن الأميركيين الذين يرفعون الآن شعار تحريركم هم من أعطوا الضوء الأخضر لنظام صدام أن يجمع انتفاضتكم آنذاك، كما تعلمون ذلك جيداً.

وفي ذلك دلالة واضحة على أنهم يريدون إسقاط نظام صدام خدمة لمصالحهم أولاً، وليس اهتماماً خالصاً بمصالح الشعب العراقي.

إن الاحتلال الأجنبي للعراق أضاف أعباء جديدة على الشعب العراقي، وزاد في صعوبات حياته وتعقيدات مستقبله.

وتفجرت أعمال العنف والإرهاب الأسود لتفعيل آثار سياسات النظام الزائل من التفرقة بين المواطنين العراقيين، ولتكون مبرراً لاستمرار الهيمنة الأجنبية، كما كان النظام البائد مبرراً لقدومها.

ولا شك أن فظاعة الإرهاب الذي يحصل في العراق الآن لا تماثله فظاعة، لاستهدافه الأبرياء وانتهاكه الحرمات، بوتيرة وحشية متصاعدة، وبشعارات طائفية خطيرة.

أمام هذا الابتلاءات الشديدة، تصبح مسؤولية القوى الواعية في الشعب العراقي

في غاية الأهمية والخطورة، فالعراق الآن مفتاح مستقبل المنطقة.

إن تاريخ الشعب العراقي وما نعرفه عن إخلاصه ووعيه يثير في نفوسنا بواعث الأمل رغم قتامة الظروف الحالكة.

إننا نتوقع من إخواننا وأهلنا في العراق مواجهة هذه التحديات الخطيرة، بمزيد من الوعي واليقظة وبدرجة عالية من الصبر وضبط النفس، ولستم بحاجة أيها العراقيون الشرفاء إلى من ينصحكم أو يذكركم بضرورة الحفاظ على وحدة العراق، فأنتم بحمد الله تمتلكون أصدق مشاعر الوحدة، لكن ما نأمله ألا يكون لآلام الماضي وهو اجس القلق من تكراره، مفعول ضار يؤثر على التخطيط لصياغة المستقبل وبنائه، كما نأمل تفويت الفرصة على الأعداء الذين يريدون استغلال أي صراع في داخلكم لتشتيت وجودهم وخدمة أغراضهم ومطامعهم.

و الإرهاب الذي تعانون منه لم يبدأ بكم ولم يتوقف عندكم، فقد عانت منه كل الشعوب والبلدان، وهو يتلون بمختلف الألوان والشعارات، فلا تصدقوا أنه ينطلق من أرضية مذهبية أو يخدم مصلحة طائفية، إنما هو استخدام لورقة مثيرة من أجل هدف إجرامي. وتعلمون أن الإرهاب الذي استمر في الجزائر بضع سنوات لم ينطلق من طائفة ضد أخرى ولا انتصارا للمذهب على مذهب آخر.

وبحمد الله فإن مرجعيتكم الدينية وقياداتكم الوطنية الواعية تمتلك رؤية واضحة ونهجاً حكيماً في التعامل مع تعقيدات الوضع الخطير الذي خلفه الاستبداد وأثاره الاحتلال، وأحدثه الإرهاب، والتفافكم حول مرجعيتكم الدينية الرشيدة، هو ضمانه التجاوز لهذه المخاطر والتحديات البالغة.

فتحية إكبار لرفضكم للاحتلال والهيمنة الأجنبية. ولقاومتكم الحكيمة الرشيدة، ولما ابدتونه من وعي واستقامة في وجه أخطر المؤامرات وأشد الصعوبات، وسلام على الأرواح البريئة التي تزهق من أبنائكم كل يوم، وعلى الدماء الزكية التي تراق على أرض

العراق في كل ساعة، وإن الفرج قريب إنشاء الله وفجر الخلاص بات وشيكاً بتلاحمكم واستمرار وحدتكم، وبإصراركم على التخطيط والبناء لمستقبل العراق من خلال دستور يحفظ الحقوق والكرامة لكل المواطنين دون تمييز وينطلق من إرادة الشعب ورضاه. أعانكم الله على ما تواجهون ووفقكم لتحقيق ما تشدونه، وحمى الله العراق من الأعداء الطامعين والحمقى الجاهلين أنه أرحم الراحمين.

متابعات | _____

حوار مع الشيخ الصفار على قناة عين في برنامج (حوار من

الداخل)^(١)

مقدم البرنامج الأستاذ كمال عبدالقادر:

أعزائي المشاهدين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

ها نحن اليوم في السابع من شهر شوال، وقد مضى علينا رمضاننا، وانتهى عيدنا، ولكن ما زلت أقول لكم إننا إن شاء الله في قلوبنا العيد دائم وعامر، بحبي إليكم، وحبكم إن شاء الله إلى هذا البرنامج، الذي أتمنى من الله أن يكون لبنة إيجابية في هذا الجدار الكبير، وهذا الكيان الكبير، المُسمى «المملكة العربية السعودية»، الذي نبذل الغالي والرخيص في سبيل استمرارية هذا الوطن، واستمرارية هذا الصرح الكبير، أن يكون لبنة ليس فقط كياناً واضحاً، إنما أيضاً كياناً قوياً في مسار الأمم التي نتمنى إن شاء الله أن نكون بين

(١) بث الحوار في قناة عين ضمن برنامج حوار من الداخل بتاريخ ٧ شوال ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٤م.

صفوفها..

مشاهدنا الكرام.. لا شك أنا بدأت حديثي عن هذا الوطن العظيم، هذا الوطن الذي تحمّل الكثير من أبنائه - من بعض أبنائه - الذين ضلوا فكراً، وضلوا سلوكاً، وأسأؤوا إلى هذا الوطن، وأنا أكرّر في كل حلقة إن شئتم، وأرجو أن لا تملوا، وإن مللتم سوف أستمّر أيضاً في هذا التكرار، تلك الفئة الضالة التي تحرب وطننا، لا بد أن نحاربها بكل أدواتنا، لا بد أن نجتث هذا الفكر الضال المحرض، إلى هذا السلوك المخرب لهذا الوطن، لأننا لو لم نجيش أنفسنا بهذا الطرح، سيستمر أولئك الفسدة المارقون، في تدمير وطننا وفي تدمير ابني وابتكم والوطن كله والعياذ بالله، لذلك، أعزاءنا المشاهدين، من هذا المنطلق، كأني استشف وأطرح لكم عنوان حلقتنا:

الوحدة الوطنية وتعدد المذاهب

المملكة العربية السعودية تعتبر دولة قارية فيها الكثير، مترامية الأطراف، فيها تعددية فكرية، فيها تعددية مذهبية، التعدديات هذه لا نريدها أن تكون صورة من صور الخلخلة والضعف، بقدر ما نريدها أن تكون صورة من صور القوة والطرح والدفع لهذا الوطن إلى الأمام، لكن كأننا حينما نستقرأ الإعلام الغربي، وحينما نستقرأ بعض من يفكر في داخل المملكة العربية السعودية، نستشعر أن هذه التعددية كأنها هي فتنة أو بواذر فتنة، إذا استمر فتيلها في الاشتعال قد يؤدي إلى فئات وهلاك هذا الوطن العظيم.

عنوان الحلقة:

الوحدة الوطنية وتعدد المذاهب في المجتمع السعودي

أعزاءنا المشاهدين..

لنا أخوة سعوديون نحبههم ويحبوننا، هم الأخوة الشيعة، هذا المذهب الذي اختلف في طرحة ومناقشته وفي الجدل حوله، لذلك لا أريد أن أتحدث عن هذا المذهب، أو هذا

الفكر، أو هذه الطائفة، إنما أترك لكم المجال أن ترحبوا - وأرحب أنا شخصياً- بساحة الشيخ حسن بن موسى الصفار الداعية الإسلامي..

مقدم البرنامج: السلام عليكم ساحة الشيخ.

ساحة الشيخ: وعليكم السلام وعلى جمهوركم السلام ورحمة الله وبركاته.

مقدم البرنامج: سيدي الكريم، من بداية طرحي، كأننا نستشف أننا نسعى إلى وحدة وطنية في ظل هذه التعددية، وكأني حين نقرأ التاريخ نلمس هناك الكثير من التعدديات التي صارت في آراء جمهور العلماء والفقهاء والمسلمين أيضاً، لكن ظلت الخلافة الإسلامية على مدى طويل جداً لم تنته إلا قبل ما يقرب من مائتين سنة أو ما شابه ذلك، لذلك:

س: لماذا.. أو كيف يمكن أن نوظف هذه التعددية المذهبية في استقامة وفي نهضة هذا الوطن؟

ساحة الشيخ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين..

في البداية أشكر لكم اختيار هذا الموضوع، وكما كنتم موفقين في اختيار مواضيع سابقة في برنامجكم الهادف الطيب، أسأل الله أن ينفع به وينفع بكم، وأن يوفقكم في خدمة الدين ولخدمة الوطن، في هذا الخندق الإعلامي المهم وخاصة في هذا العصر. أخي الكريم، في البداية يجب أن نتحدث عن مفهوم الوحدة الوطنية، ماذا تعني الوحدة الوطنية؟

أعتقد أن الوحدة الوطنية تعني: تمحور المواطنين حول وطنهم، وذلك يتحقق في أبعاد ثلاثة:

• أولاً: البعد النفسي: الحب للوطن والولاء والإخلاص والانتماء للوطن وهي

حالة نفسية.

- ثانياً: البُعد العملي: ويعني خدمة الوطن، والعمل من أجل تقدمه، والدفاع عنه وحمايته. الوطنية وحب الوطن ليست مجرد قصيدة تلقى، ولا مجرد شعار يقال، وإنما يجب أن تتحقق في حياة المواطن كواقع سلوكي، عن طريق خدمته لهذا الوطن، ودفاعه عنه، وحمايته لمصلحه.
- ثالثاً: البُعد القانوني: أن يخضع المواطنون لنظام يساوي بينهم في الحقوق والواجبات، وينظم علاقاتهم بشكل عادل، وجود نظام يخضع له المواطنون هو الذي يوفر الاستقرار والأمن، من دون وجود نظام لا يكون هناك استقرار، ومن دون وجود عدالة ومساواة، لا تتحقق هناك وحدة، ولذلك فالوحدة تتمحور وتتمظهر في هذه الأبعاد الثلاثة.

مقدم البرنامج: إذا سمحت لي.. نقطة الجانب الأول قبل أن نستطرد في الجانب الثاني. أنت ذكرت أن هناك ثلاثة أطر تتحدث عن الوطن: الجانب العاطفي، والجانب العملي، والجانب القانوني، وهناك لا بد أن يكون المواطن يؤدي هذه الخدمة، لكن هذه الجوانب سيدي الكريم، لا بد أن تؤصل في هذا الإنسان الذي ينتسب إلى هذا الوطن.

س: كيف يمكن أن تؤصل هذه الوطنية - يعني هذا سؤال مهم جداً - سبق أن طرحناه كثيراً وحتى الآن لم نصل إلى إجابة قد تكون إلى حد ما شافية ومقنعة، كيف يمكن أن نؤصل مفهوم الوطنية، لأن أولئك الذين يقومون بعمليات إجرامية من تدمير وخراب، يرون أنهم يدافعون عن الوطن! فهذه الوطنية التي لم نستطع حتى الآن أن نؤصلها حتى هذه الصورة؟

سماحة الشيخ: في بعض الأحيان قد يكون القائمون بهذه الأعمال يعتبرون مفهوم

الوطنية كفراً.

مقدم البرنامج: نعم.. نعم.. في بعضهم..

ساحة الشيخ: لأن هذا التطرف العملي ينبثق من أرضية تطرفٍ فكري أيضاً، فيرون أن الوطنية، ومفهوم الوطنية كفر ولا يقبلون، ويمانعون من طرح هذا المفهوم الوطني.

تعميق الطرح الوطني يكون بأمر ثلاثة أيضاً:

- الأمر الأول: تكريس هذا الانتماء عن طريق التربية، وعن طريق الثقافة، وعن طريق الإعلام، حتى تكون الوطنية هوية غالبية على الناس، هي الهوية المقدمة على سائر الهويات الأخرى، لأن هناك هويات فرعية، هناك انتمايات قبلية مناطقية مذهبية فكرية، لكن ينبغي أن تكون الهوية الوطنية هي القاسم المشترك بين هؤلاء جميعاً، وبالتالي يجب أن تكون هي الهوية الظاهرة، والغالبة على ثقافة هؤلاء الناس وعلى تعاطي هؤلاء الناس مع بعضهم البعض، هذا أولاً.

- الأمر الثاني: تشجيع التنافس في خدمة الوطن. هذا أمر مهم جداً، بحيث تكون مكانة الإنسان ودوره الوطني، انعكاساً لمدى خدمته لوطنه، وليس لشعارات يرددوها، وليس لانتماء معين، بعض الناس قد يرى لنفسه بعض المكاسب وبعض الحقوق لمجرد أنه ينتمي إلى هذا الرأي، أو لهذا الفكر، وهذا خطأ.

ينبغي أن تكون مكانة الإنسان في وطنه بمقدار أدائه وخدمته للوطن، وهذا ما تركز عليه المفاهيم الدينية: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٠٥]. ﴿لِيَلْبُوَكُمْ آيَاتِكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة الملك: الآية ٢]. ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [سورة النجم: الآية ٣٩]. من أجل أن نركز الطرح الوطني يجب أن نشجع التنافس في خدمة الوطن.

مقدم البرنامج: يعني ليس الدين هو فقط الذي يجعلك أكثر تميزاً من الآخر؟

ساحة الشيخ: لا أبداً.. لأن الدين الحقيقي هو الذي يدفعك إلى العطاء الأكثر، الدين ليس هو الذي يدفعك إلى كثرة الصلاة والصوم فقط، الصلاة والصوم ينبغي أن تكون باعثاً للعطاء للخدمة.. نحن نجد في البلدان الأخرى، ويؤسفنا أن تكون بعض البلدان.. نطرح بعض الجوانب فيها كمنادج، ولكن ديننا علمنا أن: «الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أين وجدها»، وقال رسول الله ﷺ: «اطلبوا العلم ولو في الصين».

فحينها يكون هناك شيء إيجابي في أي بلد نُشيدُ به، في البلدان الأخرى، المتفوق علمياً تبرز مكانته، المتفوق عملياً تبرز مكانته، المتفوق فنياً تبرز مكانته، يعني التفوق والتنافس على العطاء والخدمة، هو الذي يكرّس الطرح الوطني في نفوس الناس.

إن تعميق الطرح الوطني يتم عبر هذه الأبعاد، في المملكة العربية السعودية، وهذا ما يتحدث عنه المسؤولون، وما يريد المسؤولون أن يتحقق، أن يكون هناك ثقافة وتربية توجه الناس للولاء لوطنهم أكثر من أي شيء آخر هذا من جانب.

ومن جانب آخر، أن يكون هناك تشجيع للتنافس في خدمة الوطن، وفي العطاء للوطن، بمقدار ما يعطي الإنسان لوطنه يأخذ موقعه ويأخذ مكانته، وليس بمقدار ما يحمل من عناوين، وليس بمقدار انتماؤه إلى هذا الطرف أو ذلك الطرف، هنا يتعمق الطرح الوطني.

نحن نتحدث عما يجب أن يكون، وليس فقط في حدود ما هو موجود في العالم العربي، صحيح.. في العالم العربي هناك إشكالات، هناك نقاط ضعف، ولكننا نتحدث كيف نتجاوز هذه الإشكالات، نتجاوز هذه الإشكالات بأن تكون هناك ثقافة تؤكد الانتماء للوطن، تربية تؤكد الانتماء للوطن، وتشجيع للتنافس في خدمة الوطن، بحيث يتبارى الناس.

نحن نجد في كل حقل من الحقول حينما يكون هناك تشجيع تتفجر الطاقات والمواهب، في مجال الرياضة، بتشجيع الجمهور وبإعطاء الجوائز تبرز القدرات والمواهب الرياضية، فحينما تكون خدمة الوطن ساحة للتنافس، وحينما يكون من يخدم الوطن أكثر، ومن يقدم للوطن أكثر، هو ينال الموقع الأكثر والمكانة الأكبر والبروز والظهور والتشجيع هذا هو الذي يشجع ويعمق الطرح الوطني.

مقدم البرنامج: طيب.. التعددية لم تتطرق إليها.. التعددية المذهبية هذا هو كان سؤالاً، كيف يمكن أن نصلب هذه التعددية في نماء؟

سماحة الشيخ: أخي الكريم لا يوجد شعب من شعوب العالم فيه تجانس كامل، في كل الشعوب هناك تنوعات، تنوعات عرقية وقومية ودينية فكرية سياسية، هذه التنوعات موجودة في كل الشعوب. لكنَّ هذا التنوع ما دامت هناك هوية وطنية مشتركة، وما دامت هناك مصلحة مشتركة بين المواطنين، ويتحسس المواطنون بمشاركتهم الفعلية في هذا الوطن، وفي التمتع بالكرامة والخيرات في هذا الوطن - في أي وطن من الأوطان - هنا لا يضير التنوع والتعدد، أمريكا الآن.. الولايات المتحدة الأمريكية. الشعب الأمريكي.. يتكون من أعراق مختلفة ومتعددة، خليط من الشعوب والأعراق والثقافات، ولكن ذلك لا يؤثر على وحدتهم الوطنية، نجد في بلد مثل الهند، كم من الديانات في الهند؟ كم من الأعراق في الهند؟ وكم من اللغات في الهند؟ ولكنَّ ذلك لا يؤثر على الوحدة الوطنية في الهند. لماذا؟

لأن هناك هوية مشتركة هي هوية انتمايتهم لبلدهم، وهناك نظام ينظم العلاقة بين هؤلاء المواطنين، ويحقق ويوفر المساواة والعدالة بين هؤلاء المواطنين، نحن لا نريد أن نزكي كل ما يجري في هذه البلدان، ولكن بمقدار ما تكون هناك عدالة، وبمقدار ما يتحسس الإنسان بالمشاركة في المصلحة، تتحقق هذه الحالة الوطنية.

المذاهب .. نحن - والحمد لله - في المملكة العربية السعودية، لدينا أعلى قدر من التجانس، من الناحية العرقية والقومية، كلنا عرب، وإن كنا من الناحية الإسلامية لا نرى فرقاً، كما في الحديث الشريف: «كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»، ليس هناك فرق من الناحية الدينية أيضاً - الحمد لله - كل أبناء المملكة يدينون بالإسلام، ويشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً ﷺ رسول الله ويلتزمون بفرائض الإسلام، فكلهم مسلمون.

التنوع المذهبي هو اختلاف في القضايا الجانبية التفصيلية عقدياً وفقهياً، أصول العقيدة متفق عليها بين كل المذاهب، الإيذان بالله تعالى، الإيذان برسول الله محمد ﷺ، الإيذان بالآخرة، مرجعية الكتاب والسنة، القبلة الواحدة، الأركان الإسلامية الأساسية، ليست مورد خلاف هذه الأصول بين المذاهب الإسلامية، هناك اختلاف في بعض التفاصيل العقدية.

مقدم البرنامج: التفاصيل هذه.. لماذا كأنما هي معمّقة، يعني ذات بعدٍ كبير جداً؟

سماحة الشيخ: هذا هو السؤال المهم.. مساححة الاتفاق بين المذاهب الإسلامية مساححة واسعة جداً، ومساححة الاختلاف مساححة محدودة، ولكن لماذا تنشغل الأمة أو الكثيرون من الأمة بالمساححة المحدودة من الاختلاف ويتغافلون عن المساححة الواسعة من الاتفاق؟

يجب أن نرجع إلى العهود التاريخية السابقة التي عاشتها الأمة، تلك العهود السابقة، التراث الذي وصلنا منها هو الذي جعلنا نهتم بهذه التفاصيل الجانبية على حساب الأصول المشتركة.

مقدم البرنامج: طيب، ولماذا..سؤالي هو التفاصيل هذه..لماذا نحن
انسحبنا وراء هذا التاريخ..واهتمنا بالتفاصيل الصغيرة وتركنا الاتفاق
الكبير وبعد الفاصل نكمل الإجابة عن هذا السؤال.

فاصل

مقدم البرنامج: أهلاً بكم مشاهدين الكرام..كالعادة..متاحة لكم أيضاً المشاركة
في هذا النقاش، وستظهر أرقام الهاتف على الشاشة..لكي يشارك الإخوة المشاهدون معنا
في هذا النقاش.

سيدي الكريم..تحدثتم قبل الفاصل عن التفاصيل والاتفاق في مساحة
كبيرة والاختلاف في التفاصيل الصغيرة، هذه التفاصيل نريد هكذا
إيضاح..لماذا..لماذا..لماذا.. ونحن متفقون في الكثير ومختلفون في
القليل، ولكن هذا الاختلاف القليل يحدث ضجة كبيرة.. لماذا؟

سماحة الشيخ: أعتقد أن هناك سببين رئيسيين:

السبب الأول: يرتبط بالثقافة الدينية عند كثير من المتدينين، الذين أغفلوا مقاصد
الشريعة الأساس، وركزوا اهتمامهم على بعض القضايا الجانبية، فبدل أن يركزوا على
المقاصد الأساس للشريعة وللدين، كعمارة الأرض ونشر العدل بين الناس وتحقيق وحدة
الأمة والريادة بين سائر الأمم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ
وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة: الآية ١٤٣] بدل ذلك..اهتم البعض من العلماء
- وهذا نقد ذاتي - لنوعنا من الدعوة ومن طلبة العلوم الدينية.

مقدم البرنامج: هل تيار واحد أو طائفة معينة أم كل الأطياف؟

ساحة الشيخ: لا.. من كل الطوائف وكل الأطياف حصلت هذه الحالة.. أصبح هناك تركيز على مسائل جانبية وإهمال للمقاصد الكبيرة في الدين.

مقدم البرنامج: نريد منكم مثلاً شيخ..

ساحة الشيخ: مثال: ألفنا كتباً كثيرة حول الموضوع وحول الصلاة وحول رؤية الله تعالى.. هل يرى في الآخرة أو لا يرى؟ وحول القرآن هل هو مخلوق أو قديم..؟ وما أشبه.. ولكن لم نبذل جهداً في التوجيه إلى استثمار خيرات الكون، عمارة الأرض، أخذ دور الريادة بين الأمم، نشر العدل، توحيد الأمة.. مثل هذه المقاصد الأساس لم تأخذ حظها وحقها من البحث والطرح.

مقدم البرنامج: وأنتم - اسمح لي يا شيخ - وأنتم تمثلون طائفة الشيعة في المملكة العربية السعودية، لماذا أنتم لم تبادروا ولم تتقدموا بهذه الطروحات؟ لماذا أيضاً أنتم انسحبتم وراء هذه التفاصيل وضللتهم تناقشوا كما أشبه بأن تجتروها يميناً وشمالاً.. وفاقاً وتحتاً دون أن تصلوا إلى هذه المقاصد النبيلة التي تحدثت عنها؟

ساحة الشيخ: نعم. أتحدث عن الجانب الثاني قبل أن أجيب عن سؤالك. الجانب الأول أيضاً: ضعف الوعي وغلبة التفكير في الجزئيات وفي القشور على حساب المقاصد الأساس للشريعة.

الجانب الثاني: بعض الإرادات السياسية التي حكمت الأمة في بعض عهودها وعصورها، مثلاً: لو قرأنا حول فتنة خلق القرآن التي عانى منها بعض الأئمة والعلماء، كالإمام أحمد بن حنبل وأمثاله، نجد أن حاكماً عباسياً يأتي ويرى القول بخلق القرآن، أو يتبنى هذا الرأي ويضطهد المخالفين في الرأي، ويأتي حاكم آخر ويرى القول بقدوم

القرآن، ويضطهد المخالفين في الرأي، في بعض الأحيان تكون إرادات سياسية لإشغال الناس بهذه الخلافات وبهذه الأمور، قد تكون من بعض السلطات في تاريخ الأمة، وفي بعض الأحيان قد يكون الخارج..خارج الأمة يثيرون هذه الأمور لإشغال الأمة ولإلهائها، لست من الذين يلقون بالمسؤولية على الخارج دائماً وأبداً.

نعم.. الواقع أيضاً حصل مثل هذا الأمر، يعني مثلاً: بعض الأنظمة العربية. حينما يدخل النظام العراقي البائد الحرب ضد الجمهورية الإسلامية في إيران فيكون إثارة المسألة الطائفية جزءاً من مشروعه، ولذلك تحرك إعلامياً وأثار وموّل وغدّى هو ومن تحالفوا معه، غدّوا هذه الإثارات الطائفية في تلك المرحلة، إذاً هناك بعض الإرادات السياسية في بعض الأحيان، تشغل الأمة بمثل هذه الأمور.

مقدم البرنامج: شيخنا.. أراك تتحدث دائماً.. يعني تستخدم التاريخ في الطرح.. تحدثت عن العباسيين، وعن الخلافات الإسلامية، وأيضاً هنا الآن نتحدث عن شيء مضى في القرن الماضي، ونحن الآن في القرن الواحد والعشرين، ونحن في منعطف مهم وحساس وخطير في وضعنا الراهن، نريد أن نتحدث عن الواقع، ما نحن عليه الآن. تحدثت أنت عن ضعف الوعي عند العلماء، وهذا ما يؤسفني ويؤلمني، حينما نتحدث عن ضعف الوعي عند العامة قد...

سماحة الشيخ: طبعاً.. ليس عند كل العلماء. هناك علماء واعون.

مقدم البرنامج: نعم.. قد نقبل أن يكون هناك ضعف ووعي عند العامة، لكن صعبٌ علينا جداً أن نقبل أن هناك ضعف ووعي حتى عند البعض، إذا كان عند البعض عندهم ضعف ووعي، إذاً يخرجوا عن جادة الصواب، ليكون هناك علماء أفاضل قادرين، ثم تحدثت عن الإرادة السياسية، في المملكة العربية السعودية أتصور.. لا أريد أن أصدر لك رأياً إنما أريد رأيك أيضاً في إرادة المملكة العربية السعودية في هذا الانسجام للتعددية هذه.

ساحة الشيخ: نعم. الإرادة تجلت في مظهر مهم جداً وهو الحوار الوطني، الذي دعا إليه سمو ولي العهد. هذا الحوار الوطني دشّن عهداً ووضعاً جديداً في مجتمعنا في المملكة العربية السعودية.

مقدم البرنامج: عهداً جديداً؟

ساحة الشيخ: نعم. على هذا الصعيد..

مقدم البرنامج: يعني لم يكن في السابق؟

ساحة الشيخ: في السابق كانت هناك قطيعة بين أتباع المذاهب المختلفة، يعني مثلاً: بالنسبة لي، باعتباري ضمن المذهب الشيعي لم تكن هناك فرص متوفرة للتواصل مع العلماء والدعاة من أبناء المذاهب الأخرى في داخل المملكة، وأكبر دليل - لعلكم تذكرون - حينما حصل لقاء أثناء الحوار الوطني الأول مع أحد الدعاة، وركبت معه في السيارة أثار ضجة كيف هذا الشيخ الشيعي ركب مع هذا الشيخ المحسوب على المدرسة السلفية؟

وكنت أتعجب لماذا يكون لقاء بين اثنين من المهتمين بالعلوم الدينية الشرعية.. وأبناء بلد واحد يثير هذه الضجة؟!

قبل شهر زارنا في المنطقة أحد العلماء الأفاضل، الدكتور الشيخ عوض القرني. فأثارت زيارته لنا ضجة، وفي لقاءه مع بعض القنوات أخيراً، وفي مقابلة صحفية، لماذا؟ وما هو السبب؟ وكيف زرت؟

مقدم البرنامج: أنا معك في هذه الضجة، لكنني أريد أن أطرح طرحاً.. أنت حينما تتحدث لا تتحدث عن الشيعة، تتحدث عن الطرف الآخر كذا.. أيضاً التهمة إذا كنا أردنا أن تكون تهمة موجهة إليكم لم تبادروا كما لما يبادر الآخرون، لكن الإجابة عن هذا

السؤال، نأخذ اتصالاً من الدكتور عمر كامل.. السلام عليكم يا دكتور..
الدكتور عمر عبدالله كامل: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته..

مقدم البرنامج: سيدي.. كنا نتحدث عن الوحدة الوطنية وتعدّد المذاهب في المجتمع السعودي.. كيف يمكن لنا ونحن مجتمع قاري وفيه تعدّد مذهبيّ كبير ومتعدد، الآخر يرى أن هذا التعدد قد يكون مثلباً أو ثغرة ممكن لأي آخر الدخول إلى هذا الوطن والتغلغل فيه وإهلاكه.. هل بالإمكان دكتور عمر - وأنت رجل متخصص - هل بالإمكان أن يكون هذا التعدد قوة بدل أن يكون ضعفاً؟

الدكتور عمر كامل: نعم.. التعدد هو قوة، والاختلاف كان في الأمة الإسلامية من أول العصور، حتى داخل المذهب الواحد، فأهل السنة مثلاً أربعة مذاهب، هناك اختلافات فقهية، وأيضاً اختلافات بسيطة في العقائد داخل نطاق المذهب الواحد، وكلها مقبول، لكن ما هو الغير مقبول؟ هو المغالاة في إنكار حق الاختلاف، وفي إنكار حق الآخرين في أن يُعبّروا عن آرائهم وعن همومهم.

مقدم البرنامج: ممن المغالاة دكتور؟ من هم الذين يغالون في إنكار هذا الاختلاف؟

الدكتور عمر كامل: في كل الطوائف.

مقدم البرنامج: في كل الطوائف؟

الدكتور عمر كامل: في كل الطوائف. أنا أقول: أن بلوتنا العظمى ليست في العقلاء، وإنما في الجهلة والعوام، الذين يصرون على دفع أمورٍ خلافية بسيطة إلى مجال

العقيدة.

يا سيدي.. الحمقى موجودون ويسببون لنا المشاكل في كل زمان ومكان.
سأضرب لك مثلاً: - ليس في المملكة وإنما خارج المملكة - كنت في إحدى الدول العربية حينما كانت هناك حرب أهلية، وبعد انتهائها مباشرة، لم تكن وسائل التلفون قد عادت بعد، فكان هناك جهاز لا سلكي لكل أشخاص، فوجدت في الجهاز الذي عندي شخص سني يشتم مسيحياً في رموزه الدينية، كالسيدة العذراء وكالصليب وكذلك... فغضبت غضباً شديداً.. لأنه وصل إلى حدّ اللعن وضربت الجهاز في الأرض.

قلت له: يا رجل اتق الله.. السيدة العذراء عندنا مقدسة.. السيدة العذراء أم المسيح.. أم نبي.. هي جزء من إيماننا وعقيدتنا.. كيف تتصرف بهذا؟ قال: هو يشتم.. ووو.. قلت: يا أخي.. إن كان يشتم لا تنزل إلى مستواه...

انظر إلى أي حدّ يقود الجهل يا سيدي نحن..

مقدم البرنامج: لكن - دكتور عمر - إذا كان أولئك الجهلة العامة هم الذين الآن.. يعني ظهر جهدهم في الجهل، لذلك صار هناك ما يسمى بالفرقة بين هذه في التعدد المذهبي..

لماذا لم يكن العقلاء العلماء قوة أكبر وهم العلماء - ليسوا جهلاء - وإنما علماء.. علماء وعقلاء.. لماذا قوتهم ضعفت أمام أولئك الجهلاء؟.

الدكتور عمر كامل: أنا حاولت أن أنشئ جمعية للتقارب والوسطية، وما زال طلبي معروضاً ولدي علماء من جميع مناطق المملكة ومن جميع المذاهب الموجودة في المملكة العربية السعودية، حتى نعمل عملاً وجهداً مشتركاً لإذابة الفوارق وحصرها في حدود - أنا لا أقول بإذابتها - فبعضها لا نستطيع أن نغيره.. ولكننا نستطيع أن نتفق على ٩٥٪.. يا رجل.. ما يضرنا الاختلاف إذا اختلفنا.. الآن أنا - من جانبي - بدأت مشروعاً

في التقارب، فلدي مشروع في الفقه المقارب بين المذاهب الأربعة، والمذهب الزيدي، والمذهب الإمامي ووصلت إلى نتائج، ولكن أحتاج إلى سبعة أشهر، أن المذهب الإمامي في الفقه لم ينفرد برأي مطلقاً، فقد يشاركه مذهب من أهل السنة وكذلك الزيدي لم ينفرد برأي مطلقاً، إنما قد يشاركه في نقطة أخرى مذهب من مذاهب أهل السنة.

أما المشروع الآخر الذي أعمل فيه وأسأل الله أن يعينني.. هو متون الأحاديث المتفق عليها بين طوائف المسلمين، سألجأ إلى المتون بغض النظر عن الأسانيد، وأرى المتون المتفقة في المذاهب السنية والزيدية والإمامية من النصوص التي اتفقنا عليها.. اتفقت عليها المذاهب جميعاً الشيء الكثير.. ولكن هذا الجهد يحتاج إلى تظافر العلماء..

مقدم البرنامج: أنا أتصور - دكتور - طالما أن النيات حسنة بهذه المساحة، أن الله عز وجل سوف يعضد هذه النيات الحسنة، برجال يساندونك في هذين المشروعين، وفي نفس الوقت الآن نشكرك أنك كنت ضيفاً معنا في هذا الطرح. شكراً يا دكتور عمر.

الدكتور عمر كامل: أشكرك.. وشكراً للشيخ حسن، وأشكر كل مخلص ومحِب لوطنه، لأنني أريد أن أقول كلمة واحدة، أقسم بالله الذي لا إله إلا هو، ليس لنا - بعد الله - إلا أن نتعاون ونتكاتف، إن القوم يأتمرون بنا، فيما أن نرتفع إلى مستوى مسؤولية الدفاع عن وطننا في أخطاره المحدقة، وكلنا يعلم ما يحاط بنا وما يحاك لنا، وما يحاط ضد دولتنا وسلمنا وأمننا وحكامنا، والله إن لم نقف صفاً واحداً، سيدخلون من بيننا ويستغلون هذه الفرقة..

ثم ندوق المرار والويلات، وهذه كلمة أقولها مخلصاً لوجه الله.

مقدم البرنامج: شكراً يا دكتور عمر. شكراً يا سيدي الأستاذ فؤاد حصوصة. السلام عليكم..

أستاذ فواز حصوصة: السلام عليكم.. أشكرك على هذا البرنامج الناجح.. وأحيي ضيفك الشيخ الصفار.

أتمنى أن تعطيني وقتاً مثلما أعطيت الدكتور.

مقدم البرنامج: المشكلة باقى دقيقتان وسوف يدخل علينا فاصل فلذلك لا

أستطيع أن أعطيك..

أستاذ فواز: أولاً، سؤالك الأول هل التعددية تعتبر من القوة، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٥٣]. فالتعددية ليست من القوة، بالعكس بل هي - نسأل الله السلامة - من الضعف هذه نقطة. النقطة الأخرى: سألت من المغالين؟ المغالون معروفون الذين يسبون الصحابة رضوان الله عليهم، الذين يشتمون زوجات ﷺ، هؤلاء.. أنت سألت سؤال ليس الاختلاف بالأمر البسيطة، هذه ليست بسيطة هذه في العقائد. الذي يقول أن القرآن الكريم محرف - أعوذ بالله - وهؤلاء مع الأسف عند بعض العلماء لا أحب أن أذكرهم.

مقدم البرنامج: هناك أطروحات وأيضاً أطروحات في المقابل، وطرحك هذا أيضاً

أقبله ولا أريد أن أصادر رأيك أستاذ فواز، ولأن المشكلة كما قلت لك.. الفاصل سيدخل عليّ الآن، وطرحك أنا أقبله. والشيخ حسن سيجيب عن هذه الطروحات، شكرًا يا أخي فواز.

أيضاً الطرح متاح للطرفين الدكتور عمر قال كلام والأخ فواز أيضاً كأنها فهمت من طرحه أنه يشير إلى الطائفة الشيعية، أنها من المغالين وهذا رأيه الشخصي ولا أريد أن أصادره. تفضلوا..

سماحة الشيخ: في البداية أشكر الدكتور عمر كامل على أطروحاته الطيبة، وبالفعل لديّ معرفة بتوجهه لإنشاء جمعية للوسطية والاعتدال، وكتب لي رسالة حول هذا المضمون، وأنا أعدم هذا التوجه، وأرجو أن ينال تشجيعاً من المسؤولين، يمكنه من أن ينشأ هذه الجمعية ويجمع فيها علماء من مختلف المذاهب، ومن مختلف مناطق الوطن،

فتكون مؤسسة عملية أهلية، تتبنى للممة هذا الشمل، وتقف أمام أي محاولة لإثارة الفتنة وإثارة الخلافات، والمشروع الفقهي أيضاً كان مشروعاً طيباً، اطلعت على مشروعه الجداول الفقهية ووجدته كتاباً قيماً يتضمن آراء مختلف المذاهب، وهو الآخر يكرّس حالة الوحدة ويعيد الخلاف إلى مساره العلمي، بدل أن يكون ضمن ساحة الصراع والنزاع، أما الكلام عن أن الشيعة عندهم غلو ومغلاة، أنا أقول أننا لا نبرئ أحداً، كل أبناء الأمة وطوائفها، فيها عقلاء معتدلون وفيها جهلاء متطرفون، هذا موجود في كل المذاهب وكل الأطراف..

مقدم البرنامج: نتكلم عن الدكتور عمر كامل فيما يتعلق بأن المشكلة في الجهلاء وليس في العقلاء والأمة العربية والأمة السعودية أمة كبيرة ولديها القدرة في أن يتفوق العقلاء على الجهلاء، لماذا هذا اللاتوازن، أن الجهلاء هم الذين طغوا على العقلاء. نأخذ الفاصل ثم نعود إليك.

فاصل

مقدم البرنامج: الأخ فواز - شيخ حسن - كان يتحدث قبل الفاصل
- الأخ فواز حصوصة- حينما سألت من المغالين في إنكار.. لا أدري
سؤالي كان..المغلاة في إنكار حق الاختلاف؟ فتحدث وقال: أن هناك
من.. يعني معروفون، وهم الذين يسبون الصحابة ويقولون: (في القرآن
تحريف)، أنا كان سؤالي في البداية أنه كنت تلقي دائماً التبعية، أن هناك
جهات أخرى أو أطياًفاً أخرى هي التي تقصر ولديها.. أيضاً الطائفة
الشيعية لم تتحدث عنها ولم تنتقدها بما هو ينبغي لها أن تكون ما هو
دورها في ذلك الشيء؟ دورها فيما تفضل.. ما قاله الأخ فواز عن سب
الصحابة وتحريف القرآن.

ساحة الشيخ: في الواقع أخي الكريم.. إذا أردنا أن ننساق إلى تبادل الاتهامات، أنا أسجل اتهاماتي ضد بعض المتطرفين السنة، والأخ يسجل اتهاماته ضد بعض المتطرفين الشيعة، فهذا يعني أننا وقعنا في الفخ الذي يريده المتطرفون من الجانبين، ولذلك أنا من رأيي أن نتجاوز هذا الأمر، وأن نتحدث حول الخروج من هذا المأزق الذي تعيشه الأمة.

مقدم البرنامج: يعني تتفق أن هناك مغالين في الطائفة الشيعية.

ساحة الشيخ: نعم.

مقدم البرنامج: يتحدثون بهذا القول وهناك أيضاً مغالاة أنا - كما تفضلت - هناك

مغالون يتحدثون بهذا الطرح.

ويبدو أن الاتصالات شيخنا... لكن نأخذ الاتصال لو سمحت لي.

أستاذة منال: سلام عليكم..

مقدم البرنامج: أهلاً وسهلاً سيدتي.. تفضلي..

أستاذة منال: أنا أحب أن أطرح أطروحة صغيرة، أفضل أن لا نتكلم عن أي نوع

من اختلاف طوائف أو أية اختلافات.. كلنا عرب كلنا مسلمون، كلنا نخاف الله، نعيش

في أمن وأمان، وهذا الشيء نحمد الله عليه. يتهيأ لي ما دمنا ننتمي لأرض واحدة، فكلنا

واحد، هذا هو رأيي في الموضوع.

مقدم البرنامج: جميل أخت منال.. تفضلي..

ساحة الشيخ: قسم من الأمور التي تثار في هذا السياق ناشئة عن سوء فهم،

ذلك لأننا لم نقرأ بعضنا بعضاً بشكل مباشر دائماً، وإنما نعتمد على نقولات تراثية، وعلى

نقولات تاريخية، وعلى كتابات كتبها متطرفون من هذا الطرف وذلك الطرف، وهي التي

ظهرت، وخذ مثلاً عن ذلك الكلام عن تحريف القرآن: كتب الشيعة عشرات الكتب

حول هذه المسألة، وأعلن علماءهم آراءهم واضحة جلية في هذا السياق، ولكن مع ذلك

في كل لقاء، في كل مقابلة في كل مجلس يطرح هذا الموضوع، وهذا يذكرني بقصة - لعلها أسطورية - عن ذلك الرجل الذي دخل إلى مدينة، فرأى جنازة تُشيع، ولكنَّ المحمول على النعش يرفع رأسه بين فترة وأخرى ويقول: يا جماعة أنا حيّ! كيف تأخذوني إلى المقبرة وتدفنوني وأنا حيّ؟! ولكنَّ قاضياً كان أمام المشيعين يقول لهم: لقد شهد شاهدان عادلان بموته فهل نكذبهما ونصدقه؟! اذهبوا به وادفنه.

أخي العزيز، واقعنا هكذا، علماء الشيعة يصرّحون: بأننا لا نقبل ولا نقول ولا نجزئ ونرفض القول بتحريف القرآن، وأن من قال بذلك هو رأي شاذ رفضه البقية، وأعلنوا رأيهم، الشيعة لهم الآن إذاعات تقرأ القرآن، ولهم أبناء يشاركون في حفظ القرآن، ويشاركون في المسابقات الدولية في حفظ القرآن، ولهم تفاسير مطبوعة في تفسير القرآن، ويستدلون على عقائدهم وعلى فقههم من القرآن، فهل لديهم حكم يستدلون عليه بأية ليست موجودة في هذا القرآن المتداول بين المسلمين؟!!

مقدم البرنامج: إذا.. هذا الطرح السطحي؟ لماذا؟

ساحة الشيخ: أحستتم.. ومشكلتنا كلما جئنا لكي نتحدث عن التقارب، وعن التعايش.. وعن تحقيق الوحدة الوطنية، ينبري أشخاص عبثت أفكارهم، وفي بعض الأحيان - أنا لا أتهم الأخ الكريم المتصل - ولكن لدي معلومات بأن هناك أشخاصاً هم بالمرصاد لأيّ شخص يدعو للحوار، لأيّ برنامج ينشر الحوار والتعاون، يتداخلون ويتحدثون بهذه الأمور، من أجل تخريب هذا الطرح الوجدوي، ولذلك مع أنني أؤمن بحرية التعبير عن الرأي، ولكنني أقول لعلنا نكتشف أن هؤلاء الأشخاص هم أشخاص محدودون، تديرهم جهات معينة، هؤلاء بالمرصاد دائماً وأبداً، يطرحون هذا الكلام، بمجرد أن يكون حديث عن وحدة وطنية.. ووحدة إسلامية، يثيرون مسألة تحريف القرآن، سب الصحابة..

مقدم البرنامج: سب الصحابة.

ساحة الشيخ: زوجات الرسول يا أخي.. ألم ننته من هذا الموضوع؟

مقدم البرنامج: ستجيب عن هذا السؤال لكن لنأخذ اتصالاً.. الأخ حسن، من

تونس.. سلام عليكم.. أهلاً وسهلاً..

الأخ حسن: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. بودي أن أسأل شيخنا شيخ

حسن، ونهنته بعيد الفطر المبارك.

ساحة الشيخ: شكراً.

الأخ حسن: وأهنئ الأمة الإسلامية كلها جمعاء إن شاء الله ونسأل الله سبحانه

وتعالى أن يعيد العيد المبارك.. علينا وعلى الأمة الإسلامية بالوحدة والنصر.

شيخنا العزيز.. ألا ترون الوحدة الإسلامية أو بالأحرى التفاعل والتكاتف

والتآزر بين أحداث وتطلعات المسلمين كافة من سنة وشيعة، تقتضي إيجاد حركة ثقافية

فاعلة وواعية في الأمة من مخلصي هذه الأمة؟ مع العلم أن هناك طبعاً متعصبين.. من

كلا الطرفين سنة وشيعة. الذي يهمننا في الحديث بعض الشيعة المتعصبين، طبعاً.. ربما

يتناولون الصحابة والتاريخ الإسلامي بشيء من الأذى، وبعض كذلك من متعصبي

الطرف الآخر الذي هو السنة، مع العلم أني كنت من معتنقي المذهب السني والآن

على المذهب الجعفري، والحمد لله رب العالمين، بدون تعصب أقول هذا الكلام بدون

تعصب، خلال مروري بتلك الفترة الأولى والثانية وخاصة حالة الانتقال، تلقينا سباً

وشتماً وعداءً صارخاً جداً من بعض المروجين، وأنا أقول بعض، وليس كل ونحن في

شمال أفريقيا، لكن إن كان في شمال أفريقيا أقول أن داخل عليها عقيدة أخرى أو فكر آخر

أو تذهب آخر، لأنها، كل شمال أفريقيا في العادة تتمذهب بالمذهب السني، فما بال إخواننا

في الشرق المتعايشون من قديم الزمان منذ بزوغ فجر الإسلام إلى الآن، ما زالت الدوافع

والحوافر بين مذهبين عريقين في الأمة، وكلا الطرفين يريدان العمل لصالح الأمة، هل

يستطيع شيخنا حسن الصفار - أكرمه الله وجزاه خير- أن يعطينا بعض الدوافع كيف نعيش كمتشيعين أو متمذهبين لمذهب أهل البيت سلام الله عليهم؟ في مناطق نائية ربما عن العلماء، وهذه مصيبتنا نائية عن العلماء، قليلاً.. ليس لنا اتصال مباشر بعلماء لكلا الطرفين، لأن حتى الطرف الموجود هناك.. يرفض أن يذهب من مذهب لمذهب آخر لينصحه.. كيف نستطيع أن نلم الجراح بدون إيجاد ذلك التفاعل الثقافي والحضاري بين الأمة؟ وجزاكم الله خيراً..

مقدم البرنامج: شكراً أخ حسن.. فيه اتصال آخر.. الأستاذ.. محمد باقر النمر سلام عليكم..

الأستاذ النمر: وعليكم السلام ورحمة الله.. حياك الله أستاذ كمال.. تحية لك ولضيفك سماحة الشيخ حسن الصفار..
مقدم البرنامج: أهلاً وسهلاً..

الأستاذ النمر: في الحقيقة كل شخص يعتقد أنه على حق في هذه الدنيا، حتى أصحاب الديانات والمذاهب الأخرى غير السماوية، حتى الهندوس وعبدة البقر في الهند، وفي تلك المناطق يعتقدون أنهم على حق.. حتى أولئك في الهند يعتقدون أنهم على حق، وأن لديهم من الأدلة ما يبررون به ويدافعون عن عقائدهم التي يجاهرون بها، أما الشيعة فيقوم البعض بمحاسبتهم بما يقوله الآخرون عنهم أو بعض الأسلاف، كما حدثت المداخلة التي دخل بها الأخ فواز وكثيراً من المداخلات التي من هذا النوع، الآخرون يقولون عن الشيعة:

أنهم يحرفون القرآن، طيب ولكن في المقابل هم الشيعة أنفسهم لا يقرون بذلك وأمام الملأ وفي العلن، وكما أشار سماحة الشيخ في مساجدهم في إذاعاتهم في كل أماكنهم، يعني لا يوجد لديهم إلا هذا القرآن الذي بين الدفتين، وهكذا في أمور أخرى أيضاً، وحتى في سب الصحابة أيضاً، هم لا يسبون الصحابة بهذا العنوان وبهذا المعنى وبهذه

الإثارات التي تثار من قبل الآخرين عليهم.. هذه فقط مداخلة بسيطة..

عودة إلى موضوعكم، هو في الحقيقة موضوع مهم جداً، في وقت مهم ومناسب جداً جداً.. في الوقت المناسب، حول موضوع التعددية أو الدول التي تفتخر بالتعددية وبالأثنيات معتبرين ذلك أنه من نقاط قوتها لا ضعفها، كما هو الحال في دولنا العربية، لكن الصحيح أن ذلك يشكل مصدر قوة بمقدار قوي ومقدار كبير، لا مصدر ضعف لتلك الأمم. أوروباً التي توحدت وهي على غير دين وعلى غير لغة..

أنا في الحقيقة من خلال هذا البرنامج، ومن خلال برنامجكم الطيب، ندعو حكومتنا - المملكة العربية السعودية الرشيدة وفقها الله - إلى الدعوة العلنية والصريحة لمؤتمر حوار بين المذاهب، على غرار مؤتمر الحوار الوطني وغيره، يشارك فيه كل المذاهب القائمة في المملكة وتجاوز فردية المذهب الواحد، أو المذاهب الأربعة، ففي المملكة مذهبٌ خامس وهو المذهب الجعفري، ومذهبٌ سادسٌ المذهب الإسماعيلي، ليسوا بدعاً أو أنهم نكرات، لكنّ ثقلهم السكاني والجغرافي وتاريخهم العريق، الدول الأخرى التي دعت إلى مؤتمرات بهذا العنوان ليست أولى من المملكة العربية السعودية بدعوتها تلك.

مقدم البرنامج: أستاذ محمد أنا أشكرك كثير جداً ولدي اتصالات كثيرة جداً.. وسماحة الشيخ يبدو أن الناس.. يحبونه جداً، وشكراً أخي محمد.. غازي السلام عليكم..

أستاذ غازي: السلام عليكم، مساء الخير أخي العزيز.. وأمسى بالشيخ حسن.. أخي الكريم أنا لست أكاديمياً أو شخصاً لي وضعي في جامعة أو أي مكان أكاديمي، حتى أتكلم بشكل أكاديمي فيه أطروحات أو أو، إنما أنا شخص أتكلم عن شيء أنا عايشته أو شيء رأيته، خصوصاً وأنا أدرس في كلية ثلاثة أرباعها من الشيعة في المنطقة الشرقية، فبصراحة ألاحظ أن في الشباب الذين أنا أقابلهم من المذهب الشيعي، ألاحظ أن في غرس مبكر، غرس من الصغر على الشيء.. ضد الشيء الذي تكلم عنها

الشيخ.. الشيء الذي تكلم عنه الشيخ.. الوحدة والتكافل الخ، ولكن هذا الشيء ممكن أن نلاحظه في قليل في ثلة من الذين أنا رأيتهم أمام عيني.. فالشيخ، هذه نقطة، ونقطة ثانية ربما تكون صحيحة وربما تكون خاطئة، الشيخ حسن يتكلم عن ضرورة الوحدة وو الخ، ولماذا يرى أن الأشياء الرئيسة في ديننا يرى أن لا نتكلم عنها، وأنها قشور، وأنها تسبب الفرقة وأنها..

نحن نعرف أن حكم سب الصحابة هذا شيء رئيس في الدين.. الذي يسب في حكم شرعي..

مقدم البرنامج: سيجيبك الشيخ حسن في هذه النقطة، فيما يتعلق بعدم غرس الوحدة. كما تفضلت في شباب الجامعة، وأيضاً فيما يتعلق في عدم الوحدة. الشيخ حسن الأسئلة كثيرة جداً وأخرجتني عن محاورتي التي أريدها.. تفضل سيدي..

سماحة الشيخ: نعم.. لدي تعليقان:

- التعليق الأول: عما ذكره الأخ من تونس الأخ حسن من تونس جزاه الله خيراً، لدي تعليق فيما يرتبط في مسألة الانتقال المذهبي من مذهب إلى آخر، أنا أعتقد أن الإسلام هو بيت جامع، والمذاهب غرف في داخل البيت، انتقال الولد من غرفه إلى غرفة في بيت أبيه، ليس مشكلة المهم أن لا يخرج خارج البيت.. أما أن ينتقل من هذه الغرفة إلى غرفة أخرى، لأنه يراها أنها أوسع، أنها أكثر ضياءً أو ما أشبه ذلك.. حسب رؤيته الشخصية.. حسب قناعته.. أنا لا أؤيد الجهود والمؤسسات التبشيرية، لأن التبشير بين المذاهب، تحويل الناس من مذهب إلى آخر على شكل مؤسسة وتبشير، هذا يثير مشكلة ويثير فتنة.. لكن أيضاً، ليس من حقنا أن نقمع الآراء والقناعات، إذا إنسان شيعي حصلت عنده قناعة بأن يصبح سنياً فليكن، ما خرج من بيت الإسلام، إنسان سني حصلت عنده قناعة أن يكون شيعياً فليكن، ما خرج عن بيت الإسلام، فلا ينبغي أن تكون عندنا حساسية تجاه هذا الأمر، ولكنني أنصح الأخ حسن، أن بعض من يتغيرون في مذهبهم يطرحون

تغيرهم بشيء من الحدية التي تثير عوائلهم، إخوتهم، أقرباءهم، أصدقاءهم، وهذا غير صحيح..ينبغي ألا تكون هناك إثارة، وينبغي أن لا يكون هناك طرح حاد، أنت لك قناعتك، ولكن لا يتحول انتقالك المذهبي إلى مشكلة في عائلتك، ولا يتحول إلى مشكلة في مجتمعك.

وأقول هذا الكلام لأيّ سني يصبح شيعياً أو لأيّ شيعي يصبح سنياً، لأننا في بيت واحد وعندنا ما ينبغي أن نهتم به أكثر من هذه الحالة.

مقدم البرنامج: صحيح..الأخ غازي من جيزان، يقول أنه درس في المنطقة الشرقية، فيها مجموعة كبيرة من الشيعة لدى الشباب، عنده إحساسه، إحساسهم وتعايشهم يختلف عن الطرح الذي تريده، فيما يتعلق بالوطنية.

سماحة الشيخ: لا أستطيع أن أعلق على هذا الكلام..لأنني شخصياً أستقبل شباباً من الشيعة، يكون شيئاً آخر مخالفاً، وأنا لا أريد أن أعلق على هذا الأمر.. هناك متطرفون قلت من مختلف الطوائف.. أما من العقلاء إذا أردنا أن نتكلم عن واقع المواطنين الشيعة في المملكة العربية السعودية مثلاً، المواطنون الشيعة في المملكة العربية السعودية لم تصدر منهم كعلماء وكرموز شيء من الإساءات للآخرين، ليس عندنا عالم ألف كتاباً فيه إساءة لأهل السنة، أو إساءة لرموزهم، ليس عندنا ما نمارسه وفيه إساءة إلى الآخرين، بالعكس علماءنا كتبوا كتابات وقدموا مبادرات يدعون فيها إلى التعاون والوحدة.

مقدم البرنامج: أي قناة توصلكم لاتجاه الآخر؟

سماحة الشيخ: هنا المشكلة!! حينما يشعر الناس بأنه ليس لديهم فرص أن يتواصلوا مع الآخر، لأن حرية التعبير عن الرأي بالنسبة لهم محدودة، العالم السني أو العالم السلفي لديه حرية أن يعبر عن رأيه في وسائل الإعلام.

ولكن العالم الشيعي بمقدار ما هناك فرصة فإني وأمثالي من طلبة العلوم الدينية

ومن المهتمين بهذا الشأن يبذلون جهوداً طيبة.

مقدم البرنامج: هذا ما سأناقشه معك بعد الفاصل.

جاءني فاكس من الأخ أبو عبد الله.. عبدالله.. لكن الفاكس لم يكن واضحاً، المهم.. شيخ حسن أنا لست سعيداً، للأمانة.. لأن.. لم أكن أشأ أن يدخل الحوار في جدلية، دعنا نسميها مهاترة ما بين الشيعة والسنة، لم أشأ أن يكون الحوار بهذا المفهوم، كنت أبحث أن تكون هذه التعددية مفهوم قوة وليس مفهوماً للتفتت، إذا قال الأخ قال كذا وكذا فهذه من وجهة نظري الشخصية سفسطة، ليس لها داعي وليس لها وجود في تعميق الاندماج الوطني والوحدة الوطنية.

سيدي الكريم.. هناك من يتخوف من الأمريكان أن يستخدموا هذا الخلل البسيط في التفاصيل ما بين السنة والشيعة لأن تكون لهم قدم عنيفة في المنطقة، وأيضاً لو لاحظت التقرير عن الخارجية الأمريكية الذي صدر مؤخراً، كان إشارة أو يشير إلى حرية الأديان، لكن بشكل أو بآخر كان يشير إلى الطائفة الشيعية، موقفكم من هذا الطرح مؤخراً!.

سماحة الشيخ: هذا هو السؤال المهم.. ما يجب أن ننشغل به ليس الحديث عن

الماضي ولا الكلام عن المهاترات، ماذا نصنع مع واقعية هذا الاختلاف الموجود؟

سواء نظرنا إلى أن هذا التعدد حسن أو غير حسن، ولكنه واقع موجود، لا نستطيع إلغائه، ولا نستطيع التنكر له، كيف نخفف من سلبيات هذا الواقع عند من يرى أنه واقع سلبي؟ وكيف نستثمر هذا الواقع عند من يرى أنه مصدر إثراء وقوة؟.

أنا أعتقد أن الآخرين من أمريكيان وغيرهم لهم مطامع، ولهم مصالح، وهذا أمر طبيعي عند كل القوى الموجودة وكل الدول، وهم يحاولون أن يخدموا مطامعهم ومصالحهم بكل سبيل، والأمة الإسلامية - الآن - تعيش وضعاً خطيراً حساساً، نرى ما يحصل في فلسطين ونرى ما يحصل في العراق، ونرى ما حصل في أفغانستان، لذلك من الطبيعي أن يفكر الآخرون في أن ينفذوا من أي ثغرة يجدونها في بلادنا وفي كل بلدان

المسلمين، وخاصة بلادنا.. فهي مستهدفة لأسباب معروفة وواضحة، لما تمثله من ثقل في العالم الإسلامي، وعلى المستوى الدولي.

مقدم البرنامج: فما هو دوركم؟

ساحة الشيخ: دورنا جميعاً.. المسؤولية لا تلقى على طرف واحد، المسؤولية مسؤولية مشتركة للجميع، أولاً: الواعون والعقلاء من الشيعة والمواطنون الشيعة أعلنوا رأيهم بكل صراحة في هذا الأمر، أعلنوا ولائهم لوطنهم، أعلنوا ولائهم لدينهم، في كل المناسبات والتحديات التي مرت على هذا الوطن، لو قرأنا تاريخ المواطنين الشيعة منذ قيام هذا الكيان، كانوا من أول المبادرين للدخول إلى هذا الكيان الشامخ، الكيان السعودي، دون حرب ودون ممانعة، بل هم دعوا الملك عبد العزيز لكي يأتي إليهم، ولكي يسلموا إليه زمام أمورهم، وكانت منطقتهم منطقة ثرية، فوظفوا كل إمكانات منطقتهم في خدمة هذا الكيان، وحينما تدفق النفط في المنطقة الشرقية على أكتافهم وسواعدهم بالتعاون مع بقية أبناء الوطن، لكن النسبة الأكبر كانوا أبناء المنطقة، هم الذين قامت على أكتافهم شركة أرامكو، وقامت الصناعات النفطية، وهذا واجبهما الوطني وفي كل التحديات كان موقفهم واضحاً وصريحاً في هذا السياق، المطلوب أمران:

الأمر الأول: إيقاف التعبئة والتحريض من الطرفين من السنة والشيعة، إلى متى نستمر؟! الشيعي يعبأ جمهوره والسني يعبأ جمهوره، أقصد المتطرفين، ينبغي أن تجرم أساليب التعبئة والتحريض على الكراهية، صدور فتاوى ضد الشيعة أو صدور سب من بعض المتطرفين الشيعة ضد بعض رموز السنة من الطرفين، يجب أن يجرم هذا الأمر.

مقدم البرنامج: لماذا لا تبادروا أنتم في هذا الشيء..؟

ساحة الشيخ: نعم.. حصلت هذه المبادرة، ونحن نطلب أن تُعمم من الناحية

الرسمية، أن يأتي شخص وفي الجريدة يتحدث، ويخرج الشيعة من دائرة الإسلام ويمر كلامه مرور الكرام ولا يُعترض عليه! هذه تعبئة مرفوضة.
 أن يتحدث داعية إسلامي في قناة مشهورة ويقول إننا نكفر الشيعة الذين يقولون بأن الرسالة كانت لعلي بن أبي طالب وبالخطأ ذهبت إلى رسول الله، عن أي شيعة يتحدث هذا الداعية؟.

مقدم البرنامج: عن أولئك الذين يقولون هذا القول؟

سماحة الشيخ: ليس هناك من يقول هذا القول..أتحدى أن يثبت أن هذا الكلام موجود في كتاب من كتب الشيعة، أو قال به شخص من أشخاص الشيعة.
 مقدم البرنامج: ولو كان متطرفاً.
 سماحة الشيخ: ولو كان متطرفاً.

مقدم البرنامج: قبل قليل قلت أن هناك متطرفين؟

سماحة الشيخ: يتطرفون في الإساءة إلى بعض الرموز والصحابة، أما يتطرفون في الإساءة إلى رسول الله لا يوجد شيعي هكذا!!

مقدم البرنامج: ومن يتطرف في سب رموز إسلامية من الصحابة؟

سماحة الشيخ: هذا أقول..متطرفون ويجب أن نقف أمامهم..
 لكن أن يأتي داعية وهو يتحدث عن فقه الواقع ويقول الشيعة الذين يقولون أن الرسالة نزلت إلى علي، من هم هؤلاء الشيعة؟! هذه تعبئة وتحريض، فليقل لنا الشيعة في البلد الفلاني، في الكتاب الفلاني، قاله الشخص الفلاني، أما أن يقول الكلام هكذا ويعبئ جمهوره بهذا الكلام.

مقدم البرنامج: ألا تعتقد..أنكم تتحدثون في وادي وأنهم في وادي؟

ساحة الشيخ: نعم..نحن نستمع إليهم، قد يكون هم لا يستمعون إلينا.

مقدم البرنامج: ولماذا لا تذهبون ليستمعوا إليكم؟

ساحة الشيخ: نحن نذهب.يعني الآن في هذه الفرصة، وبعد الحوار الوطني أتحت الفرصة لكي نذهب ونتواصل وبمقدار ما تكون الفرصة متاحة، في بعض الأحيان لا تكون الفرصة متاحة، هناك بعض المشايخ نتواصل معهم ولكنهم هم لا يريدون التواصل معنا، مع ذلك أنا لا أريد أن ينحو حديثنا بهذا المنحى، أنا أقول:

أولاً: أن يكون هناك إيقاف للتعبئة من كل الأطراف.

وثانياً: توفير أجواء التواصل والحوار.

وهنا الدولة تتحمل مسؤولية كبيرة، ومبادرة سمو ولي العهد كانت مبادرة رائعة، ولكن هذه المبادرة في اللقاء الأول واللقاء الثاني ناقشت هذه المواضيع، الوحدة الوطنية، وضد الغلو والتطرف، ولكنها من المؤتمر الثالث والمؤتمر الرابع، - وهذه وجهة نظري - أخذت تناقش قضايا يمكن أن تناقش في منتديات ثقافية، الحوار الوطني نريده أن يناقش العلاقة بين هذه الأطياف، وأن يخرج بآراء تأخذ طريقها للتنفيذ والتطبيق.

مقدم البرنامج: ما هي الآلية؟

ساحة الشيخ: الآلية سبق الحديث عنها في مؤتمر الحوار الوطني الأول والثاني أن تكون هناك لجنة، يعني هذا اقتراح طرحته وقدمته، أن تكون هناك لجنة أو أشخاص يُختارون من كل الأطياف، ويجلسون مع بعضهم البعض ويضعون سبل ومقترحات يقدمونها للدولة، لتصلب الوحدة الوطنية، وتجاوز هذه المشاكل والدولة أيضاً تقوم

بدورها في تنفيذ ما تراه مناسباً من التوصيات.

مقدم البرنامج: ماذا يقف حيال هذه الآلية؟

ساحة الشيخ: طبعاً المسؤول لعله يرى أشياء نحن لا نراها، أنا كمواطن من موقعي أقترح، ولكنَّ المسؤول الذي في موقع القرار يرى مساحة أوسع ويرى أموراً أخرى قد لا أعرفها أنا شخصياً، ولكن هذا لا يمنعني عن تكرار الطرح، وعن تكرار الطلب، أنا أدعو أن يكون هناك توجه جاد للقاءات جادة بين العلماء من مختلف الأطياف وبين المفكرين، وليس العلماء فقط، لا نترك المسألة فقط على كاهل العلماء.

مقدم البرنامج: هناك كانت مبادرة من الدكتور عوض القرني الذي صادفتموه في منطقتكم.

لماذا أيضاً لا تكون مبادرة أيضاً منكم للجلوس للأخوة السنة؟

ساحة الشيخ: نحن دعونا الدكتور عوض، واستضيفناه، وأنا على أتم الاستعداد أن أدعى في أي منطقة.

مقدم البرنامج: هل تنتظر دعوة؟

ساحة الشيخ: وإلا كيف؟.

حتى تكون هناك فرصة، يعني أنا قد أزور شخصاً في بيته هذا أصنعه، أما أن ألتقي مع مجموعة، مع جمهور هذا يحتاج إلى تهيئة، كيف أنا أستطيع أن ألتقي مع جمهور في القصيم؟ أذهب إلى المسجد وأدخل عليهم؟

مقدم البرنامج: لا..لا..هناك أيضاً رموز موجودين في القصيم أمثال

الدكتور سلمان العودة علاقتكم على حسب ما شاهدنا أنها علاقة طيبة بينك وبين سلمان العودة، باتصال هاتفي مع سلمان العودة، أنا يا سيدي الكريم.. جئت عندكم في القصيم لأتحدث إليكم هل يمنع؟

سماحة الشيخ: لا يمنع هذا.. اللقاء الشخصي لا يمنع، ولكن تهيئة أجواء للقاء يتجاوز الشخص. جلسنا كأشخاص جلسنا مع بعض، وبصراحة أقول: وجدت أن هناك - عند بعض الدعاة والعلماء- تهيئاً من جمهورهم، وقالوه لي بصراحة قالوا: إن الأجواء عندنا بعد غير مهيأة، ويجب أن نتدرج.

مقدم البرنامج: هل تعتقد أن العلماء يخشون هذا؟

سماحة الشيخ: أنا لا أقول كلهم، البعض منهم صارحني بأنه يخشى، وصارحني بأن الأجواء عنده لم تهيأ بعد، ورأيت من بعضهم أنه في الغرفة يقول لي كلاماً إيجابياً، ولكنه في القناة الفضائية وعلى الملأ، يقول كلاماً أقل إيجابية، أو قد يكون سلبياً! لماذا؟ يقول: مراعاة للوضع وللأجواء العامة، أنا لا أريد أن أتكلم عن الآخرين، وبالنسبة لي شخصياً أنا مستعد، وجمهوري أيضاً في المنطقة الشرقية، الجمهور الشيعي ليس جمهوري كشخص، ليس هناك ما يحول دون مجيء أحد العلماء أي أحد من الدعاة، وأن يأتي ويتكلم، بل نحن ندعوهم ونُلح عليهم في الدعوة، ولكن بالنسبة لهم هم أعرف بظروفهم، لحد الآن هم يقولون الأجواء لا تزال بحاجة إلى تهيئة، هم أعرف بظروفهم.

أنا أجدد الدعوة من خلال هذا البرنامج الكريم إلى أننا ينبغي أن نرتقي بمستوى من هم حولنا، ولا نخضع إلى المستوى الذي حولنا ويحيط بنا، إن كان فيه شيء من الإسفاف، أو شيء من الانخفاض، ونأمل أن يدعم المسؤولون هذا التوجه حتى نقف صفاً واحداً، وحتى نمنع مثل هذه الفرص على الأعداء، فأنا من هذا البرنامج مرة أخرى أقدم الدعوة، ومرة أخرى أطلب وألح في هذا الطلب، لأنني أشعر بأن الظروف التي يمر

بها الوطن وتمر بها الأمة - كما نرى ونلاحظ ونشاهد- تستدعي منا الاستنفار وحالة الطوارئ، أما أن نتظر ونترث وتدرج، الآخرون لا ينتظرون!

مقدم البرنامج: أي تدرّج؟ ألف وأربعمائة سنة، أي تدرج بعد ألف وأربعمائة وخمسة وعشرين سنة أيضاً؟

أنا أقول: لدينا دين ولدينا وطن، إذا اختلفنا في خمسة في المائة، كما تفضل الدكتور عمر في الاختلاف وخمسة وتسعين متفقين، يعني نتمسك بالخمسة في المائة في الاختلاف وينهار الوطن - لا سمح الله - يقول لك أنه يختلف معك في الأصول ولذلك لا نريد الحديث معهم.

يا سيدي الكريم هناك وطن، لماذا لا تكون هذه الرؤية أيضاً عند الأخوة الشيعة؟ لماذا لا تكون هي الرؤية الأقوى؟ ليست فقط مناداة، ليست فقط شعار يردد لديكم، إنما ممارسة كما تفضلت أن مفهوم الوطنية تأتي من شعور ومن جانب قانوني وجانب سلوكي السلوك أيضاً.

ساحة الشيخ: نعم..أخي الكريم..لا يغيب عنك، أن الشيعة ليسوا هم في موقع التأثير، وليسوا هم في موقع القرار، موقع التأثير وموقع القرار ليس بيدهم.هم ليست لديهم مؤسسات رسمية تمثلهم، ليست لديهم أجهزة ثقافية وإعلامية ودينية تمكنهم من أن يقوموا بمبادرات من هذا القبيل.

مقدم البرنامج: الإعلام متاح شيخ حسن!

ساحة الشيخ: ليس متاحاً إلا بمقدار معين.

مقدم البرنامج: أنت الآن في برنامج إعلامي تتحدث بكامل الحرية!

ساحة الشيخ: جزاك الله خيراً، وأنا أشكرك عليه، بمقدار ما أتاحت لي هذه

الفرصة، أنا أتحدث على هذا الصعيد، ولكن أقول أنت تطالب الشيعة، وأنا نفس الشيء، أشعر بأننا جميعاً مسؤولون، كل إنسان بمقدار إمكاناته وقدراته.

مقدم البرنامج: هل أنت راضٍ عن الدور الشيعي؟

سماحة الشيخ: أنا أتطلع إلى دوراً أكبر، الدور الشيعي في حدود الإمكانيات والظروف المتاحة لهم، أراه دوراً طيباً، ولكن أرجو أن تتاح لهم فرص أكبر لكي يمارسوا دوراً أوسع، إن شاء الله.

مقدم البرنامج: سيدي الكريم.. أنا أتمنى أن يكون بالقدر التي تواجهونه أيضاً أن تكون لديكم القدرة أيضاً في زيادة هذا الدور، أنتم وطيون وأنتم مسؤولون عن بلدكم، وأنا رجل سني وأتحدث إليك كرجل شيعي، أنا مطالب بالدفاع عن وطني وأنت مطالب بالدفاع عن وطنك بنفس المستوى لا تزيد عني شعرة ولا أزيد عنك شعرة.

سماحة الشيخ: يجب أن يكون تساوي في الحقوق والواجبات وأمامك كتيب كتبه طرح مبادرة نحو علاقة أفضل بين السلفيين والشيعة.

وهذا الطرح أنتظر جواباً عليه، ونشرت قسماً منه في بعض الجرائد، كجريدة الشرق الأوسط وانتظرت رداً وانتظرت جواباً، وحتى أن أحد الكتاب كتب في الشرق الأوسط بعد مقالي هذا أنني أريد أن أسمع رأي الطرف الآخر.

مقدم البرنامج: إن شاء الله يا شيخ حسن وانتهى وقت البرنامج. شكراً أستاذ حسن وكل عام وأنتم بخير.

حوار مع جريدة القبس الكويتية^(١)

الشيخ حسن الصفار لـ القبس: هناك متطرفون في جميع المذاهب

القطيف: جاسم عباس

التقت «القبس» الشيخ حسن بن موسى الصفار من مؤسسي الحركة الإسلامية في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، فكانت مناسبة لحوار صريح حول ظاهرة التطرف التي برزت في المدة الأخيرة، والعلاج المطلوب. وفيما يلي نص الحوار:

بعد الانفتاح في الأفق العام، ما تصوراتكم عن العلاقات البينية في المجتمع السعودي؟

الشيخ الصفار: لقد تجاوزت هذه العلاقات مرحلة القطيعة والتشنج، وبدأ السير على طريق التواصل والحوار، وقد دشّن مؤتمر الحوار الوطني (انعقد أول لقاءاته بتاريخ

(١) القبس: جريدة يومية كويتية، عدد رقم ١١٣٦٠ في ١٥ ذي الحجة ١٤٢٥هـ - ٢٥ يناير ٢٠٠٥م.

١٥/٦/٢٠٠٣ في الرياض) هذه البداية وهذه الحقبة ستبقى انعكاساتها راسخة داخل مختلف الأوساط والأطراف، فهناك متطرفون في كل المذاهب، وهناك من لهم مصلحة في استمرار الصراع والخلاف، وثمة سوء فهم لبعض القضايا الدينية في التعامل مع الرأي الآخر، كل هذا يدفعنا لأن نكون واقعيين في توقعاتنا، فنحن في بداية الطريق، وأمامنا مشوار لا يخلو من المطبات والعراقيل، لكننا نراهن على همة الواعين المصلحين، وعلى اتساع رقعة الثقافة والوعي، وأن تضاعف الدولة رعايتها لهذا التوجه الوحدوي.

ما أهم نتائج اللقاءات الفكرية الثقافية بين المثقفين السعوديين؟

الشيخ الصفار: كسر الحواجز النفسية بين المشاركين في الحوارات، وتطبيع العلاقات فيما بينهم، ففي الماضي لم تلتق هذه الرموز مع بعضها، وقد يكون اللقاء صعباً على بعضهم من الناحية النفسية أو بسبب الأجواء المحيطة بهم، لكن مظلة الحوار الوطني أتاحت الفرصة وذللت الصعوبات.

والنتيجة الثانية: هي الإقرار بالتعدد الفكري والمذهبي على الصعيد الوطني. قبل ذلك كان الاتجاه السائد يتنكر لوجود الآخرين، ويحاول إبراز البلاد وكأنها ذات لون واحد وضمن تيار واحد.. فجاء الحوار الوطني ليؤكد الاعتراف بالتعددية المذهبية والفكرية من خلال مداولاته وتوصياته.

أما النتيجة الثالثة: فهي إتاحة المجال لنشر ثقافة التسامح وتأكيد الوحدة الوطنية، واحترام حق الاختلاف في الرأي، وهذا ما كان متعذراً سابقاً، لأن الرأي الآخر والطرف الآخر كانا يوصمان بالشرك والبدعة والضلال.

المجلس الجديد

وأنتم على أبواب انتخابات المجلس البلدي الجديد، هل تعتبرونها

مرحلة جديدة من مراحل التطور في المملكة؟

الشيخ الصفار: تكمن أهمية الانتخابات البلدية التي تجري في مناطق المملكة حالياً، في أنها تؤكد حق المشاركة الشعبية في إدارة شؤون البلاد، فمهما كان إخلاص القيادة، أي قيادة، ومهما كانت كفاءتها، فإنها لا يصح أن تتجاهل إرادة الناس، ورأي الشعب، كما أن الانتخابات البلدية تتيح الفرصة لنشر ثقافة الانتخاب والمشاركة الشعبية، وتؤسس للتقاليد والأخلاقيات، التي تستلزمها طبيعة هذا المسار، حتى يتعلم الناس كيف يختارون وكيف ينتخبون وكيف يتعاملون مع حالة التنافس بين المرشحين، وكيف يقومون بالبرامج الانتخابية.

انتخابات نيابية

هل توقعون إقامة انتخابات نيابية في المستقبل المنظور؟

الشيخ الصفار: تتطلع الشريحة الواعية من الشعب السعودي، بل وأغلبية الناس إلى الانتخابات النيابية، وأن يكون أعضاء مجلس الشورى بالانتخاب وليس بالتعيين، وهذا يعزز المشاركة الشعبية وتأهيل المجتمع للدفاع عن مصالحه ومواجهة التحديات.

التواصل بين المذاهب

هل لديكم لقاءات مع علماء السنة في المملكة؟

الشيخ الصفار: قمت بزيارة عدد من كبار علماء السنة، وبعد الحوار الوطني تكثفت اللقاءات والزيارات بين علماء الشيعة والسنة، وزارنا بعضهم في القطيف. وأصبح التواصل قائماً بحمد الله، وهذا ما كان يجب أن يحصل من زمن بعيد، ونأمل

أن تتطور هذه اللقاءات لتصل إلى مستوى التعاون ووضع مشاريع مشتركة في خدمة المصالح العليا للإسلام والوطن.

التفاؤل بمستقبل العراق

كيف تنظرون إلى تطورات الوضع في العراق والرؤية المستقبلية؟

الشيخ الصفار: أشعر بالتفاؤل لمستقبل الساحة العراق، فقد أنقذه الله من نفق الحكم الدكتاتوري المظلم.

كنا نتمنى أن يكون السقوط على أيدي أبناء الشعب العراقي، لكن ذلك لم يحصل لأسباب معروفة رغم التضحيات الهائلة التي قدمها العراقيون، والآن وقد سقط النظام بتدخل أميركي - بريطاني، فقد أظهرت قيادات الشعب العراقي حكمة وتعقلاً كبيراً في التعامل مع الظروف الصعبة، لتجنب الفتن ومنزقات الاحتزاب الأهلي الأثني، والساحة تواجه الصعوبات بسبب تداعيات الاحتلال والتدخلات الإقليمية، وتياري العنف والإرهاب، وعلى أرضية التركة الثقيلة التي خلفها النظام البائد، لكننا نلمح أمل الغد الواعد والمشرق، وأن الإصرار على مرجعية الإرادة الشعبية، وصناديق الاقتراع، واحترام التعددية ووجود قيادات دينية واعية مخلصه كالإمام السيستاني، كل ذلك يشكل منبعاً ورافداً للأمل.

الإرهاب يخدم الأعداء.. وهو من أخطر التحديات

التوافق الوطني السعودي أين مكانه في المعركة ضد الإرهاب؟

الشيخ الصفار: لا شك أن الإرهاب يشكل الآن واحداً من أخطر التحديات على أمن الوطن واستقراره، لكن الوحدة الوطنية متماسكة بحمد الله أمام هذا الخطر، فالجميع

يدرك أن الإرهاب يصبّ في خدمة الأعداء، وإن كانت شعارات أصحابه تتحدث عن مواجهة الأعداء. وقد أساء هذا الإرهاب الذي يتمترس خلف عناوين ورايات دينية، أساء أعظم إساءة في التاريخ للإسلام وللأمة، وأعطى الفرصة للصهاينة ليركبوا الموجة الدولية ضد القضية الفلسطينية، وأربك علاقات الأمة مع سائر الأمم، وشوّه صورة الإسلام، ونسأل الله أن يعين الأمة على مواجهة هذا التحدي الخطير الذي مزق الداخل واستعدى الخارج.

حوار مراسل وكالة رويترز للأنباء

الشيخ الصفار يجيب عن أسئلة مراسل وكالة رويترز للأنباء

أجاب سماحة الشيخ حسن الصفار على أسئلة مراسل وكالة رويترز للأنباء السيد دومنيك ايفانز على ضوء الانتخابات العراقية، وقد نشرت الوكالة فقرات من تلك الإجابات بتاريخ يوم الأربعاء ١٥ ذو الحجة ١٤٢٥ هـ الموافق ٢٦ يناير ٢٠٠٥ م، وفيما يلي النص الكامل:

ما هي توقعاتكم حول الانتخابات البلدية؟ وما هي إيجابياتها؟

الانتخابات البلدية هي خطوة على الطريق التي نتطلع إلى تقدم السير فيه وهو الطريق الموصل إلى تحقيق المشاركة الشعبية في القرار السياسي. ومع أنها انتخابات جزئية لنصف أعضاء المجالس البلدية بينما يجري تعيين النصف الآخر إلا أنها تشكل إقراراً بحق المشاركة الشعبية وتتيح الفرصة لنشر ثقافة الانتخاب

والمشاركة كما تفسح المجال للتدريب على الممارسة الانتخابية في أوساط المجتمع. وبالتالي فهي خطوة إيجابية نأمل أن تتواصل بعدها الخطوات.

ما هي توقعاتكم حول الانتخابات العراقية وما هو تأثير فوز الشيعة على
شيعة السعودية؟

أتوقع نجاح الانتخابات في العراق لأن أغلبية الشعب العراقي ترى فيها السبيل الصحيح لبناء الحكم الصالح الذي يمثل الإرادة الشعبية ويعطي لكل فئات الشعب المتنوعة قومياً ودينياً وسياسياً حقهم من المشاركة والتمثيل. وأعتقد أن هناك تهويلاً في الحديث عن فوز الشيعة في العراق فهم مواطنون عراقيون تهمهم مصلحة بلدهم ويفكرون وطنياً وقومياً وليس بالمنطق الطائفي والمذهبي. وسيكون لأوضاع العراق سلباً أو إيجاباً تأثير على أوضاع المنطقة كلها. ولا أعتقد أن هناك تأثيراً خاصاً على الشيعة في المملكة لأنهم في مستوى من النضج السياسي والوطني ورهانهم على التفاعلات السياسية الداخلية وليس على التأثيرات الخارجية.

المرجعية الشيعية بين الدين والسياسة

استضافت قناة الجزيرة الفضائية سماحة الشيخ حسن الصفار، ضمن برنامج «الشريعة والحياة» في حوار بعنوان «المرجعية الشيعية بين الدين والسياسة»، وذلك مساء الأحد ١٨ محرم ١٤٢٦ هـ الموافق ٢٧ فبراير ٢٠٠٥ م.

نص الحوار

- مفهوم المرجعية عند الشيعة.
 - مراجع التقليد عند الشيعة ومكانة السيستاني.
 - الدور السياسي للمرجعية.
 - تعامل المرجعية مع الاحتلال ومقاومته.
 - الفرق بين المرجعية وولاية الفقيه.
- خديجة بن قنة: مشاهدنا الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرضت الإمامة على كل شيعي بأن يكون مُقلداً لفقيه يرجع إليه في أمور دينه وديناه، واتسع دور

الفقيه المرجع ليشمل الزعيم السياسي والاقتصادي، فماذا عن هذه المرجعية؟ وهل كان لها دور في مواجهة التحديات من احتلال واستبداد؟ المرجعية الشيعية بين الدين والسياسة موضوع حلقة اليوم من برنامج الشريعة والحياة مع الشيخ حسن الصفار عالم الدين الشيعي المعروف من المملكة العربية السعودية أهلاً بك فضيلة الشيخ.

الشيخ حسن موسى الصفار: وأهلاً بكم جميعاً.

مفهوم المرجعية عند الشيعة

خديجة بن قنة: فضيلة الشيخ حسن الصفار، لنبدأ بمفهوم المرجعية، ما هي المرجعية؟ وماذا نعني بها في المذهب الشيعي؟ ومن هو المرجع؟

الشيخ حسن موسى الصفار - عالم دين شيعي: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين، السلام على الأخوة الكرام المشاهدين والأخوات العزيزات المشاهدات ورحمة الله وبركاته.

المرجعية هي الجهة التي يُرجع إليها لأخذ مسائل الدين وفهم أحكامه وقضاياه. وهي بهذا المعنى ظاهرة قائمة في كل المجتمعات ذات الانتماء الديني، نحن نجد في اليهودية، والمسيحية وكذلك في المجتمعات الإسلامية، على اختلاف مذاهبها من سُنَّة وشيعة وأباضية، في كل هذه الأديان والمذاهب هناك جهة يُرجع إليها في أخذ أحكام الدين، وفهم قضاياه، قد تختلف المسميات من حاخام مثلاً إلى بابا إلى مفتي إلى مرجعية، ولكن المسمى واحد، جهة يُرجع إليها في فهم قضايا الدين وفهم مسائله وأحكامه وقد يتفاوت نفوذ هذه المرجعيات في ساحات مجتمعاتها بين دين وآخر ومذهب وآخر ومجتمع وآخر، فهذا هو معنى المرجعية ومفهوم المرجعية، ما هو موجود في المجتمع الشيعي نفس ما هو موجود في المجتمعات السُّنَّية ومجتمعات الأمة الإسلامية، والمجتمعات ذات

الأديان الأخرى، أنّ هناك جهة دينية يُرجع إليها في فهم قضايا الدين وأخذ مسأله.

خديجة بن قنة: حتى تتضح الصورة أكثر بالنسبة للمشاهد هناك من يتساءل عن الفرق بين السُنَّة والشيعية ومفهوم المرجعية كما ذكرته هنا يجعلنا لا نفهم كثيراً الفروقات بين والسُنَّة والشيعية، هل لك أن توضح لنا هذه النقطة؟

الشيخ حسن موسى الصفار: الفروقات بين السُنَّة والشيعية هي فروقات محدودة في الجوانب الفرعية، وهي تحتاج إلى بحث مفصل ليس الآن مجال بحثها كما يبدو، ولكن في مجال المرجعية الدينية ليس هناك فرق، كما أن الإخوان السُنَّة في أمورهم الدينية إذا احتاجوا إلى مسألة دينية يرجعون إلى العلماء إلى الفقهاء.

خديجة بن قنة: لكن فضيلة الشيخ كأنه ليس هناك فرق؟

الشيخ حسن موسى الصفار: قلت الاختلاف في ساحة التأثير، والاختلاف في الخصائص والمميزات، وإلا في أصل وجود جهة دينية يُرجع إليها هذا أمر متفق عليه، أما في الخصائص فالمرجعية الشيعية اتسمت بعدة خصائص تميزت بها عن المرجعيات في الساحة الإسلامية بشكل عام، أُشير إلى بعض هذه الخصائص؛ الخصيصة الأولى الاستقلالية، المرجعية الشيعية لا يُعيّن نظام، ولا تُنصبها حكومة، وإنما تُختار من قبل الشعب عن طريق أهل الخبرة من العلماء والفضلاء، هم يُرشحون للناس المرجع الذي يقلدونه ويرجعون إليه، وبالتالي فهي مستقلة لا تُنصب من جهة معينة، وإنما تنبثق من اختيار الناس عن طريق الفضلاء والخبراء العارفين بالشرعية وبعلموها.

الميزة الثانية للمرجعية الشيعية الرُّقي العلمي والالتزام الأخلاقي، ولا نقصد بذلك أن نُقلل من قيمة المرجعيات والعلماء في بقية المذاهب الإسلامية، ولكن لأن

الشيعة يشترطون في المرجع الذي يُقلّدونه أن يكون هو الأعلّم وخاصة في هذا العصر، لذلك فإن المرجع الذي يرجعون إليه يكون متفوقاً ومتقدماً في مستواه العلمي، وأيضا السمة الثالثة أن المرجعية الشيعية لها تأثير كبير على جمهورها يتعدى تأثير العلماء في المذاهب الأخرى وهذه الميزة أصبحت واضحة وجليّة، وأمّامي كلام قاله الدكتور الشيخ محمد النجيمي وهو شخصية علمية دينية لامعة في المملكة العربية السعودية، قال في حديث لجريدة الشرق الأوسط نُشر بتاريخ ٢٦ محرم ١٤٢٥ هـ، وهو يشير إلى بعض هذه الميزات، قال: لا شك أنه بالنسبة للشيعة نجد عندهم مراجع دينية معتمدة ومحددة، ولا أعتقد أن لديهم إشكالات كبيرة في هذه النقطة، لكن الإشكالية عندنا نحن أهل السنّة؛ لأن مراجعنا الدينية تُعيّن من قبل الحكام، وهنا تأتي المشكلة، وأنا أقول هنا أنه ينبغي أن تكون المؤسسات الدينية ذات المرجعية الدينية بعيدة عن السلطة السياسية، وأن يُوكل اختيارها إلى العلماء والفقهاء، لأنهم لن يختاروا إلاّ من هو معتدل ومن هو على مستوى من العلم والثقافة، فتعيين مثل هذه المراجع - الكلام للدكتور النجيمي - من قبل الحكام يُحدث عادة عدم ثقة بهذه المراجع من قبل جماهير المسلمين، ولهذا نلاحظ أن مراجع الشيعة تعد معتبرة عند العوامّ منهم، إذا تحدثت يُسمع لها، كونها غير معينة. هذا كلام الدكتور النجيمي، وهو خبير في مجمع الفقه الإسلامي..

خديجة بن قنة [مقاطعة]: نعم، لكن فضيلة الشيخ هذا لا ينفي تحول المرجعية الشيعية في أحيان كثيرة إلى دور سياسي، أو إلى سلطة سياسية، يعني تحول من الدور الديني إلى السياسي، وستحدث عن ذلك في محور قادم، نبقي الآن في مفهوم المرجعية، كنت تقول فضيلة الشيخ حسن الصفار أن الشيعة يختارون من يعودون إليه في كل أمور حياتهم، هل للشيعي حرية اختيار هذا المرجع؟ كيف يتم اختياره؟

الشيخ حسن موسى الصفار: نعم، كل إنسان شيعي، كل مُكلف هو يختار مرجعه، ولكن لأنه لا معرفة له بالعلماء والفقهاء، فهو يأخذ برأي الخبراء الذين يثق بهم من العلماء سواء كانوا علماء في منطقتهم يثق بهم وهذا ما يحصل في الغالب، أهل كل منطقة يرجعون إلى علمائهم المحليين الذين يثقون بهم ويسألونهم عن يرشحوه للمرجعية والتقليد، أو يسألون أهل الخبرة في الحوزات العلمية، وعن طريق السؤال والبحث يصبح عند الإنسان اطمئنان بمرجع معين فيختاره الإنسان الشيعي بحريته واختياره، من دون أن يُفرض عليه من قبل أي جهة.

خديجة بن قنة: هل مسألة الوراثة تتدخل هنا؟

الشيخ حسن موسى الصفار: كلا، ليس الموضوع وراثياً، وحالات نادرة جداً لا تكاد تُذكر أن المرجع يكون لولده مقامه في المرجعية. ولو استعرضنا التسلسل المرجعي المعاصر، مثلاً في العراق، كان المرجع الأعلى السيد الخوئي رحمته الله حينما توفي لم يُقلد أحداً من أولاده أو أقربائه، وإنما قُلد السيد السيستاني، والسيد السبزواري، والسيد الكلبايكاني، فليست هناك حالة وراثية، يحصل في بعض الأحيان أن يكون للمرجع مثلاً أخ أو ولد أو قريب تتوفر فيه المواصفات فيُقلد؛ لأن المواصفات توفرت فيه، وليس لأنه قريب أو وارث للمرجع السابق، وهي حالات - كما قلت - نادرة.

خديجة بن قنة: نعم، من هي مراجع التقليد عند الشيعة؟ سنتحدث في هذه النقطة بعد فاصل قصير ثم نعود لمواصلة هذه الحلقة من برنامج الشريعة والحياة.

فاصل إعلاني

مراجع التقليد عند الشيعة ومكانة السيستاني

خديجة بن قنة: مشاهدنا الكرام أهلاً بكم مرة أخرى إلى برنامج الشرعية والحياة، حلقتنا اليوم حول المرجعية الشيعية بين الدين والسياسة، مع فضيلة الشيخ حسن الصفار، فضيلة الشيخ من هي مراجع التقليد عند الشيعة اليوم؟

الشيخ حسن موسى الصفار: يوجد عدد من المراجع في النجف الأشرف، ويوجد عدد منهم في قم وفي بعض مدن إيران، ويوجد مراجع أيضاً في الأقطار الأخرى. في النجف الأشرف أبرز المراجع الآن هناك أسماء أربعة؛ السيد السيستاني وهو المرجع الأعلى والمرجع الفعلي حالياً في الساحة العراقية، وفي كثير من المجتمعات الشيعية، وهناك سماحة السيد محمد سعيد الحكيم، وسماحة الشيخ إسحاق فياض، وسماحة الشيخ بشير النجفي، ففي النجف الأشرف يوجد أربعة من المراجع المعروفين.

خديجة بن قنة: هل على المُقلد أن يتبع ويرجع للفقهاء المرجع في كل أمور حياته؟ أم أن هناك مجالات معينة يعود فيها إلى المرجع؟

الشيخ حسن موسى الصفار: يرجع إليه في كل ما يكون مورداً للحكم الشرعي؛ في أي مجال من المجالات هناك مورد للحكم الشرعي، هل هذا واجب أو مستحب أو حرام أو جائز؟ في مورد الحكم الشرعي يرجع إلى الفقيه، أما في تصريف شؤون الحياة العامة فهو أمر متروك للإنسان في دائرة المباحات، ودائرة التوجهات العامة.

خديجة بن قنة: فضيلة الشيخ، نريد أن نصحح بعض المفاهيم، وهناك الكثير من الغموض لدى كثير من الناس حول الشيعة، وهناك من يعتبر أن

الشيعة يعتبرون أن سيدنا علي رضي الله عنه أهم بالنسبة لهم من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وولائهم لسيدنا علي أهم من ولائهم للرسول؟

الشيخ حسن موسى الصفار: هذا الكلام لا يقول به أي شيعي، ولا يقول به أي إنسان يعرف الشيعة من خلال كتبهم، ومن خلال آرائهم، هذا يدخل في باب الدعايات المضادة، بسبب ما عاشته الأمة الإسلامية من فترة من تبادل الاتهامات والدعايات، ووجود قطيعة وتباعد بين أتباع المذاهب المختلفة، الشيعة يعتقدون أن رسول الله ﷺ لا يدانيه في الفضل أحد، وأن مكانة علي بن أبي طالب وفضله إنما جاءه عبر رسول الله ﷺ، فالأصل هو رسول الله ﷺ ولا يدانيه في الفضل أحد، وبعد رسول الله يعتقد الشيعة أن أفضل الناس هو الإمام علي بن أبي طالب.

خديجة بن قنة: فضيلة الشيخ حسن الصفار، كنت ذكرت قبل قليل أنه من المراجع الحالية بالنسبة للشيعة السيد السيستاني، من هو السيستاني؟ ومن يُقلده داخل العراق وخارجها؟ وما هي حدود مرجعيته اليوم؟

الشيخ حسن موسى الصفار: سماحة السيد السيستاني يعتبر الآن من أبرز مراجع الشيعة وفقهائها، هو يبلغ من العمر الآن ٧٧ عاماً، كانت ولادته في مشهد في إيران، ودرس فيها فترة، ثم انتقل إلى قم ودرس في حوزتها العلمية، ثم انتقل إلى النجف الأشرف سنة ١٣٧١ هجرية، ولا يزال إلى الآن، يعني منذ ٥٥ سنة وهو موجود في العراق في النجف الأشرف، سماحة السيد السيستاني توجهت إليه الأنظار بعد وفاة المرجع الأعلى للشيعة السيد الخوئي في النجف الأشرف سنة ١٤١٣ هجرية، توجهت إليه الأنظار لأن الفضلاء والعلماء حضروا بحثه، وقرأوا أبحاثه، ورأوا تميزه وتفوقه العلمي، فرأوا أنه أعلم العلماء

الموجودين، وحينما تُوفي بقية العلماء الكبار كالسيد السبزواري والسيد الكلبايكاني اجتمعت أطراف الشيعة على مرجعيته فأصبح هو الآن المرجع الأعلى للطائفة الشيعية في العالم وليس في العراق فقط. في شخصية سماحة السيد السيستاني ميزات عديدة، أُسَلط الأضواء باختصار على بعض تلك الميزات؛ الميزة الأولى العمق العلمي وسعة الأفق الثقافية حيث درس عند كبار العلماء والمجتهدين في الحكمة والفقه والأصول ومختلف العلوم، وأُفقه الثقافي أفق واسع لأنه يواكب الكتابات العلمية الحديثة، كما يحرص على قراءة ومتابعة الكتب الفكرية والحداثيّة.

خديجة بن قنة: نعم، فضيلة الشيخ نريد أن نتحدث عن الخلافات، أو الخلاف بين مدرستي قُم والنجف، نعرف طبعاً أن هناك فرقاً.. خلافاً بين المدرستين، ما هو الفرق، أو ما هي حدود الخلاف بين هاتين المدرستين؟

الشيخ حسن موسى الصفار: لا يبدو لي أن هناك خلافاً حقيقياً بين المدرستين في قُم والنجف، الاختلاف في الرأي الفقهي أو السياسي، موجود حتى ضمن المدرسة الواحدة، فالمراجع في قُم ليسوا كلهم يتفقون على كل الآراء الفقهية والسياسية، وكذلك الحال عند مراجع النجف، فليس هناك خلاف بين المدرستين، هناك تهويل في هذه المسألة، نعم هناك رأي في إيران بأن المرجعية ينبغي أن تكون في إيران حتى تُقوي النظام.. نظام الجمهورية الإسلامية وتتقوى به، وخاصة بعد وفاة الإمام الخميني والسيد الخوئي، كان هناك من يطرح هذه الفكرة، إن المرجعية أفضل أن تكون في إيران، وألا تكون خارجها، وفي ذلك الوقت كانت النجف تحت الحصار في ظل نظام صدام، ولكن الشارع الشيعي اختار مرجعيته وفقاً للمقاييس الدينية العلمية، ولم يأخذ هذا الاعتبار السياسي.

خديجة بن قنة: نعم، لكن لا يمكن فضيلة الشيخ أن ننكر وجود صراع

نفوذ بين مدرستي قُم والنجف على أساس المرجعية؟

الشيخ حسن موسى الصفار: لا، أنا شخصياً لمعرفتي، ولكوني في الساحة الشيعية لا أدرك هذا الأمر، هناك تنافس طبيعي بين الجهات المنتمية إلى مختلف المراجع، كل جهة تنتمي إلى مرجع تريد أن تكون ساحة مرجعيتها هي الساحة الأوسع، لكن بين المراجع أنفسهم ليس هناك خلاف، هناك اختلاف في الآراء، هناك اختلاف في بعض المواقف، لكنها تبقى في حدود الاختلاف العلمي، وضمن الضوابط الشرعية.

الدور السياسي للمرجعية

خديجة بن قنة: نعم، فضيلة الشيخ، كنت تقول أن مرجعية السيستاني تتعدى الحدود القطرية للعراق، وأنه يعتبر مرجعاً بالنسبة للشيعية في أنحاء كثيرة من العالم، هنا نتساءل عن نقطة مهمة وهي: كيف يمكن للشيعي أن يجمع بين ولائه لوطنه في أي بقعة من العالم يكون فيها، وبين تبعيته لهذا المرجع الموجود في العراق؟

الشيخ حسن موسى الصفار: الشيعي يتبع المرجع في الأمور الدينية وهذا متعارف عليه، المسلمون الآن في كل مكان يأخذون بآراء العلماء، فشيخ الجامع الأزهر مثلاً يأخذ بآرائه مسلمون في دول كثيرة، وهذا لا يصطدم مع ولائهم لأوطانهم، كذلك مثلاً الشيخ القرضاوي أصبح بارزاً في الساحة الإسلامية، ويأخذ كثيرون بآرائه، أخذهم بآرائه لا يعتبر هذا مخالفاً ومصادماً لولائهم لأوطانهم، المرجعية ليست مشروعاً سياسياً خاصاً ينتمي إليه الشيعة فيكون هناك تصادم بين ولائهم لوطنهم، وبين انتمائهم المرجعي، المرجعية في الأصل هي أخذ فتاوى الفقيه في المجال الديني الشرعي، لكن هناك مدرسة في المرجعية هي مدرسة تأخذ بولاية الفقيه، وترى أن المرجع يكون والياً على الأمة، وعلى

مقلديه، وعلى أساس هذه المدرسة قام نظام الجمهورية الإسلامية في إيران، لكن هذا الفقيه الولي يمارس ولايته في وطنه، ونحن نعلم حتى المقلدون للإمام الخميني رحمه الله في البلدان الأخرى، أو الذين يقلدون الآن خليفته الإمام الخامنئي نجد أنه لا يعطيهم آراء تتصادم مع وضعهم السياسي في أوطانهم، فإذا ليس هناك تصادم ولا تناقض بين المرجعية وبين الولاء للوطن.

خديجة بن قنة: نعم، لكن البعض يخشى أن تكون هذه المرجعيات الدينية لدى الشيعة يعني باباً مفتوحاً أو باباً من أبواب التبعية السياسية؟

الشيخ حسن موسى الصفار: هذه الخشية لا مبرر لها لا على المستوى النظري، ولا على المستوى الفعلي، فعلياً علماء الشيعة ومراجعهم في مختلف العصور والأزمنة كانوا يشجعون مقلديهم وأتباعهم على الإخلاص لأوطانهم، وعلى الاندماج في مجتمعاتهم والدفاع عن مصالح أوطانهم ومجتمعاتهم، وما كان لأي مرجع تَوْجُّهُ غير هذا.

خديجة بن قنة: نعم، لكن هذه المخاوف موجودة لدى إيران، ولدى السعودية مثلاً، والعراق، وكانت حاضرة كثيراً في سياسات هذه الدول؟

الشيخ حسن موسى الصفار: هذه المخاوف تُثار، وبعض الجهات تثيرها لزرع حالة من الهواجس، والقلق بين مجتمعات هذه المنطقة، وخاصة بعد تجلّي دور المرجعية في الساحة في إيران والعراق، لقد أصبحت هناك جهات تثير مثل هذا الأمر، ولكننا نعتبره مجرد إثارة، وتهريج، والواقع الذي عاشه الشيعة في عصورهم الماضية، وفي عصرهم الحاضر أكبر دليل وشاهد على هذا الأمر.

خديجة بن قنة: فضيلة الشيخ حسن الصفار، بما أنك من المملكة العربية السعودية، هل يوجد بين شيعة المملكة العربية السعودية من يقلدون

مرجعاً من خارج السعودية في فتواه، ويخالفونه في آرائه السياسية مثلاً؟

الشيخ حسن موسى الصفار: الشيعة في المملكة العربية السعودية الآن كلهم يقلدون مراجع من خارج المملكة، كانت عندنا مرحلة سابقة إلى ما قبل حوالي أربعين سنة، كانت عندنا مرجعيات محلية، كان عندنا مراجع في القطيف والأحساء، وكان الشيعة يقلدون المراجع المحليين، لكن لما انتهى وجود فقهاء مجتهدين يقلدون في منطقتنا، صار الناس يقلدون المراجع في العراق وإيران..

خديجة بن قنة [مقاطعة]: نعم، سنعود للحديث في هذه النقطة فقط لأن الوقت يسابقنا ونضطر للتحويل إلى غرفة الأخبار لنأخذ موجزاً لأهم الأنباء من هناك ونعود لمواصلة فقرات برنامج الشريعة والحياة.

موجز الأنباء

خديجة بن قنة: مشاهدينا الكرام أهلاً بكم مرة أخرى إلى برنامج الشريعة والحياة، موضوع حلقتنا اليوم المرجعية الشيعية بين الدين والسياسة، مع فضيلة الشيخ حسن الصفار من المملكة العربية السعودية. فضيلة الشيخ لك أن تواصل إجابتك حول الشيعة في المملكة العربية السعودية؟

الشيخ حسن موسى الصفار: قلت إن المرجعية عادةً تتخذ مواقف سياسية في أوطانها كالعراق وإيران، أما فيما يرتبط بالأوطان الأخرى فالأمور السياسية متروكة للقيادات المحلية الموجودة في تلك الأوطان، هذه القيادات وهؤلاء العلماء الشيعة الموجودون في أوطانهم هم جزء من مجتمعهم، يقررون ويتصرفون ضمن مشروعهم الوطني، وضمن النسيج الاجتماعي الذي يعيشون فيه، ولم يحصل أن مرجعاً من مراجع الشيعة أصدر فتوى معينة ترتبط بالوضع مثلاً في المملكة العربية السعودية موجهة إلى

مُقلديه، حصول بعض الآراء، أو بعض المواقف السياسية هذا بحث، أما أن يصدر فتوى لمقلديه في المملكة العربية السعودية، أو أي قطر من أقطار العالم الإسلامي يُلزمهم بموقف سياسي داخل وطنهم وبلادهم، فهذا لم يحصل.

خديجة بن قنة: نعم، فضيلة الشيخ، نريد أن نتحدث عن المرجعية الشيعية ودورها في مقاومة ومواجهة الاحتلال، نعلم طبعاً أنه كان للمرجعية الشيعية مواقف تاريخية في مقاومة المُستعمر المستبد، وهناك أمثلة كثيرة ربما أبرزها ثورة العشرين المعروفة التي أفتى فيها آية الله الشيرازي بحق الشعب بالثورة ضد الاحتلال الإنجليزي، أين دور المرجعية اليوم في مقاومة الاحتلال؟

الشيخ حسن موسى الصفار: المرجعية الشيعية في العراق بالذات كان لها موقف واضح منذ البداية ضد الاحتلال، وضد العدوان على العراق، أصدر المرجع السيد السيستاني، وبقية العلماء بياناً أدانوا فيه الاحتلال، ودعوا الأمة إلى الوقوف إلى جانب العراق ضد الاحتلال، لكن نحن جميعاً نعلم تعقيد الوضع في الساحة العراقية، الشعب العراقي قاسى لسنوات أشد حالات القمع والاضطهاد، لكن درجة الاضطهاد الذي وقع على الشيعة لعلها أكثر من البقية، فنحو ثلاثة عقود من الزمن وهم يعيشون مقموعين، وقبلها أيضاً بفترة كانوا مهمشين، هذا الشعب ما كان مهيناً لمواجهة هذا العدوان الأميركي الذي أخذ صيغة إنقاذ الشعب العراقي، طُرح تحت شعار حرية العراق، وكان أبناء العراق يبحثون عن أي طريق يخرجون من خلاله من نفق الاستبداد والقمع والديكتاتورية التي كانوا يعانونها في ظل صدام، نعلم جميعاً أيضاً أن علاقات النظام العراقي الإقليمية كانت مضطربة ومهزوزة، إذ كان منبوذاً من كل الدول المجاورة، دولياً أيضاً، كانت هناك إرادة دولية ضد النظام العراقي، وأميركا جاءت بعنفوانها وقوتها، فما كان ممكناً قيادة مقاومة

عسكرية من اليوم الأول للاحتلال الأميركي، المرجعية نظرتها أننا نحتاج إلى تجميع قوى الشعب العراقي، وإلى انبثاق شرعية من داخله، لذلك من أول يوم دعت المرجعية إلى الانتخابات، وأذكر هنا بقضية أن تجاربنا نحن في البلدان العربية التي وقّعت تحت نير الاحتلال، كنا نشتغل بمقاومة الاحتلال دون أن نفكر في المستقبل، فنخرج من الاحتلال ونقع في قبضة الاستبداد، وهذا هو الأمر الذي عانته أكثر البلدان العربية والإسلامية، المرجعية الدينية رأت أنه في هذه المرحلة، وأمام هذا العنفوان، والهجمة الأميركية يجب أن تجتمع إرادة الشعب العراقي، تكون هناك انتخابات تنبثق منها جمعية وطنية تضع دستوراً، وبالتالي يكون هناك مشروع لبناء العراق الجديد، حتى لا يخرج من الاستعمار والاحتلال ويقع في مستنقع الاستبداد، لذلك دعت المرجعية من أول يوم إلى هذا الأمر، وناضلت حتى يتحقق، والعالم كله يعرف أنه بعد انتهاء فترة المؤتمر أو الحكم الذي صنعته أميركا في البداية أصرت المرجعية أن تكون هناك انتخابات قبل الانتقال إلى الحكومة المؤقتة، ونزلت مظاهرات للمطالبة بالانتخابات في الشارع.

خديجة بن قنة: في ظل وجود الاحتلال، يعني هذا هو صلب التساؤل الذي يطرحه الجميع وهو: تحميل السيستاني مسؤولية التعاون مع المحتل؟

الشيخ حسن موسى الصفار: لا، هذا لا يقول به إنسان منصف أو عاقل.
خديجة بن قنة [مقاطعة]: ولكنه يمكن..

الشيخ حسن موسى الصفار [متابعاً]: يمكن أن تُثار كدعايات مغرضة، السيد السيستاني رفض أن..

خديجة بن قنة: لم يدع إلى الجهاد، لجهاد المحتل وهذا يتناقض مع تاريخ المرجعية الشيعية في مقاومة الاحتلال والمستعمر.

الشيخ حسن موسى الصفار: هو يرى أن الجهاد يبدأ بهذه الطريقة، الجهاد يبدأ بتجميع إرادة الشعب العراقي، وصياغة مشروع مستقبلي له، وبعد ذلك العمل بكل الوسائل لإخراج الاحتلال، وحينئذ تُسدّ الطرق المختلفة فإن المرجعية لن تقف مكتوفة الأيدي أمام الاحتلال، بعض الناس يريدون أن يفرضوا على المرجعية الطريق الذي يرونه هم لمواجهة الاحتلال، بينما المرجعية بحكمتها وحنكتها ومعرفتها بواقع الشعب العراقي، وبواقع الظروف التي يعيشها ومن خلال التجارب التي عاشتها مختلف الشعوب الإسلامية، ترى أن الطريق الأسلم في البداية تجميع إرادة العراقيين حتى تكون هناك قيادة موحدة منبثقة عن كل الشعب العراقي، فلا تناضل جهة وتقعّد جهة أخرى، ولا يكون هناك تضارب بين الفئات كما حصل في أفغانستان؛ في أفغانستان كانت هناك مقاومة للاحتلال السوفيتي، لكن ماذا أعقب هذه المقاومة؟ أعقبها وجود فئات مختلفة تحاربت وأدخلت أفغانستان في حرب أهلية.

خديجة بن قنة: نعم، لكن فضيلة الشيخ نحن نتحدث الآن عن تحول دور مرجع فقهي ومُرشد ديني إلى دور سياسي.
الشيخ حسن موسى الصفار: نعم.

خديجة بن قنة: وهو ما تؤكده الآن، وتدخّل السيستاني كما نعلم أفتى بوجود الانتخابات وجوباً شرعياً، فما هي هذه الأسس الفقهية لمثل هذه الفتاوى السياسية في الواقع؟

الشيخ حسن موسى الصفار: المرجع الديني باعتبار ثقة الناس به، والتفافهم حوله، وباعتبار ملاحظته لمصلحة الناس يعطي رأياً، السيد السيستاني يرى أن مصلحة العراقيين أن تكون هناك انتخابات، هذه الانتخابات تُثبت مرجعية إرادة الشعب العراقي، هذه الانتخابات تُفرز قيادة مقبولة عند الشعب العراقي بمختلف فئاته وأطيافه، وتأخذ كل

شريحة وكل قوة في هذا الشعب حجمها الطبيعي، ثم يتفق الجميع على دستور، وعلى صياغة لمستقبل العراق، ويُستفتى الشعب حوله، فإذا حصل هذا الأمر فإن المرجعية ستكون إلى جانب الشعب في مقاومة الاحتلال، وتحرير العراق، وبناء عراق جديد إن شاء الله.

خديجة بن قنة: نعم، لكن فضيلة الشيخ، أليس من المفارقة هنا أن يدعو السيد السيستاني إلى الانتخابات وهو أصلاً لا يحق له الانتخاب لأنه إيراني؟

الشيخ حسن موسى الصفار: هذا ليس مفارقة، هذه حالة موضوعية، السيد السيستاني رأيه الالتزام بالأنظمة والقوانين في كل بلد ويوصي ويفتي بعدم جواز مخالفة الأنظمة والقوانين، هو في العراق منذ ٥٥ سنة، تخللتها بعض السّفّرات القصيرة، ولكن لأنه لا يحمل الجنسية العراقية وهو يدعو إلى الالتزام بالقانون، ومراعاة النظام، لذلك هو لم يشارك في الانتخابات، لكنه يدعو الناس إلى الانتخابات باعتبار موقعيته الدينية والقيادية.

تعامل المرجعية مع الاحتلال ومقاومته

خديجة بن قنة: نعم، حول هذه النقطة، وحول المرجعية وامتداد دورها خارج الفضاء الفقهي، وطرق تعاملها مع الاحتلال ومقاومته أعد لنا معد البرنامج معتر الخطيب التقرير التالي فلتتابع معاً.

تقرير مسجل

معتر الخطيب: أحداث العراق أبرزت أهمية الدور الذي تقوم به المرجعيات الشيعية عامة، كما أظهرت امتداد أدوارهم خارج الفضاء الفقهي إلى السياسة بوجه عام،

الأمر الذي يُعيد إلى الأذهان دور المرجعية الشيعية في مواجهة الاستعمار الإنجليزي فيما عُرف بثورة العشرين، والمواجهة مع شاه إيران عامي ١٩٧٨ و ١٩٧٩ وغيرها، غير أن تعامل المرجعية الشيعية متمثلة في آية الله العظمى علي السيستاني مع الاحتلال الأمريكي طرح العديد من التساؤلات أمام المراقبين، تبدأ بمشروعية موقفها من المحتل، وغياب دورها في مقاومته، والأسس الشرعية في التعامل معه ثم موقفها منه بعد الانتخابات العراقية التي جرت مؤخراً.

والمرجعية ليست واحدة، فثمة تنافس معروف بين قُوم والنجف ظل متأرجحاً بين المستتر والمعلن، وحين قضى جيل المراجع الكبار في إيران بوفاة الشيخ الأراكي المرجعية الدينية العليا في أواخر التسعينيات، سمّت جماعة المدرسين، وهي حلقة وسيطة بين المراجع والمؤمنين، سبعةً من أركان الحوزة لمنصب المرجعية لم يكن فيهم مرجع نجفي أو عربي، وعاد هذا التنافس على أشده مع سقوط نظام صدام حسين، شكلت فيه ولاية الفقيه التي قامت عليها الجمهورية الإيرانية أحد مجالاته، كما بدا الخوف من عودة النفوذ التاريخي لمرجعية النجف التي خفتت في عهد صدام.

ولم تنفق المرجعية على طريقة واحدة للتعامل مع الاحتلال الأمريكي للعراق؛ فآية الله كاظم الحائري المرجع الإيراني بقُوم، والمرجعية لتيار مقتدى الصدر، يتخذ آراء مغايرة لمدرسة السيستاني، فيُحرّم تعامل الشيعة مع الاحتلال، ويدعو للثورة عليه، غير أن آراءه هذه لا تحظى بشعبية ليبقى السيستاني متفرداً كمرجع له السمع والطاعة، فالسيستاني هو المرجعية العليا في النجف، وهو المنافس المعادل للمرشد الإيراني علي خامنئي، واتهمه تيار الصدر بمملاءة صدام حسين، ورفض مرجعيته بسبب أصوله الإيرانية. وكان السيستاني دعا قبل الغزو الأمريكي للعراق إلى مقاومة أي عدوان على العراق، واعتبره جهاداً مشروعاً، في حين بعد سقوط النظام العراقي دعا إلى عدم مواجهة قوات الاحتلال أثناء دخولها البلاد، ولعب بعد ذلك دوراً مؤثراً منذ أصدر فتوى في يناير عام ٢٠٠٤ يُندد

فيها بخطط سلطة التحالف لتسليم السلطة تدريجياً دون انتخابات، وثارَت على إثرها مئات الألوف في مظاهرات، ووافق على مسودة القانون الإداري الانتقالي، وتدخل في صياغة بعض فقراته، وأفتى بأن الانتخاب واجب شرعي، ودَعَم كل الأحزاب الشيعية، ومؤخراً بارك اختيار الجعفري مرشحاً لرئاسة الحكومة.

يقول البعض: إن السيستاني اختار طيلة حياته في النجف التي انتقل إليها في أوائل الخمسينيات، منهج أستاذه الخوئي في الابتعاد عن الانخراط في العمل السياسي، واستنبط مبدأ الولاية التنفيذية التي تنحصر بأعمال الفتوى الشرعية المبنية على الإدراك العقلي وليس النقلي، وفي الإطار التنفيذي وليس التشريعي، ومن هنا يجادل الكثيرون بأن السيستاني مرجع فقيه ولا يطمح لدور سياسي في حين يرى آخرون أن السيستاني انغمس في السياسة على خلاف بقية مراجع النجف الأربعة، محمد إسحاق فياض، وبشير النجفي، ومحمد سعيد الطبطبائي، وصرح مسؤول أميركي للـ (Newsweek) بأنه يكتن له الاحترام لفظته السياسية، وطالب بعض المحللين بمنحه نوبل للسلام، وأن أميركا تدين له بالشكر لأنه كان اللاعب الأكبر في ضبط الأوضاع. يبدو أن السيستاني الذي يرفض العمل السياسي، وولاية الفقيه المطلقة، فرضت مرجعيته العليا عليه أن يكون له وزن سياسي، ودور توجيهي حرص على أدائه، وإن كان يلح المؤيدون له على أن مرجعيته فقهية فقط، ودوره إرشادي.

خديجة بن قنة: ودائماً حول الدور السياسي للمرجع الشيعي، كنا نتحدث فضيلة الشيخ عن دور السيد السيستاني، وهو أيضاً ما تحدث عنه التقرير، الآن بعد إجراء الانتخابات في العراق، ما هو موقف السيد السيستاني من المحتل؟ هل سيفتي بوجوب وضع جدول زمني لانسحاب قوات الاحتلال من العراق برأيك؟

الشيخ حسن موسى الصفار: منذ الأيام الأولى للاحتلال ووجه سؤال للمرجع السيد السيستاني من قبل بعض الباعة الذين يأتي إليهم جنود أميركيون، أو بريطانيون، أو من القوات المتحالفة ويشتركون معهم بعض الأشياء، هل يصح لهم أن يبيعوهم أم لا؟ قال السيد السيستاني: تبيعوهم، ولكن تقولون لكل واحد منهم متى تخرجون من بلادنا؟ نُشر هذه الفتوى كرس في نفوس العراقيين أن الوجود الأميركي ينبغي المطالبة بالإسراع بذهابه، ولكن لا أحد في العراق، ولا في المنطقة يرى أنه يجب أن يخرج الأميركيون فوراً من العراق؛ لأن الخروج الفوري يُدخل العراق في حالة من الفوضى والفتن، ولذلك السؤال: كيف يمكن أن تترتب الأمور في داخل العراق بأسرع وقت ممكن حتى يخرج الاحتلال مع وجود قوة أمنية كافية؟ وعدم وجود فراغ دستوري سياسي؟ ومع وجود قيادة منتخبة وفق دستور يصوّت عليه الشعب، وأنا أعتقد أن المرحلة القادمة بعد أن يُصاغ الدستور ويصوّت عليه الشعب العراقي، أعتقد أن المرحلة ستكون مرحلة المطالبة بجلاء الاحتلال هذا أمر لا شك فيه، لا يشك فيه أي عراقي ولا يشك فيه أي أحد، ستبدأ مرحلة المطالبة بخروج المحتل بعد أن تترتب الأوضاع المناسبة في العراق، والمرجعية ستسعى لكي يكون هذا الترتيب سريعاً، وهي قد رأت أن الانتخابات كان يجب أن تحصل قبل هذا الوقت بعد انتهاء مجلس الحكم، كان رأيها أن تبدأ الانتخابات، وأصرّت على هذا الرأي من أجل أن يكون هناك سبيل وطريق للإسراع بخروج المحتل، وإذا تعدّر خروج المحتل بالطرق السلمية والسياسية فليس هناك شك في أن المرجعية ستتخذ القرار المناسب.

خديجة بن قنة: يقول البعض، فضيلة الشيخ: أن الفتنة الطائفية لم تحدث في العراق ليس لقناعة الشيعة والمرجعية بأضرار هذه الفتنة الطائفية، وإنما التزاماً بقواعد لعبة سياسية واضحة لأنهم رأوا مكاسب واضحة للشيعة، ولذلك آثروا السلم؟

الشيخ حسن موسى الصفار: أنا أعتقد أن الشيعة بناءً على المنهج الفكري والفقهية الذي لديهم، وهو منهج لا يُشجع على العنف، ولا على العدوان على الآخرين، ولذلك تجدون أن من المفارقات، أن الشيعة رغم تعرضهم للاضطهاد في كثير من المناطق والبلدان، إلا أن لجوؤهم إلى العنف كان لجوءاً محدوداً؛ ففي العراق مثلاً: تعرضوا لأبشع قمع يمكن أن يتعرض له شعب من الشعوب، لكن لم تحصل عندهم المجازر التي حصلت في بلدان أخرى، كما حصل في الجزائر مثلاً، ولم تكن هناك فتاوى بالتكفير، وبإباحة الدماء، كان هناك عمل معارض..

خديجة بن قنة [مقاطعة]: في الجزائر ليس هناك طوائف، يعني ليس هناك شيعة، هناك فقط سُنَّة لكن كان الخلاف على السلطة.

الشيخ حسن موسى الصفار: نعم، وهذه هي المفارقة، أنا أريد أن أقول أنه أولاً: من خلال الفكر والفقه الشيعي ليس هناك أرضية تساعد على وجود مثل هذه التوجهات، ثانياً: مرجعية السيد السيستاني، ثالثاً: وعي ونضج الشعب العراقي بكل أطيافه، النضج الذي أذاه الشعب العراقي بالنسبة لمرجعية السيد السيستاني، أريد أن أشير هنا إلى حادثة معينة في السنة الماضية، في عاشوراء حصلت تفجيرات استهدفت مواكب العزاء في كربلاء والكاظمية، وكانت أحداثاً فظيعة فاجعة، أبرياء ضمن ممارسات دينية استُهدفوا بالتفجير، وكان هناك العشرات من القتلى، والمئات من الجرحى، وحالة رعب، هذا أمر واضح ومعروف، ذهب جمع من رؤساء العشائر إلى المرجع السيد السيستاني وهم يطلبون منه إذناً بأن يقوموا بإجراء معين تجاه مثل هذه الأعمال، السيد السيستاني قال لهم: إني لا أسمح بشيء من هذا القبيل، ولو أبادوا لنا مدناً بكاملها فإني لا أسمح بالانجرار إلى فتنة طائفية، ثم أردف قائلاً: حتى لو قُتلت أنا من قبل بعض هذه الأطراف، أو ضمن هذه العناوين، فإني لا أسمح لأحد أن ينجرّ إلى الفتنة الطائفية.

الفرق بين المرجعية وولاية الفقيه

خديجة بن قنة: طيّب فضيلة الشيخ، أود أن نعود قليلاً إلى تحديد مفهوم نظرية الإمامة وولاية الفقيه، العلاقة بين المرجعية الشيعية وما يُسمى بولاية الفقيه، ما هو الفرق؟

الشيخ حسن موسى الصفار: المرجعية الشيعية تفترض أن الفقيه له ولاية ولكن ولاية محدودة على الأمور الحسبية، ولايته في الإفتاء والقضاء، والولاية على أموال القُصّر والأوقاف، هذه ولاية متفق عليها ضمن هذه الحدود، أما الولاية الأوسع: أن تكون للفقيه ولاية على شؤون الأمة السياسية، وعلى شؤون الناس السياسية، بحيث يكون بيده أزمّة الحكم والسلطة، هذا الرأي.. رأي جديد انبثق في القرن الثالث عشر على يد عالم يقال له الشيخ أحمد النراقي وهو أول من طرح الموضوع ضمن هذا المصطلح، وبقي مجرد رأي علمي يتداول في أوساط العلماء والفقهاء، الإمام الخميني رحمه الله أخذ هذا الرأي وتبناه، واستدلّ عليه، كان مقتنعاً به، لذلك طرح نظرية ولاية الفقيه، وهناك أيضاً فقهاء يوافقونه على هذا الرأي، وعلى أساس هذه النظرية قام نظام الجمهورية الإسلامية، إذًا كل مرجع له ولاية ولكن هي ولاية محدودة ومقيدة، ولاية الفقيه تعني الولاية المطلقة في الشأن السياسي، العلاقة بين المرجعية في بعض الأحيان يتحدّد الأمر فيكون نفس المرجع هو من يمارس ولاية الفقيه بناءً على الأخذ بهذه النظرية، وفي بعض الأحيان قد لا يتحدّد الأمر فيكون هناك فقيه ولي يرشحه مجلس الخبراء المنتخب من قِبَل أبناء الشعب كما حصل بعد وفاة الإمام الخميني، حيث كان الناس يقلّدون الشيخ الأركي ولكن اختير للقيادة.. السيد الإمام الخامنائي، ففي بعض الأحيان قد يكون هناك انفصال، في أواخر حياة الإمام الخميني ﷺ حصل تعديل في الدستور الإيراني، بموجب هذا التعديل لا يكون هناك تلازم بين المرجعية وبين ولاية الفقيه.

خديجة بن قنة: نعم، فضيلة الشيخ، أسامة منصور من إسبانيا يسأل:
عندما قال أبو بكر الصديق للناس: أطيعوني ما أطعت الله، وقال عمر بن
الخطاب: إن كنت على حق فأعينوني، وإن كنت على باطل فقوموني،
فقال أحد العامة: لو رأينا اعوجاجاً لقومناه بحدّ السيف، هل يستطيع أي
شيعي أن يُقوّم مرجعاً شيعياً خطأً أو كان على ضلالة؟

الشيخ حسن موسى الصفار: حينما يكون هناك خطأ وانحراف عن منهج الله، فإن
المرجع لا يعود مرجعاً، يعني من المسائل الفقهية عندنا أن الناس إذا قلّدوا مرجعاً ثم ظهر
من هو أعلم منه فإنه يجب عليهم أن يقلّدوا الأعم، وإذا اختلفت عدالة المرجع، بمعنى أنه
انحرف عن منهج الله فلا يصح لهم البقاء على تقليده، فإذاً في الحالة المرجعية هناك مجال
للتدارك، وللوقوف أمام أي انحراف قد يحصل لا سمح الله، لكن من المعلوم أن المرجع
ينشئ تحت نظر الناس، وتحت سمعهم، ومنذ نعومة أظفاره يكون في الحوزة العلمية،
حيث يعرفه الناس، ويعرفون أسرته، وغالباً ما يتربى تربية دينية أخلاقية، وصفة أساسية
يجب أن تتوفر فيه بالإضافة إلى العلم أو الأعلمية هي صفة العدالة، ولكن لو حصل لا
سمح الله انحراف واختلال في العدالة، فإن كل الفقهاء والمراجع يرون سقوط مرجعيته،
وبالتالي لا يعود مرجعاً.

خديجة بن قنة: نعم، نأخذ فاصلاً قصيراً ثم نعود لمتابعة هذه الحلقة من برنامج
الشريعة والحياة.

فاصل إعلاني

خديجة بن قنة: مشاهدينا أهلاً بكم مرة أخرى إلى برنامج الشريعة والحياة، حلقتنا
اليوم حول المرجعية الشيعية بين الدين والسياسة، نأخذ الآن مشاركات بعض المشاهدين،
نبدأ بمعاذ العابد من سويسرا تفضل.

معاذ العابد: السلام عليكم أختي خديجة حياك الله.

خديجة بن قنة: وعليكم السلام ورحمة الله.

معاذ العابد- سويسرا: الحقيقة أنا أستغرب قليلاً من حديث الشيخ الصفار لأنه أنا.. المعهود على الشيخ الصفار يدعو إلى الصراحة، وإلى الوضوح، وإلى الوحدة بين الأمة الإسلامية، ولا أعتقد أن الوحدة بين الأمة الإسلامية تبنى على كثير من الأشياء التي يحاول أن يخفيها السيد الصفار، فأنا أتمنى على الجزيرة على سبيل المثال أن تأتي في برنامج يكون فيه الشيخ الصفار مقابلاً لأحد آخر يرد على كثير مما يقول، الآن في صلب الموضوع على سبيل المثال عندما يقول السيد الصفار الأعمال التي وقعت الإجرامية، والسيد السيستاني رفض الطائفية فإن السيد الصفار يشير إلى جهة معينة، وأنا أسأل السيد الصفار: هل تعني بذلك مثلاً قتل السيد الخوئي والذي أتهم فيه السيد الصدر على سبيل المثال هذه الطائفية التي تقول؟ ثانياً: عندما تقول إن المرجعية لا تتدخل في الأمور الأخرى، في البلدان الأخرى، والسيد السيستاني على سبيل المثال الذي ضربته أنت ما حُكم وجوده في العراق؟ يُفتي لشعب كامل في حال أن هناك مرجعيات أخرى، وأقول يا سيد الصفار لو أخذنا مثلاً عليك أنت بنفسك في دولة السعودية، أنت لو أريد أن أسمعك صوتك الآن وأنت تفتخر بسبب أبي بكر وعمر وعثمان..

خديجة بن قنة [مقاطعة]: هذا لم يحدث خلال البرنامج.

معاذ العابد: أنا أسمعك أختي خديجة الآن تحبي أن أسمعك أختي خديجة؟

خديجة بن قنة: نعم.

معاذ العابد: أسمعك الآن صوته هل تسمح لي بذلك؟

خديجة بن قنة: نتحدث عما دار في خلال هذه الحلقة هذا لم يحدث.

معاذ العابد: بارك الله فيك أختي، الآن مثال فقط أختي على سبيل تبيان أن القضية

ليست أشخاص مرجعيات، إنما هي عقيدة يقتنع بها السيد الصفار في السعودية، والآخر

في إيران، والآخر في نيكاراغوا، يتبعون هذه العقيدة بالتزام تام وهذه العقيدة باختصار مبنية على أن هناك إمامة، الذي لا يؤمن بها فهو كافر ولو صلى ولو صام، إذًا لماذا لا يقول لنا السيد الصفار بصراحة..

خديجة بن قنة: نعم، وصلت فكرتك لكن أريد فقط أن أوضح لك نقطة أخ معاذ العابد من سويسرا أن الشيخ حسن الصفار حَرَمَ على صفحات الصحافة المكتوبة سب الصحابة رضوان الله عليهم، شكراً لك على أية حال، نأخذ رشاد أبو بكر من الأردن.

رشاد أبو بكر - الأردن: السلام عليكم.

خديجة بن قنة: وعليكم السلام ورحمة الله.

رشاد أبو بكر: أخت خديجة الحقيقة يعني أنا تفاجأت حينما قال السيد الصفار في بداية الحلقة عن مفهوم السياسة والدين، أي حينما فصل أو قال إن العالم أو علماء أو المرجعيات ليس لهم علاقة بالأمر السياسية، هذا المفهوم الحقيقة هو مفهوم ليس له صلة بالمفهوم الشرعي؛ لأن السياسة كما نعلم هي رعاية شؤون الأمة، فكيف لعلماء المسلمين أو المرجعيات أن يقولوا أنه لا سياسة في الدين؟ وهل هذا يمكن أن لا يفهم أحد أنه ترسيخ لمبدأ غربي جاء به علماء الغرب، أو النظام الرأسمالي، وهو فصل الدين عن الحياة، أو فصل السياسة عن الدين؟ من هنا نستطيع أن نفهم ما يفعله كثير من المرجعيات، وعلى رأسهم، كما قال السيد الصفار، السيستاني في العراق، هل حينما يعطي الصبغة الشرعية لوجود أميركا في العراق، ولاحتلال أميركا في العراق، أليس هذا تدخلاً في السياسة؟ إذًا لماذا يُراد لهؤلاء أن يتدخلوا في الأمور التي تعطي صبغة غير شرعية؟ بمعنى لماذا يراد..

خديجة بن قنة: نعم، شكراً لك رشاد أبو بكر، نأخذ أحمد الكاتب من بريطانيا.

أحمد الكاتب - بريطانيا: السلام عليكم أخت خديجة.

خديجة بن قنة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحمد الكاتب: وسلامي إلى الأخ العزيز الشيخ حسن الصفار، في الحقيقة كان رائعاً

في الحلقة، وقدم تصورات مهمّة جدًّا في وسط حملة الإشاعات المغرضة التي تحاول بث التفرقة في صفوف المسلمين وفي صفوف الشعب العراقي بالذات، أولئك الذين يعملون على إشعال حرب طائفية، ويستغلون الخلافات البسيطة الجزئية الفرعية لكي يصوروا الخلافات هذه بأنها معركة بين فريقين، أو فسطاطين أو جبهتين لا يمكن أن يلتقيا في نظرهم، بينما الشعب العراقي، والأمة الإسلامية تعيش وحدة متينة جدًّا، وكما لاحظنا في العراق، وفي الحقيقة يعني بالنسبة للمرجعية هي تقوم الآن بدور مهم جدًّا، دور وحدوي وديمقراطي واستقلالي تاريخي، بمعنى أن المرجعية الآن في العراق، ومرجعية السيستاني بتبنيها للخيار الديمقراطي، ودعوة الشعب العراقي للإجماع والاتفاق على نظام سياسي واحد، تجاوزا الخلاف التاريخي بين السُنَّة والشيعية، لم يعد هناك خلاف حقيقي وجذري بين الطائفتين الإسلاميتين، أصبح هذا الخلاف يعني الذي كان موجوداً حول النظم السياسية في التاريخ، وأحقية هذه العائلة أو تلك بالخلافة أصبح شيئاً من التاريخ، أصبح شيئاً من الماضي، الآن المرجعية في العراق والسيد السيستاني ليس هو مرجع الشيعة فقط، إنها هو مرجع مُنتخب من عامة الشعب العراقي، ويمحظى بحبِّ الكثيرين حتى من أبناء السُنَّة، وحتى مما يسمى بالسُنَّة يعني والأخوة الأكراد، وهو اليوم كان له تصريح عظيم ورائع جدًّا، يوصي قائمة الائتلاف الموحد التي فازت في الانتخابات بأن تلتقي مع هيئة علماء المسلمين، ومع الأحزاب الأخرى، ويقول لهم إن السُنَّة ليسوا إخوانكم فقط إنها هم أنفسكم، يعني أنتم كتلة واحدة، وفئة واحدة، وطائفة واحدة، ولستم طوائف، بهذه العقلية يقود السيستاني الساحة العراقية، ويوحد الشعب العراقي، فأنا استغرب من بعض الأخوة الذين يفترضون في أذهانهم الخلافات، ويُعمقوا هذه الخلافات ويُضخمونها لكي يخلقوا فتنة لا تخدم إلا المحتل، نحن الآن بالعراق نحتاج إلى الوحدة الوطنية نحتاج إلى.. لكي نقاوم الاحتلال نحتاج إلى الوحدة أولاً، وإلى الاتفاق على نظام سياسي، وقيادة مشتركة حتى تقود نضال الشعب العراقي من أجل التحرير، ومن أجل

الحرية والديمقراطية.

خديجة بن قنة: نعم، شكراً جزيلاً لك أحمد الكاتب من بريطانيا، نأخذ محمد الحربي من السعودية تفضل.

محمد الحربي - السعودية: مساء الخير أخت خديجة.

خديجة بن قنة: مساء النور.

محمد الحربي: مساء الخير يا شيخ حسن.

الشيخ حسن موسى الصفار: مساك الله بالخير أهلاً وسهلاً.

محمد الحربي: الحقيقة أنا أريد أن أعقب على كلام الشيخ حسن الصفار في قوله أن للمرجعية الشيعية دوراً كبيراً في اللحمة الوطنية، والدينية بين المسلمين، وتطرقتم إلى السيد السيستاني وإلى أستاذه السيد الخوئي الذي يمشي السيستاني على خطاه، أخت خديجة أنا أتمنى من الأستاذ حسن الصفار أن يجاوبني وبكل صراحة، أولاً السيد الخوئي في كتابه مصباح الفقاهة في المجلد الأول صفحة ٣٢٣ تحت باب حرمة غيبة الأخ المؤمن يُكفّر جميع المخالفين، ويقول ثبت في الروايات والأدعية والزيارات جواز لعن المخالفين، ووجوب البراءة منهم، وإكثار السب عليهم، واتهامهم والوقية فيهم، بل لا شبهة في كفرهم، في هذا النص يا أخت خديجة السيد الخوئي كَفَّر جميع المخالفين سواء كانوا شيعة زيدية، أو إسماعيلية، أو سُنَّة، أو صوفية، أو غيرهم، فاتبع نفس الطريقة العالم والمرجع آية الله العظمي السيد محمد صادق الروحاني، في كتابه فقه الصادق عليه السلام في المجلد الرابع عشر، صفحة ٣٤٥ حيث كَفَّر جميع المخالفين سُنَّة وشيعة غير الاثنى عشرية، وكذلك السيد الخميني، في كتابه المكاسب المحرمة في المجلد الأول، صفحة ٢٥١ يقول ما نصه: «فغيرنا ليسوا بإخواننا فلا شبهة في عدم احترامهم بل هو من ضروري المذهب كما قال المحققون بل الناظر في الأخبار الكثيرة وفي الأبواب المتفرقة لا يرتاب في جواز هتكهم والوقية فيهم، بل الأئمة المعصومين أكثروا من الطعن واللعن عليهم وذكر مساوئهم..»

خديجة بن قنة [مقاطعة]: وصلت الفكرة.

محمد الحربي: معلش أخت خديجة بس آخر سؤال..

خديجة بن قنة: نعم، باختصار شديد لو سمحت.

محمد الحربي: آخر فقرة أريد بالله عليك أن يعني.. قناة الجزيرة تشارك في مكافحة الإرهاب، ومكافحة التطرف، وهذا أمر مشكور لها، أنا أريد من الشيخ الصفار أن يعطيني وبكل صراحة.. وَرَدَ في كتبهم المعتمدة أن الإمام الثاني عشر إذا خرج يهدم المسجد الحرام، ويهدم المسجد النبوي، ويصلب أبو بكر، ويصلب عمر، ويجلد عائشة، ويقتل قريش، ويقتل خمسمائة، ثم خمسمائة، ثم خمسمائة..

خديجة بن قنة: نعم، شكراً لك نعتذر لضيق الوقت، طبعاً لدينا الكثير من المشاركات وأيضاً على الإنترنت نبدأ في أخذ أجوبة فضيلة الشيخ حسن الصفار على أسئلة المشاهدين، نبدأ من الأخير من محمد الحربي الذي كان يتحدث عن تكفير المراجع، أو المرجعيات الشيعية للمخالفين، وذكر كمثال في البداية السيد الخوئي الذي كَفَّرَ جميع المخالفين.

الشيخ حسن موسى الصفار: أختي الكريمة هذا الموضوع سبق أن طُرح في لقاء سابق معي في هذه القناة، وضمن هذا البرنامج، كما طُرح أيضاً في مقابلات أخرى، مع فضائيات أخرى، وأنا أعتقد أن هناك أناساً مهمتهم أن يتدخلوا في مثل هذه البرامج لكي يحرفوها عن مسارها، وليدخلونا في حالة القيل والقال، والخلافات والصراعات والتهرج بين أتباع هذه المذاهب، رأبي مُعلن من خلال مختلف المقابلات والكتابات، أنا أعتقد أن المحاسبة على ما في كتب التراث أمر يطول، ويشغل الأمة عن واقعها، أن يبحث الشيعي عما في كتب السُنَّة من إساءات، وأن يبحث السُّني عما في كتب الشيعة من إساءات، سنجد في تراثنا سُنَّة وشيعة الكثير مما يجب أن نقف عنده، وأن نعيد النظر فيه، لكن أن ننشغل، وأن نتقي انتقاءً بعض الكلمات المقطوعة عن سياقاتها والاستدلال بها

هذا تعبئة، هذا إشغال للرأي العام، ولذلك أنا شخصياً لن أجيب عن مثل هذه الأسئلة لأنها أسئلة مكرورة، ومقصود منها الانحراف بالبرنامج، وإشغال الناس عن قضاياهم الحقيقية، الآن المرجعية في العراق تقوم بدور وحدوي، وتأمّر الناس بالوحدة والتلاحم عملياً قبل أن يكون الأمر كلامياً، والمرجعية في إيران كذلك، الإمام الخميني رحمه الله أمر الشيعة بأن يصلّوا مع بقية المسلمين السنّة في الحج في الحرمين الشريفين، والوسائل الإعلامية الموجودة من قبل الجمهورية الإسلامية في إيران، والقنوات العراقية، الآن هناك أكثر من فضائية عراقية شيعية، وفي لبنان أيضاً قناة المنار، السياسة الإعلامية لهذه القنوات وطرحها الثقافي والديني واضح جداً، وهو باتجاه الوحدة والتآلف والابتعاد عن هذه الفتن والتهرج المذهبي، ولذلك لن أدخل، ولن أنزلق، سأتسامى عن هذه الترهات.

خديجة بن قنة: نعم، فضيلة الشيخ، رشاد أبو بكر من الأردن كان يتحدث، يقول لكم: كيف تتحدثون عن عدم تدخل المرجعية الشيعية في السياسة، وكل ما يقوم به السيد السيستاني هو سياسة؟

الشيخ حسن موسى الصفار: أنا لم أقل إن المرجعية لم تتدخل في السياسة، أنا قلت إن التقليد والمرجعية في الأصل هي الرجوع إلى الفقيه في القضايا والمسائل الدينية، وقلت أيضاً حينها طرحت أنت سؤال: ما هو حدود الرجوع إلى المرجع؟ قلت: كل قضية تكون مورداً لحكم شرعي في أيّ مجال من مجالات الحياة، فإن المكلف يرجع فيها إلى الفقيه، ويأخذ رأيه الشرعي والفقهي، أما الموقف السياسي المباشر، حتى السيد السيستاني نفسه يقوم بدور سياسي في القضايا المصيرية؛ كقضية الانتخابات، والدستور، وقضية وحدة الشعب العراقي، أما في القضايا التفصيلية السياسية فمعلوم جداً أنه لم يقبل الدخول فيها، وحينما طرح موضوع اختيار رئيس وزراء من قبل قائمة الائتلاف أحوالاً على سماحة

السيد السيستاني أن يتدخل، وأن يُرجح أحد المرشحين، رفض ساحة السيد السيستاني هذا الأمر وقال: هذا متروك لكم، السيد السيستاني لا يتدخل في القضايا السياسية بالمعنى الاحترافي، وإنما هو يوجّه الشعب في قضايا المصيرية باعتباره محل إجماع من الناس، وكلمته مسموعة ومؤثرة.

خديجة بن قنة: نعم، فضيلة الشيخ حسن الصفار، يسأل مشارك لم يكتب اسمه من سوريا، يقول كيف يمكن الوثوق بدعوات الشيعة للوحدة الإسلامية، وفي نفس الوقت واحدة من مبادئهم وعقائدهم الأساسية تسمى التقية، وهي تعني - كما يقول - النفاق حتماً، وفوق كل ذلك ينسبوننا إلى الإمام جعفر الصادق، هل لك أن توضح لنا مبدأ التقية المرتبط بالفكر الشيعي؟

الشيخ حسن موسى الصفار: هذا يدخلنا في نفس السياق، إذا كانت التقية نفاقاً فإن القرآن قد أمر بهذا النفاق، القرآن الكريم يقول: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾، وأيضاً: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ التقية ليست نفاقاً، التقية مبدأ شرعي أقرته كل المذاهب الإسلامية، ولا يوجد اختلاف حول أصل التقية، ولكن هناك كلام يوجه للشيعة عن سعة ممارستهم للتقية، وهذا يرتبط باضطرارهم إليها، لأنهم في كثير من الأحيان والظروف يعيشون ظروف اضطهاد، فيضطرون لممارسة التقية، أما على أصل المبدأ فهناك اتفاق من قبل علماء المسلمين، في التفاصيل هناك اختلاف، ولذلك فالمسألة ليست نفاقاً، وإنما هي حالة اضطرارية، وفي أي وقت استطاع فيه الشيعة أن يُظهروا آراءهم فإنهم لا يتقون، ولا أعرف شيئاً يخفيه الآن الشيعة تقيةً، الشيعة يعملون على المكشوف، فأراؤهم واضحة، وممارساتهم جلية، فعملاً الشيعة لا يمارسون التقية.

خديجة بن قنة: نعم، نأخذ أبو جنان من أميركا لكن نطلب من المشاهدين أن

يختصروا في مداخلاتهم لأن الوقت ضيق معنا.

أبو جنان يوسف - أميركا: السلام عليكم.

خديجة بن قنة: وعليكم السلام ورحمة الله.

أبو جنان يوسف: تحية لك يا أخت خديجة، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي خروج من الملة، إن هذه الآية تشمل الجميع سواء سُنَّة أم شيعة، عندي سؤالان، السؤال الأول: لماذا ما زال الشيعة يذكرون حزب البعث وصدام بأنهم يُمثلون أهل السُنَّة كما يزعمون؟ أن صدام أتى على دبابة أميركية والسيستاني وباقر وأمثلة أتوا على نفس هذه الدبابة، فلماذا تشملون أهل السُنَّة وكأنهم هم يعني من يمثلون..

خديجة بن قنة: نعم، السؤال الثاني لو سمحت.

أبو جنان يوسف: السؤال الثاني: هل ما يفعله الشيعة في عاشوراء من لطم على الوجوه، وتجريح لأجسادهم، ونزيف دمائهم، ودماء أطفالهم هو اضطهاد لأنفسهم؟

خديجة بن قنة: نعم، شكراً لك نديم الجابري من العراق تفضل.

نديم الجابري - العراق: نعم، بسم الله الرحمن الرحيم.

خديجة بن قنة: نعم تفضل باختصار.

نديم الجابري: بسم الله الرحمن الرحيم، في البدء لا بد من تحية خاصة لضيفكم الكريم سماحة الشيخ الصفار على الروح الموضوعية المتوازنة في الطرح، والرؤية الواضحة المبسطة، التي صححت كثيراً من المفاهيم المغلوطة التي تشاع في العالم الإسلامي حول هذه الطائفة التي تعرضت للكثير من الاضطهاد منذ عقود بل منذ قرون طويلة..

خديجة بن قنة: نعم، سؤالك باختصار لأنه ليس لدينا الكثير من الوقت.

نديم الجابري: أنا ليس لدي سؤال، أنا لدي مداخلة بناء على طلبكم فالرجاء

اسمحي لي بالمداخلة، أنا جزء من العملية السياسية في العراق، أنا عضو في الائتلاف

العراقي الوطني، وعضو في المجلس الوطني العراقي، ولي احتكاك مباشر مع المرجعيات الدينية الشيعية في العراق، وفي الحقيقة المرجعيات الدينية في العراق سواء المتوفين منهم أو الأحياء، قد لعبوا دوراً أساسياً في توحيد الشعب العراقي؛ لأن الشعب العراقي كما يعرف الجميع عبارة عن مكونات اجتماعية قومية، أو طائفية متفاوتة ومتباينة، وكان من الضروري أن تكون هناك مرجعيات تلعب دوراً أساسياً في وحدة الشعب العراقي، وفعلاً قامت مثلما وصف سماحة الشيخ الصفار هذا الدور، منذ ثورة العشرين كان للشيرازي قائد الثورة دوراً أساسياً في بلورة المشروع الوطني العراقي.

خديجة بن قنة: نعم، شكراً لكم نديم الجابري من العراق، شكراً جزيلاً لك، فضيلة الشيخ حسن الصفار أبو جنان من أميركا كان يسأل: لماذا ربط حزب البعث بالسُّنة؟

الشيخ حسن موسى الصفار: لا أحد يربط البعث بأهل السُّنة هذا الكلام مردود، نحن نقول إن صدام لم يكن يعمل لأهل السُّنة، وأن هناك علماء مجاهدين من أهل السُّنة قاموا وعارضوه واستشهدوا على يديه كالشهيد الشيخ عبد العزيز البدري، وأن الجمهور السُّني في العراق أيضاً نال من قمع صدام، ومن الحرمان الذي مارسه نظام صدام كما نال الشيعة وكما نال الأكراد، لكن هناك تفاوت في الحجم وفي المستويات، فأنا شخصياً لا أعتبر أن صدام يمثل إرادة السُّنة، ولا أن حزب البعث يمثل إرادة السُّنة، وإنما يمثل حالة سلطوية قمعية ضد السُّنة والشيعة وكل العراقيين والمسيحيين والأكراد ضد الجميع.

خديجة بن قنة: نعم، بالنسبة لعاشوراء يقول: لماذا لطم الوجوه وكل هذه الدماء التي نراها تسيل في يوم عاشوراء؟

الشيخ حسن موسى الصفار: في كل مذهب من المذاهب، هناك آراء تخص هذا

المذهب ينبغي مناقشة هذه الأمور ضمن المنظومة الثقافية والدينية لذلك المذهب، وآتي هنا بمثل بسيط لتقريب الصورة، لو أن إنساناً غير مسلم لاحظ رمي الجمار الذي يعمله المسلمون في الحج مفصلاً عن سياقه لما استطاع أن يتفهم هذا الأمر، جماعة يتزاحمون على مكان، منهم من يموت، ومنهم من يؤذى، أو يصاب، حتى يضربوا ذلك المكان بأحجار صغيرة، لكن حينما تقرأ موضوع رمي الجمار ضمن المنظومة الإسلامية، وضمن مناسك الحج، يكون مفهوماً أكثر، المراسيم التي يعملها الشيعة في عاشوراء حينما تُقرأ ضمن موقعية الإمام الحسين، وضمن بشاعة الحادثة التي حدثت في كربلاء، والتوجيهات التي صدرت من أئمة أهل البيت، يمكننا أن نفهم أكثر ممارسة الشيعة لهذه المراسم، طبعاً عندنا تحفظ على بعض الممارسات، ليس كل الممارسات التي تحصل هي مرضية ومقبولة، لكن ينبغي أن يُنظر للموضوع بمجمله، وأحب أن أشير هنا إلى نقطة، كفى جداً حول هذه الأمور، علينا أن نعترف ببعضنا ببعض، فالشيعة هؤلاء كما هم، وعلى ما هم، لن يستطيع السُّنة أن يغيروهم، والسُّنة على ما هم، كما هم، فلنعترف ببعضنا البعض ولتجاوز هذا الأمر.

خديجة بن قنة: ولا أن يغير الشيعة السُّنة طبعاً.. نعم، فضيلة الشيخ هناك قضية لم نتحدث عنها وهي قضية الخمس الذي يدفعه الشيعة للمرجع الشيعي، ما مفهوم الخمس؟ ماذا نعني به لمن يدفع ومن يدفع؟

الشيخ حسن موسى الصفار: الخمس فريضة إسلامية تحدث عنها القرآن الكريم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَىٰ﴾ ولكن اختلف السُّنة مع الشيعة في تحديد موارد الخمس، فأهل السُّنة يقولون إن الخمس يجب في غنائم الحرب، ورأوا أن ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ خاصة بغنائم الحرب، ويوجبونه في الفبيء والركاز والمعادن، ولكن الشيعة يضيفون على هذه الأمور أشياء أخرى كالمال الحلال

المختلط بالحرام، وأرباح المكاسب، يعتبرون هذه موارد الخمس، فكل إنسان يعمل طوال السنة، ينفق من دخله حسب حاجته، وكما يشاء، فإذا بقي عنده شيء آخر السنة، زيادة على ما أنفق، فإن فاضل المئونة يطلقون عليه فائضاً فيجب عليه أن يُحمّس هذا الشيء المتبقي بعد مصاريفه ومئنته.

خديجة بن قنة: نعم، انتهى وقت البرنامج، في نهايته لا يسعنا مشاهدنا إلا أن نشكر فضيلة الشيخ حسن الصفار من المملكة العربية السعودية شكراً جزيلاً لكم فضيلة الشيخ.

الشيخ حسن موسى الصفار: شكراً لك.

خديجة بن قنة: ونشكركم أنتم مشاهدنا وفريق البرنامج، المخرج منصور الطلافيح ومعدّ البرنامج معتر الخطيب، نلتقي في حلقة الأسبوع المقبل بحول الله، لكم منا أطيب المنى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حوار مع قناة العربية الفضائية

أذاعت قناة العربية الفضائية الحوار ضمن برنامج (نقطة نظام) مساء الجمعة ٢٣ محرم ١٤٢٦ هـ (٤ مارس ٢٠٠٥ م) بعد الساعة التاسعة والنصف.

نص الحوار من موقع العربية^(١)

- اسم البرنامج: نقطة نظام.
- تقديم: حسن معوض.
- التاريخ: الجمعة ٤/٣/٢٠٠٥ م.
- ضيف الحلقة: الشيخ حسن الصفار «أبرز رجال الدين الشيعة - السعودية».

هل أنعش سقوط صدام شيعة المملكة؟

شيعة السعودية وولاية الفقيه.

(١) موقع العربية نت على الانترنت: www.alarabiya.net

- مرجعيات شيعة المملكة بين قم والنجف.
- تأثير حزب الله الحجاز على شيعة السعودية.
- اتصالات بين الشيعة وبعض رموز السلفية.

حسن معوض: مشاهدنا الكرام سلام من الله عليكم ورحمة منه وبركات، في ظل الانتخابات البلدية في المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية، هل جاء الآن دور وثيقة شركاء في الوطن؟ وهل هناك دور للضغوط الخارجية في تسريع وتيرة الإصلاح في السعودية؟ وهل ما حققه شيعة العراق شدّ من أزر شيعة الخليج؟ وما دور المؤثرات الإقليمية في ذلك كله؟ هذه الأسئلة وغيرها نطرحها على أبرز رجال الدين الشيعة في السعودية الشيخ حسن الصفار.

شيخ حسن، بداية هل لك أن تؤكد لنا بأنك دعمت قائمة مرشحين في القطيف في المنطقة الشرقية في هذه الانتخابات البلدية؟ سميت هذه القائمة في الواقع تيمناً باسمك قائمة الصفار وسميت أحياناً - على ما يقال - تبسطاً بقائمة السيستاني؟

الشيخ حسن الصفار: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين، لم أدم قائمة معينة وكان يفترض أن تتاح الفرصة لتكوين القوائم في هذه الانتخابات لأن المحافظة كلها دائرة واحدة، ولكن لعدم وجود قانون يتيح الفرصة لتكوين قوائم فإن هناك مبادرات من قبل بعض الناس، وطرح أكثر من قائمة وأنا شخصياً لم أتبنّ قائمة بعينها، وإنما دعوت كل الناس للتفاعل مع هذه الانتخابات وقمت بزيارة عدد كبير من المرشحين فيها.

حسن معوض: طيب شيخ حسن، هل توافق في الواقع يعني آخذين في الاعتبار ما قلته، بأن معظم - إن لم يكن كل هذه القوائم - بحسب

وكالات الأنباء في الواقع كانت قوائم طائفية - إن أحببت - يعني هناك قائمة للشيعنة أو قوائم للشيعنة وقوائم للسنة خاصة في الدمام على ما يقال.

الشيخ حسن الصفار: تحصل مثل هذه الأمور في أجواء فيها آثار من مرحلة سابقة من الخلافات، ولكن يبدو لي أن الأجواء في طريقها إلى التصفية والتنقية، وعادة في مثل هذه الانتخابات تعبر مختلف التيارات عن نفسها على الصعيد الفكري أو المذهبي أو الديني، وحتى داخل السنة أنفسهم مختلف التيارات كل تيار حاول أن يعبر عن نفسه، وكذلك داخل الشيعة التيارات المختلفة حاولت أن تعبر عن نفسها.

حسن معوض: ولكن شيخ حسن هل توافق على أن هذا في الواقع يعني يشطب قضية المواطنة يعني عدنا إلى المربع الأول يعني الطائفية، أليس كذلك؟

الشيخ حسن الصفار: نعم أنا أوافق على هذا الرأي وقد تحدثت أكثر من مرة أن هذه الانتخابات وأن الترشيح فيها لا ينبغي أن يكون هناك تصنيف طائفي أوقبلي أوفثوي، ولكن هناك اعتبارات طبيعية تحصل في أوساط الناس، وأعتقد لو أتاحت الفرصة لتشكيل قوائم علنية لأمكن تجاوز هذه المشكلة.

حسن معوض: طيب ولكن في المقابل شيخ حسن على ما يقال بأنك في الواقع كنت دعوت مواطنين في المنطقة الشرقية إلى التصويت على أساس الكفاءة، هل تعتقد بأنهم مرة أخرى بالرغم من هذه القوائم سيصوتون لقوائم أو سيصوتون للكفاءة في هذه القوائم؟

الشيخ حسن الصفار: أعتقد أن كثيرين سيصوّتون للأكفاء، ولكن هناك عدداً من الناس معرفتهم بالأشخاص محدودة لم تتح للناس فرصة في الماضي أن يتعرفوا على الفاعليات الاجتماعية والسياسية في المنطقة وفي كل مناطق المملكة، ليست هناك تجمعات مؤسسات مدنية وليس هناك تجمعات أيضاً معترف بها بحيث تعلن عن كوارها وعن قياداتها فالكثيرون من الناس لا يعرفون الأشخاص فكانوا يسألون من الآخرين حتى يتعرفوا.

حسن معوض: طيب شيخ حسن يعني لو طُبق هذا النمط في الواقع في انتخابات تشريعية أو برلمانية قادمة، هل تعتقد أن هذا سيفيد شيئاً؟

الشيخ حسن الصفار: أنا أعتقد أن التجربة هذه ستؤخذ بعين الاعتبار في أي تجربة قادمة وأي خطوة قادمة في اتجاه الانتخابات، ستؤخذ هناك نقاط القوة وستعالج نقاط الضعف إن شاء الله.

حسن معوض: طيب في سياق في الواقع تشجيعك للمواطنين على التصويت في هذه الانتخابات يقال بأنك ذكّرتهم أو أشرت إلى الانتخابات الأخيرة في العراق التي أسفرت عن فوز كبير للمواطنين الشيعة هناك، هناك من قال بأن في هذا المثل الذي أخذته استحضاراً في الواقع للنزعة الشيعية، هل توافق؟

الشيخ حسن الصفار: كلا، كان تذكيري لهم أنه يجب أن تحضروا وأن تشاركوا في الانتخابات، ولا يرجع منكم أحد لأنه يرى أن الطابور الطويل أو لأنه يأخذ منه وقتاً، وضربت لهم مثلاً بأن الشعب العراقي - ولم أذكر قائمة - الشعب العراقي حضر للانتخابات رغم الأخطار ورغم التهديدات وأنتم تعيشون في جو آمن فلا تقصروا في

المشاركة والحضور الوطني، كانت نقطة التمثيل هي هذه النقطة وليس الجانب الآخر.

حسن معوض: طيب، شيخ حسن، لماذا لم تقل لهم بأنه عليكم أن تتوجهوا إلى صناديق الاقتراع من باب المواطنة لأن هذه حق من حقوقكم كمواطنين سعوديين؟

الشيخ حسن الصفار: المواطنة تستدعي أن الإنسان يشارك بفعالية في مثل هذا الاستحقاق، ولكن لأن التجربة جديدة على الناس فكنت أخشى أن البعض منهم لأن الوقت قصير يوم واحد ويرى أن هناك طابوراً أو صفافاً فيدخل بوقته، فاستحضرت المثل العراقي في جانب إصرار الناس على الحضور والتفاعل الوطني فقط وليس في أي جانب آخر هذا ما ذكرته.

حسن معوض: شيخ حسن، على ذكر الانتخابات العراقية، في الواقع ثمة من يرون أن فوز المواطنين أو الشيعة في الواقع في العراق بهذا الفوز الساحق الذي تم مؤخراً ربما شدّ من أزر المواطنين الشيعة في منطقة الخليج بشكل عام، هل توافق على ذلك؟

الشيخ حسن الصفار: أنا أعتقد أن الفوز في العراق لم يكن لقائمة بعينها بمقدار ما كان للشعب العراقي بكامله، الأكراد أيضاً وهم جزء أساس من الشعب العراقي كان له دوره وحضوره الفاعل في هذه الانتخابات، والسنة العرب في العراق لولا الظروف الطارئة التي كانت تحول بين بعضهم وبين المشاركة لكانت مشاركتهم بفعالية كبيرة، ولعلكم تابعتم كما تابعت أنا وغيري أن هيئة الوقف السنّي في العراق تحدثت عن مثل هذا الأمر، وأبدت استعدادها للمشاركة في صياغة الدستور وفي الحكومة الجديدة.

هل أنعش سقوط صدام شيعة المملكة؟

حسن معوض: شيخ حسن، الواقع هناك من يقولون بأن سقوط نظام صدام حسين بحد ذاته قد شجّع الشيعة بشكل عام في منطقة الخليج على المطالبة بما يعتبرونها حقوقهم الأساسية بشكل أقوى وأشد، هل توافق على ذلك؟

الشيخ حسن الصفار: سقوط النظام العراقي أوجد وضعاً جديداً في المنطقة كلها وليس عند الشيعة فقط، والمبادرات التي تطالب بالإصلاح والتغيير السياسي خرجت من غير الشيعة وليس فقط من الشيعة، ولعل مطالب الآخرين في المملكة من غير الشيعة هي أشد وأقوى من مطالبات الشيعة، الشيعة ليست لهم مطالبات جديدة وإنما نفس ما كانوا يطالبون به في الماضي في إطار إخلاصهم للوطن وإصرارهم على الوحدة الوطنية.

حسن معوض: طيب، سيد حسن، سنأتي إلى مطالب الشيعة بشكل دقيق في المملكة العربية السعودية، ولكن دعني أظل في العراق، يعني هل تشارك البعض تحفظاتهم من أن انتصار الشيعة في الانتخابات الأخيرة في العراق جاء على خلفية التغيير الذي أحدثته الولايات المتحدة الأميركية بالذات في العراق، وليس نتيجة تطور داخلي طبيعي؟

الشيخ حسن الصفار: لا شك أن هذا عامل له دوره وتأثيره ولكن الساحة في العراق الساحة العراقية أثبتت أن لديها نضجاً وتطوراً في الإدراك والوعي بحيث تفوّت الفرصة على أي طرف آخر وتمسك بثوابتها الوطنية وتسعى إلى تجاوز آثار الحقبة السابقة، هناك إصرار - من قبل القيادات العراقية من السنة والشيعة والأكراد وغيرهم - إصرار على بناء عراق تعددي ديمقراطي يتجاوز آثار الحكم السابقة.

حسن معوض: طيب، شيخ حسن، في السياق ذاته، في الواقع أنت انتقدت في حينه تصريحات أردنية، قيل في حينه بأنها قالت بأن هناك مساع إيرانية لإقامة هلال شيعي، الآن بغض النظر عن هذه التصريحات بحد ذاتها، هل تعتقد بأن مثل هذا التطور يعني قيام ما يسمى بهلال شيعي سيكون تطوراً إيجابياً؟ أم تطوراً سلبياً من منظورك كرجل ديني شيعي بارز؟

الشيخ حسن الصفار: أنا أدين إثارة هذه التوجّسات وإثارة المخاوف والقلق عند كل فئة تجاه الفئة الأخرى، المنطقة العربية فيها هذا الخليط وكلهم يشكلون نسيجاً وطنياً واحداً، في العراق هناك أكراد، وهناك عرب، وهناك سنة، وهناك شيعة، وهناك مسيحيون، فإثارة المخاوف عند كل فئة من بروز الفئة الأخرى ومن أخذها لحجمها ومكانتها أعتقد هذا أسلوب خاطئ، وكذلك على مستوى المنطقة العربية بشكل عام، الشيعة جزء من المنطقة العربية.

حسن معوض [مقاطعاً]: ولكن سيد حسن هذه النقطة في الواقع وصلت وهذه وجهة نظرك فيما يتعلق بالتصريحات وما سميتها بإثارة المخاوف، ولكن أنا أسألك هل تعتقد بأن هذا التطور بحد ذاته شخصياً أنت يعتبر تطوراً إيجابياً بمنظورك كرجل ديني شيعي؟ أم سلبياً؟

الشيخ حسن الصفار: من منظوري كمواطن يريد الخير لمجتمعه ولشعوب المنطقة أنا أعتقد بأن وجود المجال لمختلف الفئات أن تعبر عن نفسها وأن تأخذ موقعيتها الوطنية هذا أمر إيجابي، وواقع التهميش..

حسن معوض [مقاطعاً]: طيب شيخ حسن عندما..

الشيخ حسن الصفار: الذي كان..

حسن معوض: تفضل.. تفضل.

الشيخ حسن الصفار: واقع التهميش - اسمح لي بهذه النقطة - واقع التهميش الذي كان يعيشه الشيعة في العراق ويعيشه الأكراد في العراق وغيرهم أيضاً، السنة أيضاً لم يكن واقعهم بالمستوى الذي يطمحون إليه في العراق، هذا الواقع التهميشي كان في غير صالح الجميع.

شيعة السعودية وولاية الفقيه

حسن معوض: طيب هذه نقطة وصلت شيخ حسن، أريد أن أكمل عندما يُذكر الشيعة في الواقع بشكل عام غالباً ما تُذكر مسألة ولاية الفقيه، ما رأيك في هذه الولاية وولاية الفقيه؟

الشيخ حسن الصفار: ولاية الفقيه هي مدرسة داخل المذهب الشيعي لا تشكل المساحة الأوسع في المذهب الشيعي، المرجعية العليا عند الشيعة وأغلب مراجع الشيعة المعاصرين الآن لا يرون ولاية الفقيه، إنما هي مدرسة على مساحة محدودة من المذهب الشيعي، وحتى هذه الولاية وولاية الفقيه أيضاً لديها مستوى من النضج والوعي بحيث لا تتدخل في شؤون المناطق والبلدان الأخرى كما ثبت عملياً وفعالياً.

مرجعيات شيعة المملكة بين قم والنجف

حسن معوض: طيب هذه نقطة وصلت سيد حسن، ولكن دعني أكون أكثر دقة من الناحية الدينية أين تكمن مرجعية شيعة السعودية؟ هل هي في النجف؟ أم في قم؟

الشيخ حسن الصفار: الأغلبية مرجعيتهم في النجف، وهناك قسم من المواطنين الشيعة مرجعيتهم في قم، ولكن سواء كانت المرجعية في قم أو في النجف فإنها في إطار الفتاوى الدينية والقضايا الدينية، فيما يرتبط بالوضع السياسي القيادات المحلية الشيعية هي التي تتعاطى مع هذه الأمور دون أي تدخل من المرجعيات في قم أو في النجف.

حسن معوض: إذاً سيد حسن هذه نقطة وضحت، إذاً مشاهدنا الكرام نتوقف مع فاصل قصير نعود بعده إليكم.

فاصل إعلاني

تأثير حزب الله الحجاز على شيعة السعودية

حسن معوض: أهلاً بكم مجدداً، إذاً مشاهدنا الكرام نواصل حوارنا مع الشيخ حسن الصفار رجل الدين الشيعي السعودي البارز، شيخ حسن أود أن أكمل في موضوع التأثيرات الخارجية والإقليمية في هذا الإطار في الواقع، هل لك أن تقيّم لنا مدى تأثير ما يُسمى بحزب الله الحجاز الذي نُسبت إليه تفجيرات الخبر في أواسط التسعينيات في الواقع تأثير أو نفوذ هذا الحزب على المجتمع الشيعي في المملكة العربية السعودية في هذه الآونة بالذات؟

الشيخ حسن الصفار: هذه العناوين - حزب الله حجاز أو منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية - هذه عناوين كانت في مرحلة وحقبة سابقة، ولكن منذ عام ١٩٩٣ حصل حوار بيننا وبين الحكومة السعودية.. مع حكومتنا والحمد لله عاد الجميع إلى أرض الوطن، والجميع منخرطون الآن ضمن المعادلة الوطنية يمارسون نشاطهم الديني والاجتماعي والثقافي داخل الوطن دون مثل هذه الأطر أو العناوين.

حسن معوض: طيب ولكن شيخ حسن هناك من يقولون بأن ثمة شخصيات أو أفراداً في الواقع يسمّون أنفسهم بمعارضة شيعية سعودية موجودة في الخارج من قبيل علي الأحمد الموجود في واشنطن مثلاً، يقال في الواقع أنكم تقرون أو تغضون الطرف عن وجود هؤلاء الناس باعتبارهم متنفساً ربما لكم في الخارج لكي تقولوا ما لا تستطيعون أن تقولونه ربما داخلياً؟

الشيخ حسن الصفار: ليس الأمر كذلك، نحن عدنا إلى المملكة وانتهى عملنا، أي عمل تنظيمي بالنسبة لنا قد انتهى، ونمارس الآن نشاطنا الطبيعي داخل المملكة تحت الأنظار وبشكل مكشوف، لكن الأشخاص لا نستطيع أن نمنع أحداً من ممارسة دوره أو الدور الذي يختاره لنفسه، ونحن نعلن مواقفنا بشكل واضح جداً كما أعلننا حول تقرير الخارجية الأميركية، وبالتالي لا نتحمل نحن مسؤولية أحد وكل واحد هو يتحمل مسؤولية عمله.

حسن معوض: طيب هل يعني هل تقولون بأن ما يقوم به هذا الشخص يعني هو صحوة يعني قضيته ولكن هل هو جيد ما يفعله؟ أو غير جيد؟

الشيخ حسن الصفار: طبعاً تختلف وجهات النظر حول التقييم، بالنسبة لي أرى أن المناسب في هذه المرحلة هو التفاعل مع الوضع داخل الوطن وتشجيع هذه الخطوات الإيجابية وأنها هي الطريق المناسب لتغيير ما يعيشه الناس المواطنون من شيعية وغير الشيعية لتطوير واقعهم إلى الأفضل، فأنا شخصياً أؤمن بالمعادلة الداخلية وأن يكون العمل من داخل الوطن وضمن الأطر الرسمية والمشروعة، لكنني لست وصياً ولا مهيماً على غيري.

حسن معوض: شيخ حسن، لنتقل إذاً إلى الوضع الداخلي بشكل أدق أو بشكل أعمق، نقل عنك القول بأن التغييرات التي طرأت حتى الآن على أوضاع الشيعة في السعودية ليست مملاة من الخارج، أولاً ما هي هذه التغييرات التي طرأت؟

الشيخ حسن الصفار: هناك تحسن في وضع المواطنين الشيعة خلال هذه الفترة، بعض الأشياء الدينية كبناء المساجد أصبح متاحاً لهم أن يبنوا مساجدهم في مناطقهم، فرص التعبير عن الرأي أمامهم في وسائل الإعلام أصبحت متاحة أكثر، أنشطتهم الدينية والثقافية والاجتماعية أصبحت فرصهم فيها أكبر، ولكن لا تزال هناك بعض القضايا نأمل أن تعالج إن شاء الله..

حسن معوض [مقاطعاً]: شيخ حسن هل توافق على أن نظام الحكم والقوانين المعمول بها في المملكة العربية السعودية في الواقع لا تنص على ما يمنع من دخول المواطنين الشيعة في هذه المناصب، أليس كذلك؟

الشيخ حسن الصفار: بكل تأكيد ليس هناك ما ينص..

حسن معوض [مقاطعاً]: إذاً ما هي المشكلة؟

الشيخ حسن الصفار [متابعاً]: والنظام الأساسي السياسي في المملكة يقرر المساواة بين المواطنين وأنه ليس هناك فرق بين أي مواطن وآخر، فكل مواطني المملكة مسلمون والحمد لله، النظام الأساسي والقيادات العليا في الدولة كلها تؤكد هذا الأمر، ولكن هناك بعض التوجهات وهناك بعض الآثار من حقبة سابقة مرت بها البلد ومرت بها

المنطقة أوجدت هذه الحالة من التهميش التي يشكو منها المواطنون الشيعة.

حسن معوض: شيخ حسن، هل توافق على أن يعني التظلمات - إن أحبيت - أن تسميها فيما يتعلق بمسائل تكافؤ الفرص، المساواة في الوظائف وما إلى ذلك يعني في الواقع يعني ليست محصورة في الشيعة، السنة ربما لديهم نفس الشكاوى أليس كذلك؟ ولكنكم أعطيتموها بعداً طائفيّاً، هل توافق على ذلك؟

الشيخ حسن الصفار: لأنها أخذت هذا العنوان، وإلا لو كانت كسائر التظلمات، طبعاً نحن نسعى ونعمل في الاتجاه الوطني العام وأنا قلت في أكثر من مناسبة وفي مؤتمر الحوار الوطني أننا الآن في هذه المرحلة نعمل على الصعيد الوطني العام وليس للمطالبة بحقوق فئة دون فئة، أنا لا أصنف نفسي أنني أتطلع إلى معالجة مشاكل مواطنين شيعة فقط، أنا يهمني كبقية المواطنين الواعين والمخلصين إن شاء الله أن تعالج كل مشاكل المواطنين.

ماذا عن وثيقة «شركاء في الوطن»؟

حسن معوض: طيب شيخ، حسن يعني من البارز أو من الواضح بأن من المعالم الهامة في تاريخ المطالبات الشيعية في السعودية ما تُسمى بوثيقة شركاء في الوطن التي قدمتموها في الواقع ربما العام الماضي إلى ولي العهد السعودي، ما الذي حدث منذ ذلك الوقت؟

الشيخ حسن الصفار: هذه الوثيقة إنما هي تنص على أن الشيعة ليس لهم مشروع خاص يختلف عن باقي فئات الوطن وشرائح الوطن، هي تنص على أن الشيعة جزء من هذا الوطن وجزء من المواطنين، ليس لهم مشروع خاص وليس لهم ولاء خارج ولائهم

الوطني، وأن كل ما يطالبون به هو تكافؤ الفرص بينهم وبين بقية المواطنين، والذي حصل منذ تقديم الوثيقة إلى الآن من أهم المكاسب التي حصلت ولا أنسبها إلى الوثيقة ولكن حصلت في هذه الفترة، مؤتمر الحوار الوطني، ومما حصل أيضاً في هذه المرحلة والفترة إتاحة الفرصة على الصعيد الإعلامي والثقافي نسبياً هذه الأمور نحن نتفاءل بها، إنها مؤشرات لمعالجة بقية المشاكل والقضايا إن شاء الله.

حسن معوض: يقال شيخ حسن الصفار في هذا السياق أنك طلبت في الواقع ربما شخصياً من ولي العهد السعودي أن يعين وزيراً شيعياً في الحكومة، هل حدث ذلك فعلاً؟

الشيخ حسن الصفار: لم أطلب أنا شخصياً وإنما وثيقة شركاء في الوطن أشارت إلى هذا الأمر، وكان الحديث حول هذا الموضوع مع مختلف المسؤولين، وكل المسؤولين أكدوا لنا أنه ليس هناك ما يمنع من ذلك وأن الحكومة سوف يعني تضع كل كفاءة في مكانها في الوقت المناسب إن شاء الله.

حسن معوض: هل توافق مع من يقولون بأن - ربما - قربك من صنع القرار في المملكة العربية السعودية هل مثلاً زاد أو حسن من فرص إيصال الصوت الشيعي إلى الحكومة؟ أم ماذا؟

الشيخ حسن الصفار: بالتأكيد لأن التواصل - سواء بالنسبة لي شخصياً أو بالنسبة لغيري - التواصل فيه مكسب كبير، بالتواصل تكون الصورة أوضح، وبالتواصل أيضاً تُستحضر القضايا أمام المسؤول الذي ينشغل ذهنه وجهده بمختلف القضايا المطروحة عليه داخلياً وخارجياً، فالتواصل له دور كبير، وأنا شخصياً لمست الأثر الكبير من خلال التواصل، أصبحت صورة الوضع في البلد بالنسبة لي أوضح وأعتقد أن الصورة أيضاً

بالنسبة للمسؤولين تجاه ما يطرحه مواطنوهم الشيعة أصبحت أوضح.

اتصالات بين الشيعة وبعض رموز السلفية

حسن معوض: طيب شيخ حسن، هناك من يقولون بأن هناك اتصالات أو ربما حتى حوارات بينك وبعض رموز السلفية في المملكة العربية السعودية يُذكر في هذا المجال سلمان العودة، هل هذه الاتصالات تهدف إلى حل أو حسم الخلافات العقائدية أو تضعون الخلافات العقائدية جانباً وتبحثون التفاهم في مجالات أخرى ربما يمكن التوصل إلى قواسم مشتركة بشأنها؟

الشيخ حسن الصفار: نعم، أنا أعتقد أن الاستمرار في الجدل والسجال العقدي والخلافات بين المذاهب هذا غير مجدٍ أبداً، فالشيعة ينبغي أن يقبلوا السنة على ما هم عليه، والسنة يقبلون الشيعة على ما هم عليه، ويبحثون عن مناطق التوافق والاشترك، ويخدمون مصالحهم المشتركة ضمن نظام المواطنة الذي لا يفرق بين مواطن وآخر، خاصة وأن الأمة الإسلامية تواجه تحديات كبيرة تستدعي التلاحم بين طاقاتها وبين شرائحها.

حسن معوض: شيخ حسن، أخيراً وباختصار هل نفهم من كلامك بأنه بالإمكان التعايش في الواقع مع وجود خلاف مذهبي؟

الشيخ حسن الصفار: ممكن وضروري أن يكون هناك تعايش؛ لأن الخلاف المذهبي هي حالة طبيعية، البشر من أول يومهم إلى هذا اليوم وإلى يوم القيامة كما يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [سورة هود: الآيتان ١١٨-١١٩] بالتالي الاختلاف الديني والمذهبي والفكري أمر قائم، لكن الحياة تفرض على الناس أن يتعايشوا مع بعضهم البعض وخاصة ما داموا في رحاب وطن واحد وفي سفينة واحدة

تواجه الأخطار.

حسن معوض: هذه نقطة وصلت، إذًا في ختام هذا البرنامج أشكر ضيفي الشيخ حسن الصفار أبرز رجال الدين الشيعة في المملكة العربية السعودية، كما أشكركم مشاهدينا الكرام على حسن المتابعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الإسلاميون والحوار مع أمريكا

نشر موقع إسلام أون لاين (WWW.ISLAMONLINE.NET) حواراً مع سماحة الشيخ حسن الصفار عن موقف الإسلاميين في السعودية من الحوار مع أمريكا، أجرى الحوار عبدالرحيم علي ونشر بتاريخ ١٤ / ٥ / ٢٠٠٥ م هذا نصه:

حسن الصفار: اتجاهان متمايزان للحوار

في حوار مع (إسلام أون لاين.نت) أكد الشيخ (حسن الصفار) أبرز علماء الدين الشيعة في المملكة العربية السعودية أن الولايات المتحدة تهدف من فتح حوار مع الإسلاميين إلى إنقاذ سمعتها، وتقليل حالة الكراهية للأمريكيين لدى أوساط الشعوب العربية والإسلامية، وأن ذلك لا ينفى في الوقت نفسه إدراك الولايات المتحدة أن تجاهل القوى الإسلامية في المنطقة خطأ فادح نظراً لنفوذ هذه القوى وتأثيرها.

ورغم إشارة (الصفار) إلى أن رغبة الولايات المتحدة في هذا الحوار تتراوح بين ما

تعلنه الإدارة الأمريكية حول مسألة نشر الديمقراطية والإصلاح، واستخدام هذا الحوار مع القوى الإسلامية كورقة للضغط على الأنظمة الحاكمة؛ فإنه أكد أنه لا يجوز رفض الحوار مع أي طرف أو أي جهة. وقد فرق (الصفار) بين اتجاهاين للحوار: أولهما يتعلق بقضايا الإسلام وهذا لا يمكن تفويته، والثاني يتصل بدولة بذاتها، وهنا لا بد من دراسة الموقف في ضوء الواقع السياسي لهذه الدولة.

وفيما يلي نص الحوار:

في رأيكم ما هي دوافع الولايات المتحدة للإعلان عن قبول الحوار مع الإسلاميين المعتدلين؟ وهل يمثل ذلك تغييراً حقيقياً في السياسة الأمريكية؟ وكيف ستعاملون معه؟

إن تجاهل الأمريكيين للقوى الإسلامية في المنطقة خطأ إستراتيجي كبير، ناتج عن الجهل بمدى نفوذهم وتأثيرهم، أو لسيطرة اتجاهات أيديولوجية عنصرية مناوئة للإسلام، وإذا كان هناك تحوّل حقيقي في السياسة الأمريكية تجاه القوى الإسلامية المعتدلة فهو تحوّل في الاتجاه الصحيح.

وربما كان من دوافع هذا التحوّل إنقاذ ما يمكن من سمعة الولايات المتحدة الأمريكية في أوساط الشعوب الإسلامية، وتقليل حالة السخط والكرهية للأمريكيين التي تستفيد منها القوى المحاربة لأمريكا، والاعتراف بواقع تجذر القوى الإسلامية في المنطقة.

كما أن ما يعلنه الأمريكيون من استهداف الإصلاح السياسي ونشر الديمقراطية في المنطقة لا يمكن أن يتم مع تجاهل أكبر القوى تأثيراً في شعوب المنطقة وهم الإسلاميون. وقد يرى الأمريكيون أن الحوار مع القوى الإسلامية ورقة ضغط على الأنظمة الحاكمة. وأعتقد أن القوى الإسلامية ينبغي ألا ترفض مبدأ الحوار مع أي طرف أو جهة،

لكن المسألة تتعلق بظروف الحوار وضوابطه.

على أيّ أساس يمكنكم الحوار مع الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا؟ وما هي الضوابط التي يمكن لكم ولهم وضعها لمثل هذا الحوار؟ وكيف ستعاملون مع تلك الضوابط؟

الحوار مع الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا إنما يكون في أحد اتجاهين:
الأول: عموم الموقف الأمريكي من قضايا الإسلام والمنطقة، وهنا لا ينبغي تفويت أي فرصة لإسعاد الأمريكيين والأوروبيين رأي الجهات الإسلامية؛ لما قد يمثله ذلك من أثر في تعديل سياساتهم ومواقفهم إذا تكرر وتعدد طرح هذا الرأي بشكل منطقي واضح من جهات إسلامية ذات وزن وتأثير.

الثاني: في خصوص وضع بلد إسلامي معيّن، وهنا لا بد من دراسة الموقف ضمن خصوصيته، فالوضع في العراق أو لبنان مثلاً يختلف عن الوضع في مصر أو المملكة العربية السعودية، وعلى كل جهة إسلامية تدعى للحوار حول الشأن الوطني أن تدرس الموقف على ضوء الواقع السياسي في دائرة نشاطها.

هل يوجد نقاط التقاء بينكم وبين الإدارة تساعد في إذكاء هذا الحوار؟ أيضاً ما هي نقاط الخلاف الرئيسية؟

على المستوى العام، فإن الشعارات التي يرفعها الأمريكيون من نشر الديمقراطية والدفاع عن الحريات وحقوق الإنسان وحقوق المرأة تشكل نقاط التقاء على مستوى الشعار، لكن الخلاف يكمن في الاستهدافات والوسائل؛ حيث تساورنا الشكوك في استهدافهم الهيمنة على المنطقة وفرض أنماط ثقافتهم وخدمة الاحتلال الصهيوني.

ما هي آليات التغيير التي تفضلونها: الاستعانة بالجماهير أم الحوار مع الأنظمة؟ وما هي أسبابكم في كلتا الحالتين؟

الطريق الصحيح للتغيير هو وعي الجمهور ووصوله إلى مستوى الفاعلية، وأخذ المبادرة ضمن الطرق السلمية.

والحوار مع الأنظمة مطلوب لتشجيعها على الاستجابة لمطالب الجمهور، وتوسيع رقعة المشاركة الشعبية، ولتجاوز حقبة الصدام والعنف المتبادل.

ماذا عن الاستعانة بالخارج لفرض الإصلاح؟ ومتى يصبح بديلاً مطروحاً؟ وهل يمكنكم اللجوء إليه؟

لا يتمنى مواطن غيور تدخل الأجانب في شؤون وطنه، لكن المشكلة هي تعنت بعض الأنظمة تجاه شعوبها إلى حدّ يصبح فيه التدخل الأجنبي أمراً واقعاً لا يرتبط بموافقة هذه الجهة أو تلك، كما رأينا في أفغانستان والعراق، وكما حصل أخيراً في لبنان من صدور قرارات دولية ترتبط بالشأن اللبناني.

بسم الله الرحمن الرحيم

الرياض

جريدة يومية تصدر عن مؤسسة الإمامة الصحفية

الثلاثاء ٣٠ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ - ٧ يونيو ٢٠٠٥م - العدد ١٣٤٩٧ - السنة الثانية والأربعون

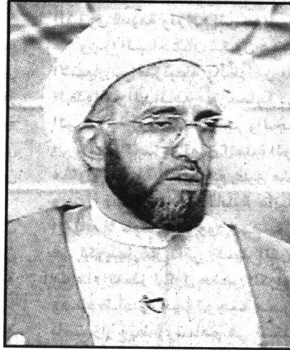
محايات

الصفار: لا بد من استخدام وسائل عقلانية تنبع من أسس العقيدة الإسلامية في التعامل مع من يخالفنا

وجدد دعوته إلى أهمية المحافظة على وحدة الصف بين أبناء الأمة الإسلامية باختلاف مذاهبهم وأعرافهم والكف عن السماح بإيجاد أرضية للانقسام والتفرقة بين أبناء هذه الأمة.

وبيّن سماحته على أن التعبير عن الرأي الاجتهادي عقدياً وفقهياً يأتي ضمن ضوابط مشروعة ومكفولة للجميع. حيث إن انعدام ذلك يعد حرماناً للساحة العلمية من الاستفادة من تلك الآراء التي يمكن أن تسهم وتثري المعارف العلمية والإسلامية.

وأعرب الشيخ الصفار في ختام كلمته عن الأمل بأن تسود الحكمة بيننا جميعاً ونعمل على تكثيف عطاءاتنا الفكرية والثقافية ونهتم بمنهج الحوار والانفتاح على الحضارات والثقافات الأخرى للاستفادة مما يمكننا الاستفادة منه. كما أكد وجوب أن تهتم وتساهم جميع المرجعيات والمؤسسات الدينية في الوطن العربي والإسلامي بدعم هذه التوجهات ووحدة الصف الإسلامي وتنمية وتطوير الحياة العلمية والمعرفية لمواجهة كل التحديات والأخطار المحدقة التي تواجه أمتنا ولا تريد لها الخير.



حسن الصفار

أحسن» موضحاً أن مواجهته الأفكار الباطلة والآراء الخاطئة لا يكون بقمعها وتعنيفها وإنما بنقدها ومحاورتها وتبسيط الأضواء على مكان انحرافها ونقاط ضعفها.

واعتبر الشيخ الصفار في هذا الصدد بأن من أسوأ الأمراض التي تشهدها الساحة الدينية هي تلك الأجواء التي تبدو فيها أجواء الصراع والخصام الداخلي والسعي إلى ممارسة دور الوصاية على أفكار الآخرين واعتبار رأيها هو الرأي أو الحق المطلق.

القطيف - أحمد الشمري:

دعا الشيخ حسن موسى الصفار أحد علماء القطيف والداعية الإسلامي المعروف إلى نبذ ظاهرة العنف التي تظهر بعض ملامحها على السطح في بعض المجتمعات.

وأكد في حديثه الأسبوعي تلقت «الرياض» نسخة منه على خطورة هذه الظاهرة التي تتبع نهجاً خاطئاً أثبت التاريخ على الدوام فشل دون أن يحقق الغاية منه سوى مزيد من التفرقة والانقسام والتناحر.

وطالب الشيخ الصفار بأهمية استخدام وسائل عقلانية تنبع من أسس وأصالة وسماحة عقيدتنا الإسلامية في التعامل مع من تختلف معه في الرأي متبعين في ذلك النهج الفكري الهادئ غير المتشنج، مؤكداً على أن الطريق المشروع والنهج الصحيح لتوضيح الأفكار والرؤى يجب أن ينطلق من خلال الحوار البناء والعرض الجيد، والدعوة إلى ذلك بالمنطق والبرهان والتخاطب بلغة غير منفرجة تجتذب وتستقطب العقول والنفوس، وهو المنهج الذي قرره القرآن الكريم في قوله تعالى «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي

الصفار: لا بد من وسائل عقلانية تنبع من أسس العقيدة الإسلامية في التعامل مع من يخالفنا^(١)

القطيف: أحمد الشمر

دعا الشيخ حسن موسى الصفار أحد علماء القطيف والداعية الإسلامي المعروف إلى نبذ ظاهرة العنف التي تظهر بعض ملامحها على السطح في بعض المجتمعات. وأكد في حديثه الأسبوعي تلقت «الرياض» نسخة منه على خطورة هذه الظاهرة التي تتبع نهجاً خاطئاً أثبت التاريخ على الدوام فشله دون أن يحقق الغاية منه سوى مزيد من الفرقة والانقسام والتناحر.

وطالب الشيخ الصفار بأهمية استخدام وسائل عقلانية تنبع من أسس وأصالة وسماحة عقيدتنا الإسلامية في التعامل مع من تختلف معه في الرأي متبعين في ذلك النهج الفكري الهادئ غير المتشنج، مؤكداً على أن الطريق المشروع والنهج الصحيح لتوضيح

(١) الرياض: جريدة سعودية يومية، العدد رقم ١٣٤٩٧ في ٣٠ ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ - ٧ يونيو ٢٠٠٥ م.

الأفكار والرؤى يجب أن ينطلق من خلال الحوار البناء والعرض الجيد، والدعوة إلى ذلك بالمنطق والبرهان والتخاطب بلغة غير منفرة تجتذب وتستقطب العقول والنفوس، وهو المنهج الذي قرره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل: الآية ١٢٥] موضحاً أن مواجته الأفكار الباطلة والآراء الخاطئة لا يكون بقمعها وتعنيفها وإنما بنقدها ومحاورتها وتسليط الأضواء على مكامن انحرافها ونقاط ضعفها.

واعتبر الشيخ الصفار في هذا الصدد بأن من أسوأ الأمراض التي تشهدها الساحة الدينية هي تلك الأجواء التي تبدو فيها أجواء الصراع والخصام الداخلي والسعي إلى ممارسة دور الوصاية على أفكار الآخرين واعتبار رأيها هو الرأي أو الحق المطلق. ووجد دعوته إلى أهمية المحافظة على وحدة الصف بين أبناء الأمة الإسلامية باختلاف مذاهبهم وأعرافهم والكف عن السماح بإيجاد أرضية للانقسام والتفرقة بين أبناء هذه الأمة.

ويبين سماحته على أن التعبير عن الرأي الاجتهادي عقدياً وفقهياً يأتي ضمن ضوابط مشروعة ومكفولة للجميع. حيث إن انعدام ذلك يعد حرماناً للساحة العلمية من الاستفادة من تلك الآراء التي يمكن أن تسهم وتثري المعارف العلمية والإسلامية. وأعرب الشيخ الصفار في ختام كلمته عن الأمل بأن تسود الحكمة بيننا جميعاً ونعمل على تكثيف عطاءاتنا الفكرية والثقافية ونهتم بمنهج الحوار والانفتاح على الحضارات والثقافات الأخرى للاستفادة مما يمكننا الاستفادة منه.

كما أكد وجوب أن تهتم وتساهم جميع المرجعيات والمؤسسات الدينية في الوطن العربي والإسلامي بدعم هذه التوجهات ووحدة الصف الإسلامي وتنمية وتطوير الحياة العلمية والمعرفية لمواجهة كل التحديات والأخطار المحدقة التي تواجه أمتنا ولا تريد لها الخير.

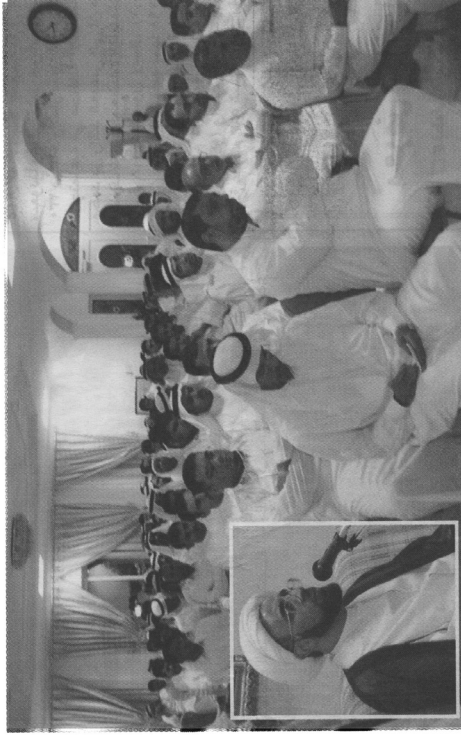
الصفار يحذر من "التحريض اللفظي والفتنة الطائفية"

أشنى على كلمة وزير التربية السعودي في مؤتمر طهران

□ القطيف - منير النمر

حذر الداعية والفكر الشيخ حسن موسى الصفار بعض الأخطار الفسجية من التحريض اللفظي ضد المذاهب الإسلامية، في إشارة إلى بعض المؤلفات الشيعة وبعض ما يكتب في منديات الإنترنت الشيعية أيضاً. وقال الصفار العائد لثوره من العاصمة الإيرانية طهران حيث شارك في مؤتمر للقریب بين المذاهب: «إن المؤتمر يأتي في وقت حساس للغاية، واعتبر في محاضرة القاها مساء أول من أمس في مكتبه في مدينة القطيف أن ما يجري في العراق من قتل تشيخه جماعات تنسب نفسها إلى أهل السنة والجماعة يعد من أهم عوامل التخطيط السيئ الذي يسمي إليه المخططون الراقبون في تشيخ حرب أهلية في العالم الإسلامي».

واعتبر في المحاضرة التي استمع لها عدد كبير من الحضور، أن «هناك مخططات تدفع في اتجاه الحرب الطائفية في نغ العراق، محذراً من «الوقوع في فخ الفتنة، التي يصعب على المسلم غير الواعي اكتشافها». وأضاف: ليس من الخطأ على المسلم أن يأخذ التحريض اللفظي ضد هذا المذهب أو داله، كره فعل بني حال الفتنة في العالم الإسلامي». وقال في هذا المجال على مقالات ظهرت أخيراً في الصحف السعودية تدعو إلى التعالين السني - الشيعي: وقال: «إنها تمل على وجود عقلاء من الطرفين في الأمة الإسلامية».



جانب من الحضور في الإطار الشيخ الصفار (الحياة)

وكان الشيخ حسن الصفار قدّم بحثاً لمؤتمر طهران بعنوان «المنهج المؤثّر في بناء الوحدة الإسلامية»، ووُزعت إدارة المؤتمر البحث على المشاركين كما عرض محاور البحث وأفكاره على المصصة الرئيسية للمؤتمر. والى الصفار كلمة مركزة حول رؤيته لمخططات الإرسدة والتقيب بين المذاهب الإسلامية، والتي على الكلمة التي قدمها وزير التربية والتعليم السعودي الدكتور عبد الله العبد المحمدي الدكتور عبد الله العبد في المؤتمر واعتبرها «ممتازة، لأنها تحث المسلم على اتخاذ مبدأ التقريب لا التفرق». كما

نوه بكلمة الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي الدكتور سليمان الوهبي، وكلمة الدكتور عبد العزيز التويجري الذي قدم بحثاً عن استراتيجيات التقريب بين المذاهب الإسلامية: «كان وأياً وممتازاً».

وتحدث عن تخصصات عربية لدى العلماء السنة عن الشيعة، وقال: «كان لدى بعض العلماء القاديين من تدايهم بعض الرؤى غير الواضحة عن المجتمعات الشيعية، ورأى أن التعدي المهني تحقق في المؤتمر من خلال تعقيل كل المذاهب، «عبر تخصصات وعلماء كل مذهب» مشيراً إلى أن

«علماء السنة في إيران شاركوا تماماً كعلماء الشيعة، حيث شارك منهم الشيخ مولوي إسحاق وأخرون».

وأشاد الصفار بالتخصصات المتساركة، واصفاً كلماتها بالطيبة التي تخالف على الأمة الإسلامية من الفتن والضغائن، التي يحكمها المتأخرون على الدين، بيد أنه أشد الشنيد «بين بعض الممارسات من جانب بعض المسلمين، التي تلمي هذه الفتن داخل الوسط الإسلامي».

وقال إن المؤتمر الذي استمر ثلاثة أيام «ترك جملة من المسائل، التي سنتنصق على وضع الأمة، مثل مجيء قسم من العلماء من مختلف مناطق العالم الإسلامي، وتعارفهم مع بعضهم، ما يحقق كلاً من الانفتاح والتواصل المستقبلي بين علماء الأمة، الأمر الذي يعود بالنفع على المجتمع ورأى أن انتشار مثل هذا المؤتمر يعني ظهور ثقافة وحدوية بين المسلمين، لا سيما أن مؤتمرات الكويت والبحرين وسورية ولبنان، وشهد على ضرورة استغلال هذه الثقافة لصالح المجتمع الإسلامي».

وقال: «هناك أزمة واقعية يصعبها المتشددون من الطرفين، ويعاني منها أصحاب الفترتين». معتبراً أن الحل يجب أن يكون «حكياً للغاية، عبر توعية الناس بالتقريب، وهذا لن يكون واقعاً إلا إذا نزل القائلون على القريب الشارح، وتخطبوا معه، ليذوقوه لنحو الثقافة الوحدوية، التي تبتدئ الإزهاب ولم تنته الأمة».

الصفار يحذر من التحريض اللفظي والفتنة الطائفية^(١)

حذّر الداعية والمفكر الشيخ حسن موسى الصفار بعض الأطراف الشيعية من «التحريض اللفظي ضد المذاهب الإسلامية»، في إشارة إلى بعض المؤلفات الشيعية وبعض ما يكتب في منتديات الإنترنت الشيعية أيضاً.

وقال الصفار العائد لتوه من العاصمة الإيرانية طهران، حيث شارك في مؤتمر للتقريب بين المذاهب الإسلامية: «إن المؤتمر يأتي في وقت حسّاس للغاية»، واعتبر في محاضرة ألقاها في مكتبه في مدينة القطيف «إن ما يجري في العراق من قتل تتبناه جماعات تنسب نفسها إلى أهل السنة والجماعة يُعدُّ من أهم عوامل التخطيط السيئ الذي يسعى إليه المخططون الراغبون في نشوب حرب أهلية في العالم الإسلامي».

واعتبر في المحاضرة التي استمع لها عدد كبير من الحضور، أن هناك مخططات تدفع في اتجاه الحرب الطائفية في العراق، محذراً من الوقوع في فخ الفتنة، التي يصعب على

(١) الحياة: جريدة يومية تصدر من لندن، العدد رقم ١٥٣٧٥، الجمعة ٢٧ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ الموافق ٦ مايو ٢٠٠٥ م.

المسلم غير الواعي اكتشفها، وأضاف: «ليس من المنطقي على المسلم أن يأخذ التحريض اللفظي ضد هذا المذهب أو ذلك، كردّ فعل ينمّي حال الفتنة في العالم الإسلامي». وأثنى في هذا المجال على مقالات ظهرت أخيراً في الصحف السعودية تدعو إلى التعايش السني - الشيعي. قال: «إنها تدلّ على وجود عقلاء من الطرفين في الأمة الإسلامية».

وكان الشيخ حسن الصفار قدّم بحثاً لمؤتمر طهران بعنوان «المنهج النبوي في بناء الوحدة الإسلامية» ووزعت إدارة المؤتمر البحث على المشاركين، كما عرض محاور البحث وأفكاره على المنصة الرئيسة للمؤتمر. وألقى الصفار كلمة مركزة حول رؤيته لمتطلبات الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية. وأثنى على الكلمة التي قدمها وزير التربية والتعليم السعودي الدكتور عبدالله العبيد في المؤتمر. واعتبرها «ممتازة» لأنها تحثّ المسلمين على اتخاذ مبدأ التقريب لا التفريق، كما نوّه بكلمة الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي الدكتور عبدالعزيز التويجري الذي قدّم بحثاً عن إستراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية «كان وافياً وممتازاً».

وتحدّث عن شخصيات عربية لامعة في بلدانها، قدمت بحوثاً تحثّ المسلمين على الوحدة والتطلع لإصلاح حال الأمة، مثل الدكتور عبدالصبور شاهين، والمفكر الإسلامي الدكتور محمد العوا، ومفتي سلطنة عمان الشيخ أحمد الخليلي، والأمين العام السابق لمجمع الفقه الإسلامي في جدة الشيخ الحبيب بن الخوجة من تونس. وعدد جملة من العلماء المشاركين في المؤتمر من الدول الإسلامية كافة.

ووصف المؤتمر بأنه «إيجابي للغاية، وعكس صورة إيجابية لدى العلماء السنة عن الشيعة». وقال: «وكان لدى بعض العلماء القادمين من بلدانهم بعض الرؤى غير الواضحة عن المجتمعات الشيعية». ورأى أن التعدد المذهبي تحقق في المؤتمر، من خلال تمثيل كل المذاهب. «عبر شخصيات وعلماء كل مذهب» مشيراً إلى أن «علماء السنة في إيران شاركوا

تماماً كالعلماء الشيعة، حيث شارك منهم الشيخ مولوي إسحاق وآخرون». وأشاد الصفار بالشخصيات المشاركة، واصفاً كلماتها بـ«الطيبة، التي تخاف على الأمة الإسلامية من الفتن والضغائن، التي يجيئها المتآمرون على الدين، بيد أنه أبداً أسفه الشديد بسبب بعض الممارسات من جانب بعض المسلمين التي تنمي هذه الفتن داخل الوسط الإسلامي».

وقال إن المؤتمر الذي استمر ثلاثة أيام «ترك جملة من الحسنات التي ستعكس على وضع الأمة مثل مجيء قسم من العلماء من مختلف مناطق العالم الإسلامي، وتعارفهم مع بعضهم، ما يخلق حلاً من الانفتاح والتواصل المستقبلي بين علماء الأمة، الأمر الذي يعود بالنفع على المجتمع الإسلامي».

ورأى أن انتشار مثل هذا المؤتمر «يعني ظهور ثقافة وحدوية بين المسلمين، لا سيما أن مؤتمرات مشابهة عقدت في دول مثل الكويت والبحرين وسورية ولبنان»، وشدد على ضرورة استغلال هذه الثقافة لصالح المجتمع الإسلامي، وقال: «هناك أزمة واقعية يصنعها المتشددون من الطرفين ويعاني منها أصحاب الفكر التقريبي، معتبراً أن الحل يجب أن يكون حكيماً للغاية، عبر توعية الناس بالتقريب، وهذا لن يكون واقعاً إلا إذا نزل القائمون على التقريب للشارع وتخطبوا معه، ليدفعوه نحو الثقافة الوحدوية وتلم شتات الأمة».

اعتبر من السفخ أن يؤدي اختلاف الرأي للصراع

اصفار: احترام كرامة الانسان يعمق إحساسه بوطنه



الشيخ الصفار

انطلق ضمن الدائرة الثانية يبقى منجذباً الى هذه الدائرة.

الحنين الى المدينة

وقال الشيخ الصفار ان المواطن قد يعيش ضمن اي منطقة من مناطق الوطن بداعي الدراسة او الوظيفة او اي سبب اخر لكنه يظل يتحنين الفرصة للعودة الى مدينته او قريته التي قد لا تكون اقل تطوراً وعمراناً من المنطقة التي اقام فيها «لذا فان هذه الدوائر الثلاث متداخلة والالتزام والولاء لكل دائرة منها لا يتناقض مع الولاء

المواطن يظل يتحنين الفرصة للعودة الى مدينته او قريته التي قد تكون اقل تطوراً

لان المواطنة قضية شائكة وملتبسة وتتصل بانتماءات مختلفة ولان ثمة فرقاً ما بين ان تكون منتمياً للقبيلة والعائلة او المنطقة وبين الانتماء للدولة حيث هناك مسافة ما بين الانتماء بين كان لزاماً الاستماع الى رأي شيخ ورجل نصر في الوقت نفسه رجل بشخص مفهوم المواطنة برؤية اخرى عبر وطنية مختلفة تفقر فوق الانتماء المناطق هو الشيخ حسن الصفار.

هذه الكيانات الاقليمية ضمن كيان اسلامي واحد كبير فان ذلك لا يعني ان لا يتحمل مسؤولية تجاه هذا الكيان الذي يعيش ضمنه ويتأثر بواقعه واوضاعه ويشترك مع سائر المواطنين فيه سلباً وإيجاباً انه الصادق الابرز الاقرب للوطن حسب الواقع المعاش. اما الدائرة الثالثة فهي الوطن العرفي وتعني البلد والمنطقة التي ولد الانسان ونشأ فيها، مدينة كانت او قرية، واليهما عادة تنشأ مشاعر الانسان ويتركز حنينه وشدته حتى لو

يرى الشيخ حسن الصفار ان هناك حدوداً للوطن في وعي الانسان المسلم تقع بين ثلاث دوائر: الانتماء العقدي: فالامة الاسلامية امة واحدة «ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون» سورة الانبياء الآية «٩٢» الثانية: الكيان السياسي حيث يعيش كل انسان ضمن دولة يحمل جنسيتها وترتبط قضايا حياته ومستقبله ومصيره بهذا الكيان، واذا كان الانسان المسلم يتعنى ان يندمج



العقل والدين يدعوان للتعاون ولتضافر الجهود من أجل الخير

وخلص للقول ان العقل والدين يدعوان للتعاون ولتضافر الجهود من اجل الخير كما يدعوان ايضا الى التوحد والوحدة ما دام هناك سبب مشترك كالاشترك في الارض الواحدة والوطن الواحد فذلك يخلق علاقة طيبة وايجابية داعيا في الوقت نفسه الى تعزيز وحدة الوطن من خلال التعاون بين المواطنين فذلك يدعم الامن ويحمي البلاد من الخلافات الداخلية ويعزز الاستقرار الدائم الذي ينعكس على عزة ونمو البلد ورفعته وتقدمه.

بالانتماء اليه والولاء للجماعة فيه اذ يقر لهم بالاحترام مقابل احترامهم له وما دام الوطن للجميع والخطر والخير للمجتمع ايضا فهذا الشعور المشترك بالخير والخطر يجب ان يجعل الجميع في حالة تعاون دائم لدرء الخطر والعمل من اجل حصد الخير والمكاسب الحسنة.

ويعتبر الصفار ان من السخف بمكان ان يؤدي اختلاف الرأي او اختلاف التوجه للانقسام والصراع داخل البلد الواحد.

والانتماء للدائرة الاخرى بل يتكامل» بيد ان بعض التوجهات المتطرفة قد تدفع باتجاه التناقض والتعارض بين هذه الدوائر لكن الوعي السليم والنظرة الواقعية تجعل الانسان مواطنا صالحا وفيها ضمن هذه الدوائر جميعا.

اختلاف الرأي

ويقول الشيخ الصفار: اذا توفرت للانسان اسباب ومدارك الكرامة وشعر بأن كرامته محظية بالاحترام يكون ذلك سببا في انشداه الى تراب وطنه ويعمق احساسه

اعتبر من السخف أن يؤدي اختلاف الرأي للصراع

الصفار: احترام كرامة الإنسان يعمق إحساسه بوطنه^(١)

إعداد: أحمد عايل فقيهي

المواطن يظل يتحین الفرصة للعودة إلى مدينته أو قريته التي قد تكون أقل تطوراً لأن (المواطنة) قضية شائكة وملتبسة وتتصل بانتهاكات مختلفة، ولأن ثمة فرقاً ما بين أن تكون منتمياً للقبيلة والعائلة أو المنطقة وبين الانتماء للدولة، حيث هناك مسافة ما بين الانتماءين كان لزاماً الاستماع إلى رأي شيخ ورجل فكر في الوقت نفسه، رجل يشخص (مفهوم المواطنة) برؤية أخرى عبر وطنية مختلفة تقفز فوق الانتماء المناطقي، هو الشيخ حسن الصفار.

يرى الشيخ حسن الصفار أن هناك حدوداً للوطن في وعي الإنسان المسلم تقع بين

(١) عكاظ: جريدة يومية سعودية، العدد رقم ١٤١٧٧، الاثنين ١٣ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠ يونيو ٢٠٠٥م.

ثلاث دوائر: الانتماء العقيدي: فالأمة الإسلامية أمة واحدة ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء الآية ٩٢].

الثانية: الكيان السياسي حيث يعيش كل إنسان ضمن دولة يحمل جنسيتها وترتبط قضايا حياته ومستقبله ومصيره بهذا الكيان وإذا كان الإنسان المسلم يتمنى أن يندمج هذه الكيانات الإقليمية ضمن كيان إسلامي واحد كبير فإن ذلك لا يعني أن لا يتحمل مسؤولية تجاه هذا الكيان الذي يعيش ضمنه ويتأثر بواقعه وأوضاعه ويشترك مع سائر المواطنين فيه سلباً وإيجاباً إنه المصداق الأبرز الأقرب للوطن حسب الواقع المعاش. أما الدائرة الثالثة فهي الوطن العرفي وتعني البلد والمنطقة التي ولد الإنسان ونشأ فيها مدينة كانت أو قرية وإليها عادة تنشأ مشاعر الإنسان ويتركز حنينه وشدّته، فحتى لو انطلق ضمن الدائرة الثانية يبقى منجذباً إلى هذه الدائرة.

الحنين إلى المدينة

وقال الشيخ الصفار: إن المواطن قد يعيش ضمن أي منطقة من مناطق الوطن بداعي الدراسة أو الوظيفة أو أي سبب آخر لكنه يظل يتحسّن الفرصة للعودة إلى مدينته أو قريته التي قد لا تكون أقل تطوراً وعمراً من المنطقة التي أقام فيها، (لذا فإن هذه الدوائر الثلاث متداخلة، والانتفاء والولاء لكل دائرة منها لا يتناقض مع الولاء والانتفاء للدائرة الأخرى بل يتكامل) بيد أن بعض التوجهات المتطرفة قد تدفع باتجاه التناقض والتعارض بين هذه الدوائر لكن الوعي السليم والنظرة الواقعية تجعل الإنسان مواطناً صالحاً وفتياً ضمن هذه الدوائر جميعاً.

اختلاف الرأي

ويقول الشيخ الصفار: إذا توفرت للإنسان أسباب ومدارك الكرامة وشعر بأن كرامته محظية بالاحترام يكون ذلك سبباً في انشداده إلى تراب وطنه ويعمق إحساسه

بالانتماء إليه والولاء للجماعة فيه، إذ يقرّ لهم بالاحترام مقابل احترامهم له، وما دام الوطن للجميع والخطر والخير للجميع أيضاً فهذا الشعور المشترك بالخير والخطر يجب أن يجعل الجميع في حالة تعاون دائم لدرء الخطر والعمل من أجل حصد الخير والمكاسب الحسنة.

ويعتبر الصفار أن من السخف بمكان أن يؤدي اختلاف الرأي أو اختلاف التوجه للانقسام والصراع داخل البلد الواحد.

وخلص للقول أن العقل والدين يدعوان للتعاون ولتضافر الجهود من أجل الخير كما يدعوان أيضاً إلى التوحد والوحدة ما دام هناك سبب مشترك، كالاشتراك في الأرض الواحدة والوطن الواحد، فذلك يخلق علاقة طيبة وإيجابية داعياً في الوقت نفسه إلى تعزيز وحدة الوطن من خلال التعاون بين المواطنين، فذلك يدعم الأمن ويحمي البلاد من الخلافات الداخلية ويعزّز الاستقرار الدائم الذي ينعكس على عزة ونمو البلد ورفعته وتقدمه.

تلاشي الحواجز الطائفية في جلسة

صلح "تعتق" رقبة المري

□ القطيف - منير النمر

المرة، فإنني أعلن التنازل كولي عن دم ابني عن قاتله».

ولم يتمالك والد القاتل صالح المري نفسه، فشوهدت الدموع تنهمر على خديه، وقام بتقديم الشكر إلى والد القتيل، مكبراً فيه شجاعته مقدراً فجيعة في ابنه صالح أبو مرة.

وأكد الشيخ حسن الصفار في كلمة على البعد الوطني لجلسة الصلح.

وقال: «إن الاجتماع يؤكد جملة من الحقائق، أولها أننا نتعم على وحدة وطنية، تجعلنا نجتمع على رغم اختلاف مناطقنا ومذاهبنا. كما أن الاجتماع يؤكد الالتزام في الدين، الذي قام على أساس حفظ الحقوق وصيانة الدماء والأعراض». وأضاف «الاجتماع يؤكد اهتمامنا في بعضنا، فأحدث الذي وقع بين شخصين ينتميان إلى عشيرتين مختلفتين، سبب اجتماع عشائر عدة، لأننا معنيون في الأمر».

وأثنى على بادرة أسرة أبو مرة، التي وصفها بقوله: «إن فيها الفضلاء والعلماء، ووالده من المؤمنين الطيبين المعروفين في مجتمعه، كما أن قبيلة بني مرة من القبائل الوطنية، ذات التاريخ الطيب، لذلك كان من الطبيعي أن تعالج القضية كما يجب الشرع، من خلال العفو».

وأشاد الصفار بدور المسؤولين في حل مثل هذه القضايا. وقال: «إن أمير المنطقة الشرقية ونائبه والعالمين معها مثل محافظ القطيف المكلف، يشجعون على الصلح والعفو. وكان أمير الشرقية يشجعنا على القيام بالأدوار الطبية التي تخدم المجتمع». كما أثنى على دور الحاج عبدالله المطرود «الذي أسهم منذ وقت مبكر في القيام بدور الوسيط، والشيخ أحمد الهاشم».

وبدوره شكر محافظ القطيف المكلف «الموقف البطولي الذي رآه الجميع من والد القتيل» وقال: «في هذه اللحظات عشنا لحظة تلاحم، كما تعودنا ذلك في بلادنا الطيبة».

فيما جدد عبدالجبار أبو مرة العزاء إلى أسرة المقتول، وتقدم لهم بالشكر على هذا الموقف

أخذت جلسة صلح في قضية قتل عُقدت أمس في محافظة القطيف بعداً وطنياً، تجاوز الحدود الطائفية، حين أعلن والد القتيل صالح علي أبو مرة، تنازله عن هادي صالح المري الذي قتل ابنه قبل نحو أربع سنوات.

وعُقدت جلسة الصلح في منزل الشيخ حسن موسى الصفار، الذي بذل طوال العام الماضي، وأطراف رسمية وشعبية أخرى، جهوداً كبيرة لإقناع أسرة القتيل بالتنازل عن حقهم في القصاص من قاتل ابنهم. وتكلمت تلك الجهود بالتوفيق أمس. في حين ينتظر أن يسجل اليوم التنازل رسمياً في المحكمة.

وتعود واقعة القتل إلى ما قبل أربع سنوات، بسبب خلاف بين الجاني والمجني عليه، حيث كان القاتل هادي المري طلب من صالح أبو مرة إصلاح جهاز الراديو في سيارته. وحين استلم سيارته اكتشف أنه لم يتم إصلاحه كما ينبغي، فتشاجر معه، وأدى ذلك إلى قتله.

وعقدت جلسة الصلح وسط حضور علماء الدين إضافة إلى محافظ القطيف المكلف خالد عبدالعزيز الصفيان، وعضو المجلس البلدي لمحافظة القطيف جعفر الشايب، وجمع من الوجهاء. وتخلل الجلسة إلقاء كلمات، كان أكثرها تأثيراً ما ألقاهما والد القتيل علي أبو مرة، الذي أعلن تنازله، ووقف جميع الحضور في المجلس. وارتفعت أصوات التكبير والدعاء للقتيل بالمغفرة وحسن الثواب.

وقال الوالد في كلمته: «إن الله تعالى ابتلاني وعائلتي بحادث شنيع، وقد سلمنا امرنا إلى الله، ونرجو أن يمنحنا الصبر والسلوان»، مشيراً إلى نعمة الله عليه بالإسلام «الذي يربي الشخصية المسلمة على الخلق، ويضع بينها وبين الذنوب حدوداً شرعية كرادع». وختّم بقوله: «استجابة إلى ما يدعو له الله من العفو والمغفرة والتجاوز عن أخطاء الآخرين، وتقديراً إلى الجهود الخيرة التي بذلها رجالنا العلم، واستجابة إلى طلب قبيلة



تبادل التهاني بإعلان الصلح، وفي الإطار والد القتيل (يسار) يعلن تنازله ويندد الشيخ الصغير ووالد القاتل. (مئير النمر)

بسبب انتمائه المذهبي، وإنما كانت مشاعر الأبوة هي التي تمنعه، كما أن الحالة تنطبق على الأم، التي كانت أكثر تشدداً بسبب عاصفتها».

تك الفرقة، إذ أن القتل لم يكن بدوافع مذهبية، وإنما نتج عن العنف»، مضيفاً «لم بالحظ طوال عملنا على حل القضية أن والد القتيل يرفض التنازل عن القاتل

حشمتنا من تعقدهما، بسبب الاختلاف المذهبي ما بين السنة والشيعة، فالقتيل يتبع الطائفة الشيعية فيما يتبع القاتل الطائفة السنية. بيد أننا أيقنا تلاشي

«الذي يرفع اسم العائلة عالماً ويكسبها الثواب»
وقال الشيخ محمد الصفار: «حين بدأ مكتب الشيخ حسن الصفار التعامل مع القضية

تلاشي الحواجز الطائفية في جلسة صلح (تعتق) رقبة المري^(١)

أخذت جلسة صلح في قضية قتل عُقدت أمس في محافظة القطيف بعداً وطنياً، تجاوز الحدود الطائفية، حين أعلن والد القتيل صالح علي أبو مرة، تنازله عن هادي صالح المري الذي قتل ابنه قبل نحو أربع سنوات.

وعُقدت جلسة الصلح في منزل الشيخ حسن موسى الصفار، الذي بذل طوال العام الماضي، وأطراف رسمية وشعبية أخرى، جهوداً كبيرة لإقناع أسرة القتيل بالتنازل عن حقهم في القصاص من قاتل ابنهم. وتكللت تلك الجهود بالتوفيق أمس. في حين ينتظر أن يُسجل اليوم التنازل رسمياً في المحكمة.

وتعود واقعة القتل إلى ما قبل أربع سنوات، بسبب خلاف بين الجاني والمجني عليه، حيث كان القاتل هادي المري طلب من صالح أبو مرة إصلاح جهاز الراديو في

(١) الحياة: جريدة يومية تصدر من لندن، العدد رقم ١٥٤٢١، الثلاثاء ١٤ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ الموافق ٢١ يونيو ٢٠٠٥م.

سيارته. وحين استلم سيارته اكتشف أنه لم يتم إصلاحه كما ينبغي، فتشاجر معه، وأدى ذلك إلى قتله.

وعقدت جلسة الصلح وسط حضور علماء الدين. إضافة إلى محافظ القطيف المكلف خالد عبدالعزيز الصفيان، وعضو المجلس البلدي لمحافظة القطيف جعفر الشايب، وجمع من الوجهاء. وتخلل الجلسة إلقاء كلمات. كان أكثرها تأثيراً ما ألقاه والد القتيل علي أبو مرة، الذي أعلن تنازله. ووقف جميع الحضور في المجلس. وارتفعت أصوات التكبير والدعاء للقتيل بالمغفرة وحسن الثواب.

وقال الوالد في كلمته: «إن الله تعالى ابتلاني وعائلتي بحادث شنيع، وقد سلمنا أمرنا إلى الله، ونرجو أن يمنحنا الصبر والسلوان»، مشيراً إلى نعمة الله عليه بالإسلام «الذي يربي الشخصية المسلمة على الخلق، ويضع بينها وبين الذنوب حدوداً شرعية كرادع». وختم بقوله: «استجابة إلى ما يدعو له الله من العفو والمغفرة والتجاوز عن أخطاء الآخرين، وتقديراً إلى الجهود الخيرة التي بذها رجالات العلم، واستجابة إلى طلب قبيلة المرة، فإنني أعلن التنازل كولي عن دم ابني عن قاتله».

ولم يتمالك والد القاتل صالح المري نفسه، فشوهدت الدموع تنهمر على خديه، وقام بتقديم الشكر إلى والد القتيل، مكبراً فيه شجاعته مقدراً فجيعة في ابنه صالح أبو مرة.

وأكد الشيخ حسن الصفار في كلمة على البعد الوطني لجلسة الصلح.

وقال: «إن الاجتماع يؤكد جملة من الحقائق، أولها أننا نعلم في وحدة وطنية، تجعلنا نجتمع على رغم اختلاف مناطقنا ومذاهبنا. كما أن الاجتماع يؤكد الالتزام في الدين، الذي قام على أساس حفظ الحقوق وصيانة الدماء والأعراض». وأضاف: «الاجتماع يؤكد اهتمامنا في بعضنا، فالحدث الذي وقع بين شخصين ينتميان إلى عشيرتين مختلفتين،

سبب اجتماع عشائر عدة، لأننا معنيون في الأمر».

وأثنى على بادرة أسرة أبو مرة. التي وصفها بقوله: «إن فيها الفضلاء والعلماء، ووالده من المؤمنين الطيبين المعروفين في مجتمعه، كما أن قبيلة بني مرة من القبائل الوطنية، ذات التاريخ الطيب، لذلك كان من الطبيعي أن تعالج القضية كما يجبذ الشرع، من خلال العفو».

وأشاد الصفار بدور المسؤولين في حلّ مثل هذه القضايا. وقال: «إن أمير المنطقة الشرقية ونائبه والعاملين معها، مثل محافظ القطيف المكلف، يشجعون على الصلح والعفو. وكان أمير الشرقية يشجعنا على القيام بالأدوار الطيبة التي تخدم المجتمع». كما أثنى على دور الحاج عبدالله المطرود «الذي أسهم منذ وقت مبكر في القيام بدور الوسيط، والشيخ أحمد الهاشم».

وبدوره شكر محافظ القطيف المكلف «الموقف البطولي الذي رآه الجميع من والد القتييل». وقال: «في هذه اللحظات عشنا لحظة تلاحم، كما تعودنا ذلك في بلادنا الطيبة».

فيما جدّد عبدالجبار أبو مرة العزاء إلى أسرة المقتول، وتقدم لهم بالشكر على هذا الموقف «الذي يرفع اسم العائلة عالياً ويكسبها الثواب».

وقال الشيخ محمد الصفار: «حين بدأ مكتب الشيخ حسن الصفار التعامل مع القضية خشينا من تعقدها، بسبب الاختلاف المذهبي ما بين السنة والشيعة، فالقتيل يتبع الطائفة الشيعية فيما يتبع القاتل الطائفة السنية. بيد أننا أيقنا تلاشي تلك الفروق، إذ إن القتل لم يكن بدوافع مذهبية، وإنما نتج عن العنف»، مضيفاً «لم نلاحظ طوال عملنا على حل القضية أن والد القتييل يرفض التنازل عن القاتل بسبب انتمائه المذهبي، وإنما كانت مشاعر الأبوة هي التي تمنعه، كما أن الحالة تنطبق على الأم، التي كانت أكثر تشدداً بسبب عاطفتها».

فواصل

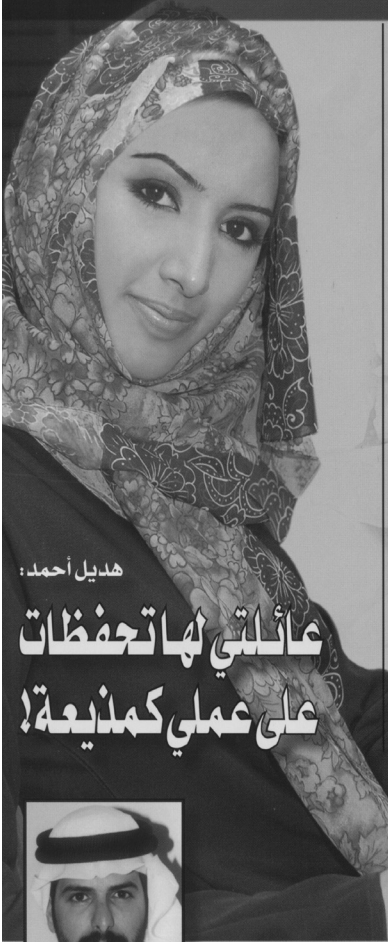


هيهال ربع خالاه
«نا» تشبه
لدا البرديلبس معطفه



لا تقرؤها فقط...
بل تقننها

شركة مطور تسويق
للشأن العربي ومجتمعه بيان للا



هديل أحمد:

عائلتي لها تحفظات على عملي كمذيعة!



خالد العتيبي:
تصانفك في الامتدادات
مخافة منه اربع طوائف



الشيخ حسن الصفار:

أسعى لإذابة جبل الجليد بين السنة والشيعه



أسامة الرحباني:

عطية أفضل طلاب الجزئين

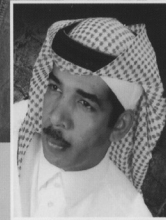


عصام حارث يسطو على
بشير شتاع مرة أخرى لا



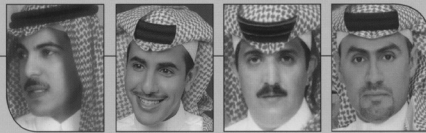
بشار الخزاوي:

أبو الهش مزعج.. وعلاقتي بسلمي لم تكن حباً!



عزازي:

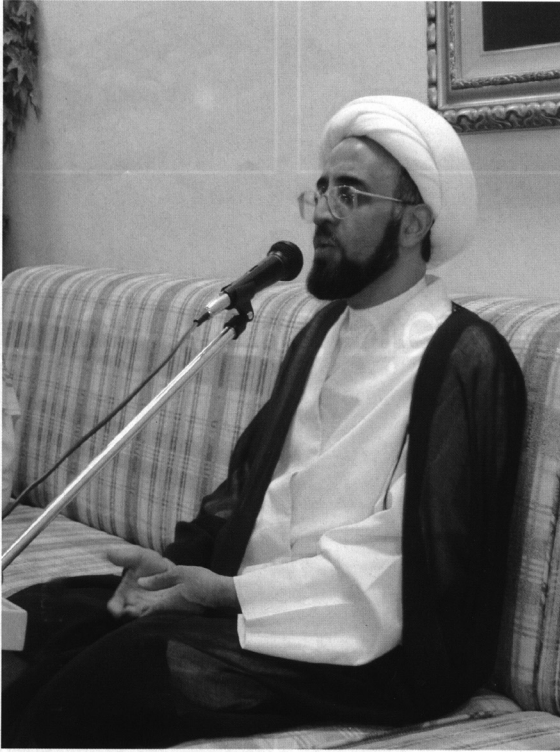
مع احتفالي الرجوع
لم أسمع لك العفوية حواريات



جديد الشعراء

أعلن براءته من الإساءة للصحابة.. سماحة الشيخ حسن الصفار له «حوار»

التقارب بين المذاهب، يتخطى فوق حذرة الذ



حوار: فراس الجبريل

هناك فقهاء ورجال دين، غيورون على دينهم الإسلامي، ويسعون دوماً لوحدة الأمة، لمواجهة أخطار الخارج.. فهؤلاء تصالحوام أنفسهم، ونبذوا الخلافات بين المذاهب، ويحاولون دوماً إذابة جبال الثلج الذي يمنع التقارب بين السنة والشيعه، ويشعل نيران الفتنة بين أبناء الأمة..

من بين هؤلاء التقينا سماحة الشيخ حسن الصفار، مفتي الشيعة ومرجعهم بالملكة العربية السعودية، والذي أخذ على عاتقه القضاء على الخلافات والنزاعات بين السنة والشيعه، واتساع رقعة الوعي بين المسلمين، بعيداً عن التشنج والعصبية التي قد تصل إلى حد التطرف..

في حوارنا، نجح الرجل في وضع رؤية ومنظومة متكاملة للعلاقات بين السنة والشيعه، ونفى أي تهمة لاحقة عبر الإنترنت، بشأن الإساءة للخلفاء، وحدد نهجه وفكره بكل اعتدال، وأكد نجاح الحوار الوطني بالملكة.. ولم يخلو حديثنا من التطرق إلى حزب الله وأسباب قوته.. وغير ذلك من القضايا الملحة، نستعرضها في السطور التالية..

■ بداية.. حدثنا عن بطاقتك الشخصية..
وأي مراجع حصلت منها علومك..؟

- في البدء أشكركم لإتاحتم لي الفرصة للتخاطب مع قرائكم الكرام، وأرجو أن يكون دور مجلتكم ريادياً في تعميق القيم الإنسانية الإسلامية وتأكيد التواصل الفكري الوطني.

أما عن بطاقتي الشخصية فهي تحمل المعلومات التالية:

- حسن بن موسى بن رضي بن علي الصفار،
مواليد سنة 1377هـ - 1958م، في القطيف،
المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية.

- هاجرت إلى النجف الأشرف، العراق،
والتحقت بالحوزة العلمية سنة 1391هـ -
1971م.

- ثم انتقلت إلى الحوزة العلمية في قم، إيران،
سنة 1393هـ، 1973م.

- ثم التحقت بمدرسة الرسول الأعظم في
الكويت سنة 1394هـ، 1974م إلى سنة 1397هـ

- أكملت المرحلة الابتدائية في مدرسة
زين العابدين، والمتوسطة في مدرسة الأمين
بالبقيق.

- بدأت دراستي الدينية على يد علماء في
بلدي البقيق.

- كما بدأت ممارسة الخطابة في سن مبكرة
الحادية عشرة من العمر.

للثقافي والاجتماعي..!

الإسلام أنصف المرأة ومنحها حقها الاجتماعي والسياسي..!

تعود إلى خلل في الواقع السياسي والثقافي الذي تعيشه الأمة والذي يعرقل التقارب والوحدة على جميع الأصعدة والمستويات وليس على صعيد العلاقات المذهبية فقط.

فبين الدول العربية ورغم وجود جامعة الدول العربية منذ نصف قرن لا زال التقارب شكلياً.. وفي البلدان الإسلامية التي تتعدد فيها القوميات نجد هناك إشكاليات في العلاقة بينها. وبين الأحزاب السياسية مشاكل. وبين الجهات الدينية حتى ضمن المذهب الواحد تحصل مشاكل. فمثلاً العلاقة بين الاتجاه السلفي والاتجاه الصوفي مع إنهما ينتميان إلى أهل السنة ليست على ما يرام. وكذلك الحال داخل الشيعة بين الاتجاهات المختلفة.

واستنتج من ذلك أن القدرة على التعاون وإرادة الوحدة والتقارب ضعيفة في أوساط الأمة لخلل في واقعها الثقافي والاجتماعي.

■ ما زال موقف بعض الشيعة تجاه الخلفاء والصحابية ثابتاً، فما هي أهم القناعات التي تستندون إليها، لحل هذه العقدة المزمنة؟

- ليس مطلوباً أن تتفق الآراء والمواقف بين السنة والشيعة على المستوى العقدي أو الفقهي فلكل مدرسة آرائها في موضوع الإمامة والخلافة، وتقويم مواقف بعض الصحابة، واختلاف القناعات أمر قائم ولا يمكن تجاوزه، كما أن البحث والحوار في تلك القناعات وتبيين أدلتها أمر مطلوب على المستوى العلمي.

وما ليس مقبولاً هو الطرح الحادّ المتشنج ومخالفة آداب الإسلام بإساءة طرف للأخر والتحريض على الكراهية.

■ هناك عدة مواقع على الإنترنت تنسب لكم شخصياً عبارات تحمل الإساءة لبعض الخلفاء، مما يخالف نهجكم في الدعوة للوحدة وادابية الجليلد بين المذاهب.. ما حقيقة ذلك؟ وهل تطاولت على الصحابة بالفعل أم أن هذه التصريحات أو العبارات دخيلة عليكم ولم يلفظها لسانكم؟

- حين تصدر مثل هذه النسبة من مواقع متخصصة في التهريج وإثارة الخصام الطائفي ونشر الكراهية والبعضاء بين المسلمين فإن ذلك يكفي لسلب الاعتبار عن تلك النسبة.

وقد أعلنت براءتي وإنكاري لهذا التلفيق المفرض من خلال أكثر من قناة فضائية ومبني إعلامي.

ومن يتابع أفكار وطروحاتي يدرك بوضوح أن مثل هذه التهمة لا تتسجم مع نهجي ومسيرتي الفكرية والعملية، ومعلوم أن الدبلجة والتلفيق في التسجيلات أمر سهل ميسور لذلك حينما ينسب أي تسجيل صوتي لأحد فإن الجهات المعنية تسعى لتلاكم من صمته، وقبل أيام ردّ فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان رئيس مجلس



- الإعداد النفسي والفكري على مستوى المشاركين في الحوار. وعلى صعيد الرأي العام الوطني لتفعيل حالة التواصل والتعاون بين طاقات الوطن من مختلف المذاهب والتوجهات.

أما مشاركة المرأة في الحوار الوطني فقد كانت في مستوى مشاركة الرجل منذ اللقاء الثاني للحوار الوطني.

■ الملاحظ أن هناك مبادرة طيبة للتقارب بين السنة والشيعة، إلا أن هناك موانع تحول دون هذا التقارب، وما زال الخلاف قائماً.. فما الحل للقضاء على هذه النزاعات برأيك..؟

- أعتقد أن أجواء الأمة أصبحت أكثر تقيلاً واستجابة لدعوات التقارب والوحدة بين السنة والشيعة، لأن رغبة الوعي قد اتسعت في جمهور الأمة، وما عاد الناس كلهم يقبلون الاتجاهات التعصبية والتعموية. كما أن تطور وسائل الإعلام والتواصل المعلوماتي وفرّ فرص التعارف والتواصل المباشر بين التوجهات المختلفة. بعد أن كان البعض يتمتع على الوسائط غير الدقيقة في تصوراتهِ عن

الأخر، وقد تكون مغرسة. كما أن التحديات الخطيرة التي تواجه الأمة فرضت مستوى متقدماً من الوعي بأهمية الوحدة وتجاوز حالات الصراع والخلاف المذهبي.

لذلك فإن مبادرات التقارب الآن أكثر نشاطاً وفاعلية في الكثير من المواقع والبلدان الإسلامية. أما الموانع التي تعرقل جدية التقارب فهي

1977م.

وفي هذه الحوزات والمدارس العلمية تلقيت شيئاً من العلم على يد علماء أفاضل من أبناء بلدي ومن العراق وإيران ولبنان.

بدأت ممارسة نشاطي الديني الاجتماعي في التطيف كإمام جماعة في مسجد الفتح، إضافة إلى الخطابة الدينية في مختلف المناطق والمناسبات.

وفقتي الله تعالى لتأليف مجموعة من الكتب أرجو أن يكون فيها ما يفيد القراء.

أسعى لخدمة ديني ووطني ومجتمعي بمقدار ما أستطيع.

■ نود أن نتوصل بالتحديد إلى الفرق بين الطائفية والتدين..؟

- التدين يعني التزام الإنسان بقيم الدين وعمله بأحكامه وهو أمر مطلوب من كل مسلم. أما الطائفية فهي حالة من العصبية للطائفة على حساب الآخرين بما يشبه العصبية القبلية، التي تعني الشعور بالتعالي والتميز وتبرير الإساءة للأخر والتقليل من شأنه والتجاوز على حقوقه.

والطائفية بهذا المعنى لا يقرها الشرع الذي يأمر بالعدل والإحسان، ولا العقل الذي يدعو إلى احترام حقوق الإنسان وحقوق المواطنة.

■ من وجهة نظرك.. ما هي الاستفادة من الحوار الوطني بالملكة العربية السعودية؟ وهل مشاركة المرأة حقيقية أم مجرد ديكور؟

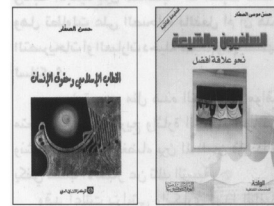
- أرى أن الحوار الوطني يحقق فوائد هامة من أبرزها:

- الإقرار بواقع التعددية المذهبية والفكرية على المستوى الوطني، وأن الوطن لا يختصره مذهب واحد أو مدرسة واحدة، بل هو لكل أبنائه على تنوع مذاهبهم وتوجهاتهم الفكرية، ولا يصح إلغاء أحد أو إقصاؤه ولا تجاهله أو تجاوزه.

- الإعلان عن استعداد كل الأطراف لتجاوز حالة القطيعة والخلاف، والدخول في عهد التواصل والحوار الذي يخدم الأهداف العليا للأمة، والمصالح المشتركة للوطن.

القضاء الأعلى في المملكة على ما نشر في بعض الصحف وبث في بعض القنوات الفضائية عن أنه يحرض على الإرهاب ويدعم الإرهابيين في العراق والسعودية.. ومما في البيان الذي أصدره في 24 ربيع الأول 1426هـ: «وما قيل عن شريط فيه صوتي وأنتي قلت نعم هذا صوتي، فإننا لست ممن له تسجيلات سرية وأخرى علنية على الإطلاق.. وعملية التفتيش وإدخال كلام في كلام في دبلجة تسجيلية أمر معلوم، وقطع ما لا يراد، وإبقاء ما يظن أنه يحقق الأهداف الخبيثة أمر لا يخفى على كل عاقل عارف بأحوال التسجيلات» (الشرق الأوسط 3 مايو 2005م).

■ حدثنا عن آليات سلمية وعلمية للحوار



المذهبي والذي من شأنه أن يؤدي إلى القضاء على الطائفية ويمنع الفتنة؟

- ما ينقد المجتمعات الإسلامية من الطائفية ويمنع الفتنة المذهبية أمران:

الأول: اعتماد الحكومات في البلاد الإسلامية لسياسة المساواة والعدالة بين المواطنين على اختلاف مذاهبهم، على أساس نظام المواطنة الذي تتكافأ فيه الفرص دون تمييز في الحقوق والواجبات.

الثاني: نشر ثقافة التسامح والقبول بالتعددية واحترام الرأي الآخر، ووضع حد للاتجاهات التكفيرية والتي تثبت ثقافة الكراهية والبغضاء بين أبناء الأمة الواحدة والوطن الواحد.

أما آليات الحوار المذهبي المطلوب فاهمها ما يلي:

1 - التعرف المباشر بأن يتعرف أهل كل مذهب على آراء المذهب الآخر من مصادره ومرجعياته وليس من خلال الأقوال والوسائط التي غالباً ما تكون غير دقيقة.

2 - القبول بمبدأ تعدد القراءات واختلاف الاجتهادات في التفاصيل العقيدية والفقهية، في إطار الاتفاق على أصول الإيمان التي لا يختلف فيها المسلمون وهي: الإيمان بالله تعالى ورسوله وكتبه واليوم الآخر ومرجعية الكتاب والسنة، وكذلك أركان الإسلام وفرائضه المتفق عليها كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج بيت الله الحرام.

3 - البحث عن القواسم المشتركة وموارد الاتفاق وهي كثيرة واسعة ثم تحديد مواقع الاختلاف وهي محدودة لا تضاهي مساحات الاتفاق واللقاء، ومعرفة وجهة نظر كل طرف حولها وأدلته وبراهينه لتكون مجالاً للحوار العلمي.

4 - الاتفاق على خدمة الأهداف العليا للإسلام والقضايا المصيرية للأمة والمصلحة الوطنية المشتركة.

■ من وجهة نظرهم.. هل يحق للمرأة أن تخوض العمل السياسي باعتبارها نصف المجتمع، أم ترى أن تهميشها ضرورة اجتماعية حفاظاً على العادات والتقاليد؟ وإلى أي مدى يمكن للمرأة أن تمارس حريتها في الرأي والمشاركة الفعالة بالمجتمع؟



- ليس هناك ما يمنع المرأة من المشاركة في الشأن السياسي والاجتماعي فالقرآن الكريم يتحدث عن مباحة النساء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ...﴾ (سورة المتحنة الآية 12)، والبيعة مفهوم سياسي.

كما يتحدث القرآن الكريم عن الولاية المتبادلة والمسؤولية المشتركة في حماية القيم والمصالح العامة بين أبناء الأمة ذكورا وإناثا يقول تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَبْتَغُونَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَيَتَّهَنُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (سورة التوبة آية 71).

وفي التاريخ الإسلامي قامت المرأة بأدوار سياسية واجتماعية واضحة، وكانت تمارس حريتها في طرح الرأي وحتى في مجادلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ حيث نزلت سورة المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ كما كانت ترفع صوت الاعتراض على الخليفة كما حصل في عهد عمر بن الخطاب حيث سحب قراره في تحديد مهور النساء أمام اعتراض امرأة حجته بالدليل الشرعي، لكن العصور المتأخرة سادت فيها بعض الآراء المتشددة والأعراف والتقاليد المتخلفة التي تنظر للمرأة نظرة دونية وكأنها إنسان من الدرجة الثانية.

و اعتقد أن تطور المجتمعات الإنسانية لم يعد يقبل بمثل هذه التوجهات، وستأخذ المرأة دورها الطبيعي إلى جانب الرجل مهما عارض المتشددون لكن علينا أن نبادر لإصلاح الواقع قبل أن نقرض الأمور علينا نفسها بشكل غير مناسب لأوضاعنا. ■ هل تتوقعون أن تحدث فتنة بين السنة والشيعية بالعراق، وسط هذه الأحداث الدامية، وغياب الدور الأمني بالبلاد؟

- من المؤلم أن تسارع وتيرة أحداث العنف في العراق منذرة بخلق فتنة طائفية، لكن ما نراهن عليه بعد الثقة بالله تعالى هو وعي الشعب العراقي ونضج قياداته الدينية والسياسية المخلصه. إن المرجع الديني الأعلى في العراق السيد علي السيستاني له موقف ثابت حازم في الحفاظ على وحدة الشعب العراقي وتحريم وتجريم كل ما يخدم مخطط الفتنة الطائفية.

والمطلوب من عقلاء الأمة وقياداتها السياسية وجمهائر الأمة خارج العراق أن تغادر حالة الصمت والسكوت وأن تبادر إلى التحرك لرفض وإدانة هذا العنف والإرهاب الأعمى في العراق الذي يستهدف المدنيين تحت شعارات طائفية، وبدعاوى المقاومة للاحتلال، بينما لا يكاد يصل إلى القوات الأجنبية إلا شيء قليل من الأذى في مقابل سقوط عشرات القتلى والجرحى من العراقيين يوميا.

حوار مجلة فواصل (السعودية)^(١)

أعلن براءته من الإساءة للصحابة.. سماحة الشيخ حسن الصفار لـ فواصل:

□ التقارب بين المذاهب، يتحطم فوق صخرة الخلل الثقافي والاجتماعي..!

حوار: فراس الجبريل

هناك فقهاء ورجال دين، غيورون على دينهم الإسلامي، ويسعون دوماً لوحدة الأمة، لمواجهة أخطار الخارج.. فهؤلاء تصالحوا مع أنفسهم، ونبذوا الخلافات بين المذاهب، ويحاولون دوماً إذابة جبال الثلج الذي يمنع التقارب بين السنة والشيعه، ويشعل نيران الفتنة بين أبناء الأمة..

من بين هؤلاء التقينا سماحة الشيخ حسن الصفار، مفتي الشيعة ومرجعهم بالمملكة العربية السعودية، والذي أخذ على عاتقه القضاء على الخلافات والنزاعات بين السنة والشيعه، واتساع رقعة الوعي بين المسلمين، بعيداً عن التشنج والعصبية التي قد

(١) فواصل: مجلة سعودية نصف شهرية شاملة، العدد رقم ١٦٣ في ٢٤ جمادى الأولى ١٤٢٦ هـ الموافق ١ يوليو ٢٠٠٥ م.

تصل إلى حد التطرف..

في حوارنا، نجح الرجل في وضع رؤية ومنظومة متكاملة للعلاقات بين السنة والشيعة، ونفى أي تهمة لاحقة عبر الإنترنت، بشأن الإساءة للخلفاء، وحدد نهجه وفكره بكل اعتدال، وأكد نجاح الحوار الوطني بالمملكة.. ولم يخلو حديثنا من التطرق إلى حزب الله وأسباب قوته.. وغير ذلك من القضايا الملحة، نستعرضها في السطور التالية..

بداية.. حدثنا عن بطاقتك الشخصية.. وأي مراجع حصلت منها علومك..؟!

في البدء أشكركم لإتاحتم لي الفرصة للتخاطب مع قرائكم الكرام، وأرجو أن يكون دور مجلتكم ريادياً في تعميق القيم الإنسانية الإسلامية وتأكيد التواصل الفكري الوطني.

أما عن بطاقتي الشخصية فهي تحمل المعلومات التالية:

- حسن بن موسى بن رضي بن علي الصفار
- مواليد سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م، في القطيف - المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية.
- أكملت المرحلة الابتدائية في مدرسة زين العابدين، والمتوسطة في مدرسة الأمين بالقطيف.
- بدأت دراستي الدينية على يد علماء في بلدي القطيف.
- كما بدأت ممارسة الخطابة في سن مبكر؛ الحادية عشر من العمر.
- هاجرت إلى النجف الأشرف - العراق؛ والتحققت بالحوزة العلمية سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- ثم انتقلت إلى الحوزة العلمية في قم - إيران؛ سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

- ثم التحقت بمدرسة الرسول الأعظم في الكويت سنة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م إلى سنة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- وفي هذه الحوزات والمدارس العلمية تلقيت شيئاً من العلم على يد علماء أفاضل من أبناء بلدي ومن العراق وإيران ولبنان.
- بدأت ممارسة نشاطي الديني الاجتماعي في القطيف كإمام جماعة في مسجد الفتح، إضافة إلى الخطابة الدينية في مختلف المناطق والمناسبات.
- وفقني الله تعالى لتأليف مجموعة من الكتب أرجو أن يكون فيها ما يفيد القراء.
- أسعى لخدمة ديني ووطني ومجتمعي بمقدار ما أستطيع. أسأل الله تعالى القبول والتوفيق وحسن العاقبة.

نود أن نتوصل بالتحديد إلى الفرق بين الطائفية والتدين..؟

التدين يعني التزام الإنسان بقيم الدين وعمله بأحكامه وهو أمر مطلوب من كل مسلم.

أما الطائفية فهي حالة من العصبية للطائفة على حساب الآخرين بما يشبه العصبية القبلية. التي تعني الشعور بالتعالي والتميز وتبرير الإساءة للآخر والتقليل من شأنه والتجاوز على حقوقه.

والطائفية بهذا المعنى لا يقرها الشرع الذي يأمر بالعدل والإحسان، ولا العقل الذي يدعو إلى احترام حقوق الإنسان وحقوق المواطنة.

من وجهة نظرك.. ما هي الاستفادة من الحوار الوطني بالمملكة العربية السعودية؟ وهل مشاركة المرأة حقيقية أم مجرد ديكور؟!

أرى أن الحوار الوطني يحقق فوائد هامة من أبرزها:

- الإقرار بواقع التعددية المذهبية والفكرية على المستوى الوطني، وأن الوطن لا يختصره مذهب واحد أو مدرسة واحدة، بل هو لكل أبنائه على تنوع مذاهبهم وتوجهاتهم الفكرية، ولا يصح إلغاء أحد أو إقصاؤه ولا تجاهله أو تجاوزه.
 - الإعلان عن استعداد كل الأطراف لتجاوز حالة القطيعة والخلاف، والدخول في عهد التواصل والحوار الذي يخدم الأهداف العليا للأمة؛ والمصالح المشتركة للوطن.
 - الإعداد النفسي والفكري على مستوى المشاركين في الحوار، وعلى صعيد الرأي العام الوطني لتفعيل حالة التواصل والتعاون بين طاقات الوطن من مختلف المذاهب والتوجهات.
- أما مشاركة المرأة في الحوار الوطني فقد كانت في مستوى مشاركة الرجل منذ اللقاء الثاني للحوار الوطني.

الملاحظ أن هناك مبادرة طيبة للتقارب بين السنة والشيعية، إلا أن هناك موانع تحول دون هذا التقارب، وما زال الخلاف قائماً.. فما الحل للقضاء على هذه النزاعات برأيك..؟

أعتقد أن أجواء الأمة أصبحت أكثر تقبلاً واستجابة لدعوات التقارب والوحدة بين السنة والشيعية، لأن رقعة الوعي قد اتسعت في جمهور الأمة، وما عاد الناس كلهم يقبلون الاتجاهات التعصبية والتعبوية، كما أن تطور وسائل الإعلام والتواصل المعلوماتي وفرّ فرص التعارف والتواصل المباشر بين التوجهات المختلفة، بعد أن كان البعض يعتمد على الوسائط غير الدقيقة في تصوراتهِ عن الآخر؛ وقد تكون مغرصة.

كما أن التحديات الخطيرة التي تواجه الأمة فرضت مستوى متقدماً من الوعي بأهمية الوحدة وتجاوز حالات الصراع والخلاف المذهبي.

لذلك فإن مبادرات التقارب الآن أكثر نشاطاً وفاعلية في الكثير من المواقع والبلدان الإسلامية.

أما الموانع التي تعرقل جدية التقارب فهي تعود إلى خلل في الواقع السياسي والثقافي الذي تعيشه الأمة والذي يعرقل التقارب والوحدة على جميع الأصعدة والمستويات وليس على صعيد العلاقات المذهبية فقط.

فبين الدول العربية ورغم وجود جامعة الدول العربية منذ نصف قرن لا زال التقارب شكلياً. وفي البلدان الإسلامية التي تتعدد فيها القوميات نجد هناك إشكاليات في العلاقة بينها، وبين الأحزاب السياسية مشاكل، وبين الجهات الدينية حتى ضمن المذهب الواحد تحصل مشاكل، فمثلاً العلاقة بين الاتجاه السلفي والاتجاه الصوفي مع إنها ينتميان إلى أهل السنة ليست على ما يرام، وكذلك الحال داخل الشيعة بين الاتجاهات المختلفة.

و أستنتج من ذلك أن القدرة على التعاون وإرادة الوحدة والتقارب ضعيفة في أوساط الأمة لخلل في واقعها الثقافي والاجتماعي.

ما زال موقف بعض الشيعة تجاه الخلفاء والصحابة ثابتاً، فما هي أهم

القناعات التي تستندون إليها، لحل هذه العقدة المزمنة؟

ليس مطلوباً أن تتفق الآراء والمواقف بين السنة والشيعة على المستوى العقدي أو الفقهي فلكل مدرسة آراؤها في موضوع الإمامة والخلافة، وتقويم مواقف بعض الصحابة، واختلاف القناعات أمر قائم ولا يمكن تجاوزه، كما أن البحث والحوار في تلك القناعات وتبيين أدلتها أمر مطلوب على المستوى العلمي.

وما ليس مقبولاً هو الطرح الحادّ المتشنج ومخالفة آداب الإسلام بإساءة طرف للآخر والتحريض على الكراهية.

هناك عدة مواقع على الإنترنت تنسب لكم شخصياً عبارات تحمل الإساءة لبعض الخلفاء، مما يخالف نهجكم في الدعوة للوحدة وإذابة الجليد بين المذاهب.. ما حقيقة ذلك؟ وهل تناولت على الصحابة بالفعل أم أن هذه التصريحات أو العبارات دخيلة عليكم ولم يلفظها لسانكم؟

حين تصدر مثل هذه النسبة من مواقع متخصصة في التهريج وإثارة الخصام الطائفي ونشر الكراهية والبغضاء بين المسلمين فإن ذلك يكفي لسلب الاعتبار عن تلك النسبة.

وقد أعلنت براءتي وإنكاري لهذا التلفيق المغرض من خلال أكثر من قناة فضائية ومنبر إعلامي.

ومن يتابع أفكارى وطروحاتي يدرك بوضوح أن مثل هذه التهمة لا تنسجم مع نهجي ومسيرتي الفكرية والعملية، ومعلوم أن الدبلجة والتلفيق في التسجيلات أمر سهل ميسور لذلك حينما ينسب أي تسجيل صوتي لأحد فإن الجهات المعنية تسعى للتأكد من صحته، وقبل أيام ردّ فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى في المملكة على ما نشر في بعض الصحف وبث في بعض القنوات الفضائية عن أنه يجرّض على الإرهاب ويدعم الإرهابيين في العراق والسعودية، ومما في البيان الذي أصدره في ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ: «وما قيل عن شريط فيه صوتي وأنتي قلت نعم هذا صوتي، فأنا لست ممن له تسجيلات سرية وأخرى علنية على الإطلاق، وعملية التلفيق وإدخال كلام في كلام في دبلجة تسجيلية أمر معلوم، وقطع ما لا يراد، وإبقاء ما يظن أنه يحقق الأهداف الخبيثة أمر لا يخفى على كل عاقل عارف بأحوال التسجيلات» (الشرق الأوسط ٣ مايو ٢٠٠٥ م).

حدثنا عن آليات سلمية وعلمية للحوار المذهبي والذي من شأنه أن يؤدي إلى القضاء على الطائفية ويمنع الفتنة؟

ما ينقذ المجتمعات الإسلامية من الطائفية ويمنع الفتن المذهبية أمران: الأول: اعتماد الحكومات في البلاد الإسلامية لسياسة المساواة والعدالة بين المواطنين على اختلاف مذاهبهم، على أساس نظام المواطنة الذي تتكافأ فيه الفرص دون تمييز في الحقوق والواجبات.

الثاني: نشر ثقافة التسامح والقبول بالتعددية واحترام الرأي الآخر. ووضع حد للاتجاهات التكفيرية والتي تبث ثقافة الكراهية والبغضاء بين أبناء الأمة الواحدة والوطن الواحد.

أما آليات الحوار المذهبي المطلوب فأهمها ما يلي:

١. التعارف المباشر بأن يتعرف أهل كل مذهب على آراء المذهب الآخر من مصادره ومرجعياته وليس من خلال النقولات والوسائط التي غالباً ما تكون غير دقيقة.
٢. القبول بمبدأ تعدد القراءات واختلاف الاجتهادات في التفاصيل العقدية والفقهية. في إطار الاتفاق على أصول الإيمان التي لا يختلف فيها المسلمون وهي: الإيمان بالله تعالى ورسله وكتبه واليوم الآخر ومرجعية الكتاب والسنة وكذلك أركان الإسلام وفرائضه المتفق عليها كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج بيت الله الحرام.
٣. البحث عن القواسم المشتركة وموارد الاتفاق وهي كثيرة واسعة ثم تحديد مواقع الاختلاف وهي محدودة لا تضاهي مساحات الاتفاق واللقاء، ومعرفة وجهة نظر كل طرف حولها وأدلتها وبراهينه لتكون مجالاً للحوار العلمي.
٤. الاتفاق على خدمة الأهداف العليا للإسلام والقضايا المصيرية للأمة والمصلحة

الوطنية المشتركة.

من وجهة نظر كم.. هل يحق للمرأة أن تخوض العمل السياسي باعتبارها نصف المجتمع، أم ترى أن تهميشها ضرورة اجتماعية حفاظاً على العادات والتقاليد؟ وإلى أي مدى يمكن للمرأة أن تمارس حريتها في الرأي والمشاركة الفعالة بالمجتمع؟

ليس هناك ما يمنع المرأة من المشاركة في الشأن السياسي والاجتماعي فالقرآن الكريم يتحدث عن مبايعة النساء لرسول الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ...﴾ [سورة المتحنة الآية ١٢]، والبيعة مفهوم سياسي.

كما يتحدث القرآن الكريم عن الولاية المتبادلة والمسؤولية المشتركة في حماية القيم والمصالح العامة بين أبناء الأمة ذكوراً وإناثاً يقول تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة التوبة الآية ٧١].

وفي التاريخ الإسلامي قامت المرأة بأدوار سياسية واجتماعية واضحة، وكانت تمارس حريتها في طرح الرأي وحتى في مجادلة رسول الله ؛ حيث نزلت سورة المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾. كما كانت ترفع صوت الاعتراض على الخليفة كما حصل في عهد عمر بن الخطاب حيث سحب قراره في تحديد مهور النساء أمام اعتراض امرأة حجته بالدليل الشرعي، لكن العصور المتأخرة سادت فيها بعض الآراء المتشددة والأعراف والتقاليد المتخلفة التي تنظر للمرأة نظرة دونية وكأنها إنسان من الدرجة الثانية.

واعتقد أن تطور المجتمعات الإنسانية لم يعد يقبل بمثل هذه التوجهات، وستأخذ المرأة دورها الطبيعي إلى جانب الرجل مهما عارض المتشددون لكن علينا أن نبادر لإصلاح الواقع قبل أن تفرض الأمور علينا نفسها بشكل غير مناسب لأوضاعنا.

هل تتوقعون أن تحدث فتنة بين السنة والشيعة بالعراق، وسط هذه الأحداث الدامية، وغياب الدور الأمني بالبلاد؟

من المؤلم أن تتسارع وتيرة أحداث العنف في العراق منذرة بخلق فتنة طائفية، لكن ما نراهن عليه بعد الثقة بالله تعالى هو وعي الشعب العراقي ونضج قياداته الدينية والسياسية المخلصة.

إن المرجع الديني الأعلى في العراق السيد علي السيستاني له موقف ثابت حازم في الحفاظ على وحدة الشعب العراقي وتحريم وتجريم كل ما يخدم مخطط الفتنة الطائفية. والمطلوب من عقلاء الأمة وقياداتها السياسية وجماهير الأمة خارج العراق أن تغادر حالة الصمت والسكوت وأن تبادر إلى التحرك لرفض وإدانة هذا العنف والإرهاب الأعمى في العراق الذي يستهدف المدنيين تحت شعارات طائفية، وبدعاوى المقاومة للاحتلال، بينما لا يكاد يصل إلى القوات الأجنبية إلا شيء قليل من الأذى في مقابل سقوط عشرات القتلى والجرحى من العراقيين يومياً.

الجميع سنة وشيعة متفقون على حزب الله وحسن نصر الله.. برأيك كيف استطاع هذا الحزب توحيد كلمة الفرقاء؟

من الواضح أن تصدي حزب الله في لبنان لقضية الأمة الرئيسية وهي مواجهة الاحتلال الصهيوني، وصدقه وإخلاصه في هذه المواجهة وما حقق فيها من إنجاز كبير هو سبب احترام الأمة له على اختلاف مذاهبها.

كما أن مواقف قيادات حزب الله ومنابر إعلامه تبنت نهج الوحدة ورفضت الإسفاف على اللغة الطائفية والفئوية، فكسبت احترام الجميع، وأصبحت تعبر عن هموم الأمة وتطلعاتها.

حوار مع جريدة المدينة^(١)

أجراه: معيض المسيلي

المدينة: المذاهب الإسلامية تتفق في الكليات وتختلف في الجزئيات ..
فلماذا التركيز الإعلامي دائماً على الخلافات وإبرازها؟

الشيخ الصقّار: أعتقد أن التركيز على الخلافات وإبرازها له سببان رئيسان:
الأول: المصالح السياسية: فعالبًا ما كانت الدوافع السياسية هي التي توجه اتجاه
التركيز على نقاط الخلاف بين المذاهب الإسلامية، ومن أكبر الشواهد على ذلك الحرب
العراقية الإيرانية، التي شهدت تركيزاً في إظهار الخلافات المذهبية، لأن النظام العراقي
الزائل وضع ثقلًا كبيراً في هذا المجال من أجل أن يدعم موقفه في العالم العربي، فحاول أن
يوشي وكأن معركة لها ارتباط بمواجهة المذهب الشيعي، بينما اتضح للجميع أن صدام

(١) النص الكامل الذي نشرت صحيفة المدينة السعودية معظم فقراته في عددها رقم ١٥٥٧٤ بتاريخ
١٢ ديسمبر ٢٠٠٥م الموافق ١١ ذو القعدة ١٤٢٦هـ.

لم يكن يدافع عن مذهب ولا قومية ولا عن البوابة الشرقية للعالم العربي، وإنما كان ينطلق من تطلعاته الاستبدادية ونزعاته العدوانية.

الثاني: وجود بعض العقليات في أوساط علماء الدين من مختلف المذاهب التي تجد نفسها في قضايا الخلاف أكثر مما تهتم بقضية وحدة الأمة، ولذلك تركز هذه العقليات على القضايا الجزئية من أجل تأكيدها للولاء في أوساط أتباعها ومن أجل تعبئتهم ضد الطرف الآخر.

بقي أن نشير إلى أن الأجواء العامة في الأمة إذا لم تكن منشغلة بمشروع حضاري وتوجه تنموي فإن الفراغ هو الذي يتيح الفرصة للقضايا الجانبية الجزئية.

الصراعات المذهبية داء داخلي يستفيد منه العدو الخارجي

المدينة: هل ترون أن هناك من يحاول توسيع الهوة وبثّ الفرقة وتأكيد الاختلافات بين أبناء الوطن الواحد من الخارج؟

الشيخ الصفار: أعتقد أن الجهود التي تبذل من قبل المتعصبين والمتطرفين في الداخل هي التي تتحمل القسط الأكبر من المسؤولية، فقد يكون هناك في الخارج من يستفيد من هذه الحالة لكن الداء داخلي، كفانا تعليقاً لمشاكلنا على الخارج، وكفانا انشغالاً بعقلية المؤامرة، فالمشكلة في الأصل داخلية، ولو قرأنا التاريخ لوجدنا أن الصراعات والخلافات المذهبية التي حصلت في التاريخ الإسلامي السابق كانت سابقة لوجود المخابرات الأمريكية ولوجود الموساد والأنشطة الصهيونية، مما يدل على أن الداء داء داخلي تستفيد منه القوى الخارجية المعادية فتشجعه وتنفخ فيه وتدفعه إلى الواجهة أكثر.

الخلافات المذهبية سبيل للتدخلات الخارجية

المدينة: تعتبر الخلافات المذهبية سبيلاً للنيل من الوطن وللتدخلات

الخارجية وللتأخر والتخلف العلمي، كيف ترون ذلك؟

الشيخ الصقّار: يمكن القول أن العالم اليوم مهتم بطرح قضايا حقوق الإنسان والحريات الدينية، ومن خلال هذه العناوين فإنهم يستفيدون من وجود خلافات وصراعات تنتج تمييزاً طائفيًا بين المواطنين في هذا البلد أو ذاك، يستفيدون منها للتلويح بورقة الدفاع عن الأقليات وبورقة حماية الحريات الدينية، وبالتالي فإن الخلافات المذهبية تعتبر ثغرة في جدار أمن الوطن وتتيح الفرصة أمام القوى الخارجية حتى تلعب بهذه الورقة وتشهر هذا السيف المسلط على سمعة الوطن وأمن البلاد.

كذلك، فإن الخلافات المذهبية تخلق انشغالاً عند الناس عن اهتماماتهم الحقيقية وتحرم الوطن من بعض كفاءاته لأنهم من أتباع هذا المذهب أو ذاك.

وأخيراً، فإن الخلافات المذهبية تضعف الوحدة الوطنية، وتجعل الناس يفكرون ككيانات قلقة من بعضها البعض، بدل أن ينظروا لأنفسهم ككيان واحد.

القرآن يشرع الاختلاف والتعددية

المدينة: الاختلاف في حياة الناس وآرائهم أمر بديهي وهناك آيات في القرآن الكريم تتحدث عن ذلك .. كيف نعي ذلك؟

الشيخ الصقّار: الاختلاف والتنوع بين الناس تقسّمه الآيات القرآنية إلى نوعين: الأول: تنوع واختلاف تكويني: حيث يجد الناس أنفسهم ضمنه دون اختيار منهم، حيث لا يستشار أحد ولا يُخَيَّر قبل مجيئه لهذه الدنيا في انتمائه العرقي أو القومي، ولا في ملامح شكله ومظهره، فالأبيض لم ينتخب البياض لنفسه ولا الأسود اختار السواد لشكله، ولم يقرّر أحد من البشر لنفسه أن ينحدر من السلالة التي انحدر منها، وأن ينتمي إلى القومية التي وجد نفسه متمياً إليها.

وهذا التنوع الطبيعي يتم بأمر الله ومشيئته لذلك يعبر عنه تعالى بالجعل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٣] فالله تعالى هو الذي جعلنا متنوعين في أعراقنا وقومياتنا وشعوبنا.

الثاني: تنوع اختياري: يرتبط بقناعات الإنسان وأفكاره ونمط سلوكه واتجاهه، فكل إنسان هو الذي يقرّر ما يعتنق من دين، وما يؤمن به من فكر، وما يرتضيه لنفسه من ثقافة وسلوك، وتبعاً لذلك تتعدد الأديان بين الناس وتختلف المدارس الفكرية، وتنوع التوجهات السياسية.

وهذا التنوع ناشئ من تقدير الله تعالى وحكمته لوجود الإنسان في هذه الحياة، حيث خلقه الله تعالى حراً مريداً قادراً على التفكير واتخاذ القرار ليكون في موضع الابتلاء والامتحان فيستحق الثواب والعقاب.

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [سورة

المائدة: ٤٨].

وفي آية أخرى يقول عزّ من قائل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: الآية ٩٨].

ولأهمية هذه الحقيقة، ولأن البعض من الناس قد يحاول مصادرة قرار الآخرين وحرّياتهم بفرضه ما يؤمن به عليهم، لذلك يكرر القرآن ذكر هذه الحقيقة لتأكيداها وتشبيتها.

فلو كان فرض الاتجاه مقبولاً لسير الله خلقه وعباده في طريق الإيذان به والخضوع لدينه الحق، ولكنه تعالى لحكمته ترك حرية الاختيار للإنسان: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ [سورة الكهف: الآية ٢٩].

وقد بحث هذا الموضوع في عدة كتب، ككتاب التنوع والتعايش، وكتاب التعددية والحرية في الإسلام.

آليات الحوار المذهبي

المدينة: ما هي الآليات الصحيحة للحوار المذهبي الذي يؤدي بنا للوحدة الوطنية؟

الشيخ الصفار: الآليات السليمة للحوار المذهبي أهمها ما يلي:

- أولاً: الاتفاق على مبادئ للتعايش والتعاون ضمن مصلحة الأمة والوطن.
- ثانياً: البحث في القواسم المشتركة ومناطق الاتفاق والتأكيد عليها والانطلاق منها.
- ثالثاً: الحوار حول القضايا المختلف فيها لمعرفة أدلة كل طرف ومستندات آرائه، بعيداً عن التقولات والتفسيرات الخاطئة، الأمر الذي يخدم أن يتعارف أصحاب كل مذهب على آراء غيره من المذاهب الأخرى، مما ينتج عنه جانب الإثراء المعرفي في الأدلة والآراء في المسائل المختلف فيها.
- رابعاً: دراسة التحديات المعاصرة التي تواجه الإسلام والأمة وتقديم الحلول الفكرية والتشريعية لها بالاستفادة من اجتهادات مختلف المذاهب.

الاعتدال هو الطريق الموصل للوحدة الوطنية

المدينة: عُرف الشيخ حسن الصفار بطرحه المعتدل .. فكيف نجعل الاعتدال منطلقاً للوحدة الوطنية والحفاظ على مكتسبات الوطن؟

الشيخ الصفار: ما يقابل الاعتدال هو التطرف، وبطبيعة الحال فإن تشدد أي طرف يدفع الطرف الآخر لرد فعل متطرف أيضاً، وحينها يسود منطق التطرف فإن ذلك لا يمكن من إيجاد وحدة وطنية، وإنما تتصاعد الأمور فتبدأ بتطرف نظري لفظي كلامي،

ولكنها ما تلبث أن تتحول إلى صراعات على المكاسب والمصالح وأخيراً قد تصل إلى مرحلة الصدام والاقتيال، وكما قال الشاعر العربي:

فإن الحرب أولها كلام

من هنا، فإن الاعتدال من قبل كل الأطراف هو الذي يمكنهم من الوصول إلى منطقة وسط، وهو الذي يوفّر أجواء الاحترام المتبادل، وهو الذي يوجد تقاطعاً بين مختلف الأطراف ويحقق الوحدة الوطنية، ويحافظ على مكتسبات الوطن.

التمييز الطائفي في سبيله للمعالجة

المدينة: أبناء الشيعة في المملكة جزء لا يتجزأ من الوطن، والبعض يدّعي أن حقوقهم مهضومة .. ما ردّكم على ذلك؟

الشيخ الصقّار: هناك بعض المشاكل التي يعاني منها المواطنون الشيعة بالمملكة مما يرتبط بشيء من حرياتهم الدينية ومما يرتبط بتاكفؤ الفرص في خدمة الوطن، ولكننا نرى رغبة جادة من القيادة السياسية لمعالجة مثل هذه المشاكل حتى يعيش الجميع متساوين في حقوقهم وواجباتهم الوطنية، لذلك ندعو إلى المعالجة الهادئة بعيداً عن التعبئة والتصعيد وتفويتاً للفرصة على من يريدون استغلال هذا الأمر ضد سمعة البلاد وأمن الوطن.

الدعوة إلى ميثاق شرف إسلامي

المدينة: لماذا لا يكون هناك جهد موحد من السنة والشيعة في المملكة للدفاع عن أنفسهم ضد من يحاولون زرع الخلاف وليكن مجلس موحد أو موقع على الإنترنت أو أي جهد جماعي .. وكيف ترون هذه الخطوة؟

الشيخ الصقار: في البداية يجب أن نوثق حالة التواصل بين النخبة الدينية والثقافية لمختلف المذاهب، فنحن لا نزال نعاني حالة التباعد والقطيعة، وقل أن يلتقي العلماء والدعاة حتى في المنطقة الواحدة أو المدينة الواحدة، وكنا نأمل أن تؤسس لقاءات الحوار الوطني لمستوى من التلاقي والتواصل الطبيعي المستمر لا أن تقتصر اللقاءات في إطار مؤتمرات الحوار الوطني الرسمية المحدودة.

وأشيد هنا بمبادرة الدكتور الشيخ عوض القرني لقبوله الدعوة لزيارتنا في القطيف وأتمنى تكرار مثل هذه المبادرات من قبل سائر العلماء والدعاة. وقد آن أن تنبثق بعض الأعمال والنشاطات المشتركة، كإنشاء موقع على الانترنت أو إصدار مجلة بجهد مشترك من علماء أو مثقفين سنة وشيعة. وكذلك إنشاء مؤسّسات اجتماعية وفكرية مشتركة.

إن الدفاع عن قيم الإسلام الأساس، والدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، وحماية الأسرة، ومكافحة الميوعة والانحلال، ونصرة القضايا الإسلامية، ومواجهة الإساءات للإسلام ولنبي الإسلام، والدفاع عن حقوق الإنسان، ودعم توجهات التنمية وتوسيع رقعة المشاركة الشعبية، وأمثال ذلك من العناوين والقضايا هي هموم إسلامية وطنية مشتركة، تتجاوز الانتماءات المذهبية ويمكننا التعاون من أجلها، وأنتهز هذه الفرصة لأعلن استعدادي واستعداد الكثيرين من زملائي العلماء والدعاة من الشيعة لمدّ يد التعاون والترحيب بأيّ مبادرة لعمل مشترك في إطار خدمة الدين والوطن.

وقد سبق لي أن تحدثت في المكاشفات التي أجرتها معي جريدتكم السنة الماضية، حيث دعوت إلى ميثاق شرف إسلامي نتجاوز به الصراعات المذهبية والخلافات الطائفية، يؤكد على وحدة الأمة، وعلى مرجعية الكتاب والسنة، وعلى الاحترام المتبادل، وخدمة المصلحة العامة.

حوار مع جريدة (عرب نيوز)^(١)

وجهت جريدة «عرب نيوز» أسئلة لسماحة الشيخ حسن الصفار تتعلق بالعهد الجديد وتولي الملك عبدالله بن عبدالعزيز قيادة المملكة بعد رحيل الملك فهد، وقد نشرت إجابات سماحته في عددها الصادر اليوم الأحد ٢ رجب ١٤٢٦ هـ الموافق ٧ أغسطس ٢٠٠٥م وفيما يلي نص الأسئلة والأجوبة..

سماحة الشيخ حسن الصفار.. من خلال موقعكم كشخصية دينية ووطنية بارزة أحببت أن أطرح عليكم بعض الأسئلة بخصوص المرحلة المقبلة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز.

المرحلة القادمة بنظركم هل ستحمل الكثير من التغيرات على ساحة الإصلاح؟

(١) عرب نيوز: صحيفة يومية سعودية تصدر باللغة الإنجليزية، ٢ رجب ١٤٢٦ هـ - ٧ أغسطس ٢٠٠٥م.

التغيرات على ساحة الإصلاح بدأت في المملكة من خلال إطلاق مؤتمر الحوار الوطني، وتشكيل الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان، وإجراء الانتخابات البلدية، والمرحلة القادمة ستشهد إن شاء الله تفعيل هذه المبادرات أكثر، وإكمالها بمبادرات جريئة على طريق الإصلاح.

إذا كان الملك عبدالله هو الحاكم الفعلي منذ عشر سنوات، لماذا الأمل بإصلاحات دراماتيكية وسريعة، هل بتقليده منصب الملك يتيح له القيام بإصلاحات أكثر؟

لا أرى أنه ستحصل إصلاحات دراماتيكية سريعة، لأن ذلك ليس من نهج السياسة السعودية، التي اعتمدت أسلوب التآني والتدرج. ومع أن الملك عبدالله كان بمثابة الحاكم الفعلي منذ عشر سنوات لكنه الآن يتمتع بصلاحيات أكبر، فهو القائد الأعلى والمسؤول الأول بالأصالة وبحكم الدستور وبيعة الجمهور وليس نائباً أو محولاً من قائد أعلى منه كما كان سابقاً. وبالتالي فالفرق واضح بين الحاليين.

هل تعتقد بإمكانية إعطاء حقوق أوسع للأقليات الدينية في المملكة؟

لا يوجد في المملكة أقليات دينية فكل مواطنها مسلمون والحمد لله، لكنهم ينتمون إلى مذاهب مختلفة من مذاهب أهل السنة الأربعة (الحنبلي، المالكي، الشافعي، الحنفي) ومذاهب الشيعة (الجعفرية، الإسماعيلية). ويشكو أتباع بعض هذه المذاهب من انتقاص حرياتهم الدينية وبعض حقوقهم الوطنية، بسبب بعض الممارسات والتصرفات الخاطئة من أطراف تحتكر التمثيل الديني لنفسها، وتريد إلغاء الآخرين، ومبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بعقد الحوار الوطني هو لمعالجة هذه الحالة وتهيئة الأجواء

لتجاوزها، وتأكيد في أول كلمة ألقاها بعد البيعة على تحقيق العدالة دون تفرقة بين المواطنين، إشارة إلى تصميمه على التخلص من آثار تلك الحقبة السيئة. بدورنا نرفض تصنيف المواطنين مذهبياً على صعيد الواجبات والحقوق فكلنا أبناء هذا الوطن وشركاء في بنائه وخيراته والدفاع عنه.

كشخصية وطنية بارزة شاركت في الحوار الوطني، هل تعتقدون بأن هذه الحوارات كافية أم يجب استحداث قنوات أخرى لإدخال المواطن في دائرة الحكم وصنع القرار بدلاً من أن يكون خارجها؟

الحوار الوطني يجب أن يتطور وأن يمتلك آليات للتأثير والتنفيذ، وإلا فسيكون مجرد ملتقى ثقافي يفتقد القدرة على مواجهة مشكلة عويصة يعاني منها الوطن والمواطنون، وهي التمييز المفتعل بين المواطنين، واتجاهات الإقصاء والإلغاء من جهة للجهات الأخرى.

والمشاركة الشعبية في صنع القرار حق طبيعي ضمن قنواته المعروفة عالمياً وهي الانتخابات البرلمانية والبلدية، وهذا ما نطمح إلى تحقيقه إن شاء الله. إضافة إلى فسح المجال لقيام مؤسسات المجتمع المدني. ومن الملك عبدالله يؤمل كل خير وكذلك من ولي عهد الأمين الأمير سلطان بن عبدالعزيز حفظهما الله.

حوار مع جريدة (سعودي جازيت)^(١)

أجرت الحوار الأستاذة صبرية جوهر (مدير تحرير مكتب جدة).

صرحتم سابقاً أن لقاءكم بالأمير عبدالله - في ذلك الوقت كان إيذاناً
بمرحلة جديدة، كيف كان ذلك وما الذي قصدتموه بمرحلة جديدة؟

حينما التقى وفد المواطنين الشيعة من القطيف والاحساء والمدينة المنورة خادم
الحرمين الشريفين الملك عبدالله يوم كان ولياً للعهد وقدموا له خطاباً بعنوان شركاء في
الوطن أعلنوا فيه ولاءهم لوطنهم وحرصهم على الوحدة الوطنية وشكواهم من بعض
الممارسات التي تخالف الوحدة وتسيء لها وتخلق حالة التمييز بين المواطنين على أساس
مذهبي طائفي.

(١) سعودي جازيت: صحيفة يومية سعودية تصدر باللغة الإنجليزية، عدد رقم ١٣٥٨ في ٤ رجب ١٤٢٦ هـ
الموافق ٩ أغسطس ٢٠٠٥ م.

تحدث سموه عن عزم قيادة البلاد على معالجة هذه الإشكالات وتأكيد الوحدة والمساواة بين أبناء الوطن، وأشار إلى فكرة عقد حوار وطني بين مختلف الأطياف والاتجاهات.

وبعد نحو شهر من ذلك اللقاء انعقد اللقاء الأول للحوار الوطني، فكان إيذاناً بمرحلة جديدة تعترف فيها الأطراف ببعضها وتلتقي وتتواصل وتصبح هناك فرص لكي تعبر الأطراف عن نفسها على المستوى الإعلامي والثقافي بعد حقبة من الإقصاء والتهميش.

ما الذي تتوقعونه الآن وقد تولى سموه زمام الحكم؟

نتوقع من الملك عبدالله كل خير لجميع المواطنين فإن نهج المساواة ليس مطلباً لطائفة ولا مصلحة لجهة خاصة وإنما هو يخدم وحدة الوطن وتلاحم الشعب ويفوّت الفرصة على الأعداء الخارجيين والمغرضين في الداخل.

هل لاحظتم تغيراً بالعلاقة بين السنة والشيعة في المملكة عقب الحوار الوطني الذي جمع علماء من الطرفين؟

هناك تغير إيجابي يتمثل في حصول علاقات تعارف وتواصل، كما يتمثل في بعض الكتابات المنصفة الموضوعية التي نشرتها الصحافة لكتاب سعوديين من السنة حول إخوانهم المواطنين الشيعة، كما حصلت حوارات صحفية تناولت هذا الشأن كالمقابلة التي نشرتها (الرسالة) ملحق جريدة المدينة في خمس حلقات وما أثارته من مداخلات استمرت لأكثر من شهرين، وقبلها مقابلة في مجلة (الجسور) التي يشرف عليها الدكتور عوض القرني الذي قام بزيارتنا في القطيف وحضر مجلساً حاشداً من العلماء والوجهاء والأدباء الذين جاؤوا لاستقباله والترحيب به.

هذه مؤشرات تدل على تطور إيجابي في العلاقة نأمل أن تتطور أكثر إن شاء الله.

هل لا زلتم تؤمنون بوجود فجوة بين الشيعة والسنة؟ ما السبب في تلك
الفجوة؟

أسباب الفجوة بين السنة والشيعة أهمها في تصوري أمران:

١. وجود ممارسات التمييز من قبل بعض الجهات.
٢. ثقافة التعبئة والتحريض على الكراهية التي يبثها متشدّدون من الطرفين وخاصة من الطرف الذي يمتلك الفرص والإمكانات.

كيف يمكن سدّها وخلق جو من التناغم بين الاثنين على مستوى
المجتمع والدولة؟

يمكن سدّ هذه الفجوة بتحقيق نهج المساواة بين المواطنين، وتجريم أي نشاط
للتحريض على الكراهية وبثّ الفرقة، وإتاحة الفرصة لجميع الأطراف أن تعبّر عن نفسها
بإيجابية ووضوح منعاً لتأثير الشائعات والاتهامات.
مستوى الوعي عند أبناء الأمة قد ارتفع، وخطورة التحديات التي يواجهها الوطن
واضحة عند الجميع، فيأرادة الدولة ورعايتها لا يصعب سدّ هذه الفجوات، وتعزيز حالة
الوحدة والتناغم إن شاء الله.

ما موقف علماء السلفية في السعودية من مبادرة الملك عبدالله؟

يجب أن يُسألوا عن موقفهم وقد شارك بعضهم في الحوار وسمعنا منهم كلاماً
إيجابياً.

أين يظهر لكم الخلاف أوسع بين الاثنين، أي في أي الدول الإسلامية؟

الخلاف على المستوى الفكري موجود في مختلف المناطق، فتعدد المذاهب يعني التباين والاختلاف في بعض التفاصيل العقديّة والفقهية وهذا أمر طبيعي. لكن المشكلة هي في حصول الصراعات الاجتماعية والسياسية، التي غالباً ما تحركها المصالح السياسية، وهذا ما نجده في باكستان من وجود اعتداءات وتصفيات متقابلة من السنة ضد الشيعة وبالعكس.

وهذا ما تسعى بعض الجهات لافتعاله في العراق بأن يكون هناك صراع بين السنة والشيعة.

ما هو مدى العلاقة بينكم وبين الشيعة في الدول المجاورة مثل العراق وإيران؟

علاقتنا مع المجتمعات الإسلامية المجاورة طيبة وخاصة على مستوى العلاقة الدينية والثقافة، حيث نتواصل مع المرجعيات الدينية والحوزات العلمية في إيران العراق.

كيف تنظرون إلى الوضع في العراق وقد وصلت الأكثرية الشيعة إلى موقع السلطة؟ كيف سينعكس ذلك على وضع الشيعة في السعودية آخذين في الاعتبار عامل التقارب الجغرافي؟

نشعر بقلق على وضع الساحة العراقية لوجود احتلال أجنبي ولوجود تيارات متطرفة تمارس العنف على أساس طائفي، ونرجو أن يتجاوز الشعب العراقي هذه المحنة بنيل استقلاله وسيادته وحفظ وحدته وتحقيق أمنه واستقراره.

أما وضع الشيعة في السعودية فهم جزء من شعبهم ووطنهم لا يتأثر وضعهم

بالبلدان الأخرى فولاؤهم لوطنهم واضح ولا دخل للجهات الخارجية في شؤونهم الوطنية.

ما هو وضع الشيعة في السعودية من حيث التعليم والوظائف الحكومية؟

كبقية المواطنين هناك مشاكل تواجههم على صعيد التعليم الجامعي والحصول على الوظائف وخاصة الوظائف في المراتب المتقدمة. والصحافة المحلية تتحدث عن مشاكل التعليم والبطالة التي يعاني منها الجميع ويعتقد المواطنون الشيعة أن حصتهم من المعانة أكثر من غيرهم.

لكن الأمل الوطيد في اهتمام الدولة بمعالجة هذه المشاكل إن شاء الله.

كيف تحافظون على قيمكم الدينية كأقلية يتلقى أبناؤها تعليمهم على أيدي مدرسين سنة؟

القسم الأكبر من القيم الدينية مشتركة لا تختلف فيها المذاهب، وموارد الاختلاف يتلقاها الأبناء عن طريق عوائلهم والمجالس الدينية ودور العلماء والخطباء.

كم عدد الشيعة في السعودية؟

لا يوجد إحصاء دقيق عن عدد الشيعة لكن المتداول أنهم ما يقرب من مليون ونصف أقل أو أكثر قليلاً.

هل تراعى خصوصيتكم في المجتمع؟ ماذا عن الزواج هل يتم في محاكم السنة أم كيف وأين؟

للشيعة مساجدهم وحسينياتهم وعلماؤهم وخطباؤهم ويديرون شؤونهم الدينية باستقلال عن المؤسسة الدينية الرسمية. ولهم محكمة للأحوال الشخصية الزواج والطلاق والمواريث والأوقاف في القطيف والاحساء. وهي مرتبطة إدارياً بوزارة العدل.

كيف يمكن الإسهام بخلق فكر متعدّد وقيم جديدة بالنشء أو الجيل الجديد يتعايش ويتقبل الآخر ويحترم خصوصيته؟

هذا ما يجب أن يسعى إليه كل الواعين من أبناء الوطن وخاصة علماء الدين والمثقفون بأن نربي أبناءنا وأجيالنا على أساس احترام حقوق الإنسان والرأي الآخر، واحترام الانتماء الإسلامي والوطني، وأن نتجاوز مرحلة المهارات الطائفية والصراعات المذهبية التي لم تجن أمتنا وأوطاننا منها إلا الدمار والوبال.

بإمكانكم الحصول على النص الانجليزي المنشور في الصحيفة عبر الرابط التالي:

http://www.saudigazette.com.sa/sgazette/Data/2005/8/9/Art_250318.XML

الظلم والتحريرض على الكراهية يعوقان السلام

نشرت الصحف البحرينية تغطية لاحتفال النصف من شعبان الذي شارك فيه سماحة الشيخ حسن الصفار ونظمه بيت السكران بالتعاون مع محافظة المحرق بالبحرين بتاريخ ١٦ شعبان ١٤٢٦ هـ الموافق ٢٠/٩/٢٠٠٥ م. وعقد الاحتفال بمباركة من ملك البحرين وبرعاية نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الشؤون الإسلامية الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة الذي ألقى كلمة في الحفل. كما شارك في الإلقاء الداعية الإسلامية الدكتور أحمد عمر هاشم الرئيس السابق لجامعة الأزهر في مصر الذي يزور البحرين للمشاركة في هذه المناسبة. وألقى الأرشهندريد إبرام كلمة المطران قسطنطين رئيس الكنيسة الارثوذكسية في الكويت والخليج.

ثم جاءت مشاركة سماحة الشيخ حسن الصفار كلمة ضافية نقلت جريدة أخبار الخليج ٢٢/٩/٢٠٠٥ م الفقرات التالية:

«ألقى الداعية الإسلامية الشيخ حسن الصفار الذي تستضيفه المملكة بهذه المناسبة كلمة معبرة تحدث فيها عن الإمام الحجة المنتظر وأهمية الوحدة بين المسلمين في هذه المرحلة على وجه الخصوص، وابتدأ الصفار كلمته بالاستشهاد بقول الرسول: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً»، وقوله: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم». وأضاف الصفار: الأحاديث التي تتحدث عن الإمام المهدي وأنه من عتره الرسول عليه الصلاة والسلام ومن وُلد فاطمة الزهراء عليها السلام وأنه يظهر آخر الزمان متواترة في مختلف الكتب والمصادر الإسلامية، كما أن الحديث عن نزول نبي الله عيسى وصلاته خلف الإمام المهدي أيضاً من الأحاديث المتواترة، ومن ذلك ما ذكره ابن ماجه في حديث أبي أمامة الطويل: «وكلهم - أي المسلمون - في بيت المقدس، إذ نزل عيسى، فرجع الإمام ليتقدم عيسى، فيقف عيسى بين كتفيه ويقول: تقدم فإنها لك قد أقيمت»، كما جاء في فتح الباري بأن الأخبار قد تواترت بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه، وذكر الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة أن الرسول قال: «لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج رجل من عترتي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

دلالات الاحتفال

وانتقل الصفار إلى الحديث عن هذه الاجتماعات والاحتفالات بمناسبة النصف من شعبان مؤكداً أنها سنة حسنة دأبت عليها مجتمعاتنا ووردت بشأنها الكثير من الأحاديث عند جميع المذاهب، وليلة النصف من شعبان التي تصادف ذكرى ولادة الإمام المنقذ لا تعدلها ليلة بعد ليلة القدر، وتابع: الاحتفاء بذكرى المنقذ يعني أمرين:

الأمر الأول: هو عدم الرضا عما يسود الدنيا وما تعيشه الإنسانية من مشاكل ومآسي وآلام في كل العصور، ولا بد أن يكون ضمير الإنسان منزعاً ورافضاً للظلم

والجور في كل عصر وزمان، والاحتفاء بالمنقذ في هذه الليلة يعني رفض هذا الواقع الذي يشوبه الظلم والانحراف والفساد.

والأمر الثاني: هو التطلع إلى العدل والقسط، فبالعدل تحيا النفوس والقلوب وتتنظم الأمور ويسود السلام والوئام، ونحن نرى أن الأحاديث لا تتحدث عن تأمين القسط والعدل للمسلمين فقط وإنما للبشرية جمعاء، ذلك أنها أسرة واحدة، كما قال الإمام علي: «الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»، مما يؤكد أن البشرية أسرة واحدة، وحينما يعاني أي جزء منها من الظلم والجور فإن ذلك يؤثر على واقع البشرية كلها خاصة في هذا العصر الذي تداخلت فيه الأمور وسادته العولمة. لذلك فإن الحديث عن السلام والوحدة يجب أن يغادر منطقة الشعارات والتنظير والأفكار إلى منطقة العمل، وأن يكون هناك توجه إنساني عالمي لتحقيق ذلك.

أغبطكم يا أهل البحرين

ومع دعوته إلى اتخاذ الوحدة والسلام منهجاً، أكد الشيخ حسن الصفار في كلمته أن هناك عائقين أساسيين يعيقان انتشار السلام بين أرجاء المعمورة:

العائق الأول: هو الظلم والجور الذي يسود المجتمعات، وقال: إنه طالما وُجد الظلم فلا يمكن أن يتحقق السلام والوئام خاصة في منطقة الشرق الأوسط التي تعيش الاضطرابات والمشاكل بسبب وجود الظلم فيها وبسبب وجود إسرائيل وما تفعله في المنطقة، وما نرجوه هو أن يكون الانسحاب من غزة بداية حقيقية وليس مجرد مسرحية لانسحابها من أراضي الفلسطينيين، فهذه المشكلة تعتبر المشكلة الأم في المنطقة، وهي التي خلّقت جماعات يستفيدون من عنوانها لكنهم يسيئون إلى العرب والمسلمين حينما يسبغون في طريق العنف والإرهاب. لذلك يجب أن نعمل على توجيه أنظار العالم عندما ندين الإرهاب إلى ضرورة معالجة أصل المشكلة في الشرق الأوسط بما في ذلك معالجة

سياسة الظلم والتمييز بين الناس.

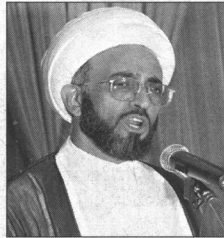
والعائق الآخر: - أضاف الصفار - هو ثقافة التحريض على الكراهية، فهناك جهات تعتبر أن اعتناقها لدين أو مذهب معين يبرر اتخاذها مواقف ضد الأديان أو الاتجاهات الأخرى، فيحرضون الناس على بعضهم البعض وينشرون ثقافة الكراهية، في حين يقول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾، فاستخدم لفظ البر الذي استخدمه مع الوالدين. فنحن بشر أبناء أسرة إنسانية واحدة، ومسلمون أبناء أمة واحدة، يجب ألا نقبل بوجود ثقافة التحريض على الكراهية، يجب أن ندين هذه الثقافة ونجرّمها حتى يمكن أن يشق الوثام طريقه إلى مجتمعاتنا.

واختتم الداعية الإسلامي كلمته بقوله: في الحقيقة أغبطكم يا أهل البحرين على ما تعيشونه من وئام ووحدة، أرجو أن تصونوا هذه الوحدة بتلاحمكم وأفكاركم، فلا شيء يجمي وطنكم أجيالكم إلا الوحدة والتعاون».

وقد حضر الحفل عدد من الوزراء وكبار المسؤولين ورجال السلك الدبلوماسي في البحرين وجمع من العلماء والأدباء وحشد كبير من المواطنين.

القطيف: الشيخ الصفار يهاجم السلوكيات الخاطئة لدى الشباب

عقيلة آل حريز - القطيف



الشيخ حسن الصفار الذين يتأثرون بما يحدث معهم ، كما ضرب مخالفاً على ذلك بأحد الشباب الذين شيعوا قبل أيام نتيجة حادث دراجة نارية مؤكداً أن هذا الأمر يعد تهلكة مستهدلاً بقوله تعالى { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } ، ثم تطرق إلى مشكلة المخدرات والمنشطات التي تحمل أضراراً نفسية وجسمية وسلوكية خاصة أن البعض يتناولها دون أن يدرك أخطارها ومساوئها وبالخصوص عندما يكون ذلك عن طريق رفاق السوء، وهنا يبدأ الانزلاق فيتعود الإنسان عليها ولا يمكنه أن يقاومها وتبدأ الأطراف الأخرى تتساقط على نفسه وعرضه، وذكر الشيخ الصفار قصصاً خطيرة وواقعية كثيرة يندى لها الجبين تحدث بسبب هذه الأمور.

وقال: (لا أريد أن أرسم لكم صورة

ألقى الشيخ حسن الصفار محاضرة في ساحة جنوب منطقة القطيف حضرها رؤساء الجمعيات وجماعة الخط المستقيم بالقطيف ورؤساء لجان جمعيات كفالة الأيتام ونخبة كبيرة من الوجهاء وأبناء المجتمع بالقطيف، تحدث فيها عن الشباب ودورهم والنماذج التي عليهم الاقتداء بها، كما تطرق الشيخ الصفار للأخطار الكبيرة التي يواجهها الشباب اليوم ومن بينها تعاطي المخدرات والممارسات الطائفة في المجتمع الصادرة من قبل الشباب اليوم نتيجة تعاطي المنشطات وقد حذر من مخاطر الانزلاق في ممارسة مثل هذه الأمور لما تحدثه من أضرار سلبية نفسية وجسمية واجتماعية.

وبين الشيخ الصفار في محاضرته التي ألقاها قبل يومين أنه في الماضي كانت الأخطار التي تواجه الشباب محدودة وكان يمكن للشباب أن يتجاوزها بشيء من التوعية، أما اليوم فهم يواجهون أخطاراً هائلة كثيرة ويحتاجون لأجواء مساعدة وإرادة قوية ومن جملة هذه الأخطار التي يواجهها الشباب ذكوراً وإناثاً المخدرات والممارسات الطائفة التي تصدر من بعض الشباب متساقلاً عن أسبابها وهم عماد المستقبل ودعمه المجتمع ونماذج للخير فيه، ودلل بظاهرة ركوب الدراجات النارية مخاطباً الشباب بأنهم أعزاء على أهاليهم

قائمة ولكن الأمر خطير وواضح لاجتماعنا خاصة بعد أن أصبح متعاطيها عبداً لها فيتحول إلى مجرم في المجتمع، مؤكداً أنه من الممكن للمجتمع علاج هؤلاء حين يتعامل معهم كمرضى ويقدم لهم العلاج الذي يخلص الجسم من الآثار السلبية للمخدرات، كما تطرق إلى دور المجتمع الفعال في العلاج فقال أنه ينبغي التعاون والبحث عن العلاج المناسب.

وتناول الصفار تجربة القطيف في علاج هذا الخطر عن طريق تشكيل لجنة تحتضن هؤلاء الذين تورطوا في هذا الخطر متمثلة في (جماعة الخط المستقيم في القطيف)، ولديهم مقر في مدينة الأمير نايف الرياضية وهم لديهم استعداد تام لمساعدة أي إنسان تورط في هذا المنزلق، ثم توجه بخطابه للأباء وأولياء الأمور بأنه يجب عليهم الوعي بما يحدث مع أبنائهم واحتوائهم، وأشار الصفار إلى ظاهرة التفحيط والاستعراض بها كظاهرة خطيرة بدأت تحصد أرواح الكثير من الشباب، وقال أن أغلب الذين يستعرضون غالباً (بالموتوسيكلات) أو (التفحيط بالسيارات) هم شباب خضعوا لإغراءات منشطات معينة غالباً كما أدان الذين يتفرجون عليهم بأنهم شركاء معهم لكونهم يشجعونهم على هذا الأمر، كما أنه تحدث عن دور رجال الدين ووجوب دعمهم في هذا المجال لتواجد برامج بديلة تحتويهم وتشغل أوقاتهم، وقال ان هذه الأنشطة لو لم تشجع من قبل المسؤولين ورجال الدين فكيف يمكننا أن نحدث تغييرات في المجتمع لوقاية الشباب واستيعابهم لذا يجب أن تبذل جهود إضافية لخدمة هؤلاء الشباب واحتواء طاقاتهم بالبرامج والأنشطة والفعاليات المفيدة باعتبار أن المبادرة إلى ذلك حسنة من الحسنات تذهب السيئات.

الشيخ الصفار يهاجم السلوكيات الخاطئة لدى الشباب^(١)

عقيلة آل حريز - القطيف

ألقى الشيخ حسن الصفار محاضرة في ساحة جنوب منطقة القطيف حضرها رؤساء الجمعيات وجماعة الخط المستقيم بالقطيف ورؤساء لجان جمعيات كفالة الأيتام ونخبة كبيرة من الوجهاء وأبناء المجتمع بالقطيف، تحدث فيها عن الشباب ودورهم والنماذج التي عليهم الاقتداء بها، كما تطرق الشيخ الصفار للأخطار الكبيرة التي يواجهها الشباب اليوم ومن بينها تعاطي المخدرات والممارسات الطائشة في المجتمع الصادرة من جيل الشباب اليوم نتيجة تعاطي المنشطات وقد حذر من مخاطر الانزلاق في ممارسة مثل هذه الأمور لما تحدثه من أضرار سلبية نفسية وجسمية واجتماعية.

ويين الشيخ الصفار في محاضرته التي ألقاها قبل يومين أنه في الماضي كانت الأخطار التي تواجه الشباب محدودة، وكان يمكن للشباب أن يتجاوزوها بشيء من التوعية، أما

(١) اليوم: جريدة يومية سعودية، العدد رقم ١١٨٢١، الأربعاء ٢٣ رمضان ١٤٢٦هـ الموافق ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٥م.

اليوم فهم يواجهون أخطاراً هائلة كثيرة ويحتاجون لأجواء مساعدة، وإرادة قوية، ومن جملة هذه الأخطار التي يواجهها الشباب ذكوراً وإناثاً المخدرات والممارسات الطائشة التي تصدر من بعض الشباب، متسائلاً عن أسبابها وهم عماد المستقبل، ودعامة المجتمع ونماذج للخير فيه، ودلّل بظاهرة ركوب الدراجات النارية، مخاطباً الشباب بأنهم أعزاء على أهاليهم الذين يتأثرون بما يحدث معهم ، كما ضرب مثلاً على ذلك بأحد الشباب الذين شيعوا قبل أيام نتيجة حادث دراجة نارية، مؤكداً أن هذا الأمر يعد تهلكة مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٩٥]، ثم تطرق إلى مشكلة المخدرات والمنشطات التي تحمل أضراراً نفسية وجسمية وسلوكية، خاصة أن البعض يتناولها دون أن يدرك أخطارها ومساوئها، وبالخصوص عندما يكون ذلك عن طريق رفاق السوء، وهنا يبدأ الانزلاق فيتعود الإنسان عليها ولا يمكنه أن يقاومها، وتبدأ الأطراف الأخرى تساومه على نفسه وعرضه، وذكر الشيخ الصفار قصصاً خطيرة وواقعية كثيرة يندي لها الجبين تحدث بسبب هذه الأمور.

وقال: « لا أريد أن أرسم لكم صورة قائمة ولكن الأمر خطير وزاحف لمجتمعنا خاصة بعد أن يصبح متعاطيها عبداً لها فيتحول إلى مجرم في المجتمع»، مؤكداً أنه من الممكن للمجتمع علاج هؤلاء حين يتعامل معهم كمرضى ويقدم لهم العلاج الذي يخلص الجسم من الآثار السلبية للمخدرات ، كما تطرق إلى دور المجتمع الفعال في العلاج فقال أنه ينبغي التعاون والبحث عن العلاج المناسب .

وتناول الصفار تجربة القطيف في علاج هذا الخطر عن طريق تشكيل لجنة تحتضن هؤلاء الذين تورطوا في هذا الخطر متمثلة في (جماعة الخط المستقيم في القطيف)، ولديهم مقر في مدينة الأمير نايف الرياضية وهم لديهم استعداد تام لمساعدة أي إنسان تورط في هذا المنزلق، ثم توجه بخطابه للآباء وأولياء الأمور بأنه يجب عليهم الوعي بما يحدث مع أبنائهم واحتوائهم، وأشار الصفار إلى ظاهرة التفحيط والاستعراض بها كظاهرة

خطيرة بدأت تحصد أرواح الكثير من الشباب، وقال أن أغلب الذين يستعرضون غالباً (بالموتوسيكلات) أو (التفحيط بالسيارات) هم شباب خضعوا لإغراءات منشطات معينة غالباً كما أدان الذين يتفرجون عليهم بأنهم شركاء معهم لكونهم يشجعونهم على هذا الأمر، كما أنه تحدث عن دور رجال الدين ووجوب دعمهم في هذا المجال لتواجد برامج بديلة تحتويهم وتشغل أوقاتهم، وقال إن هذه الأنشطة لو لم تشجع من قبل المسؤولين ورجال الدين فكيف يمكننا أن نحدث تغييرات في المجتمع لوقاية الشباب واستيعابهم لذا يجب أن تبذل جهود إضافية لخدمة هؤلاء الشباب واحتواء طاقاتهم بالبرامج والأنشطة والفعاليات المفيدة باعتبار أن المبادرة إلى ذلك حسنة من الحسنات تذهب السيئات.

اليوم 8

الاحد

29 ذو الحجة 1426 هـ ، 29 يناير 2006 م - العدد 11916

أدان الإساءة لشخص النبي محمد «صلى الله عليه وسلم».. الصفار:

قادة ومفكرو الأمة الإسلامية مطالبون

بنشر السيرة العطرة للرسول الكريم

كما اشار الى ان الامة متى ما امتلكت
رصيدا قويا من المهابة والعزة يكون
احترامها اكثر.

وأكد على ضرورة ان تتخذ الامة من
موقعها الواضح تجاه هذه الإساءة لشخص
الرسول الكريم وأن يقوم مفكرو وقادة
الامة بالسعي الجاد لنشر الصورة العطرة
للرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)
وطباعتها بمختلف اللغات كما ينبغي
صناعة افلام عن حياة الرسول (صلى الله

اليوم - القطيف



الشيخ حسن الصفار

عليه وسلم) وعرضها بمختلف اللغات حتى يتعرف العالم
على شخصية النبي العظيمة.

عبر الشيخ حسن الصفار عن إدانته
واستنكاره الإساءة لشخص الرسول
الكريم (صلى الله عليه وسلم) من بعض
الصحف الدنماركية والنرويجية مؤكدا ان
الادانة يجب ان يواكبها نشاط وعمل من
اجل ابراز شخصية الرسول (صلى الله عليه
وسلم).. واكد ان الحرية التي تزعمها تلك
الدول اذا ما وصلت الى حد التجريح
والانتقاص من شأن الآخرين لا تصبح حرية
انما تتحول الى عدوان.

مشيرا الى ان الإساءة للإسلام تعدت حدود الصحف
الى المحطات الفضائية.

أدان الإساءة لشخص الرسول ﷺ..الصفار:

قادة ومفكرو الأمة الإسلامية مطالبون بنشر السيرة العطرة للرسول

الكريم^(١)

عبر الشيخ حسن الصفار عن إدانته واستنكاره للإساءة لشخص الرسول الكريم ﷺ من بعض الصحف الدنماركية والنرويجية مؤكداً أن الإدانة يجب أن يواكبها نشاط وعمل من أجل إبراز شخصية الرسول ﷺ. وأكد أن الحرية التي تزعمها تلك الدول إذا ما وصلت إلى حدّ التجريح والانتقاص من شأن الآخرين لا تصبح حرية إنما تتحول إلى عدوان.

مشيراً إلى أن الإساءة للإسلام تعدّت حدود الصحف إلى المحطات الفضائية. كما أشار إلى أن الأمة متى ما امتلكت رصيلاً قوياً من المهابة والعزة يكون

(١) اليوم: جريدة يومية سعودية، العدد رقم ١١٩١٦، الأحد ٢٩ ذو الحجة ١٤٢٦هـ الموافق ٢٩ يناير ٢٠٠٦م.

احترامها أكثر.

وأكد على ضرورة أن تتخذ الأمة من موقعها الواضح تجاه الإساءة لشخص الرسول الكريم وأن يقوم مفكرو وقادة الأمة للسعي الجاد لنشر الصورة العطرة للرسول الكريم ﷺ، وطباعتها بمختلف اللغات، كما ينبغي صناعة أفلام عن حياة الرسول ﷺ وعرضها بمختلف اللغات حتى يتعرف العالم على شخصية النبي العظيمة.

ندوات وخطابات ومحاضرات | _____

تكریم الشیخ عبدالمقصود خوجة^(١)

أعوذ بالله من الشیطان الرجیم، بسم الله الرحمن الرحیم.
الحمد لله رب العالمین والصلاة والسلام على أشرف الأنبیاء والمرسلین نبینا محمد
وعلى آله الطاهرین وصحبه الطیین ومن تبعهم بإحسان إلى قیام یوم الدین.
ضیفنا الکریم معالی الشیخ عبدالمقصود خوجة، إخوتی أصحاب الفضیلة، أعزائی
الأدباء الوجهاء، الأخوة الأکرام، جمیعاً السلام علیکم ورحمة الله بركاته.
إنها لأمسیة جمیلة، وساعة مبارکة أن أحظى بتشریفکم فی هذا المكان العامر المبارک
بوجودکم ودعواتکم إن شاء الله، حیث نجتمع هذه اللیلة لنحتفی بزیارة کریمة، من أخ
کریم، له أیاد بیضاء فاضلة، لا على مستوى الوطن فقط بل على مستوى العالم الإسلامی،
لا أرید التحدث کثیراً عن خصال ضیفنا الکریم، لأنی أعرف أن ذلك لا یریحه کثیراً

(١) ألقىت الكلمة بمجلس سماحة الشیخ حسن الصفار بالقطیف ضمن برنامج الاحتفال بسعادة الشیخ
عبدالمقصود خوجة فی مساء یوم الأربعاء ٩ ربيع الأول ١٤٢٥هـ الموافق ٢٩/٤/٢٠٠٤م.

بسبب تواضعه، ولكنني أشير إلى بعض النقاط:

النقطة الأولى: ضيفنا الكريم سنً في بلادنا سنة حسنة، هي سنة التكريم لمن يستحق التكريم من العلماء والمفكرين والأدباء والفنانين من مختلف المناطق، ومن مختلف الشرائح، هناك مجالس أدبية وثقافية كثيرة على امتداد الوطن العربي والإسلامي، لكن الاثنينية اختصت بميزة خاصة، إنها تركز على تكريم الفضلاء والأدباء، ففي كل أسبوع يجتمع الناس في داره العامرة في جدة لتكريم شخصية من شخصيات العلم والمعرفة أو الأدب أو الخدمة الاجتماعية، هذه السنة تحتاجها مجتمعاتنا كثيراً الأمرين:

الأمر الأول: إن ديننا يأمرنا بتكريم أهل الفضل، بل يأمرنا بأن يكرّم بعضنا بعضاً، حتى إن القرآن الكريم حينما يتحدث عن صفات الخالق جل وعلا فإنه يذكر صفة الإكرام، ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن: الآية ٧٨] وقد ذكر المفسرون أن الله تعالى ذو الإكرام، لأنه يكرّم عباده بما يفيض عليهم من نعمه ومن خيراته وفواضله، ويكفي أن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الحكيم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [سورة الإسراء: الآية ٧٠]، التكريم خُلِقَ إلهي، وعلى من يريد التقرب إلى الخالق أن يتحلّى بهذه الصفات، (تخلّقوا بأخلاق الله) النصوص الدينية عندنا كثيرة في تكريم من يستحق التكريم، نصوص تأمر بتكريم أهل العلم، وأخرى تأمر بتكريم أهل التقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَأكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجر: الآية ١٣]، ونصوص تأمر بتكريم ذي الشبهة، المسلم الذي يتقدم به العمر وهو ملتزم بدينه وإسلامه، بل جاءت نصوص تأمرنا بتكريم كل من له شأن في مجتمعه مهما كان ذلك المجتمع، في السيرة النبوية أن النبي محمد ﷺ إذا دخل عليه زعيم قوم حتى قبل أن يسلم، فإن الرسول ﷺ يظهر له الاحترام، الرسول ﷺ في عظمته ومكانته يدخل عليه زعيم من غير المسلمين مشرك، أو كتابي، فيظهر له الاحترام والتقدير، وقال ﷺ: «إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه» لعل بعض الصحابة استكثروا على هؤلاء أن الرسول يحترمهم وهم كفار، بَعُدْ لم يسلموا، أو

يوسع لهم المكان، وفي كثير من الأحيان يلقي إليهم بوسادته، وكأنهم قالوا لرسول الله هل هناك من داع لتظهر هذا التقدير العظيم لمشرك؟ لزعيم كافر؟ وهنا قال ﷺ: «إذا جاءكم كريم قوم أكرموه»، وفي نصّ آخر: «إذا جاءكم شريف قوم فأكرموه»، جاء هذا الحديث بأسانيد مختلفة، وفي مختلف الكتب مما يدل على أن الرسول ﷺ قاله في مناسبات عدة.

أيها الأخوة: هكذا يأمرنا ديننا، يأمرنا أن نكرم ذوي الفضل، ونحن نجد أن المجتمعات المتقدمة من أسرار تقدمها احترامها وتقديرها للكفاءات، نرى كيف يكرمونهم، ويقدرونهم، كيف يفسحون لهم المجال، بينما في مجتمعاتنا للأسف هذه الحالة قليلة ومحدودة الوجود، وإذا كان الحديث يقول: «أذلّ الناس من أهان الناس» فإنه يمكن القول: إن أكرم الناس من كان يكرم الناس.

إننا في هذه الليلة نحتفي ونسعد بزيارة رجل من أكرم الناس، لأنه يكرم الناس ويكرمهم، ويرسي سنة التكريم في المجتمع، أكثر من ٢٦٠ شخصية عقد لها احتفالات ومهرجانات للتكريم، ٢٦٠ شخصية من مختلف المناطق، من منطقتنا، المنطقة الشرقية كرم العديد من الشخصيات، أذكر منهم الأستاذ محمد رضا نصر الله، الذي كان حريصاً أن يحضر هذه الليلة ولكن كان لديه ارتباط سابق في الرياض فاعتذر وأبلغني أن أوصل اعتذاره للضيف الكريم، وكرم أيضاً الأستاذ محمد العلي، وشخصيات أخرى من سائر مناطق الوطن.

أخوتي: هناك منتديات كثيرة، ولكن هذا الرجل قد وفقه الله لميزة مهمّة، وهي من الصفات والميزات الطيبة التي تمتاز بها الاثنينية أنه يوثق كل الجلسات، وكل اللقاءات في اثنيته، ثم تطبع على شكل مجلدات وقد صدر لحدّ الآن عشرون مجلداً بطباعة أنيقة فاخرة جيدة.

في كل أسبوع يدون اللقاء، ويوثق مع الصور، وتطبع آخر العام ضمن مجلد واحد، حتى تكون موسوعة، وتكون كنزاً تاريخياً معرفياً ثقافياً.

كما أن ضيفنا الكريم تبنى طباعة العديد من الأعمال الأدبية والفكرية لعدد من العلماء والأدباء، إذن فهو في طليعة من يستحقون التكريم، وأرجو أن يكون تكريمه من قبل الله سبحانه وتعالى تكريماً كبيراً يليق بفضل الله سبحانه وتعالى.

الأمر الثاني: ضيفنا الكريم يمثل نموذجاً نفخر به لرجال الأعمال الذين يوظفون ما يمنحهم الله سبحانه وتعالى من خير في خدمة دينهم ووطنهم ومجتمعهم، الضيف الكريم كرس ثروته، وإمكاناته من أجل خدمة العلم وتكريم العلماء و الفضلاء، ومن أجل خدمة المعرفة.

في هذا العام حين التقيته في مؤتمر الحوار الوطني الثاني الذي أقيم في مكة المكرمة (٤-٨ ذو القعدة ١٤٢٤ هـ الموافق ٢٧-٣١ ديسمبر ٢٠٠٣م) أخبرني عن نية طيبة، ثم بعث لي برسالة عن الخطوات التي بدأها لتحقيق هذه النية الطيبة، قرر أن يشتري قطعة أرض يبني عليها مشروعاً ضخماً استثمارياً حتى يكون نتاج هذا المشروع وقفاً للاثنية التي يريد تحويلها إلى مؤسسة دائمة، ويكون لها مجلس أمناء فيه شخصيات من مختلف المناطق، طلب مني ومن سائر الأخوة الفضلاء أن يقترحوا بعض الأسماء حتى يكونوا في مجلس أمناء الوقف، وتصبح الاثنية مؤسسة أهلية قائمة بذاتها إن شاء الله.

نسأل الله أن يطيل عمره وتستمر هذه المسيرة إن شاء الله في حياته، وتكون في ظله الوارف وإلى عمره الطويل، هذا نموذج طيب ينبغي أن يكون قدوة، وينبغي أن يحتذى، الحمد لله في بلادنا الكثير من أهل الخير، ولهم الكثير من المساهمات والمشاركات والأيدي الطيبة البيضاء، ونأمل إن شاء الله أن يتحفوا المجتمع، وأن يرفدوا ساحة المعرفة والخير بمثل هذه المشاريع الطيبة.

أختم حديثي بكلمات أتوجه بها إلى الضيف الكريم: إني أشعر بالحاجة إلى دعم ثقافة التنوير، الثقافة بشكل عام قيمة رفيعة عالية، ولها دورها في المجتمع، ولكننا إذا أردنا أن نصف ألوان الثقافات، وأردنا أن نستعرض ميادين الثقافة المعاصرة، فإن هناك

ميداناً مهماً يمكننا أن نطلق عليه ثقافة التنوير، حينما يعيش المجتمع ضمن أوضاع غير إيجابية، وتسوده أفكار سلبية تتنافى مع قيم الدين، وتتنافى مع التطلعات الحضارية، كما نرى الآن بعض الأفكار الظلامية التي تدعو إلى العنف، وإلى التطرف والتشدد، التي تركز حالة الانفصال والقطيعة بين شرائح المجتمع وأجزائه، هذه الثقافة التي سادت في فترة من الزمن، وبدأنا الآن نقطف ثمارها المرة في داخل الوطن وخارجه، شباب في عمر الورود يقدمون على أعمال يدمرون بها أمن مجتمعهم، ويشوهون بها سمعة دينهم على مستوى العالم، هذه الأفكار الظلامية، هذه الأفكار المتشددة المتطرفة التي تتجاهل قيمة الإنسان كإنسان، وتتجاهل مبدأ الوحدة الإسلامية، هذا المبدأ الذي يجعل كل مؤمن يشعر بالأخوة والانشداد إلى أخيه المؤمن، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٠]، جاءت أفكار تفرق بين الناس، وتمزق أوصال الأمة والمجتمع، إننا في حاجة إلى ثقافة تواجه هذه الثقافة، ثقافة تشيع بين الناس التسامح، تشيع بين الناس روح الإسلام الإنسانية الحضارية السامية، تلك الروح التي تتجلى في آيات القرآن الكريم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [سورة الإسراء: الآية ٧٠] والتي تتجلى في الأحاديث الشريفة: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده» وفي نص آخر: «من يده ولسانه» وفي نص: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، وتمثل في سيرة نبي الإسلام ﷺ وسيرة أئمة أهل البيت  وسيرة الصحابة الأخيار رضوان الله تعالى عليهم الذين بنوا حضارة اتسعت لكل أبناء البشرية، اقرؤوا التاريخ لتروا كيف أن اليهود لم ينعموا بالاستقرار والاحترام إلا في ظل الحضارة الإسلامية، كذلك المسيحيون، ومختلف أتباع الأديان مع أنها لا تؤمن بالإسلام، ولكن الإسلام كان يعطي كل ذي حق حقه، كان يحترم الإنسان كإنسان.

أيها الإخوة: نحن في حاجة إلى دعم هذه الثقافة التنويرية، ومجتمعنا بالخصوص في المملكة العربية السعودية بحاجة ماسة - وخاصة في هذه المرحلة - إلى مثل هذه الثقافة.

هناك ثقافة أحادية تقصي وتلغي سائر الآراء التي تختلف معها فتربي جيلاً على هذه الحالة الأحادية، وبدأنا نرى النتائج المرة لمثل هذا المنحى، فإننا جميعاً مسؤولون عن نشر الثقافة التنويرية التي تعبر عن الثقافة الإسلامية الحقيقية.

لا أطيل عليكم وأعتذر إن أطلت.. أكتفي بهذا القدر.

أهلاً وسهلاً بضيفنا الكريم الذي تفضّل علينا بهذه الزيارة الكريمة، التي نقبلها كمقدمة وعربون، لكننا نطالب أن تردفها إن شاء الله زيارة تكون لفترة زمنية أطول. ترون يا معالي الشيخ كيف أن الأخوة الأعزاء، والفضلاء جاؤوا من الأحساء، ومن الدمام، ومن مختلف مناطق القطيف، وهم مشتاقون للقائكم، ولترحيب بكم، وإذا خصصتم لكل منطقة من مناطق القطيف يوماً، ولكل منطقة من مناطق الأحساء يوماً، فإنكم كما أعتقد تحتاجون على الأقل إلى شهرين متتابعين، وليس كثيراً على المنطقة أن تبقوا فيها شهرين بين إخوانكم وأهلكم.

أهلاً وسهلاً بكم وبجميع الأخوة الأعزاء الذين لبوا الدعوة وشرفونا بالحضور. السادة العلماء، الأخوة المشايخ، والأدباء والوجهاء أهلاً بكم جميعاً في منزلكم وفي محلكم وكلنا شركاء في هذا الاحتفاء، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لتكرار مثل هذه اللقاءات لما تمثله من تواصل، ومن تأكيد لهذه اللحمة الوطنية والإسلامية، نسأل الله تعالى أن يتقبل منا هذه اللحظات وأن تكون عامرة بذكره إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا وآله الطاهرين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشيخ الصفار يؤكد أن كرامة الإنسان أصل فكري وقاعدة فقهية

أعدّه: هاني الشيب

ألقي ساحة الشيخ حسن الصفار، ضمن برنامج أسبوعي بعنوان: (من مدرسة القرآن)، محاضرة تناول فيها الآية القرآنية: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء: الآية ٧٠] وذلك مساء يوم الأربعاء ١٦ / ١١ / ١٤٢٥ هـ الموافق ٢٨ / ١٢ / ٢٠٠٥ م، طرح في بداية حديثه بعض التساؤلات:

ما هو التكريم، وما هو المقصود بالتكريم هنا في الآية الكريمة؟

وأجاب: أن التكريم لغة بمعنى: التنزيه، أي إن الكرامة ممنوحة للإنسان، وإن الآية الكريمة تركز على نعمة التكريم والإكرام، والآية في سياقها لم تتحدث عن المؤمنين أو المسلمين دون غيرهم من المشتركين معهم في عنوان الإنسانية، بل إن كل فرد من البشر هو ضمن إطار التكريم، كما أشار إلى أن بعض المفسرين ذكروا بأن التكريم المقصود به

هو العقل الذي منحه الله للإنسان.

هل هناك فرق بين التكريم والتفضيل؟

أشار إلى آراء بعض المفسرين الذين تناولوا الآية الكريمة، ومنهم صاحب الميزان قوله:

أن التكريم معنى نفسي وهو جعله شريفاً ذا كرامة في نفسه، والتفضيل معنى إضافي وهو تخصيصه بزيادة العطاء بالنسبة إلى غيره، والإنسان يختص من بين الموجودات الكونية بالعقل ويزيد على غيره في جميع الصفات والأحوال التي توجد بينها والأعمال التي يأتي بها.

كما أشار سماحته إلى المعاناة التي عاشتها البشرية طوال عهود ضبابية انتشرت فيها تصورات خاطئة تحطّ من شأن وكرامة الإنسان، مستدلاً بمثال قرآني عن اليهود والنصارى وادّعائهم أنهم شعب الله المختار، لكي يبرروا بذلك ازدراءهم وتحقيرهم وتجاوزهم للشعوب الأخرى وتجاوزهم لحقوق الآخرين، كما أثبت أن في خضم الحديث بالآيات الكريبات بأن هذا الإدعاء باطل لا محالة، إذ يقول عزّ من قال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [سورة المائدة: الآية ١٨].

ثم أثبت سماحته أن الكرامة الإنسانية أصل فكري وقاعدة فقهية إذ يقول: «أن العلامة السيد فضل الله في تفسيره من وحي القرآن الكريم من بين جملة المفسرين تنبه لهذه الحقيقة بحيث أكد السيد فضل الله: أن الآية تؤكد أن كل تصرف يكرّس كرامته، وترفض كل ما يؤدي إهانته من موقعه الإنساني بعيداً عن العناوين الثانوية التي قد تجيز إهانته والتعدي على حرمة... فتكون لنا من خلال ذلك قاعدة شرعية، هي احترام الإنسان في نفسه وماله وعرضه، كأصل إسلامي فقهي، لا يجوز الخروج عنه إلا بعنوان

مخصص له.

الأساس في استيحاء هذا الأصل الفقهي من الآية هو أن الله إذا كرم بني آدم في إعدادهم التكويني والعملي، فإننا نستفيد من ذلك أنه يريد لهم أن يؤكدوا هذه الكرامة على مستوى وجودهم الحياتي وفي علاقاتهم الاجتماعية التي تحكم تصرف كل واحدٍ منهم تجاه الآخر، سيما وأن التصرف السلبي المخالف لذلك يتنافى مع خط الكرامة الإلهية للإنسان، لأنه ينتهي إلى الإهانة لمن يريد الله احترامه».

كما أكد سماحته على تأصيل هذه القاعدة، في ضوء النصوص الواردة.. وقال في ختام المحاضرة بأنه ينبغي أن نحاكم بعض الأفكار -التي تصدر من المذاهب الإسلامية ضد بعضهم البعض - في إطار النص القرآني.. ثم توالت المداخلات تباعاً من الحضور.

في مؤتمر الوحدة الإسلامية بطهران^(١)

لَبَّى سماحة الشيخ حسن الصفار دعوة المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بقبول العضوية في الجمعية العمومية للمجمع والمشاركة في اجتماعاتها وحضور مؤتمر الوحدة الإسلامية الذي انعقد في طهران عاصمة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بتاريخ ١٤ إلى ١٧ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ الموافق ٢٤ إلى ٢٧ / ٤ / ٢٠٠٥ م. وقد شارك سماحة الشيخ الصفار في أعمال المؤتمر ببحث تحت عنوان (المنهج النبوي في بناء الوحدة)، وزّع مطبوعاً على المشاركين من قبل إدارة المؤتمر، في الوقت الذي عرضت فيه محاور البحث وأفكاره على المنصة من قبل الرئاسة، ثم ألقى سماحة الشيخ الصفار كلمة مركزة حول رؤيته لمتطلبات الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية. وكان سماحة الشيخ قد سافر إلى الجمهورية الإسلامية قبل أيام المؤتمر لزيارة الإمام الرضا (عليه السلام) في مشهد وأخته السيدة فاطمة بنت الإمام الكاظم (عليه السلام) في قم وللالتقاء بمراجع

(١) نشرت على موقع سماحة الشيخ حسن الصفار: www.saffar.org بتاريخ ٢ / ٥ / ٢٠٠٥ م.

الدين الكرام والعلماء الأفاضل في الحوزات العلمية.

حيث التقى سماحة قائد الجمهورية الإسلامية آية الله العظمى السيد علي الخامنئي،
وسماحة آية الله السيد محمود الهاشمي الشاهرودي، وآية الله الشيخ أبو القاسم الخزعلي،
وآية الله محمدي الريشهري، وآية الله السيد هادي المدرسي في طهران.

وفي قم المقدسة التقى أصحاب السماحة آية الله العظمى الشيخ فاضل اللنكراني،
آية الله العظمى الشيخ حسين علي المنتظري، آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي،
آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، آية الله العظمى الشيخ حسين النوري
الهمداني، آية الله العظمى الشيخ يوسف الصانعي، آية الله العظمى المحقق الكابلي.

كما التقى عدداً من كبار مدرسي الحوزة العلمية منهم:

آية الله الشيخ جعفر السبحاني، آية الله الشيخ عبد النبي النمازي، آية الله السيد
محمد رضا الشيرازي، آية الله الشيخ الأعرافي، آية الله الشيخ محمد السند، آية الله السيد
كمال الحيدري، آية الله الشيخ مصطفى الهرندي، آية الله الشيخ محمد آصف محسني، حجة
الإسلام والمسلمين الشيخ محمود نجل المرجع الشيخ إسحاق فياض، حجة الإسلام
والمسلمين الشيخ عباس الكعبي، وعدداً كبيراً من العلماء والفضلاء.

وكانت إقامة سماحته في قم في ضيافة حجة الإسلام والمسلمين السيد جواد
الشهرستاني الممثل العام للمرجع الأعلى السيد السيستاني حفظه الله.

وكان برنامج سماحة الشيخ الصفار في قم مكثفاً لمدة عشرة أيام بين استقباله
لزائريه من العلماء الأعلام وزياراته لهم واللقاء ببعض المجاميع من الباحثين وطلاب
العلوم الدينية. وزيارة بعض المؤسسات العلمية والبحثية.

فقد استضافه في مجلسه سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عباس الكعبي
ممثل أهالي خوزستان في مجلس الخبراء بحضور جمع من العلماء وطلاب العلوم الدينية
العرب الخوزستانيين وألقى سماحته كلمة مفيدة ثم أجاب عن الأسئلة والمناقشات.

كما استضافه في منزله العامر سماحة العلامة الشيخ حيدر حب الله -أحد العلماء اللبنانيين الباحثين، ورئيس تحرير مجلة المنهاج- بحضور عدد من العلماء اللبنانيين والباحثين ودار في اللقاء حديث وحوار مفيد.

وزار سباحته مؤسسة الإمام الهادي حيث ألقى كلمة في جمع من علماء الدين الأفغانيين.

كما لبي سباحته دعوة آية الله الشيخ الأعرفي لزيارة مركز الدراسات الإسلامية وألقى كلمة في جمع من مسؤولي المركز الفضلاء.

واستضافه تجمع مرفأ الكلمة الذي يضم عدداً من الفضلاء المهتمين بالبحوث الفكرية والثقافية من الدارسين في الحوزة العلمية.

والتقى سباحته مجاميع من طلبة القطيف والأحساء والبحرين.

ويولي سماحة الشيخ الصفار أهمية كبرى للتواصل مع أجواء الحوزة العلمية واللقاء بمراجع الدين الكرام والعلماء الأعلام حفظهم الله جميعاً ونفع بهم الإسلام والمسلمين.

مشاركة سماحة الشيخ الصفار في المؤتمر

في الجلسة الأولى من اليوم الثاني ١٦ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ (٢٥ أبريل ٢٠٠٥ م) لمؤتمر الوحدة الإسلامية الثامن عشر في الجمهورية الإسلامية الإيرانية عرض آية الله الشيخ واعظ زاده الخراساني رئيس الجلسة وعضو هيئة الرئاسة للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، عرض أهم المحاور التي تضمنتها ورقة سماحة الشيخ حسن الصفار المقدمة للمؤتمر تحت عنوان: المنهج النبوي في بناء الوحدة، في الوقت الذي وُزعت فيه الورقة مطبوعة على المشاركين، ثم طلبت إدارة الجلسة من سباحته التعليق حول ما ورد في ورقة البحث، فتحدث سباحته ارتجالاً ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله الطاهرين، وصحبه الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين. بعد تقديم وافر الشكر والامتنان، للقيادة الإسلامية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، على اهتمامها بوحدة الأمة، وللمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية على دعوته المباركة، وجمعه لهذه النخبة الطيبة من علماء ومفكري الأمة الإسلامية. المقال موجودٌ بين أيديكم تحت عنوان: المنهج النبوي في بناء الوحدة، وقد استعرض بعض أفكاره سماحة آية الله الشيخ واعظ زاده الخراساني، وليس لدي مزيدٌ في عرض هذا المقال.

لكنني أريد الحديث عن بعض النقاط المكتملة لهذا الموضوع:

النقطة الأولى: ونحن نجتمع هنا أيها السادة العلماء، هناك نُذر فتنة طائفية تطلُّ برأسها في مواقع مختلفة من العالم الإسلامي، ومع أن ثقتنا بالله تعالى عظيمة، وثقتنا في وعي أبناء الأمة كبير، ولكننا يجب أن نكون حذرين يقظين لما يحصل ويجري. فلأول مرة في هذا العصر من تاريخ الأمة، نجد أن هناك مذابح وانتهاكاً للحقوق والحرمانات تحت عناوين مذهبية طائفية. ما يحصل الآن في العراق، وإن كان السنة والشيعنة أبرياء منه -إن شاء الله- متمثلين في قياداتهم الدينية الواعية، ولكن ما يحصل هناك يحدث تحت هذا العنوان، أعمال عنف وأعمال إرهاب تستهدف هذا الطرف وذاك الطرف تحت عناوين مذهبية طائفية. هذه الأعمال لها انعكاسات سلبية كبيرة على الرأي العام في أوساط جماهير الأمة.

وأيضاً نجد في أماكن أخرى كما يحصل في باكستان، كيف تحصل بعض الأعمال: تفجير مسجد هنا، ومسجد هناك، واغتيال شخصية هنا وشخصية هناك، تحت الالفتات المذهبية الطائفية.

إلى جانب ذلك أصبحت هناك مواقع إلكترونية تمارس دور التحريض المذهبي الطائفي، وتُعبئ أبناء الأمة ضدّ بعضهم البعض تحت هذه العناوين. كما أن هناك قنوات فضائية تقوم بعرض برامج يبدو من بعضها أنها تُوّجج الفتنة والخلاف والنزاع بين أبناء الأمة من السنة والشيعة.

وقد سمعنا بعض التصريحات السياسية، من حكام وشخصيات سياسية في العالم العربي، وهي تتحدث عن الهلال الشيعي أو تتحدث عن خطر انتشار كتب هذا المذهب أو ذاك المذهب، وفي بعض البرلمانات كاد أن يحصل اصطفاً مذهبي داخل النواب في مناقشة بعض القضايا السياسية.

هذه نُذُر لا يصح لنا أن نتساهل تجاهها. إن علينا ونحن في هذا اللقاء المبارك أن نكون حذرين يقظين، وأن نرفع من درجة اهتمامنا بهذا الموضوع، حتى لا يستطيع العدو الخارجي، والأعداء الداخليون أن يُحققوا مآربهم - لا سمح الله - في إيجاد فتنة طائفية عمياء.

هناك جانبان ينبغي الاهتمام بهما:

الجانب الأول: التوجه للحكومات الإسلامية من أجل أن تتعامل مع شعوبها ورعاياها على أساس حقوق الإنسان وحقوق المواطنة، دون تمييز بين المواطنين على أساس قومي أو عرقي أو مذهبي. إن سياسات التمييز الطائفي في بعض البلدان الإسلامية هي الأرضية لقيام الفتن الطائفية والمذهبية.

الجانب الآخر: يجب أن نتوجه باهتمام للمرجعيات الدينية عند السنة والشيعة حتى تأخذ موقفاً أكثر صراحةً وعلنيةً تجاه قضية الوحدة والتقريب بين المذاهب. وأختم حديثي باقتراح أقدمه للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وهو ضرورة وجود لجنة أو جهة ما تقوم بدور المراقبة على الصعيد العالمي، لمشاكل الخلافات والإثارات الطائفية المذهبية.

في الأمم المتحدة هناك لجنةٌ لرقابة انتهاك حقوق الإنسان، تُقدم تقريرها وترصد الانتهاكات كل عام، وترفع التوصيات للحكومات أو للجهات التي تقوم بانتهاك حقوق الإنسان. وعلى مستوى الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً لديهم بعض اللجان لمتابعة بعض المشاكل العالمية، وقد شكلوا أخيراً لجنة لمتابعة معاداة السامية كما يقولون، وهدفهم رصد أي كلمة أو تحرك ضد الصهاينة تحت عنوان معاداة السامية.

ونحن في أمتنا الإسلامية لماذا لا تكون هناك جهة يكون لها تقريرٌ كل عام، ترصد فيه التقدم على مستوى التقريب بين المذاهب كما ترصد الانتهاكات، وتوجه التوصيات للأطراف المعنية.

من الممكن أن تُقترح مثل هذه الفكرة على منظمة المؤتمر الإسلامي، أو على أي مؤسسة تضم الدول الإسلامية، كما أن المجمع العالمي، أقترح أن يُشكل لجنة للمراقبة، ويكون عندنا تقريرٌ سنوي كما هي تقارير حقوق الإنسان، يكون عندنا تقرير سنوي حول موضوع التقريب بين المذاهب الإسلامية على المستوى الإيجابي بالإشادة بالإنجازات الطيبة، وعلى المستوى الآخر بالحديث عن الانتهاكات التي تحصل لكي يكون الواعون من أبناء الأمة على إدراكٍ بحقيقة ما يجري، وأن لا نكتفي بالشعار وكتابة البحوث والنظريات مع أهمية ذلك.

أشكركم جميعاً على الإصغاء، وأشكر الإدارة على إتاحة الفرصة، والسلام عليكم

ورحمة الله وبركاته.

مبدأ الوحدة الإسلامية أصل له أولوية

أعدّه: هاني الشيب

أكد سماحة الشيخ حسن الصفار في المحاضرة التي ألقاها في مجلسه مساء يوم الأربعاء ٢٥ ربيع الأول ١٤٢٦هـ الموافق ٤ مايو ٢٠٠٥م، بحضور جمع غفير أن مبدأ الوحدة الإسلامية أصل له موقع الأولوية على سائر القضايا الأخرى الموجودة في الإسلام.

حيث افتتح سماحة الشيخ محاضرته بالآية الكريمة: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٩٢]، وقال: «إن الآية الكريمة نص صريح واضح يقرر وحدة هذه الأمة، وهي من الآيات المحكمات التي لا تحتل أي معنى آخر غير المعنى الظاهر الواضح لكلمة الوحدة.

والآية الكريمة تشمل الأمة بكل تنوعاتها وطوائفها وتقسيماتها، ولا يمكن القول بأنه يقصد قسماً دون آخر أو طائفة دون غيرها فقط، من هنا يمكن القول أن وحدة الأمة

أصل من أصول الإسلام ومبدأ أساس لا يمكن التنازل عنه بأي شكل من الأشكال. وأشار سماحته أن أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا يقدّمون هذا الأصل، كما أنهم يعطونه أولوية على سائر القضايا والأمور، فمع اعتقادنا بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأنها أمرٌ إلهي، كما نص على ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن أئمة أهل البيت عليهم السلام حينما رأوا أن ممارسة هذه الولاية وتحقيقها الخارجي الفعلي، يمكن أن يؤدي إلى انقسام داخلي، فإنهم عليهم السلام قد غضوا الطرف عن ممارسة ولايتهم وإمامتهم، كما هو واضح من خلال تصريح أمير المؤمنين عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام. بل وأن سيرتهم تحكي ذلك.

ولو لم يكن الحفاظ على مصلحة الأمة ووحدها لها أولوية عند أهل البيت عليهم السلام لما كان هناك تفسيرٌ مقنع لسكوت أهل البيت عليهم السلام عن ممارسة حقهم في القيادة والإمامة. فهم ليسوا ضعفاء ولا جنباء، ولكنّ التفسير المقنع ما صرحوا به وهو الشيء المعقول، أن تمسكهم بحماية المصلحة العامة للأمة وتمسكهم بمبدأ الوحدة الإسلامية هو الذي جعلهم يغضون الطرف، ويصبرون ويبدون التنازل الظاهري عن حقهم في ممارسة مقام القيادة والولاية».

وانطلاقاً من هذا المبدأ.. أكّد سماحة الشيخ أن الوحدة الإسلامية أصل له موقع الأولوية على سائر القضايا الأخرى الموجودة في الإسلام، كما أن تلامذة مدرسة أهل البيت عليهم السلام والعلماء والفقهاء السائرين على خط أهل البيت عليهم السلام اتخذوا نفس النهج والمنحى.

والقارئ لسيرة علمائنا ومراجعنا، يرى أنهم يؤكدون هذا المبدأ، رغم وجود كثير من الاستفزازات عبر التاريخ، ورغم وجود كثير من الاعتداءات على أتباع أهل البيت عليهم السلام، وهذه الاعتداءات والاستفزازات لو تركت وتأثيرها الطبيعي لكان يمكن أن تؤدي إلى انقسام عميق وحرب أهلية طول تاريخ الأمة، ولكن العلماء والفقهاء والمراجع رفضوا السير في هذا الطريق.

وذكر سماحة الشيخ في حديثه جملة من الشواهد في التاريخ الماضي والتاريخ الحاضر

في التاريخ الماضي:

موقف العلماء والفقهاء تجاه العدوان البريطاني على العراق، حيث كان العثمانيون يحكمون العراق، وكانوا يتعاملون مع شيعة آل البيت ﷺ تعاملاً ظالماً مع وجود المراقدين المقدسة للأئمة في العراق ومع وجود الحوزات العلمية والمراجع، فحينما جاء البريطانيون وكانهم يريدون إنقاذ الشيعة من هذا الضغط العثماني، ولكن علماء الشيعة وفقهائهم رفضوا هذا الطرح وأصروا على البقاء في ظل الخلافة الإسلامية وقاوموا الاحتلال البريطاني.

في الوضع الحاضر:

موقف المرجعية الشيعية الإسلامية مما يحدث في العراق حالياً، من أروع وأعمق المواقف الوجودية التي تجسّد هذا المبدأ، فالجميع الآن يدرك أن المرجعية الدينية هي التي تقف حائلاً دون الانجراف وراء الحرب الطائفية المدمرة.

انطلاقاً من هذه المقدمة.. تحدث سماحة الشيخ عن مؤتمر الوحدة الإسلامية الثامن عشر في طهران وعن مشاركته فيها، حيث طرح بداية نبذة تاريخية عن مؤتمر الوحدة وعن تركيبته وهدفه من تجديد البحث والطرح لمبدأ الوحدة وقيمتها، وسبل ووسائل تفعيل هذا المبدأ، والوقوف أمام محاولات تمزيق الأمة وتفريقها.

ثم أكد سماحته أن انعقاد المؤتمر في هذا العام كانت له أهمية خاصة تتمثل في الأخطار التي تطل على المنطقة والتي تنذر بانقسام طائفي أو بحروب أهلية يخطط لها الحاقدون. ثم قال: إن الواعين من الطرفين، السنة والشيعة، يدركون خطورة هذه المؤامرة ويدركون البذور السيئة التي تلقى في أوساط الأمة من أجل أن تنشب هذه الفتنة لا

سمح الله.

واستطرد سماحة الشيخ أن هناك جهلاء وبسطاء مغفلين من كلا الطرفين يستجيبون لانفعالاتهم، والنتيجة أن الجميع يجد نفسه في فتنة لا يستطيع الخروج من مأزقها.

كما حذر سماحته من أيّ تحضيرات تجري في الوسطين الشيعي والسني:

- في أوساط السنة: وجود الاتجاهات المتطرفة التي تعلن موقفها التكفيري لبقية المسلمين وتبيح دماءهم وتمارس هذا الإرهاب في العراق وفي باكستان وفي مناطق مختلفة.

- وفي الوسط الشيعي: هناك تحضيرات تحصل بوعي أو بدون وعي، وكما يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): «إن الفتن إذا أقبلت شبهت، وإذا أدبرت نبهت. يُنكرون مقبلات، ويُعرفن مدبرات».

فالفتنة في بدايتها تشبه على البعض، ولا يدركها، وقد يشارك فيها بحسن نية، أو بدوافع نبيلة في داخل نفسه، وقد تكون المنطلقات صحيحة، ولكن يكون قد اشترك في الفتنة.

في أوساط الشيعة أيضاً هناك بعض الطروحات إذا قرأت في مقابل ما يجري في الطرف الآخر يرى الإنسان أنها مكملة للحلقة الأخرى.

ولذلك كان هناك إصرار - في المؤتمر الذي انعقد في طهران - عند النخبة الواعية المفكرة في العالم الإسلامي على ضرورة التنادي وعلى ضرورة طرح الموضوع ومناقشته، حيث استمر المؤتمر لمدة ثلاثة أيام، بطرح أوراقٍ جادة للحيلولة دون وقوع مثل هذه الأمور.

ثم استعرض سماحة الشيخ الصفار جانباً من الشخصيات المشاركة في المؤتمر الذي شمل العديد من الدول ومن مختلف المذاهب الإسلامية.

هذا وقد أشار إلى اللقاء الذي انعقد مع قائد الجمهورية الإسلامية السيد الخامنئي

إضافة إلى كلمة الشيخ رفسنجاني في افتتاح المؤتمر.

ثم انتقل في حديثه إلى أجواء المؤتمر حيث عبّر عنها بأنها:

- تشدّد على ضرورة الوحدة.
- تندّد بالتصرفات السلبية.
- تقترح وضع حدّ للممارسات السلبية.

ثم تحدث الشيخ بعد ذلك عن لقاءه بالمراجع والعلماء الكرام في الحوزة العلمية، مبيناً أن المرجعية الدينية تشكل السند والشرعية للعمل الديني والعمل العام، وهذه نقطة قوة. كما ينبغي وجود آليات للتواصل بين المرجعية الدينية وبين الفعاليات العاملة في الساحة سواءً كانت أحزاباً أو مؤسسات أو أفراداً.

وحتى تكون المرجعية على اطلاع قريب لما يجري في الساحة ليكون التقويم وتشخيص الحالة أكثر دقة وصحة.

فالعاملون في الساحة قد يستغرقون في جوّ الاهتمامات العملية، وتواصلهم مع الحوزات العلمية يفتح لهم آفاقاً ويسندهم بما يحتاجون إليه من بحوث وأفكار وفتاوى، وليست هناك آلية محددة لهذا الأمر ولكنها متروكة للمبادرات.

وبعد المحاضرة.. بدأت المشاركات والتساؤلات تترى من الحضور الذي بدا

متفاعلاً مع ما طرحه سماحة الشيخ.

مفهوم التودد في منظومة المفاهيم الاجتماعية للإسلام

أكد سماحة الشيخ حسن الصفار أهمية مفهوم التودد في منظومة المفاهيم الاجتماعية للإسلام، مشعباً حديثه بالنصوص الدينية التي تُعطي للتودد أهمية كُبرى في الإسلام، وأشار إلى سبل التودد إلى الناس، مؤكداً أنه يكون من خلال عاملين أساسيين: المحبة القلبية والتوجه الذاتي لحبّ الناس، والإحسان وحسن التعامل مع الآخرين. وأضاف سماحته: بالتودد تكون الأجواء الاجتماعية أصفى وأنقى، وأقرب إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى.

جاء ذلك في الكلمة التي ألقاها سماحة الشيخ الصفار في مجلسه مساء الخميس ٤ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ (١٢ مايو ٢٠٠٥م).

وهذه مقتطفات من حديثه:

هناك بعض المفاهيم الأخلاقية، التي ركّزت عليها النصوص الشرعية، وهي تُشكّل مفتاحاً مهماً لاستقرار العلاقات في المجتمع. ذلك أن نمط العلاقات في أي

مجتمع من المجتمعات يتأثر بالمفاهيم السائدة في ذلك المجتمع. فمثلاً المجتمع الذي تسود فيه المفاهيم الطبقيّة التي تُقسّم الناس إلى طبقات حسب ثرائهم وحسب مستواهم الاقتصادي، هذا المفهوم إذا ساد وانتشر في المجتمع فإنه يخلق نوعية معينة من العلاقات بين أبناء وشرائح المجتمع. وهكذا يبدو أثر المفاهيم والأفكار في نوعية العلاقات السائدة في محيط أي مجتمع من المجتمعات.

الإسلام له منظومة مفاهيمية اجتماعية، من خلال هذه المنظومة يرى الإنسان بوضوح الأسس التي وضعها الإسلام لإرساء علاقات اجتماعية إيجابية بين أبناء المجتمع البشري، هذه العلاقات تجعل الناس أقرب إلى بعضهم البعض، وأقدر على التعاون، وبالتالي أقدر على الإنتاج، كما وتجعلهم أسعد في روابطهم الاجتماعية.

من تلك المفاهيم: ما تُطلق عليه النصوص الدينية عنوان التودد. والتودد مأخوذٌ من مادة (وَدَدَ)، ويُقصد بها الحبّ والمحبة، بمعنى أن الإنسان يودّ، ويؤدّ، يُحبّ، ويُحَبّ. هذا المفهوم (التودد) يكاد أن يكون غائباً، أو ليس مطروحاً بالمستوى الذي نتحدث عنه النصوص.

إن الله سبحانه يصف نفسه بأنه ودود، يقول تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾، وكقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾. وقال المفسرون: إن هذه الصفة بالنسبة لله تعالى تحتمل الأمرين، ودود بمعنى يُحبّ الناس، وتعني أيضاً المحبوب من قبلهم.

أما النصوص فإذا تأملها الإنسان يستغرب من أهمية هذا الخلق في المنظومة المفاهيمية الاجتماعية في الإسلام. عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس»، وفي نص آخر: «رأس العقل بعد الإيمان بالله عز وجل التحبب إلى الناس». وفي حديث آخر عنه أنه قال: «التودد نصف العقل».

العلماء يُقسّمون العقل إلى: عقل عملي وعقل نظري، وهذه الأحاديث بالطبع تُشير إلى العقل العملي، بمعنى أن ٥٠٪ من تجليات عقل الإنسان العملي يتمحور في

تودده إلى الناس .

وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «التودد نصف الدين».

فهناك نصوص تتحدث عن التودد باعتبار موقعيته في حكم العقل، وهناك نصوص تتحدث عن التودد وعن موقعيته في الدين .

كيف يكون التودد نصف الدين؟ إن الدين في بُعده السلوكي والمعاملاتي، يُمثل نصف تجلّي الحالة الدينية عند الإنسان. والسلوك الديني عند الإنسان يتمظهر ويتجلّى من خلال التودد إلى الناس .

وقد ورد عن الإمام علي قوله: «تحتاج القرابة إلى مودة، ولا تحتاج المودة إلى قرابة»، وعنه أنه قال: «ربّ أخ لم تلده أمك»، ويقول: «أنفع الكنوز محبة القلوب». وهكذا نجد النصوص الشرعية تؤكد هذا المفهوم الخلقى من المنظومة الإسلامية: التودّد.

والتودد حالة تفاعلية، ويعني أن يتعامل الإنسان مع الناس معاملةً تجلب بها ودهم .

كيف يتودّد الإنسان إلى الناس؟

قد يحصل التودد بشكل عفوي، وفي حالاتٍ أخرى يكون التودد نتيجة تخطيط وسعي، وهذا ما تؤكد النصوص الدينية بأن يكون للإنسان سعيً وتخطيط واهتمام لكي يُحبه الناس ويُحبّ الناس .

ويكون ذلك من خلال عاملين أساسيين:

الأول: المحبة القلبية، والتوجه الذاتي عنده لحب الناس.

لأن من لديه توجه لحب الناس، يخلق أرضية لمحبة الناس له، وأما من يُثقل قلبه بالأحقاد والأضغان، فمن الصعوبة بمكان أن يكسب محبة الناس . فالقلوب تتعاطى مع بعضها بلغتها الخاصة.

الثاني: الإحسان وحسن التعامل مع الآخرين.

فإذا أراد الإنسان أن يُحبه الآخرون، فعليه أن يُحسن التعامل معهم وأن يتعاطى معهم بطريقة مناسبة، حتى يجلب محبتهم ومودتهم. والغريب أن هناك قسماً من الناس لا يهتم بهذا الجانب، فترى البعض يتصرف على سجيته ورغبته دون أن يكون لرضا الآخرين أو غضبهم مكانةً في قلبه، وهذا خطأ. لأن النصوص والآداب والتعاليم الدينية تُربي الإنسان على أن يُراعي مشاعر الآخرين وأحاسيسهم، بل هي في بعض الأحيان مقدمة حتى على بعض العبادات المستحبة.

لو أن هذا المفهوم ينتشر في أوساط الناس، ويكون كل واحد حريصاً على أن يُحبَّ الآخرين، وعلى أن يكتسب إليه محبة الآخرين لكانت أجواء المجتمع أفضل وأصفى وأنقى وأقرب إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم ممن يُحبهم، ويُحبونه، وممن يجعل لهم في قلوب الآخرين المحبة والمودة، إنه ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين.

المهرجان الختامي لجماعة الهدى للتعليم^(١)

أقامت جماعة الهدى للتعليم بالقديح مهرجانها الختامي لأنشطتها الصيفية للعام ١٤٢٦ هـ، وقد ضم المهرجان عددًا من الفقرات، من بينها: كلمة الطلاب، وأنشودة من أداء مجموعة الإنشاد بالجماعة، مشهد تمثيلي من إعداد وتنفيذ مجموعة المسرح بالجماعة - أيضًا -، وكلمة مختصرة عن الجماعة تضمنت نبذة عن مسيرة الجماعة خلال أكثر من أحد عشر عامًا، وكذلك الإشارة إلى الأنشطة والفعاليات التي تميزت بها الجماعة هذا العام، مع توثيقها بالأرقام والإحصائيات.

تلا ذلك كلمة لسماحة الشيخ حسن الصفار - حفظه الله - عن دور المؤسسات التعليمية في احتضان واحتواء الناشئة في ظل ضخامة ما تقدمه التيارات والتوجهات الأخرى من إغراءات لاحتواء واجتذاب الشباب والناشئة، مشيدًا في الوقت ذاته بما

(١) أقيم المهرجان مساء يوم الجمعة ٢١/٧/١٤٢٦ هـ - ٢٦/٨/٢٠٠٥ م في بلدة القديح - القطيف، ونشر الخبر على موقع سماحة الشيخ حسن الصفار: www.saffar.org بتاريخ ٣١/٨/٢٠٠٥ م.

تقوم به الجماعة من دور في هذا الاتجاه مع ضعف الإمكانيات المادية لديهم، متمنياً لهم المزيد من التوفيق والسداد.

وكان ختام المهرجان فقرات تكريم الداعمين للجماعة من مؤسسات وأفراد، وتكريم للأعضاء المشاركين في الدورة، وتكريم ثالث للطلاب الحائزين على المراكز الأولى.

وفيماء يلي نص كلمة الشيخ حسن الصفار التي ألقيت بهذه المناسبة:

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى

آله الطيبين الطاهرين، وبعد

روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «بادرُوا أحداثكم بالحديث

قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة».

الناشئة والشباب هم الطبقة المستهدفة

من الطبيعي أن يكون جيل الناشئة والشباب ساحة تنافس واستقطاب من مختلف التيارات والاتجاهات، فالناشئة والشباب هم جيل المستقبل، ومن ينجح في استقطابهم فإن ذلك يعني أنه يجتذب مجتمع المستقبل وجيل الغد، ولذلك تتسابق التيارات والتوجهات لجذب هذا الجيل ولاستقطابه، ونحن الآن نعيش في عصر توفرت فيه وسائل الكسب والاستقطاب وتتطور، وأصبحت وسائل عالمية، معولمة، مثل الفضائيات والشبكة العنكبوتية (شبكة الإنترنت).

إن الوسائل الإعلامية والمعلوماتية المختلفة أصبحت وسائل عالمية تتجاوز الحدود وتخرقها، وتصل إلى مختلف القطاعات الشعبية والجهارية، من مختلف القوى والأديان والمذاهب والمجتمعات، وهذا مما يضاعف المسؤولية ويظهر قوة التحدي الذي نواجهه كمسلمين نريد أن نُسَلِّم الأمانة لأبنائنا وأجيالنا القادمة.

نريد لهم أن يتربوا على مبادئنا وقيمنا التي آمنّا بها، ولكن كيف نصنع ذلك في مقابل هذه التحديات الكبيرة والعظيمة؟!

الإمام الصادق يأمرنا أن ندخل ساحة الصراع

إن الإمام الصادق في هذه الرواية يرشدنا ويوجهنا إلى أن الواجب يقتضي منا أن ندخل إلى ساحة السباق، ولا يكفي أن نتذمّر، ونفعل كما يفعل البعض، حيث يكتفي بالتذمّر والانزعاج، ويأخذ بدمّ الشباب وما يقومون به، وينزعج مما يراه في الشوارع أو على شبكة الإنترنت.

هذا الموقف لا يحل المشكلة، عندما نجلس ونتذمّر ونزعج فقط، هذا موقف سلبي.

إن الإمام يأمرنا بأن ندخل إلى ساحة الصراع وساحة السباق، أن نكون الطرف الذي يسبق الآخرين إلى الناشئة وعقول الشباب والأحداث.

هذا هو المطلوب

أما مجرد التذمّر وإبداء الانزعاج مما يحصل من مظاهر سلبية لا يحل المشكلة.

في الرواية يقول الإمام (عليه السلام): بادروا أحداثكم بالحديث...

والمقصود بالأحداث هنا هم الناشئة وصغار السن.

يقول الإمام (عليه السلام): بادروهم وكونوا أسبق من الآخرين إليهم من حيث المبادرات

الفعلية، ومن حيث امتلاك وسائل التأثير أكثر من الجهات والأطراف الأخرى.

إننا بحاجة إلى الانفتاح على أبنائنا وناشئتنا، خصوصاً وأن العائلة أصبحت -الآن

- مشغولة، فلم تعد متفرغة لأبنائها حتى تفتح عليهم بالمقدار الكافي، هذا من جهة، ومن

جهة أخرى فإن علماء الدين في كثير من الأحيان ينشغلون بالشرائح المتقدمة في السن

من المجتمع، ويغفلون عن هذه الشريحة المهمة، وهي شريحة الناشئة والشباب، ولذلك

عندما تذهب إلى المسجد، أو عندما تدخل إلى مجلس العالم ستجد أن جلساءه وحاشيته لا يكونون - عادة - من الناشئة والشباب، وهذا يعني أننا نترك ناشئتنا وشبابنا للاتجاه إلى التيارات الأخرى، ثم بعد ذلك نتدمر مما نلاحظه من آثار سلبية لتأثيرات التوجهات الأخرى عليهم.

المؤسسات هي الحل لمواجهة التحديات

إننا لكي نواجه هذه الاتجاهات بحاجة إلى إمكانات كبيرة، وإلى عمل جمعي، وإلى خطط مدروسة، وبحاجة - أيضاً - إلى الاستعانة بنتائج مختلف العلوم الإنسانية، كعلم التربية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، فالمسألة لم تعد كما كانت في الماضي، حيث كنا نكتفي بمجرد الوعظ الساذج والأولي، وإنما أصبحنا بحاجة إلى مناهج وبرامج تتعدى الجوانب النظرية إلى ممارسات عملية، وإلى أساليب فنية مختلفة، تخاطب مشاعر هذا الجيل، وتستطيع الوصول إلى عقولهم وقلوبهم.

وهذا يعني أننا بحاجة إلى مؤسسات تتبنى رعاية الناشئة ورعاية هذه الأجيال في مجتمعاتنا، ولكن هذه المؤسسات لن تتكون إلا بمبادرة خيرة من أبناء المجتمع الواعين المخلصين، وإذا كان المجتمع حيويًا، ويدرك عمق التحدي، فإن عليه أن يدعم مثل هذه المبادرات، ليكون باستطاعة هذه المؤسسات أن تقوم بدورها في احتواء ناشئتنا وأبنائنا.

إننا نتحمل المسؤولية أمام الله تجاه أبنائنا، إن الله سبحانه وتعالى يأمرنا أن نقي أبنائنا وأهلينا عذاب الانحراف، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [سورة التحريم: الآية ٦]، فالمطلوب ليس وقاية النفس فقط، بل الأهل أيضًا.

ولهذا يخطئ البعض عندما يقول: «لقد نصحتُ ابني وتحدثتُ معه فلم يرد» ولم يقبل مني النصيحة، فأنا قد أديتُ الواجب»، فهذه مغالطة مفضوحة، فالواجب لم يسقط بعد، فالولد عندما يصاب بمرض جسيمي، ولا تكفيه المعالجات المنزلية الأولية، يضطر الأب للتوجه إلى الطبيب، وإذا لم يستفد من طبيب المنطقة فإنه يفكر في العلاج

في المستشفى، وإذا لم يتوفر العلاج في المستشفى يفكر في العلاج في الخارج، لأنه يتحمل المسؤولية تجاه صحة ولده بمختلف الوسائل والأساليب.

ومن المفترض أن يكون الأمر بالمستوى نفسه في المسألة السلوكية والفكرية. فحينما تنصح ولدك ولا تتمكن من هدايته، لا يعني ذلك أن الواجب قد سقط عنك، وإنما عليك أن تفكر وتفحص عن وسائل أخرى أقدر على هدايته وعلى التأثير فيه، وتلك الوسائل تتمثل - الآن - في المؤسسات والجماعات، وفي الأنشطة المختلفة التي تستوعب الشباب والناشئة وتؤثر فيهم. ولذلك فإن من واجبنا أن ندعم مثل هذه الأنشطة.

جماعة الهدى للتعليم:

إنني مسرور لهذا الجهد المشكور الذي يبذله هؤلاء الشباب، وهذه النخبة الطيبة الواعية المتمثلة في جماعة الهدى، الذين واكبوا نشاطهم منذ سنوات، وأنا أشعر بالغبطة والسرور والتفاؤل، لأن في مجتمعنا من يفكر ويعمل على هذا المستوى، من وضع للخطط وللمناهج، وتأسيس للعمل الجمعي، وتطوير هذه المؤسسة من خلال الاستعانة بالوسائل الحديثة، من الاستبانات وجمع المعلومات وتوفير لوسائل التبيين والإيضاح، والأنشطة العملية التي تفجر طاقات الشباب والناشئة، إنه عمل متطور متقدم، ولذا ينبغي أن نحترم هذه النخبة، وما تبذله من جهد للقيام بهذا الدور الخطير والمهم، إنهم يجاهدون نيابة عنا ومن أجل أبنائنا وناشئتنا جميعاً، علينا أن نقدر هذا الجهد وأن نوفر لهم الإمكانيات اللازمة.

مؤسساتنا تحتاج إلى الدعم

إنني قمتُ بزيارة بعض المؤسسات الشبيهة في إيران ولبنان ومناطق أخرى مختلفة، ورأيتُ ضخامة الإمكانيات التي توضع تحت تصرفهم، وشعرتُ - حينها - بالإشفاق

على ما تعيشه مؤسساتنا وتجمعاتنا الثقافية والتوجيهية مثل جماعة الهدى في بلادنا، إنهم يتحركون بإمكانات متواضعة جدًا، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على مدى إخلاصهم وجديتهم.

وهذا هو الوجه المشرق من الصورة، ولكن الوجه الآخر يظهر مدى تقصيرنا - كمجتمع - في الوقوف مع هذه المؤسسات، ومع مثل هذه الأنشطة، ولذلك علينا أن نتحمّل هذه المسؤولية وأن ندعم مثل هذه المجموعة الطيبة.

إنه - والله الحمد - توجد أنشطة مشابهة لأنشطة جماعة الهدى في مختلف القرى والمدن، وقد بدأت هذه الجماعات بالالتقاء وتبادل الرأي والكلمة فيما بينهم، وإن شاء الله يستمرون في ذلك.

لكننا بحاجة أن نتحمّل المسؤولية تجاه هذه الأنشطة، فكم يفرح الإنسان وهو يرى هذا الجمع من أبنائنا وناشئتنا وهم يجتمعون في مثل هذا المكان، وكان يمكن أن يكونوا ضائعين في الطرقات، أو يكونوا فريسة للتوجهات المنحرفة، لكن هؤلاء الشباب المؤمنين استطاعوا أن يستقطبواهم ويستوعبواهم وأن يفيدواهم، وهذا شيء مفرح ومسّر.

إنني أدعو من كل قلبي لهؤلاء الشباب القائمين على هذا النشاط في جماعة الهدى، بالتوفيق والتقدّم في عملهم، وأدعو المجتمع للوقوف معهم ومؤازرتهم، من أجل أن يساعدونا في بناء جيل واع صالح، ومن أجل أن يساعدونا في وضع حدّ للاختراقات على هويتنا وثقافتنا وتوجهاتنا.

الجوانب السلوكية أشد خطرًا من الجوانب النظرية؛

أحب هنا أن أذكر بنقطة أعتقد أنها ليست بغائبة عن الإخوة الكرام، وهي مسألة أهمية التركيز على الجوانب السلوكية، وخلفية الجوانب السلوكية، أنا أعتقد أننا لا نواجه خطرًا ثقافيًا فكريًا، لا على مستوى الدين، ولا على مستوى المذهب، هناك توجهات وتيارات تريد أن تصل إلى أبنائنا وشبابنا، ولكن ديننا - الآن - في موقع متقدّم، ونهجنا

الذي هو نهج أهل البيت في موقع قوة وليس في موقع ضعف، لذلك ليس هناك خوف كبير، وليس هناك قلق على عقائدنا وعلى أفكارنا الدينية.

النموذج العراقي:

نحن نجد في ساحة مثل ساحة العراق أنها كانت محكومة بالتيارات المناوئة للدين وللمذهب، فالنظام الصدّامي الزائل كان مناوئاً للدين، باعتباره كان يتبنّى فكراً مخالفاً للإسلام، وكان مناوئاً في سياسته الطائفية للمذهب، وعمل أبشع ما يمكن في محاربة الدين الإسلامي ومذهب أهل البيت، ولكن بمجرد أن انكشف الغطاء وسقط النظام رأينا عمق الحالة الدينية في الشعب العراقي، والتفافه حول المرجعية وحول العتبات المقدسة، والتفافه حول الشعائر الحسينية.

إذاً، ليس هناك قلق كبير على العقيدة والفكر، وهذا لا يعني ألا ننشر الفكر في أجواء ناشئنا وألا نحصنهم من التأثير، فأنا لا أقول إننا لا نحتاج ذلك، ولا أقول أن ليس هناك أخطار، ولكن يبدو لي أن الخطر الأكبر في اتجاهٍ آخر، وهو الجانب السلوكي، إذ علينا أن نهتم كثيراً ببناء السلوك الصالح لأبنائنا.

ظواهر سلوكية خطيرة:

نحن نرى الآن كيف بدأت المخدرات تشق طريقها وتنتشر في أجواء مجتمعنا، وكيف أن الممارسات والتصرفات الطائشة تتسع رقعتها في أوساط أبنائنا وشبابنا، كالتفحيط وما أشبهه.

لقد بدأنا نرى انتشار حالات العنف بين الشباب لدرجة القتل وإزهاق النفس، لقد بدأت تظهر أكثر من حالة في مجتمعنا الذي ما كانت فيه مثل هذه الظواهر.

نحن نرى كثيراً من الظواهر السلوكية التي نشعرنا بالقلق، علينا أن نهتم بالتوجيه السلوكي، وبالخلفيات الفكرية والثقافية التي تدعم السلوكيات الصالحة، وتحصن

الناشئة والشباب أمام السلوكيات المنحرفة.

وهذا ليس معناه أنني أدعو إلى عدم طرح العقائد والأفكار والقضايا الدينية على الشباب، فنحن مطالبون أن نربيهم على دينهم وعلى عقيدتهم، ولكن ما أقصده أن هناك خطراً أكبر يتمثل في الانحرافات السلوكية التي تهدد ناشئتنا وأبناءنا، وعلينا أن نهتم بها بشكل أكبر.

وفي النهاية، أعرب عن خالص شكري وتقديري لهذا النشاط المؤسسي المبرمج المخطط، وآمل أن نمُد أيدينا جميعاً لدعمه وتشجيع القائمين عليه ومساندتهم، وإني لأرى في الأفق فرصاً كبيرة للنمو لمثل هذه الأنشطة على المستوى الرسمي والقانوني وعلى المستوى الاجتماعي.

بارك الله فيكم أيها الإخوة الكرام، وأخذ بأيديكم إلى المزيد من ساحات التقدم والنشاط والعمل، وأسأل الله لناشئتنا وأبنائنا الحاضرين الذين نحتفي بهم التوفيق والتقدم، وأن يكونوا استمراراً لمسيرة آبائهم وأسلافهم في حمل لواء العقيدة والإيمان وبالتمسك بالدين والأصالة.

والله ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين.

والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

الإمام المهدي ومستقبل العلاقات الإنسانية

بدعوة من دار حسينية الزهراء في الكويت ألقى سماحة الشيخ حسن الصفار محاضرة بعنوان (الإمام المهدي ﷺ ومستقبل العلاقات الإنسانية)، ليلة الاثنين ٢٢ شعبان ١٤٢٦ هـ - ٢٦ / ٩ / ٢٠٠٥ م بحضور عدد من الشخصيات الدينية والسياسية والاجتماعية وحشد من الجمهور الكريم.

وقد تحدث سماحته عمّا أشارت إليه الأحاديث والروايات الواردة حول الإمام المهدي ﷺ من أنه يقود حركة على المستوى العالمي، ويحقق آمال وتطلعات المجتمع البشري في العدالة والحرية والكرامة، وذلك يعني أن يفكر الإنسان المسلم بهذا الاتجاه الإنساني العالمي، ويتجاوز التقوقع الطائفي والديني والإقليمي.

والإمام المهدي سيقود الأمة الإسلامية متخطياً التصنيف المذهبي، بل سيقود البشرية كلها متجاوزاً الاختلاف الديني، فهو سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

ويدل الحديث النبوي الوارد في صحيح البخاري (حديث رقم ٣٤٤٩) وغيره من المصادر على التفاف المسيحيين حول قيادة الإمام المهدي حيث يصلي خلفه نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام، «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»، وورد في فتح الباري شرح صحيح البخاري «وكلهم - أي المسلمون - بيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم ليصلي بهم، إذ نزل عيسى فرجع الإمام ينكص ليتقدم عيسى، فيقف عيسى بين كتفيه ثم يقول: تقدم فإنها لك أقيمت».

وتشير رواية للإمام الباقر عليه السلام إلى أن الإمام المهدي عليه السلام يحكم بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم، «فيحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل الفرقان بالفرقان، وتُجمع إليه أموال الدنيا كلها، ما في بطن الأرض وظهرها» فهو إمام وقائد ومصلح لأوضاع البشرية جمعاء. وأكد سماحة الشيخ حسن الصفار أن الصراعات بين أبناء البشر وإن أخذت عناوين دينية لكنها في حقيقتها ناتجة عن الظلم والجور.

وبعد إلقاء المحاضرة أتيحت الفرصة لمداخلات بعض الحاضرين وأسئلتهم. ومن الشخصيات البارزة في الحضور الخطيب السيد عبد علي الموسوي من البصرة - العراق، وسماحة الشيخ علي حسن إمام جامع خاتم الأنبياء في الكويت، وسماحة الشيخ أحمد الحسين من تجمع علماء الشيعة في الكويت، والمحامي الدكتور علي البغلي وزير النفط وعضو مجلس الأمة سابقاً. والأستاذ عبدالوهاب الوزان وزير التجارة ووزير الشؤون الاجتماعية سابقاً، والكاتب الصحفي الأستاذ عبدالهادي الصالح من تجمع الميثاق الوطني، والأستاذ عبدالحسين سلطان من تجمع العدالة والسلام، وقد احتفى مسؤول الحسينية الحاج كاظم عبدالحسين بزيارة سماحة الشيخ الصفار وإجابته للدعوة.

ورشة عمل للبرنامج الإقليمي للإيدز^(١)

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في ورشة عمل الأئمة والدعاة في دول الخليج العربية لمواجهة الإيدز، التي أقامها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ضمن البرنامج الإقليمي للإيدز في الدول العربية، وذلك في متابعة للمبادرة التاريخية التي قام بها القادة الدينيون في القاهرة في ديسمبر ٢٠٠٤م. وتهدف ورشة العمل إلى دراسة دور أئمة المساجد تجاه مرض الإيدز والمتأثرين به والتدريب على الاستخدام الأمثل للدليل وشرح إعلان القاهرة ومبادئه وتمكين المشاركين بمهارات التواصل ورفع قدرتهم على تدريب أئمة آخرين. وقد شارك في البرنامج من المملكة العربية السعودية عدد من أئمة

(١) نظمت الورشة في الكويت بتاريخ ٢٤ إلى ٢٧ سبتمبر ٢٠٠٥م، ونشرت على موقع سماحة الشيخ حسن الصفار: www.saffar.org بتاريخ ٣٠/٩/٢٠٠٥م

المساجد والدعاة.

كما شارك عدد من البحرين وسلطنة عمان والأمارات العربية المتحدة والكويت. وتضمّن البرنامج تسع عشرة جلسة استغرقت ٣٢ ساعة على مدى أربعة أيام سادتها روح المشاركة وتبادل الخبرات ومناقشة إمكانات العمل والتحرك في مواجهة وباء الإيدز وطريقة التعامل الأمثل مع المصابين به.

التجديد في الخطاب الديني: بواعثه وضوابطه^(١)

لتسليط الضوء بشكل علمي ودقيق حول مسألة تجديد الخطاب الديني بدأ الحوار مع سماحة الشيخ حسن بتعريف مفردات العنوان، فبين سماحته أن المقصود بـ (التجديد) ما يقابل البقاء على حالة القديم من الموروثات الثقافية من عادات وتقاليد مضموناً وشكلاً، بينما (الخطاب الديني) هو القول الصادر من الجهات الدينية للناس بهدف التعريف بالأسس والمفاهيم الدينية. وركّز في هذه النقطة على ضرورة التفريق بين الخطاب الديني (الذي يمثل الفهم البشري للدين) وبين النص الديني. وبين أن المقصود بـ (بواعث التجديد) الأسباب التي تدعونا إلى طرح موضوع

(١) أقيم الحوار بمسجد الإمام زين العابدين عليه السلام في سيهات بتاريخ ٩/٩/١٤٢٦ هـ.

التجديد، و(ضوابطه) المقصود بها الاحترازات التي يجب مراعاتها حتى لا يأتي التجديد من أي جهة كانت، حتى نضبط عملية التجديد بحيث لا تخرج عن الأسس والثوابت الدينية.

العلاقة بين القديم وعملية التجديد

وفي معرض الإجابة عن الاستفهام الذي قد يرد حول علاقة التجديد بالقديم: هل هي علاقة رفض أم استمرار وامتداد، أجب: بأن التجديد عبارة عن إعادة النظر فيما ورثناه من ثقافتنا الدينية من حيث المضمون (وهذا ما يمارسه الفقهاء في علم الفقه، فقد يفتي الفقيه بخلاف القديم بسبب إعادة النظر في الأدلة)، ومن حيث الشكل وأسلوب العرض، وهذا ما نلمسه في بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن إرسال الأنبياء بلسان أقوامهم، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ١٤]، فيعرضون الدين بما يتناسب وثقافة وأفهام أقوامهم.

ويمكن استنتاج هذا الأمر من آية النفر - أيضاً -، يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٢٢]، حيث توجه هذه الآية طبيعة التبليغ الديني، فتأمر المسلمين أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين، فإذا رجعوا إلى فرقتهم حدثوهم بما يناسبهم، لأن الغريب عن هذه الفرقة لن يستطيع التفاعل معها كما هو الحال مع ابن هذه الفرقة.

الاجتهاد في الشريعة يحمل معنى التجديد

وفي إشارة مهمة نبه الشيخ الصفار إلى أن عملية الاجتهاد في الإسلام هي عبارة عن النظر في الأدلة لاستصدار حكم شرعي يستند إلى الرأي الشخصي دون تقليد للآخر، وهذا معنى التجديد، حيث لا قدسية للآراء القديمة.

التجديد في جميع الجوانب الدينية

وفي هذه النقطة يشير الشيخ إلى أن الفقه يجب أن يطاله التجديد، لأنه يمثل الجانب القانوني في الدين، ولكنه يحتاج إلى أهلية في ممارسة التجديد فيه، ولكن لا يجب أن ينحصر التجديد في الجانب الفقهي فقط، بل يتعداه ليشمل الجانب الفكري، بحيث تكون هناك رؤية إسلامية حول المواضيع الفكرية التي تطرح اليوم، وهذا الجانب ربما يكون أكثر سعة من حيث إمكان ممارسته، لأن أدواته قد تكون أقل من الجانب الفقهي التخصصي.

التجديد بين البعث الداخلي والضغط الخارجي

وأشار سباحته إلى أن دعاوى التجديد لم تكن وليدة اليوم، بل شهد تاريخنا الإسلامي دعوات تجديدية ظهرت في كل عصر، فموروثنا الثقافي يدفعنا ذاتياً نحو التجديد. ولكن يجب الاعتراف بأن الانفتاح المعرفي والتقدم التكنولوجي والحضاري في الغرب أدى إلى أن تتطلع مجتمعاتنا الإسلامية إلى أن تواكب هذا التقدم، مما دعا إلى طرح العديد من التساؤلات حول أسباب التخلف الذي تعيشه هذه المجتمعات، والذي يرجع في كثير من الأحيان إلى المنطلقات الفكرية المنلطقة من فهم متخلف للدين، مما يستلزم منا تجديد خطابنا الإسلامي.

من الذي يجدد الخطاب الديني؟ وما دور الجمهور؟

بما أنه خطاب ديني فعلماء الدين يتحملون المسؤولية الأكبر في إعادة النظر فيه وتجديده، ولكن الجمهور يتحمل جزءاً من هذه المسؤولية تتمثل في دعم التوجهات التجديدية، وعدم الإصغاء إلى الأفواه التي ترفض كل ما هو جديد بحجة المحافظة على الثوابت الدينية وعدم الدخول في البدع، لأنها العقبة الأساس في وجه التجديد.

الدين برنامج عمل للإنسان

وفي اتجاه بيان أهمية تجديد الخطاب الديني بين الشيخ أن الدين الإسلامي برنامج

عمل للإنسان يؤثر في سلوكه الاجتماعي والثقافي والسياسي، لذلك حينما يكون الفهم للدين متخلفاً سينعكس ذلك على جميع هذه الجوانب، وهذا ما يعيشه المسلمون اليوم. وشدّد على ضرورة وجود مبادرات لمعرفة الرأي الإسلامي فيما يطرح اليوم حول: مسائل حقوق الإنسان، وطبيعة نظام الحكم، والرأي الإسلامي في المشاركة الشعبية البرلمانية، والموقف من الآخر، وغيرها من القضايا.

المنبر الحسيني ودوره في تجديد الخطاب الديني

بسبب ما للمنبر الحسيني من صلة مباشرة مع الجمهور فهو يقوم بدور أساس في تجديد الخطاب الديني، ولذلك نبّه الشيخ إلى ضرورة أن ينبثق تجديد الخطاب الديني المنبري من خلال عمل جمعي مبرمج ومدروس حتى يعطي نتائج إيجابية ملموسة، آملاً أن تزول كثير من العوائق الاجتماعية الموجودة حالياً للوصول إلى هذا الطموح، وذلك لأن المبادرات الفردية لا تؤتي الثمرة المرجوة.

تحديات الأسرة ودور المجتمع^(١)

قبل الدخول في صلب موضوع المحاضرة قدّم الشيخ لها بمدخلين أساسيين،
هما:

أولاً: إن أي تطور في أي جانب من جوانب الحياة يحدث تحدياً للإنسان، وعليه أن يفكر في كيفية مواجهة هذا التحدي، فوجود وسائل نقل حديثة كالسيارات والطائرات يخلق للإنسان تحديات كحوادث المرور وكوارث سقوط الطائرات وتصادم القطارات عليه أن يواجهها، وليس من المنطقي أن يوقف مسيرة التقدّم بحجة وجود مثل هذه التحديات.

والأسرة - كمؤسسة تشكّل نواة أي مجتمع إنساني - عليها أن تفكر في كيفية مواجهة

(١) محاضرة أقيمت في مركز البيت السعيد بجامعة الكوثر بصفوى بتاريخ ١٣/٩/١٤٢٦ هـ.

تحديات التطورات الحياتية والتأقلم معها.

ثانيًا: إن لكل أسرة مجموعة من الوظائف، يمكن ذكر أهم ثلاث منها:

١. تأمين الاستقرار النفسي والعاطفي لأفراد الأسرة.
٢. التكافل المعيشي بين أفراد الأسرة لمواجهة الظروف الحياتية.
٣. تركيز القيم وترشيد السلوك، فالانحراف السلوكي يأتي - غالبًا - ممن لا ينتمون إلى كيان أسري مستقر يجمعهم.

تأثير التطور الحياتي على وظائف الأسرة

ومن هذين المدخلين يبيّن ساحة الشيخ تأثير هذا التطور في وظيفتي الاستقرار النفسي داخل الأسرة ووظيفة تركيز القيم وترشيد السلوك، ضمن النقاط التالية:

الاستقرار النفسي داخل الأسرة

فعلى مستوى الاستقرار النفسي يوازن الشيخ حسن الصقّار بين الحال السابقة للأسرة الذي لم يكن فيه تركيز شديد على الاهتمام بالجانب الفردي والذاتي عند الإنسان، وهذا ما خلق جوًّا من انصهار الفرد ضمن تكوين الأسرة والمجتمع، وبالذات ما كانت تعاني منه المرأة التي لم يكن يُنظر إليها كفرد له حقوق وواجبات وله وضعه الخاص الذي يتطلب مراعاة بعض الاحترازاات.

وهذا أمر فيه شيء كبير من السلبية المرفوضة في ديننا الإسلامي.

بينما تركّز وسائل الإعلام اليوم - بسبب الثقافة الغربية السائدة - على تضخيم الذاتية عند الإنسان لدرجة الإفراط، مما يعقّد كثيرًا من العلاقات الأسرية بسبب النزعة الذاتية لكل من أفرادها.

ولمواجهة مثل هذا التطور في النظرة إلى الفرد على الأسرة أن تكوّن داخلها جوًّا من المشاركة التي تحفظ للجميع حقوقهم ضمن الجوّ العائلي الذي تسوده المودّة والألفة والرحمة.

كما أن بساطة الحياة في الماضي لم تكن تتطلب من رب الأسرة وقتاً طويلاً في العمل مثل اليوم، فالوقت الذي يقضيه الأبوان في العمل لا يتيح للأسرة فرصة كبيرة للتلاقي، خصوصاً إذا انشغل الأب بعمل إضافي كالأسهم والمتاجرة بالعقار ونحوها. وكثيراً ما تكون أجواء خارج المنزل أكثر جاذبية للأبناء، مما يجعلهم يقضون أوقاتهم كثيرة خارج المنزل.

وهذه عوامل تقلل من عامل الاستقرار الأسري.

تركيز القيم وترشيد السلوك

بسبب تطور الحياة وتعدد مناشطها لم تعد الأسرة اليوم المرشد الأول لسلوك الأبناء، بل تشارك معها عوامل أخرى، منها: المدرسة، ووسائل الإعلام والإنترنت وشلل الأحياء والخدم في بعض الأحيان. ولمواجهة هذه التحديات التي فرضتها تطورات الحياة يقترح سماحة الشيخ أمرين قد يحدان من تأثيرها السلبي:

الأول: أن يدعم أفراد المجتمع وجود أي مؤسسة وظيفتها احتضان أبناء المجتمع وتكون ذات أهداف نافعة، وكذلك دعم أي موقع تربوي على الإنترنت، أو تقديم الدعم اللازم لإطلاق أي فضائية يكون هدفها النفع العام وترشيد السلوك الصالح، وذلك لخلق بيئة صالحة بديلة عن البيئات الفاسدة التي تقدمها الوسائل الحديثة.

والثاني: عدم الغفلة عن أهمية الجلوس مع الأسرة والتقرب من الأبناء وتفهم مشاكلهم وهمومهم وتقدير آرائهم وترشيدهم بروح أبوية منفتحة.

الإمام علي (عليه السلام) وقضايا الشباب (١)

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أَيُّ بُنَيِّ إِيَّيْ لَمَّا رَأَيْتَنِي فَذْ بَلَغْتُ سِنًّا وَرَأَيْتَنِي أَرْدَادًا وَهَنَّا بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ وَأُورِدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أَفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي أَوْ أَنْ أَنْقِصَ فِي رَأْيِي كَمَا نَقِصْتُ فِي جِسْمِي أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدِثِ كَالأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَهُ فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَيَسْتَعْلَ لُبُّكَ» (٢).

لا ينفصل حاضر أي أمة عن ماضيها وتاريخها، بل يبقى شديد التعلق والصلة به، بالذات ذلك الماضي المؤسس والباقي لهذه الأمة وقيمها.

(١) محاضرة أقيمت في ساحة الشويكة بالقطيف ضمن برنامج بعنوان (علي ووحدة الأمة) ليلة ٢١ رمضان ١٤٢٦هـ.

(٢) نهج البلاغة: تحقيق مؤسسة نهج البلاغة، كتاب رقم ٣١ من وصية له (عليه السلام) للحسن بن علي (عليه السلام).

من خلال الافتتاح بهذا المقطع من وصية الإمام علي بن أبي طالب ؑ لابنه الحسن يوثق سماحة الشيخ حسن الصفار الصلة بين واقعنا الحاضر بماضينا وتراثنا وثقافتنا الإسلامية الأصيلة، ليكون هذا المقطع منطلقاً للحديث حول بعض أهم المظاهر السلوكية السلبية في مجتمعنا، التي غالباً ما تكون أسبابها ناتجة عن التربية الأسرية الخاطئة، وكذلك نتيجة التعامل الخاطيء من قبل أبناء المجتمع مع مثل هذه الظواهر.

وقد تركز الحديث عن ظاهرتي:

- الاستعراضات الطائشة بالسيارات (التفحيط) والدراجات النارية من قبل شريحة المراهقين والشباب.
 - تعاطي المخدرات والحبوب المنشطة لدى شريحة كبيرة من المجتمع.
- ولأن الحديث حول هاتين الظاهرتين حديث متشعب وشائك حاول سماحة الشيخ أن يوزع حديثه ويوجه خطابه إلى نفس الطبقة الشابة - فتياناً وفتيات -، وكذلك يوجه خطاباً آخر للأسرة والمجتمع، لأن المسؤولية مشتركة بينهما.

الشباب والقذوة الصالحة

ففي البداية، ركز سماحة الشيخ محاضراته حول بطولات ومآثر الإمام علي بن أبي طالب ؑ من بداية الدعوة الإسلامية مروراً بالهجرة وانتهاءً بمشاركته في المعارك الإسلامية الخالدة: بدر وأحد والأحزاب وخيبر وغيرها، وما كان لذلك من أثر في انتصار الدعوة الإسلامية، وتثبيت مبادئها في المجتمع المسلم، فكان الإمام ؑ نموذج الشاب المسلم الذي يصرف جُلَّ شبابه لخدمة دينه ومجتمعه ومبادئه وقيمه.

وبما أننا - كأفراد وكمجتمع - امتداد لتاريخنا وأمتنا الإسلامية علينا أن نتخير القذوة الصالحة والنموذج الأفضل ليكون مثالنا الذي نتمثله في المواقف والسلوك، لا أن تكون مرحلة الشباب مرحلة طيش وممارسات تذهب العقل والصحة والمال.

فالذين يمارسون الاستعراض بالسيارات (التفحيط) قد يفقدون حياتهم بسبب

هذه الممارسات (كما حصل ذلك قبل أيام لشاب في الثالثة والعشرين من العمر)، وكذلك الأمر لمن يتعاطى المخدرات والحبوب المنشطة، وربما كان في هذه أوضح وأشد.

الأسرة والمجتمع يتحملان المسؤولية الأكبر

من خلال معالجة نص المقطع المفتوح به الحديث يذكر سماحته بأن «فتن الدنيا» و«غلبات الهوى» تعاضمت اليوم، ولذلك على الأسرة «أن لا تكتفي بملاحظة ظواهر حياة أبنائها، بل عليها أن تدقق النظر وتلاحظ ما وراء هذه الظواهر، لتعالج الأسباب، حتى لا تتعاضم المشكلة فيكون حلها - حينذاك - أصعب».

وفي هذه النقطة بالذات يركز الشيخ حسن على أن المجتمع والأسرة عليهما أن يدركا حجم الخطر الذي تشكله ظاهرة المخدرات في مجتمعنا، فلا نتساهل في تقديرها، فهي آخذة بالانتشار حتى بين فتياتنا، لدرجة أن وزارة التربية والتعليم - حسبما تناقلته الصحف - بدأت قبل أيام بحملة في الجامعات والمدارس بحثاً عن الحبوب المنشطة والمخدرة لانتشارها بين الفتيات.

الحبوب المنشطة أول المنزلق

وقد انتشر استعمال الحبوب المنشطة في الآونة الأخيرة، بسبب توفرها بكثرة في السوق السوداء، ورخص ثمنها لأنها تصنع محلياً، خصوصاً بين سائقي الباصات والعاملين ليلاً وبين الطلاب أيام الاختبارات، وقد يتساهل كثير من أبناء المجتمع مع هذه الظاهرة غافلين عن مضاعفاتها النفسية والصحية والسلوكية.

فهي أول المنزلق لتعاطي المخدرات وسلوك بعض الظواهر الطائشة، فذكر سماحة الشيخ أنه ينقل أن كثيراً من «المفحطين» هم ممن يتناولون الحبوب المنشطة، التي تعطيهم طاقة لا يجدون مكاناً يصرفونها فيه غير هذه الممارسات الاستعراضية الخطرة والطائشة.

المخدرات خطر يدهمنا

عندما نعيش في مجتمعنا ضمن التجمعات الاجتماعية العادية في المساجد والمنتديات والأسواق ونتنقل بين الشوارع والطرق قد لا نجد أثراً لتفشي ظاهرة المخدرات، ولكن عندما نطلع على أحوال السجون، ونتحرى واقعتها نجد أن الواقع يختلف عن الصورة التي تكشفها لنا تجمعاتنا العادية، وهذا ما ينقله الشيخ عن أحد السجناء الذي اتصل به ليشكو له حال زملائه في السجن، فأكثرهم سجن بسبب قضايا المخدرات، طالباً من الشيخ أن ينقل للمجتمع هذه الصورة، حتى يتنبه من غفلته.

المخدرات آفة تجرّ آفات

بعد ذلك بيّن الشيخ أن آفة المخدرات مشكلة مركبة، فالمخدرات تتفاعل مع جسم الإنسان، بحيث إذا لم يتعاطاه مرة أخرى أصبح الإنسان في حالة هستيرية لا تحكمه أي ضوابط، فتحصيل الجرعة هو أهم ما يبحث عنه، مما يضطره للتنازل عن مبادئه وقيمه وعرضه مقابل الحصول عليها.

وهذا ما يحصل في كثير من القصص التي يرويها المحيطون بالمدمنين، فبعضهم قد يقدم زوجته وأخواته ثمناً لتناول هذه الجرعة، والبعض الآخر يقدم أولاده فريسة لهذا المرض.

المجتمع مسؤول عن القضاء على الإدمان

ولكي يتعافى مجتمعنا من هذه الآفة عليه أن يتصرف كمجتمع متحضر ومسؤول تجاه آفة الإدمان، فالمجتمعات المتحضرة الآن لا تتعامل مع المدمن كمجرم، بل تعامله كمريض يحتاج لعلاج، لذلك على المجتمع أن يوفر الخدمات لهذا المريض، وكذلك على الأسرة أن تقدم العلاج له، لا أن تنبذه وتتركه منه.

والخطوات في هذا الجانب على صعيد المؤسسات لا بأس بها، فهناك مستشفيات

أنشأتها الدولة لمعالجة الآثار الانسحابية للمخدرات، كمستشفى الأمل بالدمام. ولكن الخطر يكمن في طريقة تعاملنا وسلوكنا كمجتمع مع هذا المدمن، فمن الواجب علينا أن نغيّر من نظرتنا تجاهه حتى يتعافى مجتمعنا من هذه الأمراض.

مجموعة الخط المستقيم بالقطيف

ومن الجهود الخيرة إنشاء مجموعة الخط المستقيم بالقطيف، وهي مجموعة من المتعافين من تعاطي المخدرات، تعقد اجتماعات دورية مع الذين يريدون التعافي من تعاطي المخدرات في مقرها الدائم بمدينة الأمير نايف الرياضية بالقطيف. وهي بادرة اجتماعية خيرة، تهدف إلى خلق جوّ جماعي للتعافي من المخدرات، فالمدمن بعد أن يتعافى قد يرجع إلى طريق الإدمان مرة أخرى، خصوصًا إذا لم يجد من يحتضنه في مجتمعه، لذلك إن وجود مثل هذه المؤسسة - بالتعاون مع المجتمع - قد يكون حاجزًا أمام الكثيرين لعدم العودة إلى طريق الإدمان مرة أخرى.

الحسنات يذهب السيئات

ويختتم سماحة الشيخ حديثه بالتذكير بأن الوقاية خير من العلاج، فالعناية بالشباب وبإيجاد برامج خاصة بهم تحتضنهم أكثر أهمية وأولى وأكثر نفعًا وتحصينًا من الانزلاق في هاوية هذه الأمراض، فوجود لجان ثقافية كثيرة في مجتمعنا، وفرق كشافة وأندية رياضية وأنشطة اجتماعية تضمهم ويقضون فيها أوقاتهم وينمون مهاراتهم أولى بالدعم من قبل المجتمع، لأن هذه المشاريع الحسنة تذهب كثيرًا من المظاهر السلوكية السيئة في المجتمع. لذلك على المجتمع أن يدعم - بالمال أو التشجيع أو التعاون - مثل هذه الأنشطة التي تحصّن شبابنا من الانزلاق في مثل هذه الآفات، لا أن نقف سلبين، فنشتكي من تفشي هذه الظواهر دون أن نقدم - كمجتمع - أي بديل.

الإمام علي عليه السلام ومشكلة الفقر^(١)

ركّز سماحة الشيخ حديثه في هذه المحاضرة عن مشكلة الفقر، وذلك من خلال افتتاحه المحاضرة بوصية الإمام علي عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية، التي يقول فيها: «يَا بُنَيَّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ».

وانطلاقاً من هذه الوصية بدأ الشيخ حديثه في عدة نقاط، منها:

تعريف الفقر

الفقر ليس مشكلة محلية، بل هي عالمية، لذا اهتمت المؤسسات الدولية بتقديم تعريف موحد له، حيث عرفوه بـ: عدم الوصول إلى حدّ الكفاف، والمقصود بالكفاف الحاجات الضرورية، وفي منطقتنا يحدد مركز الدراسات الإنسانية بجمعية البرّ بالمنطقة

(١) محاضرة ألقيت في ساحة الشويكة بالقطيف ضمن برنامج بعنوان (علي ووحدة الأمة) ليلة ٢١ رمضان ١٤٢٦هـ.

الشرقية أن حدّ الكفاف للإنسان في هذه المنطقة أن لا يقل دخله الشهري عن ٢٠٦٠ ريال، وهو رقم لا تصل إليه دُخول آلاف الأسر في منطقتنا حسب كثير من الإحصائيات التي تقوم بها الجمعيات الخيرية.

الفقر مشكلة اجتماعية

وما يجعل الفقر مشكلة اجتماعية هو امتداد تأثيره على الآخرين، يقول تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾، فالفقر يمس الأمن الاجتماعي، فهو الداعي لأكثر الجرائم، التي من أهمها السرقة والفساد، وكذلك يكون سبباً لتدني المستوى التعليمي. كما أن المجتمع الفقير لا تنمو فيه أي مشاريع اقتصادية، وهذا ما يدفع الدول الغنية إلى تقديم مساعدات مالية للدول الفقيرة، ليكون هناك سيولة نقدية، تتيح المجال للاستهلاك والاستيراد.

أسباب الفقر

- وهي النقطة التي ركّز عليها ساحتها كثيراً، فعُدّ بعض الأسباب، فذكر منها:
١. الكسل، فكسل الإنسان عن السعي لتحصيل الرزق قد يكون عاملاً للفقر، ومن مظاهر الكسل في زمننا الحاضر عدم سعي الإنسان لتطوير الذات بما يتناسب ومتطلبات سوق العمل، من شهادات وإتقان لبعض المهارات واللغات الأساس التي تحتاجها معظم المهن اليوم.
 ٢. سوء التخطيط، فالإسراف في بعض المناسبات وصراف كثير من الأموال في مظاهر الفرح والاحتفال عدم تدبير للأموال.
 ٣. ضعف الحركة الاقتصادية من قبل أصحاب الثروات في المجتمع، واتجاه معظم حركة الأموال في الأسهم والعقار، وهذه الحركة لا تنشط الاقتصاد ولا تخلق فرصاً وظيفية للعاطلين عن العمل.

٤. سياسات أجهزة الدولة، التي قد تكون في كثير من الأحيان غير كافية لتنمية القدرات ولا توفير فرص العمل أو تشجيع التقدم الاقتصادي وتوفير ضمانات المعيشة للمعوزين.

٥. عدم التكافل الاجتماعي، وذكر الشيخ أن من أهم أسباب انتشار ظاهرة الفقر في مجتمعاتنا هو عدم التكافل الاجتماعي بالشكل المطلوب، فمراجعة سريعة لتقارير الجمعيات الخيرية بالمنطقة والمقارنة بين التبرعات التي تأتيها من خارج مناطقها وبين ما يأتيها من داخل المناطق تكشف لنا مدى تقصيرنا تجاه فقرائنا وذوي الحاجة منّا.

وهو أمر مخجل، بالذات لمجتمع يفخر بمولاته لأهل البيت عليهم السلام، الذي كان كل إمام منهم - والإمام علي عليه السلام كان أولهم - يحمل الجراب على ظهره في عتمة الليل، ويجوب به المدينة يطعم الفقراء ويتصدق عليهم.

صدر للمؤلف

١. الصوم مدرسة الإيمان

الطبعة الأولى: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، دار التراث الإسلامي - بيروت.

٢. ولكل أمة رسول

الطبعة الأولى: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، منشورات مكتبة الإمام الصادق - الكويت.

الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طهران - إيران.

٣. الرسول طريق إلى القمة

الطبعة الأولى: ١٣٩٦هـ - ١٩٧٥م، منشورات مكتبة الرسول الأعظم العامة، مطرح - سلطنة عمان.

٤. الحسين ومسؤولية الثورة

الطبعة الأولى: ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، مطابع دار السياسة، الكويت.

الطبعة الثانية: ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، مطابع دار السياسة - الكويت.

الطبعة الثالثة: ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م - أمريكا.

- الطبعة الرابعة: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م - فرنسا.
 الطبعة الخامسة: ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م، طهران - إيران.
 الطبعة السادسة: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار الحوراء - بيروت.
 الطبعة السابعة: ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، دار البيان العربي - بيروت.
 الطبعة الثامنة: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، مكتب ساحة الشيخ حسن الصفار.

٥. أئمة أهل البيت رسالة وجهاد

- الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.
 الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طهران - إيران.
 الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء - بيروت.

٦. الإمام المهدي أمل الشعوب

- الطبعة الأولى: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، منشورات مكتبة الرسول الأعظم العامة،
 مطرح - سلطنة عمان.
 الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.
 الطبعة الثالثة: ١٤٠١هـ - ١٩٨٢م، طهران - إيران.
 ■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (إمام مهدي اميد ملتها)، المترجم
 محمد علي مجيديان، نشر آفاق، طهران، الطبعة الرابعة: ١٤١٧هـ.

٧. مسؤولية الشباب

- الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.
 الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طهران - إيران.
 الطبعة الثالثة: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء - بيروت.
 الطبعة الرابعة: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار البيان العربي - بيروت.

٨. المرأة مسؤولية وموقف

- الطبعة الأولى: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، طهران - إيران.
 الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طهران - إيران.

الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، دار الزهراء- بيروت.

٩. المرأة والثورة

الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، طهران- إيران.

١٠. مسؤولية المرأة

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، طهران- إيران.
الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، مؤسسة الوفاء- بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، دار البيان العربي- بيروت.

١١. الإمام الحسين رمز التضحية والفداء

الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، مكتبة الرسول الأعظم ﷺ، مطرح- سلطنة عمان.
الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م- الكويت.

١٢. رؤى الحياة في نهج البلاغة

الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت.
الطبعة الثالثة: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، طهران- إيران.
الطبعة الرابعة: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، دار الصفوة- بيروت.
الطبعة الخامسة: ٢٠٠٤م- دمشق.
الطبعة السادسة: ٢٠٠٥م، مطبعة العرفان، النجف الأشرف- العراق.
■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (تصوير زندكي در نهج البلاغه)، المترجم لطيف رشدي، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ، انتشارات قدس، قم.
■ تمت ترجمته إلى اللغة الطاجيكية تحت عنوان (аЙхIII Ҳаҷаҳ Мўсо Саффор)، طبعة قم ٢٠٠٥م، الناشر فاضل.

١٣. حياة الأئمة والتاريخ المزيّف

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طهران - إيران.
الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، مؤسسة الوفاء - بيروت.

١٤. رمضان برنامج رسالي

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار الجزيرة، لندن - بريطانيا.
الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء - بيروت.
الطبعة الثالثة: الكويت.
الطبعة الرابعة: طهران - إيران.
الطبعة الخامسة: ١٤١١هـ - ١٩٩١م، دار البيان العربي - بيروت.

١٥. قراءة في فكر الإمام الخميني

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، باريس - فرنسا.

١٦. أعلننا الولاء بالدم

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طهران - إيران.
الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، طهران - إيران.

١٧. بصائر وهدى

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طهران - إيران.

١٨. السجن أحب إليّ

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، طهران - إيران.

١٩. الشعب يتحدّى السجون

الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٢٠. الثورة والإرهاب

الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٢١. كيف تتحدّى الطغاة

الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٢٢. رمضان وقضايا الثورة

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، طهران - إيران.

٢٣. النضال على جبهة الثقافة والفكر

الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٢٤. فلنحطم الأغلال

الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.
الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، دار البداية، القاهرة - مصر.

٢٥. الجماهير والثورة

الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ-١٩٨١م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٢٦. خطر السُّقُوط

الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٢٧. النفس منطقة الخطر

الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ-١٩٨١م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.
الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، مؤسسة الوفاء - بيروت.
الطبعة الثالثة: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، مركز الجواد للطباعة، الأحساء -
السعودية.

الطبعة الخامسة: ٢٠٠٥م، مطبعة العرفان، النجف الأشرف - العراق.

٢٨. القلب حرم الله

الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٢٩. لكي لا نحتقر أنفسنا

الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٣٠. رمضان دعوة إلى ضيافة الله

الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٣١. فئات العمل الرسالي

الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٣٢. عن المثقفين وعظلة الصيف

الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٣٣. رسالة المجالس الحسينية

الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٣٤. الأناية وحب الذات

الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، دار الجزيرة للنشر، لندن - بريطانيا.

٣٥. معرفة النفس

الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ-١٩٩١م، دار البيان العربي - بيروت.

٣٦. التغيير الثقافي أولاً

الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، مؤسسة الوفاء - بيروت.

٣٧. كيف نقهر الخوف

الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، مركز الشباب المسلم، أميركا.

الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، مؤسسة الوفاء - بيروت.

الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ، إيران.

الطبعة الرابعة: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء - بيروت.

■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (غلبه بر خوف).

٣٨. كيف نقاوم الإعلام المضاد

الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، مؤسسة الشهيد للثقافة والإعلام.

الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء- بيروت.

■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (رويار وىى تبليغاتى)، المترجم سعيد خاكرند، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ، نشر بقيق، طهران.

٣٩. الثائر والسجن (دراسة في حياة الإمام الكاظم عليه السلام)

الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، دار البصائر.

الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مؤسسة الوفاء- بيروت.

٤٠. يوم البقيع

الطبعة الأولى: ١٤١١هـ-١٩٩١م، مؤسسة البقيع لإحياء التراث- بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، الجمعية الجعفرية، استراليا.

٤١. مختصر الطفل بين الوراثة والتربية

الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، مؤسسة الوفاء- بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، مؤسسة البلاغ- بيروت.

٤٢. الشيخ علي البلادي القديحي

الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، مؤسسة البقيع لإحياء التراث- بيروت.

٤٣. التعددية والحرية في الإسلام: بحث حول حرية المعتقد وتعدد

المذاهب

الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، دار البيان العربي- بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، دار الصفوة- بيروت.

الطبعة الثالثة: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (چندگونگی وآزادی در اسلام)، ترجمة حميد رضا آذير، نشر ببيع.

٤٤. المرأة العظيمة: قراءة في حياة السيدة زينب عليها السلام

الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، دار البيان العربي- بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.
الطبعة الثالثة: ٢٠٠٠م، مؤسسة الانتشار العربي- بيروت.
الطبعة الرابعة: ٢٠٠٢م، مؤسسة الثقلين- بيروت.

٤٥. الوطن والمواطنة: الحقوق والواجبات

الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، دار الصفوة- بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، دار الصفوة- بيروت.
الطبعة الثالثة: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

٤٦. التنوع والتعايش

الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، دار الصفوة- بيروت
الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.
الطبعة الثالثة: ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، دار الساقى، لندن- بريطانيا.
الطبعة الرابعة: ٢٠٠٤م، دار التآخي- دمشق.
الطبعة الخامسة: ٢٠٠٥م، مطبعة العرفان، النجف الأشرف- العراق.

٤٧. التطوع للوحدة وواقع التجزئة في العالم الإسلامي

الطبعة الأولى: ١٩٩٨م، دار الكنوز الأدبية- بيروت.

٤٨. علماء الدين قراءة في الأدوار والمهام

الطبعة الأولى: ١٩٩٩م، دار الجديد- بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

٤٩. الشيخ محمد أمين زين الدين: تجربة في الإصلاح دون حضور الذات

الطبعة الأولى: ١٩٩٩م، دار الجديد - بيروت.

٥٠. الكوارث ومسؤولية المجتمع: حديث في أربعين فاجعة القديح الأليمة

الطبعة الأولى: ١٩٩٩م، مؤسسة البلاغ - بيروت.

٥١. العمل والفاعلية طريق التقدم

الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م، دار الكنوز الأدبية - بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار الهادي - بيروت.

الطبعة الثالثة: ٢٠٠٧م، أطراف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

٥٢. شهر رمضان والانفتاح على الذات

الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ.

الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مطابع الرجاء، الخبر - السعودية.

الطبعة الثالثة: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مطابع الرجاء، الخبر - السعودية.

٥٣. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الأول)

الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، مؤسسة البلاغ - بيروت.

٥٤. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الثاني)

الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، مؤسسة البلاغ - بيروت.

٥٥. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الثالث)

الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، مؤسسة البلاغ - دار الواحة - بيروت.

٥٦. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الرابع)

الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ، مؤسسة البلاغ - بيروت.

٥٧. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الخامس)
الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، مؤسسة البلاغ - بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، مؤسسة المعارف - بيروت، أطياف للنشر
والتوزيع، القطيف - السعودية.

٥٨. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد السادس)
الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف -
السعودية.

٥٩. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد السابع)
بين يديك.

٦٠. السلم الاجتماعي - مقوماته وحمائته
الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، دار الساقى - بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، مكتب ساحة الشيخ حسن الصفار.

٦١. التسامح وثقافة الاختلاف - رؤى في بناء المجتمع وتنمية
العلاقات
الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، دار المحجة البيضاء، دار الواحة - بيروت.

٦٢. الإمام المهدي وبشائر الأمل
الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، دار المحجة البيضاء، دار الواحة - بيروت.

٦٣. الإمام الحسن ونهج البناء الاجتماعي
الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء، دار الواحة -
بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء، دار الواحة - بيروت.

٦٤. كيف نقهر الوسواس

الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، دار المحجة البيضاء - بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ، دار المحجة البيضاء - بيروت.

٦٥. شخصية المرأة بين رؤية الإسلام وواقع المسلمين

الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب.

الطبعة الثانية: ٢٠٠٤م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب.

الطبعة الثالثة: ٢٠٠٧م، مؤسسة الانتشار العربي - بيروت، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

٦٦. إحياء المناسبات الدينية بين الواقع والطموح

الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، دار المحجة البيضاء، دار الواحة - بيروت.

الطبعة الثانية: ٢٠٠٤م، دار التآخي - دمشق.

٦٧. الإمام الشيرازي ملامح الشخصية وسمات الفكر

الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، هيئة محمد الأمين ﷺ - بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ، مؤسسة عاشوراء، قم - إيران.

٦٨. رؤية حول السجال المذهبي

الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مؤسسة العارف للمطبوعات - بيروت.

٦٩. بناء الشخصية ومواجهة التحديات

الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء - دار الواحة -

بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف -

السعودية.

٧٠. عن اللقاء الوطني للحوار الفكري

(الذي انعقد في الرياض بتاريخ ١٥ - ١٨/٤/١٤٢٤هـ الموافق ١٥ - ١٨/٦/٢٠٠٣م)
الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء - دار الواحة - بيروت.

٧١. الإمام علي (عليه السلام) ونهج المساواة

الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء - بيروت .
الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م - دمشق.
■ تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية، تحت عنوان (إمام علي (ع) وراه برابري)، ترجمة محمد رضا ضيايي.

٧٢. الحوار والانفتاح على الآخر

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار الهادي - بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م دار التآخي - بيروت.

٧٣. السلفيون والشيعة نحو علاقة أفضل

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار الواحة - بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مؤسسة العارف للمطبوعات - بيروت.
الطبعة الثالثة: ٢٠٠٧م، مؤسسة الانتشار العربي - بيروت، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

٧٤. فقه الأسرة: بحوث في الفقه المقارن والاجتماع

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار الهادي - بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار الهادي - بيروت.

٧٥. النادي الرياضي والمجتمع

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مطابع الرجاء، الخبر - السعودية.

الطبعة الثانية: ٢٠٠٥م، مطبعة العرفان، النجف الأشرف - العراق.

٧٦. الزواج أغراضه وأحكامه

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

٧٧. السياسة النبوية ودولة اللاعنف

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار المحجة البيضاء - بيروت.

الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ، مؤسسة المعارف - بيروت، أطيايف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

٧٨. العمل التطوعي في خدمة المجتمع

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مؤسسة العارف للمطبوعات - بيروت.
الطبعة الثالثة: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، أطيايف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

٧٩. كيف نقرأ الأخرى؟

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، الدار العربية للعلوم - بيروت.
الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، الدار العربية للعلوم - بيروت.

٨٠. الحضور في زمن الغيبة

الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، البحرين.
الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار المحجة البيضاء - بيروت.
الطبعة الثالثة: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، النجف الأشرف - العراق.

٨١. الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان

الطبعة الأولى: ٢٠٠٥م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب.
الطبعة الثانية: ٧٢٠٠م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب.

٨٢. سلسلة (قوانين السعادة الزوجية وأبجديات الحب)

- الحب الحقيقي (الزواج أحكامه وأغراضه).
 - قوانين الزواج من الألف إلى الياء (من عقد الزواج إلى ليلة الزفاف).
 - مملكة الحب (الحقوق الزوجية).
 - الخطوات الذكية لاختيار النصف الجميل (اختيار الزوج).
 - تزوج وكن سعيداً (قرار الزواج).
 - صفاء المودة (العلاقات الزوجية).
 - البوابة الذهبية (عقد الزواج).
- الطبعة الأولى: ٢٠٠٥م - ٢٠٠٦م، مركز الياة للتنمية الفكرية - دمشق.

٨٣. الاستقرار السياسي والاجتماعي

الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، الدار العربية للعلوم - بيروت.

٨٤. الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي

الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مطابع الرجاء، الخبر - السعودية.

٨٥. الإمام الحسين الشخصية والقضية

- الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار المحجة البيضاء - بيروت.
- الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.
- الطبعة الثالثة: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار.

٨٦. المذهب والوطن: مكاشفات وحوارات صريحة مع سماحة الشيخ

حسن الصفار أجراها الأستاذ عبدالعزيز قاسم.

- الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت.
- الطبعة الثانية: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف - السعودية.

٨٧. الشباب وتطلعات المستقبل

الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ، أطراف للنشر والتوزيع، القطيف -
السعودية.

٨٨. الأوقاف وتطوير الاستفادة منها

الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م - أطراف للنشر والتوزيع، القطيف -
السعودية.

٨٩. الإمام علي وقضايا الأمة

الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م - أطراف للنشر والتوزيع، القطيف -
السعودية.

**٩٠. الحوار المذهبي والمسار الصحيح (محاضرة الشيخ حسن الصفار
وحفل تكريمه في اثينية الشيخ عبدالمقصود خوجة)**
الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م، مؤسسة الانتشار العربي - بيروت، أطراف للنشر
والتوزيع، القطيف - السعودية.

٩١. الحسين في وجدان الأمة

الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، مكتب سباحة الشيخ حسن الصفار.

٩٢. المؤسسات الأهلية وحماية الأمن الاجتماعي

الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، أطراف للنشر والتوزيع، القطيف -
السعودية.

٩٣. الأحادية الفكرية في الساحة الدينية

الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، الدار العربية للعلوم - بيروت.

الفهرس

٧	تقديم
١٥	أول الحديث
٥٢	شخصية السيد المسيح ﷺ استثنائية
١٣	الشيخ الصفار ينتقد التصريحات السياسية الطائفية
٧٣	التيسير في الحج
٤٣	سياسة الإمام علي ﷺ الالتزام بالمبادئ والقيم
٤٩	الانتخابات البلدية والثقافة الجديدة
٥٥	الفائزون بانتخابات المجالس البلدية
٦١	سبل الحياة الرغيدة
٦٧	المشكلات الاجتماعية والروح الإيجابية
٧٣	تفعيل دور المرأة في الشأن العام
٧٩	دور المسجد في حياة المجتمع الإسلامي
٨٧	مقومات التفكير

- ٩٥..... الامة واخطار الفتنة الطائفية
- ١٠٧ الوصاية الفكرية استعباد للإنسان
- ١١٧ المواجهة الفكرية هي السبيل
- ١٢٩ رؤية شرعية حول تساهل الموظفين
- ١٣٩ الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي
- ١٥٥ رعاية النظام والقانون
- ١٦٧ المجتمعات وفاعلية النشاط الاهلي
- ١٧٧ عائدات النفط والاستثمار الوطني
- ١٨٣ المجتمعات والافكار الجديدة
- ١٩٣ ماذا يعرف العالم عن أهل البيت عليهم السلام؟
- ٢٠٥ الاوقاف ودورها الحضاري في الامة
- ٢١٧ الاوقاف ضرورة الماسسة والتطوير
- ٢٣١ التغيير الاجتماعي وعنصر الزمن
- ٢٣٩ العنف الاسري
- ٢٤٧ لنعرف قدر زوجاتنا
- ٢٥٧ بشائر الإصلاح السياسي في المنطقة
- ٢٦٩ نحو مؤسسات أهلية لحماية الامن الاجتماعي
- ٢٧٩ لغة التخاطب والتعامل بين أتباع الديانات

كُتَابَات

- ٢٨٩ انفتاح الدعاة والمنقذين على الاخر
- ٢٩٣ تقديم لكتاب (الإخلاص) لمؤلفه الاستاذ علي الدرورة

- ٢٩٧ تقديم كتاب المدارس التفسيرية للمؤلفين .
- ٣٠٣ الشيخ الصفار يُدين التفجيرات التي حصلت في الرياض
- ٣٠٥ تابين السيدة هاشمية الخباز
- ٣٠٩ الشيخ الصفار يعزي الطائفة الإسماعيلية في المملكة
- ٣١٣ حمى لله العراق

متابعات

- ٣١٩ .. حوار مع الشيخ الصفار على قناة عين في برنامج (حوار من الداخل)
- ٣٥١ حوار مع جريدة القبس الكويتية .
- ٣٥٧ حوار مراسل وكالة رويترز للأنباء .
- ٣٥٩ المرجعية الشيعية بين الدين والسياسة .
- ٣٩١ حوار مع قناة العربية الفضائية .
- ٤٠٧ الإسلاميون والحوار مع أمريكا
- الصفار: لا بد من وسائل عقلانية تنبع من أسس العقيدة الإسلامية في التعامل مع من يخالفنا ٤١٣
- الصفار يحذر من التحريض اللفظي والفتنة الطائفية ٤١٧
- الصفار: احترام كرامة الإنسان يعمق إحساسه بوطنه ٤٢٣
- تلاشي الحواجز الطائفية في جلسة صلح (تعثق) رقبة المري ٤٢٩
- حوار مجلة فواصل (السعودية) ٤٣٧
- حوار مع جريدة المدينة ٤٤٧
- حوار مع جريدة (عرب نيوز) ٤٥٥
- حوار مع جريدة (سعودي جازيت) ٤٥٩

- الظلم والتحرير على الكراهية يعوقان السلام ٤٦٥
- الشيخ الصفار يهاجم السلوكيات الخاطئة لدى الشباب ٤٧١
- قادة ومفكرو الامة الإسلامية مطالبون بنشر السيرة العطرة للرسول الكريم ٤٧٧

ندوات وخطابات ومحاضرات

- تكريم الشيخ عبدالمقصود خوجة ٤٨١
- الشيخ الصفار يؤكد أن كرامة الإنسان أصل فكري وقاعدة فقهية .. ٤٨٧
- في مؤتمر الوحدة الإسلامية بطهران ٤٩١
- مبدأ الوحدة الإسلامية أصل له أولوية ٤٩٧
- مفهوم التودد في منظومة المفاهيم الاجتماعية للإسلام ٥٠٣
- المهرجان الختامي لجماعة الهدى للتعليم ٥٠٧
- الإمام المهدي ومستقبل العلاقات الإنسانية ٥١٥
- ورشة عمل للبرنامج الإقليمي للإيدز ٥١٧
- التجديد في الخطاب الديني: بواعثه وضوابطه ٥١٩
- تحديات الأسرة ودور المجتمع ٥٢٣
- الإمام علي عليه السلام وقضايا الشباب ٥٢٧
- الإمام علي عليه السلام ومشكلة الفقر ٥٣٣
- صدر للمؤلف ٥٣٧